

ديوان

علي محمود طه

ديوان علي محمود طه

ديوان علي محمود طه

تأليف
علي محمود طه



ديوان علي محمود طه

علي محمود طه

رقم إيداع ٢٠١٢/٢٣٥٠٨

تدمك: ٦ ٢١٥ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

كلمات عربية للترجمة والنشر

جميع الحقوق محفوظة للناسر كلمات عربية للترجمة والنشر
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن كلمات عربية للترجمة والنشر غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥١ +

البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org

الموقع الإلكتروني: <http://www.kalimat.org>

الغلاف: تصميم إيهاب سالم.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لشركة كلمات عربية
للتجمة والنشر. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية
العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2013 Kalimat Arabia.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

١٣	المَلَّاحُ التَّائِه
١٥	الإهداء
١٧	ميلاد شاعر
٢٣	الوحي الخالد
٢٥	النَّشِيدُ
٢٩	المَلَّاحُ التَّائِه
٣١	غُرْفَةُ الشَّاعِرِ
٣٣	رُجُوعُ الْهَارِبِ
٣٥	مَخْدَعُ مُغْنِيَةٍ
٣٧	قُبْلَةٌ
٣٩	أُغْنِيَةٌ رِيفِيَّةٌ
٤١	قِيَّارَتِي
٤٣	أَيَّتُهَا الْأَشْبَاحُ
٤٧	قَلْبِي
٥٣	على الصخرة البيضاء
٥٥	الْأَجْنَحَةُ الْمُحْتَزِقَةُ
٥٩	الله والشاعر
٧٧	صَخْرَةُ الْمُلتَقَى
٨١	عَاصِفَةٌ فِي جُمُجْمَةٍ

٨٥	الْقُطْبُ
٨٧	إلى سيد درويش
٨٩	الْأُمْسِيَّةُ الْحَزِينَةُ
٩١	الفن الجميل
٩٣	الْمَلِكُ الْبَطْلُ
٩٥	الشَّاطِئُ الْمَهْجُورُ
٩٩	عَاشِقُ الزَّهْرِ
١٠١	قَبْرُ شَاعِرٍ
١٠٥	حافظ إبراهيم
١٠٩	شَوْقِي
١١٣	انْتِظَارُ
١١٥	إِلَى الْبَحْرِ
١١٧	الطَّرِيدُ
١١٩	عَدْلِي يَكُنْ
١٢٣	في القرية
١٢٥	الْبُحَيْرَةُ
١٢٩	ليالي الملاح التائه
١٣١	الإهداء
١٣٣	أغنية الجنْدُول في كرنفال فينسيا
١٣٧	الْقَمَرُ الْعَاشِقُ
١٣٩	كَأْسُ الْحَيَّامِ
١٤٩	مَصْرَعُ الرَّبَّانِ
١٥١	نَشِيدُ إِفْرِيقِي
١٥٣	حُلْمٌ لَيْلَةً
١٥٥	إِلَى رَاقِصَةٍ
١٥٧	في الشِّتَاءِ
١٥٩	هِيَ
١٦١	بُحَيْرَةُ كُومُو

١٦٥	أَفْرَاحُ الْوَادِي
١٦٩	مَهْرَجَانُ الرَّفَافِ
١٧٣	أَمِيرَةُ الشَّرْقِ
١٧٥	سَيَرَانَادَا مِصْرِيَّة
١٧٧	الشَّوَاطِئُ الْمِصْرِيَّةُ
١٧٩	خَيَالُ
١٨١	التَّمَنَّا
١٨٥	دُعَابَةٌ
١٨٧	تَايِيْسُ الْجَدِيدَةِ
١٨٩	خَمْرَةُ نَهْرِ الرَّيْنِ
١٩٣	شَاعِرُ مِصْرَ
١٩٧	مَوْتُ الشَّاعِرِ
١٩٩	الموسيقىة العمياء
٢٠٣	النَّهْرُ الظَّامِي
٢٠٥	مَأْسَاةُ رَجُلٍ
٢٠٩	صَدَى الْوَحْيِ
٢١١	الْعُشَّاقُ الثَّلَاثَةُ
٢١٧	زَهْرٌ وَخَمْرٌ
٢١٩	الإهداء
٢٢١	ليالي كليوبترا
٢٢٥	مِيلَادُ زَهْرَةٍ
٢٢٧	حَانَةُ الشُّعْرَاءِ
٢٣١	سَارِيَةُ الْفَجْرِ
٢٣٣	أَغْنِيَةُ الْحُبِّ
٢٣٥	حَدِيثُ قُبْلَةٍ
٢٣٧	خَمْرَةُ الشَّاعِرِ
٢٤١	زَهْرَاتِي

٢٤٥	مِنْ قَارَّةٍ إِلَى قَارَةٍ
٢٤٩	رَأَقِصَةُ الْحَانَةِ
٢٥١	الشَّاعِرُ
٢٥٣	عَاشِقَةٌ
٢٥٥	الْكُرْمَةُ الْأُولَى
٢٥٧	الْمَدِينَةُ الْبَاسِلَةُ
٢٦١	بَعْدَ مِئَةِ عَامٍ
٢٦٣	حُلْمُ لَيْلَةِ الْهَجْرَةِ
٢٦٥	لَيْلَةُ عِيدِ الْمِيلَادِ
٢٦٩	عَامٌ جَدِيدٌ
٢٧٣	سَمَرٌ
٢٧٥	الشَّوْقُ الْعَائِدُ
٢٧٧	إِلَيْهَا
٢٧٩	سُؤَالٌ وَجَوَابٌ
٢٨١	الشَّوْقُ الْعَائِدُ
٢٨٣	جَزِيرَةُ الْعُشَّاقِ
٢٨٥	طَاقَةُ زَهْرٍ
٢٨٧	أَحْلَامُ عَاشِقَةٍ
٢٨٩	امْرَأَةٌ وَشَيْطَانٌ
٢٩٣	هِيَ وَهُوَ
٢٩٩	تَلَجُّ وَنَارٌ
٣٠٣	نَارٌ وَنَارٌ
٣٠٧	يَوْمُ الْمُلْتَقَى
٣١١	الْأَيَّامُ
٣١٣	بَيْنَ الْحُبِّ وَالْحَرْبِ
٣١٧	إِلَى الطَّبِيعَةِ الْمُضَرِّيَةِ
٣١٩	خَمْرَةُ الْإِلَهَةِ

٣٢٣	الْغَرَامُ الذَّبِيحُ
٣٢٥	امْرَأَةٌ
٣٢٧	نِدَاءُ الْقَلْبِ
٣٢٩	فَارُوسُ الثَّانِي
٣٣٣	هَزِيمَةُ الشَّيْطَانِ
٣٣٥	مَوْكِبُ الْوَدَاعِ
٣٣٧	صَاحِبُ الْأَهْرَامِ
٣٤١	شرق وغرب
٣٤٣	أَلْحَانٌ وَأَشْعَارٌ فِي مَنْزِلِ رِيْتَشَارْدِ فَاجْنِر
٣٤٩	فلسفة وخیال
٣٥٣	على حَاجِزِ السَّفِينَةِ
٣٥٧	اعتراف
٣٥٩	الْبَحْرُ وَالْقَمَرُ
٣٦١	تَحْتَ الشُّرَاعِ
٣٦٥	لحن من فيناً
٣٦٧	أندلسيَّة
٣٧١	الوردَةُ الصَّفراءُ
٣٧٣	راكِبَةُ الدَّرَاجَةِ
٣٧٥	إِلَى أَبْنَاءِ الشَّرْقِ
٣٧٩	يوم فلسطين
٣٨١	من الأعماق
٣٨٣	على النيل
٣٨٧	مِصْرُ
٣٩١	لِقَاءٌ وَدُعَاءُ
٣٩٥	عَوْدَةُ المَحَارِبِ
٣٩٩	بطل الريف
٤٠٣	إندونيسيا

٤٠٥

في صفوف المجاهدين

٤٠٧

شهيد ميسلون

٤١١

سوريا وعيد الجلاء

٤١٣

في عالم الذكرى

٤١٥

الأمير المجاهد

٤١٩

مصرع سياسي

٤٢١

أرواح وأشباح

٤٢٣

الإهداء

٤٢٥

هذه الأرواح والأشباح

٤٢٩

الشخصيات

٤٣٣

الشاعر

٤٣٥

في السماء

٤٣٩

الحياة الخالدة

٤٤٣

المرأة والفن

٤٤٧

الأصل والمثال

٤٤٩

ثورة

٤٥١

انتقام

٤٥٣

دنيا النساء

٤٥٥

الكيد العظيم

٤٥٩

شيطان الشاعر!

٤٦٣

الفن الشهيد

٤٦٥

جنون الحياة!

٤٦٧

معرض الحياة!

٤٦٩

فزع وعتاب

٤٧١

السحر الأسود

٤٧٣

رقية!

٤٧٥

عودة

٤٧٧

ابن السماء

٤٧٩	الْفَنَّاْنُ الْأَوَّلُ
٤٨١	الْفَنَّاْنُ الْأَعْمَى
٤٨٣	حَنَانُ
٤٨٧	حَوَاءُ
٤٩٣	قُلُوبُ الشُّعْرَاءِ
٤٩٥	الطِّيفُ الْأَدَمِيُّ
٤٩٧	الرَّجُلُ!
٥٠٣	الْبَعْثُ الْأَوَّلُ
٥٠٥	أُغْنِيَةُ الرِّيحِ الْأَرْبَعِ
٥٠٧	أغنية الرياح الأربع
٥٠٩	تمهيد
٥١١	الْفَصْلُ الْأَوَّلُ
٥٥٥	الفصل الثاني
٥٩١	الفصل الثالث
٦٢٧	باتوزيس يرثي أزمردا

الملاح التائه

١٩٣٤

الإهداء

إلى أولئك الذين يستهويهم الحنين إلى المجهول.
إلى التائهين في بحر الحياة.
إلى رُؤاد الشاطئ المجهول!
أهدي هذا الديوان.

علي محمود طه

ميلاد شاعر

هَبَطَ الْأَرْضَ كَالشَّعَاعِ السَّنِيِّ
لَمَحَّةً مِنْ أَشْعَةِ الرُّوحِ، حَلَّتْ
أَلْهَمْتُ أَصْغَرِيهِ مِنْ عَالَمِ الْحِكْمِ
وَحَبَّتْهُ الْبَيَانُ رِيًّا مِنَ السَّحَابِ
حِينَما شَارَفَتْ بِهِ أَفَقَ الْأَرْضِ
وَسَبَى الْكَائِنَاتِ نَوْرَ مُحْيَا
صَوَّرَ الْحَسَنَ حُومًا حَوْلَ مَهْدٍ
وَعَلَى ثَغَرِهِ يُضِيءُ ابْتِسَامُ
وَعَلَى رَاحَتِيهِ رِيحَانَةٌ تَنْدُ
فَحَنَّتْ فَوْقَ مَهْدِهِ تَتَمَلَّى
وَتَسَاءَلُنَ حَيْرَةً: مَلَكٌ جَا
مَنْ تُرَى ذَلِكَ الْوَلِيدُ الَّذِي هُوَ
مَنْ تُرَاهُ؟ فَرَنَّ صَوْتُ هَتُوفٍ
إِنَّ مَا تَشْهَدُونَ مِيلَادُ شَاعِرٍ

كَانَ وَجْهُ الثَّرَى كَوَجْهِ الْمَاءِ
حِينَ وَلَّى الدُّجَى وَأَقْبَلَ فَجْرُ
رَائِقَ الْحَسَنِ مُسْتَفِيضَ الضِّيَاءِ
وَاضِحَ النُّورِ مُشْرِقَ اللَّأْلَاءِ

بَهَجٌ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يُهْدِي
صَفَقَتْ عَنْدهُ الْخُمَائِلُ نَشْوَى
مَظْهَرٌ يَبْهَرُ الْعَيُونَ، وَسَحَرٌ
وَجَلَا مِنْ بَدَائِعِ الْفَنِّ رَوْضًا
مَا الرِّبْعُ الصَّنَاعُ أَوْفَى بَنَانًا
نَسَقَ الْأَرْضَ زِينَةً وَجَلَاهَا
رَبْوَةٌ عِنْدَ جَدُولٍ، عِنْدَ رَوْضٍ
فَرَّهَا الْفَجْرُ مَا بَدَا، وَتَجَلَّى
قَالَ: لَمْ تُبْدِ لِي الطَّبِيعَةُ يَوْمًا
لَا، وَلَمْ يَسِرْ مِلءٌ عَيْنِي وَأَذْنِي
أَيُّ بُشْرَى لَهَا تَجَمَّلَتِ الْأَرْضُ
عَلَّهَا نُبَّتَتْ مِنَ الْغَيْبِ أَمْرًا
قَالَ: مَاذَا أَرَى؟ فَرَدَّدَ صَوْتُ
مِنْ غَرِيبِ الْخِيَالِ وَالْإِيحَاءِ
وَشَدَا الطَّيْرُ بَيْنَ عَوْدٍ وَنَاءٍ
هَزَّ قَلْبَ الطَّبِيعَةِ الْعَذْرَاءِ
نَمَّقَتْهُ أَنْامِلُ الْإِغْرَاءِ
مِنْهُ فِي دِقَّةٍ وَحُسْنِ أَدَاءٍ
قَسَمَاتٍ مِنْ وَجْهِهِ الْوَضَاءِ
عِنْدَ غَيْضٍ، وَصَخْرَةٍ عِنْدَ مَاءٍ
وَأَزْدَهَى بِالْوُجُودِ أَيُّ اَزْدِهَاءٍ
حِينَ أَقْبَلْتُ مِثْلَ هَذَا الرُّوَاءِ
مِثْلُ هَذَا السَّنَا وَهَذَا الْغِنَاءِ
ضُ وَزَافَتْ فِي فَاتِنَاتِ الْمَرَاثِي؟
حَمَلَتْهُ لَهَا نَجُومُ الْمَسَاءِ
كَصَدَى الْوَحْيِ فِي ضَمِيرِ السَّمَاءِ
إِنَّ هَذَا يَا فَجْرُ، مِيلَادُ شَاعِرٍ

كَانَ فَجْرُ، وَكَانَ ثَمَّ صَبَاحٌ
بَكَرَتْ لِلرِّيَاضِ فِيهِ عَذَارَى
حِينَ لَاحَتْ لَهُنَّ رَنٌّ هَتَافٌ
قَلْنِ: مَا أَجْمَلَ الصَّبَاحَ فَمَا حَا
فَتَعَالَوْا بِنَا نَغْنِي وَنَلْهُو
وَهُنَا جَدُولٌ عَلَى صَفْحَتِيهِ
وَعَلَى حَافَتِيهِ قَامَ يَغْنِيهِ
وَفَرَّاشٌ لَهُ مِنَ الزَّهْرِ أَلْوَا
دَفَّ فِي نَشْوَةٍ يُنَادِيهِ نُوَا
وَهُنَا رَبْوَةٌ تَلَأَلُ فِيهَا
وَنَسِيمٌ كَأَنَّهُ النَّفْسُ الْحَا
مِثْلَ هَذَا الصَّبَاحِ لَمْ يَلِدِ الشَّرَّ
فِيهِ لِلْحَسَنِ غُدْوَةٌ وَرَوَاحٌ
تَرْدَاهِيهِنَّ صَبُوءٌ وَمَرَاخٌ
وَعَلَتْ بِالْذُّعَاءِ مِنْهُنَّ رَاخٌ
لَّ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُ هَذَا صَبَاخٌ
فَهُنَا اللَّهْوُ وَالْغِنَاءُ يُتَاحُ
يَرْقُصُ الظِّلُّ وَالسَّنَا الْوَضَّاحُ
نَا مِنْ الطَّيْرِ هَاتِفٌ صَدَّاحُ
نُ، وَمِنْ رِيْقِ الشَّعَاعِ جَنَاحُ
رُ وَعَطَّرَ مِنَ الثَّرَى فَوَاحُ
خَضِرَةُ الْعُشْبِ وَالنَّدَى اللَّمَّاحُ
نُرٌّ تُصْغِي لَهُمِسِهِ الْأَدْوَاخُ
قُ وَلَمْ تُنَجِبِ الشَّمْسُ الْوَضَّاحُ

لَكأَنَّا بِالْكُونِ أَعْلَامَ مِيلَا دِ وَعَرَسٌ قَامَتْ لَهُ الْأَفْرَاحُ
أَيَّ حَسَنِ نَرَى؟ فَرَدَّدَ صَوْتُ شَبَهَ نَجْوَى تُسْرِهَا أَرْوَاحُ
إِنَّ هَذَا الصَّبَاحَ مِيلَادُ شَاعِرٍ

وَتَجَلَّى الْمَسَاءُ فِي ضَوْءِ بَدْرِ وَشُفُوفِ غُرِّ الْغَلَائِلِ حُمْرِ
وَسَمَاءٍ تَطْفُو وَتَرْسُبُ فِيهَا الـ سُحْبُ كَالرَّغْوِ فَوْقَ أَمْوَاجِ بَحْرِ
صُورٌ جَمَّةُ الْمَفَاتِنِ شَتَّى كَرَوَى الْحِلْمِ أَوْ سَوَانِحِ فِكْرِ
لَا تَرَى النَّفْسَ أَوْ تَحْسُ لَدِيهَا غَيْرَ شَجْوٍ يَفِيضُ مِنْ نَبْعِ سَحْرِ
أَفُقُ الْأَرْضِ لَمْ يَزَلْ فِي حَوَاشِيهِ هـ صَدَى حَائِرٍ بِالْحَانَ طَيْرِ
وَبِأَحْنَائِهِ يَرِفُ ذَمَاءُ مِنْ سَنَا الشَّمْسِ، خَافِقٌ لَمْ يَقَرِّ
وَعَلَى شَاطِئِ الْغَدِيرِ وَرُودُ أَغْمَضْتَ عَيْنَهَا لِمَطْلَعِ فَجْرِ
وَسَرَى الْمَاءُ هَادئًا فِي حَوَا فِيهِ يُغْنِي مَا بَيْنَ شَوْكِ وَصَخْرِ
وَكَأَنَّ النُّجُومَ تَسْبَحُ فِيهِ قَبْلَاتُ هَفَّتْ بِحَالِمِ ثَغْرِ
وَكَأَنَّ الْوُجُودَ بَحْرٌ مِنَ النُّو رَ عَلَى أَفْقِهِ الْمَلَاثُكَ تَسْرِي
هَتَفَتْ نَجْمَةً: أَرَى الْكُونَ تَبْدُو فِي أُسَارِيرِهِ مَخَايِلُ بَشْرِ
وَأَرَى ذَلِكَ الْمَسَاءَ يَثِيرُ السَّحـ رَ وَالشَّجْوُ مَلَأَ عَيْنِي وَصَدْرِي
أَتَرَانَا بَلِيلَةَ الْوَحْيِ وَالتَّنـ زَيْلٍ؟ أَمْ لَيْلَةُ الْهَوَى وَالشَّعْرِ؟
مَا لِهَذَا الْمَسَاءِ يَشْغَفُنَا حـ بَّاءُ وَيُورِي بَنَا الْفَتُونَ وَيُغْرِي
أَيُّ سِرٍّ تَرَى؟ فَرَنْ هَتَافُ بَنَجِيٍّ مِنَ الصَّدَى مُسْتَسِرِّ
إِنَّ هَذَا الْمَسَاءَ مِيلَادُ شَاعِرٍ

قَمَرٌ مَشْرِقٌ يَزِيدُ جَمَالًا كَلِمَا جَدَّ فِي السَّمَاءِ انْتِقَالًا
وَسَكُونٌ يَرْقَى الْفَضَاءَ، جَنَاحَا هُ عَلَى الْأَرْضِ يَضْفَوَانِ جَلَالًا
هَذِهِ لَيْلَةٌ يَشْفُ بِهَا الْحَسـ نَ وَيَهْفُو بِهَا الضِّيَاءُ اخْتِيَالًا
جَوْهَا عَاطِرُ النَّسِيمِ، يَثِيرُ الـ شَجْوُ وَالشَّعْرَ، وَالْهَوَى، وَالْخِيَالًا
وَإِذَا النَّهْرُ شَاطِئًا وَنَمِيرًا يَتَبَارَى أَشْعَةُ وَظِلَالًا

وسرى فيه زورق لحبيبي
 يبعثان الحنين في صدر ليل
 شهد الحب منذ كان رويا
 وجرت ملء مسمعيه أحاديـ
 ذلك الباعث الأسى والمثير الذـ
 لم يجب قلبه لميلاد نجم
 بيد أن القضاء أوحى إليه
 فأحس الفؤاد يخفق منه
 واستخفت من شفاه الحبيـ
 وتجلت له الحياة، وما فيـ
 فجئا ضارعا: أرى الكون ربّي
 لم يكن يعرف الصباة قلبي
 أثرها تغيّرت هذه الأثر
 ربّ ماذا أرى؟ فرنّ هتاف
 إن هذا يا ليل، ميلاد شاعر

وتجلى الصدى الحبيب الساحر
 وسكون يبت في الكون روعا
 واستكان الوجود، والتفت الدهـ
 لم يبن صورة، ولكن رأته
 قال: يا شاعري الوليد سلاما
 فإليك الحياة شتى المعاني
 لا تقل: كم أخ لك اليوم في الأر
 إن تكن ساورته في الأرض آلا
 فلكي يستشف من خلل الغيـ
 ولكي ينهل السعادة من نبـ
 فلكم جاء بالخيال نبّي
 في محيط من الأشعة غامر
 وقفت عنده الليالي الدوائر
 رُ وأصغت إلى صداه المقادر
 بعيون الخيال من البصائر
 هزت الأرض، يوم جئت، البشائر
 وإليك الوجود جمّ المظاهر
 ض شقيّ الوجدان، أسوان حائر
 م وحفّت به الجدود العواثر
 ب جمالا يُذكي شباب الخواطر
 مع شهّي الورود، عذب المصادر
 ولكم جنّ بالحقيقة شاعر

إنما يسعدُ الوجودُ وتشقو ن، وإني لكم مثيرٌ وشاكرٌ
ولكم جنتي، اصطفتكم اليو مَ لتُحيوا بها جميلَ المآثرِ
فانسقوها جداولاً ورياضاً واجعلوها سرحَ النهى والنواظرِ
اجعلوا النهرَ كيف شئتم، ومُدُّوا شاطئيه بين المروجِ النواضرِ
ماؤه ذوبٌ خمرٌ، وسنا شمـ سِ ورياً وردٍ، وألحانُ طائرِ
وضَعُوا هضبةً تُطلُّ عليه ذاتَ صخرٍ منورِ العشبِ عاطرِ
واغرسوا النخلةَ الجنيَّةَ فوقِ النبـ ح في الموقفِ البديعِ الساحرِ
واجعلوا جنتي قصيدةَ شاعرٍ

ادخلوا الآن أيها المحسنون
جَنَّةَ كُنْتُمْ بها توعدون
اجعلوها من البدائعِ زونا
واملاؤها من الجمالِ فنونا
املاوها فناً وليس فتونا
وانشروا الصفو فوقها والسكونا
غيرِ لحنٍ يرفُ فيها حنونا
تتغنَّى به الطيورُ وكونا
وسناً مُشرقٍ يضيءُ الدجونا
سرمدِيّ الشعاعِ يمحو المنونا
رائقِ النورِ ليس يُعشي العيونا
وتَغَنَّوا بها كما تشتهونا
وصفوها جداولاً وعيونا
ووروداً نديَّةً وغُصونا
لا تثيروا بها الهوى والمجونا
واحذروا أن تذكُّروا «المجنونا»
فلقد ثابَ من هواه شجوننا
وخلا مهجةً وجفَّ شؤوننا

ديوان علي محمود طه

وهو في جنتيه أسعدُ شاعرُ

* * *

أيها الشاعرُ اعتمدْ قيثارَكَ واعزفِ الآنَ مُنشِداً أشعارَكَ
واجعلِ الحُبَّ والجمالَ شعارَكَ وادعُ ربًّا دعا الوجودَ وبارَكَ
فزهَا وازدهى بميلادِ شاعرٍ

الوحي الخالد

وجوهٌ يفيضُ البشرُ من قَسمَاتِهَا
وتعربُ عن نجواك شَتَّى لغَاتِهَا
ولا افتَرَّ ثغرُ الصبحِ عن بسمَاتِهَا
ولا شَقِيَّتْ بالحبِّ بين لِدَاتِهَا
ولا رُزِقَ الإبداعُ من نفحاتِهَا
إليكُ ورودُ الأرضِ نورَ نباتِهَا
على قدميكِ العذبُ من قُبَلَاتِهَا
تصيبُ حياةَ الخلدِ بعد ممَاتِهَا
صوادحُ طارِ الصمتِ عن وُكُنَاتِهَا
يحييكِ، يا ابنَ الفجرِ، من شَعَفَاتِهَا
تطيشُ لها الأحلامُ من وثَبَاتِهَا
يعزُّ على الأوهامِ جمعَ شتَاتِهَا
ودنيا يَشِيْعُ الموتُ في جنبَاتِهَا
وتفرغُ فيه البومُ من صرَخَاتِهَا
وتعزى الغصونُ النُضْرُ من ورقَاتِهَا
تخدّدُ وجهَ الأرضِ من عبرَاتِهَا
عَرَفَتْ، ولا الأيامُ في ضحكَاتِهَا
ونافثُ هذا السحرِ في كلماتِهَا

لوجهك هذا الكونُ، يا حسن، كلُّهُ
وتستعرضُ الدنيا غريبَ فنونِهَا
ولولاك ما جاشَ الدجى بهمومِهَا
ولا سَعَدَتْ بالوهمِ في عالمِ المُنَى
ولا حَبَّتِ الفَنَانُ آيَاتِ فَنِّهِ
بَكَرَتْ إلى الروضِ النُضِيرِ فزاحمتُ
وَأَلَقْتُ بِأنداءِ الصباحِ شفاهُهَا
تَشْهَى خُطَى فيها الرَدَى، وكأنَّهَا
وَمِلَتْ إلى الأدواحِ فانطلقتُ بِهَا
ومَدَّ شعاعُ الفجرِ رَيِّقَ نورِهِ
فوا أسفًا يا حسنُ لِلْحِظَةِ الَّتِي
ووا أسفًا، يا حسنُ، لِلْفِرْقَةِ الَّتِي
وما هي إِلَّا الصمتُ والبردُ والدُّجَى
فضاءٌ يروغُ الريحُ في نشيجِهَا
وتنتثرُ الأزهارُ من عذَبَاتِهَا
ويغشى السماءَ الجهمُ من كل ديمَةٍ
هنالكُ لا الوادي، ولا العالمُ الذي
ولكن رَدَى النفسِ التي كنت حُبَّهَا

ديوان علي محمود طه

مَضَتْ غير شعْرٍ خَلَّدَتْ فيه وحيها إِلَيْكَ، فَخَذُّ، يا حَسَنُ، وحيَ حَيَاتِهَا!

النشيد

عندما ظللني الوادي مساء
كان طيفٌ في الدجى يجلسُ قربي
في يديه زهرةٌ تقطرُ ماء
عرفتُ عيني بها أدمعَ قلبي!
قلتُ: من أنت؟ فلبَّاني مجيباً
نحنُ، يا صاح غريبانِ هنا
قد نزلنا السهلَ والليلَ الرهيباً
حيثُ ترعاني وأرعاكُ أنا
قلتُ: يا طيفُ أثرتَ النفسَ شكا
كيف أقبلتَ؟ وقلْ لي من دعاكا؟
قال: أشفقتُ من الليلِ عليكِ
فتتبَّعتُ إلى الوادي خُطاكِ
ودنا مني وغنَّاني النشيدا
فعرفتُ اللحنَ والصوتَ الوديعا
هو حُبِّي هام في الليلِ شريدا
مثلما همتُ لنلقاكِ جميعاً
وتعانقنا وأجهشنا بكاءً
وانطلقنا في حديثٍ وشجونٍ

ودنا الموعِدُ فاهتجنا غناءً
وتنظَّرناكَ والليلُ عيونُ
أَقْبِلِ الليلُ فأقْبِلْ موهناً
والتمِسْ مجلسنا تحتَ الظلالِ
وإفني نصدِّحُ بألحانِ المنى
ونعَبُ الكأسَ من خمر الخيالِ
أَقْبِلِ الليلةَ وانظُرْ واسمعِ
كلُّ ما في الكونِ يشدو بمزارِكُ
جئتُ بالأحلامِ والذكرى معي
وجلسنا في الدُّجى، رهن انتظارِكُ
سترى، يا حسنُ، ما أعددتُهُ
لكَ من ذخِرٍ، وحسنٍ، ومتاعِ
هو قلبي، في الهوى، ذوبته
لكَ في رُفَّافِ لحنٍ وشعاعِ
وهو شعرٌ صَوَّرتُ ألوانُهُ
بهجةَ الفجرِ وأحزانَ الشفقِ
ونشيدٌ مثَّلتُ ألحانُهُ
همساتِ النجمِ في أذنِ الغسقِ
ذاك قلبي عارياً بين يديكَ
أخذتُهُ منك رُوعاتُ الإله
فتأمله دماً في راحتِكَ
ودمَاءُ منك يستوحي الحياةَ
باكِي الأحلامِ، محزونِ المنى
ضاحكِ الآلامِ، بسَّامِ الجراحِ
لم يكنِ إلَّا تقيًّا مؤمناً
بالذي أغرى بحبِّيك الطُّمَّاحِ
يتمنَّى فيكَ لو يَفْنَى كما

يتفانى الغيمُ في البحرِ العُبابُ
 أو يُلاشي فيك حَيًّا مثلما
 يتلاشى، في الضحى، لمخُ الشهابِ
 زهرةٌ أطلعها فردوسُ حُبِّكَ
 استشفَّت فَجَرها من ناظريكِ
 خفقت أوراقها في ظلِّ قُربِكَ
 وسَرَّتْ أنفاسها من شفَتِكَ
 هي من حسنكَ تحيا وتمونُ
 فاحمها، يا حسنُ، إعصارَ المنونِ
 أولَّها الدفاء من الصدرِ الحنونِ
 أو فهبَّها النورَ من هذي العيونِ
 دمعها الأنداء والعطرُ الشجا
 وصدى أناتها همسُ النسيمِ
 فاحبها منك الربيعَ المرتجى
 تصدح الأيامُ باللحنِ الرخيمِ

المَّلَاحُ التَّائِه

أَيُّهَا الْمَلَّاحُ قُمْ وَاطْوِ الشَّرَاعَا
جَدِّفِ الْآنَ بِنَا فِي هَيْنَةٍ
فَغَدًا يَا صَاحِبِي تَأْخُذْنَا
عَبَثًا تَقْفُوا خُطَى الْمَاضِي الَّذِي
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَوْيَقَاتِ هَوًى
فَتَمَهَّلْ، تَسْعُدِ الرُّوحُ بِمَا
وَدَعَ اللَّيْلَةَ تَمْضِي، إِنَّهَا
سَوْفَ يَبْدُو الْفَجْرُ فِي آثَارِهَا
هَذِهِ الْأَرْضُ انْتَشَتْ مِمَّا بِهَا
قَدْ طَوَاهَا اللَّيْلُ حَتَّى أَوْشَكَتْ
إِنَّهُ الصَّمْتُ الَّذِي فِي طَيْهِ
سَمِعَتْ فِيهِ هُتَافَ الْمُنْتَهَى
أَيُّهَا الْأَحْيَاءُ، غَنُوا وَاطْرَبُوا

لِمَ نَطْوِي لُجَّةَ اللَّيْلِ سَرَاعَا
وَجْهَةَ الشَّاطِئِ سِيرًا وَاتْبَاعَا
مَوْجَةَ الْأَيَّامِ قَذْفًا وَانْدِفَاعَا
خِلْتُ أَنَّ الْبَحَرَ وَارَاهُ ابْتِلَاعَا
وَقَفْتُ عَنْ دَوْرَةِ الدَّهْرِ انْقِطَاعَا
وَهَمْتُ، أَوْ تَطْرِبِ النَّفْسُ سَمَاعَا
لَمْ تَكُنْ أَوَّلَ مَا وَلَّى وَضَاعَا
ثُمَّ يَمْضِي، وَدَوَالِيكَ تَبَاعَا
فَغَفْتُ تَحْلُمُ بِالْخَلْدِ خَدَاعَا
مَنْ عَمِيقِ الصَّمْتِ فِيهِ أَنْ تُرَاعَا
أَسْفَرَ الْمَجْهُولُ، وَالْمُسْتَوْرُ ذَاعَا
مَنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ يُقْرِيهَا الْوَدَاعَا
وَانْهَبُوا مِنْ غَفَلَاتِ الدَّهْرِ سَاعَا

* * *

أَهْ، مَا أَرْوَعُهَا مِنْ لَيْلَةٍ
نَفَخَ الْحُبُّ بِهَا مِنْ رَوْحِهِ
وَجَلَا مِنْ صُورِ الْحَسَنِ لَنَا
فَاضَ فِي أَرْجَائِهَا السَّحَرُ، وَشَاعَا
وَرَمَى عَنْ سِرِّهَا الْخَافِي الْقَنَاةَا
عَبَقْرِيًّا لَبِقَ الْفَنِّ صَنَاعَا

نفحات رَقَصَ البحرُ لها	وهفاً النجمُ خُفُوقاً والتماعاً
وسرى من جانب الأرض صدئى	حرَّكَ العُشْبَ حناناً واليراعا
بَعَثَ الأحلامَ من هجعتِها	كسرايا الطير نُفْرَنَ ارتياعا
فُئِنَ بالشاطيءِ من وادي الهوى	بنشيد الحبِّ يهتفنَ ابتداعا

* * *

أيها الهاجرُ عزَّ الملتقى	وأذبت القلبَ صدّاً وامتناعا
أدرِكَ التائهَ في بحر الهوى	قبل أن يقتله الموجُ صراعا
وارعَ في الدنيا طريداً شاردًا	عنه ضاقت رقعة الأرض اتساعا
ضلَّ في الليل سراه، ومضى	لا يرى في أفقٍ منه شعاعا
يجتوي اللافحَ من حرقتة	وعذابٍ يشعلُ الرُّوحَ التياعا
والأسى الخالدَ من ماضٍ عفا	والهوى الثائرَ في قلبٍ تداعى
فاجعلِ البحرَ أماناً حوله	واملاً السهلَ سلاماً واليفاعا
وامسحِ الآنَ على آلامه	بيدِ الرفقِ التي تمحو الدماعا
وقُدِ الفلكَ إلى برِّ الرضا	وانشرِ الحبَّ على الفلكِ شراعا

غُرْفَةُ الشَّاعِرِ

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْكَئِيبُ مَضَى اللَّيْلُ لُ مَا زِلْتَ غَارِقًا فِي شَجْوِنِكَ
مُسْلِمًا رَأْسَكَ الْحَزِينَ إِلَى الْفَكِّ رِ، وَلِلْسَهْدِ ذَابِلَاتِ جَفْوِنِكَ
وَيَدُ تُمْسِكُ الْبِرَاعَ وَأُخْرَى فِي ارْتِعَاشٍ تَمُرُّ فَوْقَ جَبِينِكَ
وَفَمٌ نَاضِبٌ بِهِ حَرٌّ أَنْفَا سَكَ يَطْغَى عَلَى ضَعِيفِ أَنْيْنِكَ

* * *

لَسْتُ تُصْغِي لِقَاصِفِ الرَّعْدِ فِي اللَّيْلِ لِ، وَلَا يَزْدَهِيكَ فِي الْإِبْرَاقِ
قَدْ تَمْشَى خِلَالَ غُرْفَتِكَ الصَّمِّ تٌ وَدَبَّ السَّكُونُ فِي الْأَعْمَاقِ
غَيْرَ هَذَا السَّرَاجِ فِي ضَوْئِهِ الشَّأْ حِبِّ، يَهْفُو عَلَيْكَ مِنْ إِشْفَاقِ
وَبِقَايَا النِّيرَانِ، فِي الْمَوْقِدِ الدَّأْ بَلْ، تَبْكِي الْحَيَاةَ فِي الْأَرْمَاقِ

* * *

أَنْتَ أَذْبَلْتَ بِالْأَسَى قَلْبَكَ الْغَضُّ وَحَطَّمْتَ مِنْ رَقِيقِ كَيَانِكَ
أَهْ يَا شَاعِرِي، لَقَدْ نَصَلَ اللَّيْلُ لُ مَا زِلْتَ سَادِرًا فِي مَكَانِكَ
لَيْسَ يَحْنُو الدُّجَى عَلَيْكَ وَلَا يَأْ سَى لَتِلْكَ الدَّمُوعِ فِي أَجْفَانِكَ
مَا وَرَاءَ السُّهَادِ فِي لَيْلِكَ الدَّأْ جِي، وَهَلَّا فَرِغْتَ مِنْ أَحْزَانِكَ؟

* * *

فَقُمْ الْآنَ مِنْ مَكَانِكَ وَاعْنَمْ فِي الْكَرَى غَطَّةَ الْخَلِيِّ الطَّرُوبِ

والتمسُ في الفراشِ دِفْئًا يُنَسِّيـ
لستَ تُجْزَى من الحياةِ بما حُمـ
كَ نهارَ الأُسى وليلَ الخطوبِ
لَتَ فيها من الضَّنَى والشحوبِ
فِ، وليستُ للشَّاعرِ الموهوبِ! إنها للمجُونِ، والختلِ، والزَّيـ

رُجُوعُ الْهَارِبِ

إذا تمرّد المحبون على حكم الهوى، وضاق كيوبيد بصراخهم وبكائهم، فتح لهم باب ديره فخلصوا منه ناجين، وانطلقوا هاربين من أسره ينشدون السلو والنسيان في حياة أصبحت تنكرهم وكأنهم لم يتصلوا بها، وهاموا في عالم كأنما يجهلهم ويجهلونه، هنالك يرجع الهارب نادماً مأخوذاً بسحر تلك الأيام التي كانت تُشرق عليه من خلال ديره القديم.

ورفعتُ للهبِ الأحمّ جبيني	قَرَبْتُ للنورِ المشعّ عيوني
قدمي، وتُدمي الشائكاتُ يميني	ومشيتُ في الوادي يمزّق صخره
فناى ورداً إلى السرابِ ظنوني	وعدوتُ نحو الماءِ وهو مُقاربي
فوقفتُ، فارتدّتْ هنالك دوني	وبدّتْ لعيني في السماءِ غمامة
فسمعتُ قصفَ العاصفِ المجنونِ	وأصختُ للنسماتِ وهي هوازجُ

* * *

يا ليلُ: ما للنجمِ غيرَ مبينِ؟	يا صبحُ: ما للشمسِ غيرَ مضيئةٍ
يا نورُ: أين النورُ ملء جفوني؟	يا نارُ: ما للنارِ بين جوانحي
وأتى المساءُ بأدمعي وشجوني	ذهبَ النهارُ بحيرتي وكأبتي
وتنكرتُ للهاربِ المسكين!!	حتى الطبيعة أعرضت وتصاممتُ

* * *

فلمنُ أبثُ ضراعتي وحنيني؟	إن لم يكن لي من حنانك موئلاً
---------------------------	------------------------------

آثرت لي عيشَ الأسيرِ فلم أُطِقْ
فأعدتني طَلَقَ الجناحِ وخلتَ بي
وأشرتَ لي نحو السماءِ فلم أطر
نسيَ السماءَ وباتَ يجهلُ عالمًا
ولقد مضى عهدُ التنقلِ، وانتهى
لم ألقَ بعدكَ ما يشوقُ نواظري
فهمتُ أستوحي قديمَ ملاحني
ونزلتُ أستدري الظلالَ فِعَفَنِي
فرجعتُ للوكرِ القديمِ وبني أَسَى
لما رأيتهُ اغرورقتُ عيناَيَ من
ومضتُ بي الذكرى فرحتُ مُكذِّبًا
وصحوتُ من خَبَلٍ وبني مما أرى

صبرًا وجُنَّ من الإِسارِ جنوني
للنورِ جَنَّةَ عاشقٍ مفتونٍ
ورددتُ عينَ الطائرِ المسجونِ
ألقيَ الحجابَ عليه أسرُ سنينِ
زمني إليك بصبوتي وفتوني
عند الرياضِ، فليسَ ما يصبيني
فتهدَّجتُ وتعثَّرتُ بأنيني
حتى الغصونِ غدوً غيرِ غصونِ
يطغى عليَّ وذِلَّةُ تعرُّوني
ألم، وضجَّ القلبُ بعد سكونِ
عيني، ومتهمًا لديه يقيني
إطراقُ مكتئبٍ، وصمتُ حزينِ

* * *

فافتحْ لي البابَ الذي أغلقتَه
دعني أروُ القلبَ من خمرِ الرضا
وأعدْ إليَّ أسرَ الصبابةِ هاربًا
عافَ الحياةَ على نواكٍ طليقةً

دونِي، وهاتِ القيدَ غيرِ ضنينِ
وأنمِ، على فجرِ الحنانِ، عيوني
قد أبَ من سَفَرِ الليالي الجونِ
وأَتاكَ ينشدها بعينِ سجينِ!!

مَخْدَعُ مَغْنِيَةٍ

شَاعَ فِي جَوْهِ الْخِيَالِ وَرَفَّ الـ
وَنَسِيمٌ مُعَطَّرٌ خَفَقَتْ فِيهِ
وَمُنَى كُلِّهِ أَجْنَحَةٌ تَهْفُو
وَمِنْ الزَّهْرِ حَوْلَهَا حَلَقَاتُ
حَمَلَتْ كُلُّ بَاقِيَةٍ دَمْعَ مَفْتُو
وَهِيَ فِي مِيعَةِ الصَّبَا يَزْدَهِيهَا
وَعَنَاءٌ كَأَنَّ قُمْرِيَّةً سَكَا
أَخْلَصَتْ وَدَّهَا الْمَرَايَا فَرَاخَتْ
كَشَفَتْ عَنْ جَمَالِهَا كُلَّ خَافٍ
مُعْبَدٌ لِلْجَمَالِ، وَالسَّحَرُ، وَالْفَتَا
نَامَ فِي بَابِهِ الْعَزِيزُ (كِيُوبِيَّةُ
إِنْ يَنْمُ فَالْحَيَاةُ شَدُوٌّ وَلَهُوٌّ

حُسْنُ وَالسَّحَرُ وَالْهَوَى وَالْمَرَاخُ
هِيَ قُلُوبٌ، وَرَفَرَفَتْ أَرْوَاحُ
وَدُنْيَا بِهَا يَدِفُ جَنَاحُ
طَابَ مِنْهَا الشِّذَا وَرَقُّ النِّفَاحِ
نَ كَمَا تَحْمِلُ النَّدَى الْأَدْوَاخُ
ضُحْكُ لَا تَمْلُكُهُ وَمَزَاحُ
رَى بِالْحَانِهَا تَشِيْعُ الرَّاحُ
تَتَمَلَّى فَتَشْرِقُ الْأَوْضَاخُ
وَأَبَاحَتْ لَهْنَ مَا لَا يُبَاحُ
نَةِ يُغْدِي لِقَدْسِهِ وَيُرَاحُ
دُ) وَلَكِنْ فِي كَفِّهِ الْمَفْتَاحُ
أَوْ يُنَبِّئُهُ فَاذْمَعُ وَجَرَاخُ!!

دَخَلَتْ بِي إِلَيْهِ ذَاتَ مَسَاءٍ
لَمْ نَكُنْ قَبْلُ بِالرَّفِيقَيْنِ، لَكِنْ
وَجَلَسْنَا يَهْفُو السَّكُونُ عَلَيْنَا
هَتَفَتْ بِي: تَرَاكَ مِنْ أَنْتَ يَا صَا
حَيْثُ لَا ضَجَّةٌ وَلَا أَشْبَاحُ
هِيَ دُنْيَا تُتِيحُ مَا لَا يُتَاحُ
وَيُرِينَا وَجُوهَنَا الْمَصْبَاحُ
ح؟ فَقُلْتُ الْمَعْدَبُ الْمَلْتَاحُ

شاعرُ الحبِّ والجمالِ؛ فقالت:	ما عليه إذا أحبَّ جُنَاحُ
واحتوى رأسَي الحزينَ ذراعاً	ها، ومَرَّتْ على جبيني راحُ
ورأت صُفْرَةَ الأسي في شفاهِ	أحرقتها الأنفاسُ والأقداحُ
فمضت في عتابها: كيف لم ند	ر بما برّحت بك الأتراحُ؟
إن أسأنا إليك فالיום يجزيـ	ك بما نُقِته رِضاً وسماحُ
ولك الليلة التي جمعتنا	فاغتنمها حتى يلوح الصباحُ!!

* * *

قلت: حسبي من الربيع شذاهُ	ولعيني زهره اللَّمَّاحُ
نحن طيرُ الخيالِ، والحسنُ روضُ	كلُّنا فيه بلبلُ صدَّاحُ
فَنَيْتُ في هواه منا قلوبُ	وأصابت خلودها الأرواحُ!!

قُبْلَةٌ

قُبْلَةٌ مِنْ ثَغْرِكَ الْبَا سَمِ دُنْيَا وَحْيَاةُ
تَلْتَقِي الرُّوحَانِ فِيهَا وَالْمُنَى وَالصَّبَوَاتُ
لُغَةٌ وَحُدَّتِ الْأَلْ- سُنُّ فِيهَا وَاللُّغَاتُ
نَبْعُهَا الْقَلْبُ وَمَجْرَا هَا الشِّفَاهُ النُّضْرَاتُ

لُغَةٌ قَرَّ شَتِيْتُ الْ- شَمَلِ فِيهَا وَتَوَاءَمُ
وَبَهَا الْأَعْيُنُ فِي غَيْبِ رَ حَدِيثٍ تَتَفَاهَمُ
مَنْ تُرَى عَلَّمَهَا بِال- أَمْسِ حَوَاءَ وَأَدَمُ؟
لَمْ تَزُلْ جِدَّتْهَا وَه- يَ حَدِيثُ يَتَقَادَمُ

قُبْلَةٌ مِنْ ثَغْرِكَ الْبَا سَمِ رَفَّتْ شِفْتَاهُ
مَنْ رَحِيقٍ لَمْ يُحَرِّمَ- هَ عَلَى النَّاسِ الْإِلَهُ
كَلِمَا أُتْرِعَ مِنْهُ الْ- قَلْبُ ضَجَّتْ رَثْتَاهُ
مُسْتَزِيدًا وَهُوَ إِنْ عَلَّ بِهِ زَادَ صَدَاهُ

قُبْلَةٌ مِنْ ثَغْرِكَ الْبَا سَمِ تَمَحَوْ كُلَّ مَا بِي

وتواريني عن النا سِ وعن دنيا العذابِ
وُتَنَسَّى القلبُ ما جُرَّ عَ من سَمٍّ وصابِ
قبلةً تمزجُ أنفا سَك بالقلبِ المُذابِ

* * *

رُبَّ ليلٍ مرَّ أفنيءَ ناهُ ضمًّا وعناقًا
وأدرنا من حديثِ الـ حبِّ خمراً نتساقى
في طريقِ ضَرْبِ الزَّهـ رُ حواليه نطاقًا
وتجلَّى البدرُ فيه، وصفا الجوُّ وراقًا

* * *

ولزمنا الصمتَ إلَّا نظراتٍ تتكلَّمُ
وشفاهاً عن جراحِ الـ قلبِ راحتٍ تتبسمُ
صَحَّتْ بي رعبًا وما را عكِ قلبٌ يتحطَّمُ
نبأتني النفسُ بالبيـ نِ غداً، والنفسُ تُلهمُ

* * *

ثم كان الغدُ ما نُبـ يئتِ هجرًا وفراقًا
ونسينا قبلةً لَدَّ تَ على الأمسِ مذاقًا
غيرَ أناتٍ صحا القلبـ بُ عليها وأفاقًا
فالتقيناهُ وافترقنا، وكأنَّ لَمْ نتلاقا!!

أُغْنِيَهُ رِيفِيَهُ

إذا داعبَ الماءُ ظلَّ الشَّجَرِ
وردَّدتِ الطيرُ أنفاسَها
وناحتْ مُطَوِّقَةٌ بالهوى
ومرَّ على النهرِ ثغرُ النسيمِ
وأطلعتِ الأرضُ من ليلها
هنالك صفصافةٌ في الدُّجى
أخذتْ مكاني في ظلها
أمرُّ بعيني خلالَ السماءِ
أطالعُ وجهك تحت النخيلِ
إلى أن يَمَلَّ الدجى وحشتي
وتعجبُ من حيرتي الكائناتُ
فأَمْضِي لأرجع مستشرقاً
وغازلتِ السُّحْبُ ضوءَ القمرِ
خوافقَ بين الندى والزَّهرِ
تناجي الهديل وتشكو القدرِ
يُقَبِّلُ كلَّ شراعٍ عبرَ
مفاتنِ مختلفاتِ الصُّورِ
كأنَّ الظلامَ بها ما شعرِ
شريدَ الفؤادِ كئيبَ النظرِ
وأطرقُ مستغرقاً في الفكرِ
وأسمعُ صوتك عند النَّهْرِ
وتشكو الكأبةَ مني الضجرِ
وتُشفِقُ منِّي نجومُ السَّحَرِ
لقاءك في الموعد المنتظر!!

قِيَارَتِي

ونسيت لحن صبابتي وغرامي
وعزاء نفس جمّة الألام
وتُذهّبين حواشي الأحلام
لحنًا تمشّي في دمي وعظامي
ذابت على صدر الغدير الطامي
أصداؤك الحيرى على الآكام
لحن كفائر موجهها المترامي

بددت يا قيارتي أنغامي
مرّت ليال كنت مؤنستي بها
تروين من طرب الصبا وحنينه
كالبلبل الشاكي رويت صبابتي
أنشودة الوادي ولحن شبابه
شاق الطبيعة من قديم ملاحني
وشجا البحيرة واستخف ضفافها

من كلّ ماضٍ عاثر الأيام
ويعيد لمحة ثغره البسام
توحي الخيال لريشة الرسام
وخلّت مغانيه من الآرام
وذوى بشطّيه النضير النامي
داو يشقّ جوانب الأظلام
وصداك بين الغور والآكام
وسماء وحي الشعر والإلهام
أنسين عهد مودتي وذمامي؟

يا ربّة الألحان غنيّ وابعثني
هل من نشيدك ما يجدد لي الصبا
ويصور الأحلام فتنة شاعر
وادي الهوى ولت بشاشة دهره
طارت صواحه وجفّ غديره
واعترض من همس النسيم بعاصف
وهو الصدى الحاكي لضائع صرختي
قد كُنّ الألفي ونزهة خاطري
ما لي بهنّ سكتن عن آلامي؟

* * *

يا ربّة الألحان هل من رجعةٍ	لقديم لحنك أو قديم هيامي؟
فاروي أغانيّ القُدّامي، وانفثي	في الليل من نفثات قلبي الدّامي
علّ الذي غنّيتُ عرشَ جماله	وطفقتُ أرقُب أفقه المتسامي
تُشجّيه ألحاني فيسعدني به	طيفُ يَضُنُّ عليّ بالإلمامِ
ما لي أراكِ جمدت بين أناملي	وعصيتِ أنّاتي ودمعي الهامي
خرساء لا تتلو النشيدَ ولا تعي	سرّ الغناء ولا تعيدُ كلامي
ينغري الكأبة بي ويكشفُ خاطري	أنّي أراكِ حبيسةَ الأنغامِ

أَيَّتُهَا الْأَشْبَاحُ

لِمَ أَقْبَلْتِ فِي الظَّلَامِ إِلَيَّ؟ ولماذا طرقتِ بابي ليلاً؟
لَاتِ حِينَ الْمَزَارِ أَيَّتُهَا الْأَشْبَاحُ، فامضي، فما عرفتِ قبلاً!

* * *

اتركيني في وحشتي، ودعيني في مكاني بوحدي مستقلاً
لَسْتُ مِنْ تَقْصِدِينَ فِي ذَلِكَ الْوَادِي، فعذراً إن لم أقل لك: أهلاً!

* * *

لَا تُطِيلِي الْوُقُوفَ تَحْتَ سِيَاجِي لَنْ تَرَيَّ فِيهِ لِلثَّوَاءِ مَحَلًّا
ضَلَّ مَسْرَاكُ فِي الظَّلَامِ فَعُودِي واحذري فيه ثانياً أن يضلَّ!

* * *

ذَاكَ مَأْوَايَ فِي تَخُومِ الْفِيَاثِي طللٌ واجمٌ عليك أطلَّ
قَدْ تَخَلَّيْتُ عَنْ زَمَانِي فِيهِ وهوَ بي عن زمانه قد تخلَّى!

* * *

لَنْ تَرَيَّ مِنْ خِلَالِهِ غَيْرَ خَفَاقٍ شعاعٍ يكادُ في الليل يَبْلى
وخيالٍ مستغرقٍ في زهولٍ بات يرفعُ ذُباله المضمحلاً!

* * *

ابرحي بهوَه الكئيبَ فما فيه لعينيك بهجَةً تتجَلَّى
قد نَزَلَتِ العشيَّ فيه على قفرٍ جَفَتُهُ الحياةُ ماءً وظلًّا!

* * *

كان هذا المكانُ روضًا نضيرًا جرَّ فيه الربيعُ بالأمس ذيلًا
كان فيه زهرٌ، فعاد هشيمًا كان فيه، طيرٌ ولكن تولَّى!

* * *

فاسلمي من شقائه ودعيه وحده يصحبُ السكونَ المملًّا
واطرقِي غيرَ بابِه، إنَّ رَوحِي أحكمتُ دونه رِتاَجًا وقُفْلًا!

* * *

أوقوفًا إلى الصباحِ ببابي؟! شدَّ ما جِئْتِه غيابٌ وجهلًا!
ابعدي من وراءِ نافذتي الآن ورفقًا إذا انثنيت ومهلًا!

* * *

إنَّ من تحتها هَزارًا صريعًا سامهُ البردُ في العشيّة قتلاً
وأزاهيرَ حوله ذابلاتٍ مرَّقَتْها الرِّياحُ في الليلِ شملًا

* * *

كان لي في حياتها خيرٌ سلوى فدعيني بموتها أتسلَّى
فهي بُقيا صبايةً ودموعٍ جثيا عندها شعاعًا وظلًّا

* * *

إن عيني بها أحقُّ من الموتِ وقلبي بها من القبرِ أولى
جُنَّ قلبي فاستضحكتهُ المنايا حيثُ أبكتني الحقيقةُ عقلًا

أَيُّهَا الْأَشْبَاحُ

* * *

لا تُطيلي الوقوفَ، أَيُّهَا الْأَشْبَاحُ، فامضي فما رأيتكِ قبلاً
أولم تسمعي؟ جهلتكِ من أنتِ! فعودي فما كذبتكِ قولاً!!

قلبي

كالنجم في خفق وفي مض
مستوحشاً في الأفق منفرداً
مصارع الأيام والأُمم
متفرداً بعوالم السُّدُم

مستوحشاً في الأفق منفرداً
وكأنه في سامر الشُّهبِ
هذا الزحامُ حَيالُه احتشداً
هو عنه ناءٍ جدُّ مغتربِ

مترنحاً كالعاشقِ التَّمَلِ
ريّان من بهج ومن حزن
نشوان من ألمٍ ومن أملِ
مستهزئاً بالكونِ والزَّمنِ

تلك السماءُ على جوانبه
بحرُ الحياةِ الفائزُ الزَّبدِ
كم راحَ يلتمسُ القرارَ به
هيمانَ بين شواطئ الأبدِ

تهفو على الأمواجِ صورته
وشعاعُه اللَّمَّاحُ في الغورِ
نفذتْ إلى الأعماقِ نظرتهُ
فإذا الحياةُ جليّةُ السَّرِّ

* * *

ويمرُّ بالأحداثِ مبتسِّمًا كالشمسِ حينَ يلفُّها الغيمُ
زادتهُ علمًا بالذي علِمَا دنيا تناهى عندها الوهمُ

* * *

بَلَغَ الروائعَ من حقائقها فإذا السعادةُ توأمُ الجهلِ
هتف المحدثُ في مشارقها ذهبَ النهارُ فريسةَ الليلِ

* * *

يا قلبُ: مثلُ النّجمِ في قلقٍ والناسُ حولك لا يُحسُّونا
لولا اختلافُ النورِ والغسقِ مرُّوا بأفكك لا يُطلونا

* * *

فاصفحْ إذا غمطوك إدراكا واذكر قصورَ الآدميينا
أتريدهم، يا قلبُ، أملاكا كلّاً ... وما هم بالنبيينا

* * *

هم عالمٌ في غيِّه يمضي مستغرقًا في الحمأةِ الدنيا
نزلوا قرارةَ هذه الأرضِ وحللتَ أنتَ القمّةَ العليا

* * *

عُباد أوهامٍ وما عبدوا إلّا حقيِرَ مُنَى وغاياتِ
ومَنّاكَ ليس يحدُّها الأبدُ دنيا وراءَ اللا نهائياتِ

* * *

ولكَ الحياةُ دُنَى وأكوأُنْ عزَّتْ معارجُها على الراقي
تحيا بها وتبيدُ أزمانُ وشبابُها المتجدِّدُ الباقي

قَلْبِي

* * *

يا قلبُ: كم من رائعِ الحَلِكِ ألقاكَ في بحرٍ من الرُّعبِ
كم عُدَّتْ منه بقبَّةُ الفَلَكِ وصرختَ وحدك فيه، يا قلبي!

* * *

ومضيتَ تضربُ في غياهبه وتردُّ عنك المائج الصَّخبا
تترقبُ البرقَ المطيفَ به وتسائلُ الأنواءَ والسُّحبا

* * *

وخفقتَ تحت دُجَاهُ من وَجَلٍ كالطير تحت الخنجر الصلِّتِ
وعرفتَ بين اليأسِ والأملِ صحو الحياة، وسكرة الموتِ

* * *

يا قلبُ: عندك أيُّ أسرارٍ ما زِلنَ في نشرٍ وفي طيٍّ
يا ثورة مشبوبة النارِ أقلقَت جسم الكائن الحيِّ

* * *

حَمَلْتَهُ العبءَ الذي فَرَقَتْ منه الجبالُ وأشفقتُ رهبا
وأثرتَ منه الرُّوحَ فانطلقتُ تحسو الحميمَ وتأكلُ اللهباً

* * *

وملأتِ سَفَرُ المجد من عَجَبٍ وخلقْتَ أبطالاً من العَدَمِ
وعلى حديثك في فمِ الحَقَبِ سَمَةُ الخلودِ ونفحةُ القِدَمِ

* * *

كم من عجائبَ فيكَ للبشرِ أخذَتْهُم منها الفجاءاتُ
متنبئاً بالغيبِ والقَدَرِ وعجيبةُ تلك النبوءاتُ

* * *

وعجبتُ منك ومن إبتائك في أسرِ الجمالِ وربقةِ الحبِّ
وتَلَفَّتِ المتكبرِ الصِّلِفِ عن ذِلَّةِ المقهورِ في الحربِ

* * *

يا حُرُّ، كيف قَبِلْتَ شِرعَتَه وقنِعتَ منه بزاوِ مأسورِ
آثرتَ في الأغلالِ طلعتَه وأبِيتَ منه فكاكَ مهجورِ

* * *

فإذا جفاكَ الهاجرُ الناسي وقَسَا عليكِ المشفقُ الحديبُ
فاضتَ بدمعكَ فورةَ الكاسِ وهَفَّتْ بكِفِّكَ وهي تضطربُ

* * *

وفزعَتِ للأحلامِ والذِّكرِ تبكي وتنشدُ رجعةَ الأُمسِ
وودِدْتَ لو حُكِّمْتَ في القَدَرِ لتعيدَ سيرتَها من الرَّمسِ

* * *

ووهِمْتَ نارًا ذاتِ إيماضِ فبسطتَ كفَّكَ نحوها فزَعَا
مَرَّتْ بعينِكَ لمحَّةُ الماضي فوثبتَ تُمسِكُ بارقًا لمعا

* * *

وصحوتَ من وَهْمٍ ومن خَبَلٍ فإذا جراحُك كُلَّهنَّ دَمُ
لَجَّتْ عليكِ مرارةُ الفشلِ ومشى يَحزُّ وتينكَ الألمُ

* * *

والأرضُ ضاقَ فضاؤها الرحبُ وخَلَّتْ فلا أهلٌ ولا سَكَنُ
حالَ الهوى وتَفَرَّقَ الصَّحْبُ وبقيتَ وحدكَ أنتَ والزَّمَنُ!

* * *

وَصَرَخْتَ حِينَ أَجَنَّاكَ اللَّيْلُ مَتَمَرِّدًا تَجْتَاحُكَ النَّارُ
وَبَدَا صِرَاعُكَ أَنْتَ وَالْعَقْلُ وَلَأَنْتَمَا بَحْرٌ وَإِعْصَارُ

* * *

مَا بَيْنَ سُلْمِكَمَا وَحَرْبِكَمَا كَوْنٌ يَبِينُ، وَيَخْتَفِي كَوْنُ
وَبَنِيَّتَمَا الدُّنْيَا، وَحَسْبِكَمَا دُنْيَا يَقِيمُ بِنَاءَهَا الْفَنُّ

على الصخرة البيضاء

أَسْرُ إلى الوادي نجيةً شاعرٍ
خوالجَ قلبٍ مزبد اللجِّ هادرٍ
إلى الشاطئ المجهول يسبحُ خاطري
على تَبَجِّ الأمواج، شُعَتِ الغدائرِ
خيالاتُ جنٍّ أو ظلالُ مساحِرِ
تَنَفَّسُ فيه الريحُ عن صدرِ ثائرِ
ولجَّ بها في موجهِ المتزائرِ
بهم أو مجيلٍ فيهمُ عينَ باصرِ
يرفُ كطيفٍ في السماواتِ حائرِ
يهيمون في خُلجانهِ والجزائرِ
وتُنَشِّدُ ألحانَ الربيعِ المبكرِ
وما لمسوا من حكمِهِ عفوَ قادرِ
وأنزلهم منه فسيحَ المقابرِ

على الصخرة البيضاء ظللني الدُّجى
سمعتُ هديرَ البحرِ حولي فهاجَ بي
وقفتُ أشيعُ الفكرَ فيها، كأنما
وقد نشرَ الغربُ الحزينُ ظلالَهُ
ومن خَلَفها تبدو النخيلُ كأنها
ألا ما لهذا البحرِ غضبانَ مثلما
لقد غمر الأكوخَ فوق صخوره
وأنحى على قِطَانها غيرَ مُشفقٍ
وما لي كأنني أبصرُ الليلَ فوقه
ألا أين صيادوه فوق ضفافهِ
«وبحَّارة» الوادي تَلَقَّعُ بالدُّجى
لقد غرقوا في إثرِ أكوأخهم، به
وسجَّاهم باليَمِّ زاحرٌ موجهِ

* * *

يُدوي صداها في عميق السرائرِ؟!
بلى إنَّه، يا بحرُ، ليلُ المقادرِ!!

أصخَّ أيها الوادي أما منك صرخةُ
أتعلمُ سرَّ الليل؟ أم أنت جاهلٌ؟

الأَجْنَحَةُ الْمُحْتَرِقَةُ

وفرغتما من لهفةٍ وحنانٍ؟
وهَفَّتْ إلى تقبيله الشَّفَتانِ؟
لكما الديارُ، فرفرفَ القلبانِ؟
وعلى الوجوه المشرقاتِ أُماني؟
وَضَحَّ، ومن ثغريكما وَضَحانٍ؟
وعلى السفينِ الراقصاتِ أغاني؟
وتحدَّثَتْ عنه بكلِّ لسانٍ!
مَرَحُ الطروبِ، وغبطةُ النشوانِ
فوق الرياحِ الهوجِ منطلقانِ
بلواءِ مصرَ مُظَلَّلِ مزدانِ
تتخيرانِ لها أعزَّ مكانِ
والنجمُ مأخوذٌ بما تصفانِ
شوقًا، وأجفانُ المنونِ رواني
في جوفِ عاصفةٍ من النيرانِ
لكما ولا الجَبَلُ الأشمُّ مُداني
فيه، ولا الأرواحُ طوعِ عِنانِ
تتحرقانِ هوىً إلى الأوطانِ
جسمانِ بلِ قلبانِ محترقانِ!!

أدنا المزارُ وقرَّتِ العينانِ؟
وهزتما بالشوقِ كَفَّ مُسَلِّمٍ
وحلا العناقُ على اللقاءِ، وأومأتُ
وعلى الثغورِ الباسماتِ بشائرُ
وعلى سماءِ النيلِ من سِمةِ الضحى
وعلى الضفافِ الضاحكاتِ مَهازِرُ
يومٌ تَطَلَّعتِ المُنَى لصباحه
وسَرَى التخيُّلُ بالنفوسِ فَهزَّها
والأفقُ مُريدُ الأديمِ، وأنتما
تتخيلانِ على السحابِ برُفرفِ
تتطلعانِ إلى السَّديمِ كأنما
وتحدثانِ النجمَ عن أوصافِها
علَّقتما بالناظرينِ خيالَها
هي خطرةٌ، أو نظرةٌ، ودرجتما
طاش الزمامُ فلا السحابُ مُقارِبُ
وهوى الجناحِ فلا الرياحُ خوافُ
سَدَّتْ طريقكما الحُتوفُ وأنتما
ومشى الرَّدَى بكما وتحت جناحه

* * *

يا ملهمي الشعر، هذا موقفٌ
لوددتُ لو أني عرضتُ بناتهِ
وعقدتُ من شعري ومن ريحانِها
أنا من يُغني بالمصارع في العلا
ماذا وراء الدمع من أمنية
أصبحتُ ذا القلبِ الحديد، وإن أُكُنْ
ووهبتُ قلبي للخطر، فللهوى
وعشقتُ موتَ الخالدين، وعفتُ من
لولا الضحايا البازلون دماءُهم
هذا الدُم الغالي الذي أرخصتم
تبنونَ للوطنِ الحياةَ وهكذا
مثَلتما في الموتِ وحدةً أمةً
مسحَ الهلالُ دمَ الصليبِ وضمدتُ
إن كان في ساحِ الردى لكليكما
عذراً «فرنسا» إن جزعتِ فإنه
هزتك بالروعات قبل مصابنا
واسيتِ مصرَ فما هوى نجمٌ لها
حيي سماءَ الفرقدينِ وقدسي
فهنا دمٌ روى ثراك، وها هنا
يا أمةَ الشهداء أنتِ بثكلهم
الغارُ أحقرُ أن يكللَ هامهم
لِغِدِ صبرنا للزمان، وفي غِدِ
ونمدُّ للأيام كفَّ مصافحِ
ونُدِلُ فوقَ النيرِاتِ بموكبِ
ونهرُ أجنحةَ الحياةِ ونعتلي

الشعرُ فيه فوق كلِّ بيانٍ
في المهرجانِ نواثرَ الريحانِ
إكليلَ غارٍ أو نظيمَ جُمانِ
ويشيدُ بالآلام والأحزانِ
أو ما وراء النوحِ من نشدانٍ؟
في الناسِ ذاك الشاعرَ الإنساني
شطرٌ، وللعلياء شطرٌ ثاني
عمري حقارة كلِّ يومٍ فاني
طوتِ الوجودَ غيابةَ النسيانِ
هو في بناءِ المجدِ أولُ باني
تبني الحياةَ مصارعَ الشجعانِ!
ذاقتِ من التفريقِ كلَّ هوانِ
جرحَ الأهلّةِ راحةَ الصلبانِ
مثلٌ، ففي ساحِ الفدا مثلاًن!
قدَرُ، وما لك بالقضاءِ يدانِ
أممٌ ملكنَ أعنةَ الطيرانِ
إلا ومنك عليه صدرٌ حاني
من تربكِ الغالي أعزُّ مكانِ
قلبانِ تحت الصخرِ يختلجانِ
أدري، وبالأحزانِ والأشجانِ
ورءوسهم أغلى من التيجانِ
نعفو ونغفرُ للزمانِ الجاني
يجزي المسيءَ إليه بالإحسانِ
فيه الجبى والبأسُ يلتقيانِ
بخفافهنّ مناكبَ العقبانِ

وننصُ رايةَ مصرَ، أنَّى تشتهي
أقبل سلاحَ الجوِّ، إنَّ عيوننا
أقبل سلاحَ الجوِّ، إن قلوبنا
رفرفُ على البلدِ الأمينِ وحيه
كن للمسلمِ وقاءه، ولواءه
وإذا دعتك الحادثاتُ فلبَّها

مصرُ، ويرضاهُ لها الهرمان
للقاءك لم يغمضُ لها جفان
كادتُ تطيرُ إليك بالخفقانِ
وانزلُ إلى الوادي، وطرُ بأمان
وشعاعه الهادي على الأزمانِ
بحميَّةِ المستقيلِ المتفاني

* * *

ليضنَّ بالأعمارِ كلُّ معاجزٍ
ليثُرَ على القضبانِ كلُّ معذبٍ
هذا الزمانُ الحرُّ ما لشعوبه
لكمُ الغدُ المرجوُ فتیانِ الحمى
لا تثنيَنَّكمُ المنايا، إنها
كونوا من الفادينَ إن عزَّ الفدا
ولئن حُرمتُم من متاعِ شبابكم
ليكنْ لكمُ في كلِّ أفقٍ طائرٌ
وليستخفَّ البحرُ من أسطولكم
سيروا بهديِ الأحمرينِ ومهدوا
لم تبصرِ الأممُ الحياةَ على سنَى

وليخشَ حربَ الدهرِ كلُّ جبانٍ
وليحطمِ الأصفادُ كلُّ معاني
صبرٌ على الأصفادِ والقضبانِ
واليومُ يومكمُ العظيمُ الشانِ
سرُّ البقاءِ وسُنَّةُ العمرانِ
كم في الفداءِ من الخلودِ معاني
إنَّ النعيمَ يُنالُ بالحرمانِ
ليكنْ لكمُ في كلِّ أرضٍ باني
علَمُ كنجمِ المدلجِ الحيرانِ
بهما سبيلَ المجدِ والسلطانِ
كالنارِ في شَفَقِ الدماءِ القاني!

الله والشاعر

سموتُ مستقبلاً وجهك الكريم فقالت لي الطبيعة: سرّ في طريقك، ما أنبه
شأنك! إنه رآك ...

لامرتين

لا تفزعني يا أرض: لا تفرقي
من شَبَحَ تحت الدُّجى عابِرٍ
ما هوَ إلَّا آدميُّ شقي
سمّوه بين الناسِ بالشاعرِ
حنانك الآن فلا تُنكرِي
سبيلهُ في ليلك العابسِ
ولا تُضلِّيهِ، ولا تُنفري
من ذلك المستصرخ البائسِ
مُدّي لعينيه الرّحابَ الفسّاحِ
ورقرقي الأضواءَ في جفنه
وأمسكي، يا أرض، عصفَ الرياحِ
والرّاعدَ المنصبَّ في أذنه
أتسمعِنَ الآنَ في صوتهِ
تَهْدُجَ الأنثاتِ من قلبه؟

وتَقْرَأِينَ الْآنَ فِي صَمْتِهِ
تَمَرَّدُ الرُّوحِ عَلَى رَبِّهِ؟
فِي وَقْفَةِ الذَّاهِلِ أَلْقَى عَصَاهُ
مُؤَلِّيَ الْجَبْهَةِ شَطَرَ الْفَضَاءِ
كَأَنَّمَا يَرْقَى الدَّجَى نَظْرَاهُ
لِيَسْتَشْفَا مَا وَرَاءَ السَّمَاءِ
يَسْقُطُ ضَوْءُ الْبَرَقِ فِي لَمَحِهِ
عَلَى جَبِينِ بَارِدٍ شَاحِبِ
وَيَسْتَثِيرُ الْبَرْدُ فِي لَفْحِهِ
نَارًا تَلْظَى مِنْ فَمٍ نَاضِبِ
أَنْتَ لَهُ، يَا أَرْضُ، أَمَّ رَعُومٍ
فَأَشْهَدِي الْكَوْنَ عَلَى شَقْوَتِهِ
وَرَدِّدِي شَكْوَاهُ بَيْنَ النُّجُومِ
فَهُوَ ابْنُكَ الْإِنْسَانُ فِي حَيْرَتِهِ
مَا هُوَ إِلَّا صَوْتُكَ الْمُرْسَلُ
وَرُوحُكَ الْمُسْتَعْبَدُ الْمَرْهُقُ
قَدْ آدَهُ الدَّهْرُ بِمَا يَحْمَلُ
فَجَاءَ عَنْ آلَامِهِ يَنْطِقُ؟
طَغَى الْأَسَى الدَّائِي عَلَى صَوْتِهِ
يَا لِلصَّدَى مِنْ قَلْبِهِ النَّاطِقِ
مَضَى يَبِثُّ الدَّهْرَ فِي خَفْقِهِ
شَكَايَةَ الْخَلْقِ إِلَى الْخَالِقِ
لَا تَعُدَّنِي يَا رَبِّ فِي مُحْنَتِي
مَا أَنَا إِلَّا أَدْمِي شَقِي
طَرَدْتَنِي بِالْأَمْسِ مِنْ جَنْتِي
فَاغْفِرْ لِهَذَا الْغَاضِبِ الْمُحْنَقِ
حَنَانُكَ اللَّهُمَّ، لَا تَغْضَبِ

أنتَ الجميلُ الصفح، جُمُ الحنانُ
 ما كنتُ في شكواي بالمذنب
 ومنك، يا ربِّ، أخذتُ الأمانُ
 ما أنا بالزاري ولا الحاقِدِ
 لكنني الشَّاكي شقاءَ البَشْرِ
 أفنيتُ عمري في الأَسَى الخالدِ
 فجئتُ أستوحيكَ لطفَ القدرِ
 تمرَّدتُ رُوحِي على هيكلي
 وهيكُلُ الجِسمِ كما تعلمُ
 ذاك الضعيفُ الرأْيِ لم يفعلِ
 إلَّا بما يوحي إليه الدَّمُ!
 يَغرُقُ حدُّ السيفِ من لحمه
 ويحطمُ الصَّفوانُ بنيانَه
 وينخرُ الجرثومُ في عظمه
 ومنه يُنمي القبرُ ديدانَه!
 ما هو إلَّا كومةٌ من هباءٍ
 تمحقُه اللمسةُ من غضبتكُ
 فكيف يثني الروحُ عما تَشاء؟
 وكيف يقوى؟ وهي من قدرتكَ؟
 روحكُ في رُوحِي تبثُّ الحياهُ
 نزلتُ دنيايَ على فجرها
 فإنَّ جفاها ذاتَ يومٍ سناهُ
 لاذتُ بليلِ الموتِ في قبرها
 ومثلما قدَّرتُ صوَّرتَها
 فروحك الصوتُ وروحي الصدى
 طبيعةٌ في الخلقِ رَغِبَتها
 وما أرى لي في بناها يدًا!

لَكُنَّا رَوْحًا مِنْ جَوْهَرٍ
صَافٍ وَرَوْحِي مَا صَفَتْ جَوْهَرًا
أَوْ لَا؟ فَمَا لِلْخَيْرِ لَمْ يُثْمَرْ
فِيهَا؟ وَمَا لِلشَّرِّ قَدْ أَثْمَرَ!!!
تَقُولُ رَوْحِي: إِنَّهَا مُلْهَمَةٌ
فَهِيَ لِمَا قَدَّرَتْهُ مُتْبِعُهُ
مَقْوَدَةٌ، فِي سِيرِهَا، مُرْغَمَةٌ
وَأِنْ تَرَاءَتْ حُرَّةً طَيِّعُهُ
قَيَّدَتْهَا بِالْجِسْمِ فِي عَالَمٍ
تَضْجُ بِالشَّهْوَةِ فِيهِ الْجِسْمُ
كِلَاهُمَا فِي حَبِّهِ الْآثِمِ
لَمْ يَصُحْ مِنْ سُكْرَاهُ وَهُوَ الْمَلُومُ
تُبْدِي بِهِ الْأَجْسَامُ سَحَرَ الْحَيَاةِ
فِي مَعْرِضٍ يَجْلُو غَرِيبَ الْفَنُونِ
نَوَاعِسَ الْأَجْفَانِ حُوءَ الشَّفَاةِ
شَدِيدَةَ الْإِغْرَاءِ شَتَّى الْفَتُونِ!
وَلَمْ أَكُنْ أَوَّلَ مُغَرَّرِي بِمَا
أَغَرْتُ بِهِ حَوَاءَ أَوْ آدَمَا
إِرْثُ تَمْشَى فِي دَمِي مِنْهُمَا
مِيرَاثُهُ يَنْتَظِمُ الْعَالَمَا
فَأَنْتَ قَدَّرْتَ عَلَيَّ الشَّقَاءَ
مَنْ حَيْثُ قَدَّرْتَ عَلَيَّ النِّعِيمَ
وَمَا أَرَى!! هَلْ فِي غَدٍ لِي ثَوَاءٌ
بِالْخَلِيدِ؟ أَمْ مِثْوَايَ نَارُ الْجَحِيمِ؟
مَا أَثْمَتُ رَوْحِي وَلَا أَجْرَمْتُ
وَلَا طَغَى جِسْمِي وَلَا اسْتَهْتَرَا
عَنَاصِرُ الرُّوحِ بِمَا أُلْهَمْتُ

أوحت إلى الجسم فما قصّرا
كلاهما لم يَغْدُ تصويره
ما كان إلّا مثلما كُونا
كم حاولا بالأمس تغييره
فاستكبر الطبعُ، وما أذعنا
أمنذري أنت بيوم الحساب؟
ولأئمي أنت على ما جرى؟
رُحماك: ما يرضيك هذا العذاب
لطبيّع لم يَغْصِ ما قُدِّرَا!!
ما كنتُ إلّا مثلما رُكِّبْتُ
غرائزي، ما شئتَ لا ما أشاء
فلتجزها اليوم بما قدّمتُ
وإن تكن مما جنّته براء!
وفيم تجزى، وهي لم تأثم؟
ألسْتَ أنت الصائغ الطابعا؟
ألم تسمّها قبلُ بالميسم؟
ألم تصوغ قالبها الرائعا؟
ألم تصوغها عنصراً عنصراً؟
من أين؟ ما علمي، وأنت العليم!
جبلتها يومَ جبلت الثرى
من عالم الذرّ ودنيا السديم
الخيرُ والشرُّ بها توأمان
والحبُّ والشهوةُ في طبعها
حواءُ والشیطانُ لا يبرحان
يُساقيطان السحرَ في سمعها!
تشكّكت نفسي بما تنتهي
إليه دنياها وماذا يكون!

مضتُ فما آبتُ بما تشتهي
من حيرةِ الفكر وهجسِ الظنون!
رأتُ أسارى في قيودِ ثقالٍ
بين يديّ ذي مرّةٍ يبسمونُ
يسوقهم في فُلواتِ الليالِ
في بطشِ جبارين لا يرحمونُ
إنّ ضجّ في الأغلالِ منهم طليحُ
أخرسه السوطُ الذي يُرهفُ
وإنّ هوى للأرضِ منهم جريحُ
أنهضه في قيده يَرسُفُ!
يا ويحهم ما عرفوا مَوئلاً
من قسوةِ الدهر وجورِ القضاء
يا أرضُ، ما كنتِ لنا منزلاً
ما أنتِ إلا موبقُ الأبرياء!!
أفي سبيلِ العيش هذا الصراعُ؟
أم في سبيلِ الخلدِ والآخرة؟
وهؤلاءِ البائسونَ الجياعُ
تطحنهم تلكِ الرّحى الدائره؟
ما ذنبُ هذا العالمِ الثّائر؟
إنّ حاولَ الإفلاتَ من أسرِه؟
ما كانَ في ميلاده الغابرِ
أسعدَ حالاً منه في حاضِرِه!!
ما كانَ لو لم تنزُرْ ألامُه
بالماجنِ الرُّوحِ ولا الهائمِ
ولو جرّتْ بالصفو أيامُه
ما كانَ بالزّاري ولا الناقمِ
رأى بعينه المصيرَ الرهيبَ

وكيف غَالَ النَّاسَ مِنْ قَبْلِهِ
وَكُلَّ يَوْمٍ لِلْمَنَايَا عَصِيبٌ
يَسْوَقُهُمْ لِلْمَوْتِ مِنْ حَوْلِهِ!
فَحَقَّرَ الدُّنْيَا وَأَزْرَى بِهَا
وَقَالَ: مَا لِي أَنْكَرُ الْوَاقِعَا؟
فَلْتَسْعِدِ النَّفْسُ بِأَنْخَابِهَا
مَنْ قَبْلُ أَنْ تَلْقَى الْغَدَ الرَّائِعَا!
أَيَصْبِحُ الْإِنْسَانُ هَذَا الرَّمِيمَ؟
وَالجِيفَةُ الْمَلَقَاءَ نَهَبَ التَّرَابَ؟
أَيَسْتَحِيلُ الْكُونُ هَذَا الْهَشِيمَ
وَالظُّلْمَةُ الْجَائِمُ فِيهَا الْخَرَابُ؟
لِمَنْ إِذَا تَبَدَّعُ تِلْكَ الْعَقُولُ؟
أَفِي الرَّدَى تَدْرِكُ مَا فَاتَهَا؟
أَمْ فِي غَدٍ تَتَّوِي بِتِلْكَ الطُّلُولُ
وَيَسْحَقُ الدَّهْرُ يَوَاقِيَتَهَا؟
وَإِسْفَا لِلْعَالَمِ الْبَائِدِ
لَيْسَ لَهُ مِمَّا يَرَى مَهْرَبُ
عَلَى رَنِينِ الْمَنْجَلِ الْحَاصِدِ
مَضَى يُغْنِي، وَهُوَ لَا يَطْرُبُ!!
فَدَعَهُ يَنْسَى بَعْضَ مَا حُمِّلَا
مَنْ نَكَدَ الدُّنْيَا وَضَنَكَ الْحَيَاةَ
وَأَوَّلِهِ الْعَطْفَ الَّذِي أَمَّلَا
فَإِنَّهُ أَوْلَى بِعَطْفِ الْإِلَه!
مَا هِيَ إِلَّا لِحَظَاتُ قِصَارِ
تَمَرٍّ مِثْلَ الْوَمُضِ فِي عَيْنِهِ
فَإِنْ مَضَى اللَّيْلُ وَجَاءَ النَّهَارُ
عَاوَدَهُ الْخَالِدُ مِنْ حَزْنِهِ!

وما أتى الغَيَّ ليعصي الإله
يومًا، ولا كان به مُغْرَمًا
لكنْ لينسى شقوات الحياة
وسرَّها المستغلقَ المبهما!
يا للشقيِّ القلبِ كم سامه
توهم النعمة ما لا يُطيقُ
يُريدُ أنْ يُقنَعَ أوهامه
بأنَّه ذاك الخليُّ الطليقُ
هأنذا أرفعُ آلامه
إلى سماءِ المنقذِ الأعظمِ
أنا الذي تُرسلُ أنغامه
قيثارةُ القلبِ، ونايُ الفمِ
من عبراتي صُغتُ هذا المقالُ
ومن لهيبِ الروحِ هذا القلمُ
ملأتُ منه صفحاتِ الليالِ
فَضُمْنَتُ كُلَّ معاني الألمِ
أنا الذي قدَّستَ أحزانه
الشاعرُ الباكي شقاءَ البشرِ
فَجَرَّتْ بالرحمةِ الحائِةُ
فاملأ بها، يا ربِّ، قلبَ القدرِ!
ما الشاعرُ الفنَّانُ في كونه
إلا يدَ الرحمةِ من ربِّه
مُعَزِّي العالمِ في حزنه
وحاملَ الآلامِ عن قلبه
عزاؤه شعْرُ به أهزجُ
في نغمِ مستعذبٍ ساحرٍ
ما يحزنُ العالمُ أو يبهجُ

إِلَّا عَلَى قِيثَارَةِ الشَّاعِرِ
 يَا رَبِّ، مَا أَشْقَيْتَنِي فِي الْوَجُودِ
 إِلَّا بِقَلْبِي: لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
 فِي الْمَثَلِ الْأَعْلَى وَحِبُّ الْخُلُودِ
 حَمَلْتُهُ الْعَبَاءَ الَّذِي لَمْ يَهْنُ
 خَلَقْتُهُ قَلْبًا رَقِيقَ الشَّغَافِ
 يَهِيمُ بِالنُّورِ وَيَهْوَى الْجَمَالَ
 حَلَّتْ لَهُ النُّجُوى وَلَذَّ الطَّوَافُ
 بِعَالَمِ الْحَسَنِ وَدُنْيَا الْخِيَالِ
 بَعَثْتُهُ طَيْرًا خَفُوقَ الْجَنَاحِ
 عَلَى جِنَانِ ذَاتِ ظِلٍّ وَمَاءٍ
 أَطْلَقْتُهُ فِيهَا قُبَيْلَ الصَّبَاحِ
 وَقُلْتَ: غَنَّ الْأَرْضَ لَحْنَ السَّمَاءِ
 فَهَامَ فِي آفَاقِهَا الْوَاسِعَةِ
 النُّورُ يَهْفُو حَوْلَهُ وَالنَّدَى
 مُصَفَّقًا لِلضُّحَى السَّاطِعَةِ
 وَمُنْشِدًا مَا شَاءَ أَنْ يُنْشِدَا
 إِنْ جَاءَ صَيْفٌ أَوْ تَجَلَّى رَبِيعٌ
 حَيَّاهُ مِنْهُ عِبْقَرِيُّ الْغِنَاءِ
 وَكَمْ خَرِيفٍ فِي نَشِيدِ بَدِيعٍ
 تَظَلُّ تَرْوِيهِ لِيَالِي الشِّتَاءِ
 قِيثَارَةُ تَصْدُرُ فِي فَنِّهَا
 عَنْ عَالَمِ السَّحَرِ وَدُنْيَا الْخَفَاءِ
 عَلَى الصَّدَى الْحَائِرِ مِنْ لَحْنِهَا
 يَسْتَقِظُ الْفَجْرُ وَيَغْفُو الْمَسَاءُ
 مَشَتْ عَلَى الْأَمْوَاجِ أَنْغَامُهَا
 وَالْأَرْضُ قَيْدَ النُّشُوءِ الْمُسْكِرِ

كأنَّما ترقُصُ أحلامُها
في ليلةٍ شرقيَّةٍ مُقمَره!
من قلبه أَسَلَسَتْ أوتارُها
فقلْبُهُ يخفقُ في كَفِّهِ
يشدو فتُملي النفسُ أسرارَها
عليه، فهيَ اللحنُ من عزفه
ذاتُ صباحٍ طار لا يُمهلُ
والأرضُ سكرى من عبيرِ الزهورِ
على حصاها رنَّ الجدولِ
وفي روابيها تُغنِّي الطيورُ
ما كان يدري قبلَ أن ينظرا
ما حَبَّأَتْهُ النظرةُ العاجلةُ
ما أبدعَ الحلم الذي صوِّرا
لو لم تشبهُ اليقظةُ القاتلةُ!
مرَّ بنهرٍ دافقٍ سلسبيلُ
تهفو القمارى حوله شاديَّة
في ضفتيه باسقاتُ النخيلِ
ترعى الشياهُ تحتها ثاغيةُ
فهاجت النظرةُ مما رأى
في قلبه السحرَ وفي عينه
الكونُ يبدو وادعًا هانئًا
كأنَّه الفردوسُ في أمنه
فظلَّ في التفكيرِ مستغرقًا
من فتنة الدنيا ومن سحرها
ما كان إلا ريثما حدَّقا
حتى جَلَّتْ دنياهُ عن سرِّها
رأى بعينيه الذي لم يره

الذئب، والشاة، وحرب البقاء
 ما عَرَفَ القتلَ ولا أَبصرَه
 ولا رأى من قبلُ لونَ الدِّماءِ!
 ما هي إلا صرخاتُ الفزعِ
 وصيحةُ المقتولِ والقاتلِ
 قد انقضى الأمرُ كأنَّ لم يقعِ
 وضاع صوتُ الحقِّ في الباطلِ
 وبعدَ ساعاتٍ يُؤلِّي النهازُ
 ويُقبلُ الليلُ، وما يعلمُ!!
 سيلبثُ السرُّ وراءَ الستارِ
 ويختفي الشلوُ ويُمحي الدمُ!!
 فروَّعَ الشاعرُ مما رآه
 وهامَ في الأرض على وجهه
 أين ترى، يا أرضُ، يُلقى عصاهُ؟
 وأيُّ وادٍ ضلَّ في تيهه؟
 حتى إذا شارفَ ظلَّ الشجرِ
 في روضةٍ غناء رَيَّا الأديمِ
 قد ضحكت للنور فيها الزَّهرُ
 وصفقت أوراقها للنسيمِ
 اختار في الظلَّ له مقعدا
 في ربوةٍ فاتنةٍ ساحره
 أذاب فيها الشفقُ العسجدا
 وناسمتهَا النفحةُ العاطرةُ
 بينا يُملِّي العَيْنَ من سحرها
 إذ أَبصر الصَّلَّ بها مُطرَقا
 قد انتحى الأطيَّارَ في وكرها
 فسامَها من نابه موبقا

هل سَمِعْتَ أذْناكَ قَصَفَ الرِّعْدِ
في صَحْبِ البحرِ وعَصَفِ الرِّياحِ؟
هل أَبْصَرْتَ عَيْنَكَ رَكْضَ الجُنُودِ
في فِزَعِ المَوْتِ وهولِ الكِفاحِ
إن كنت لم تبصُرْ ولم تسمعِ
فَقِفْ إلى ميدانها الأعظمِ
ما بين ميلادكَ والمصرعِ
ما بين نابي ذلك الأرقمِ!!
جريمةُ الغدرِ وسفكِ الدِّمِ
جريمةٌ لم يخلُ منها مكانٌ
يا لُجَّةَ كُلِّ إليها ظمي
قد جاز طوفانُك شَمَّ القنَّانِ!
من علَّمَ الوحشَ الأذى والقتالَ؟
من بثَّ فيه الشرَّ أو ألهمه؟
من علَّمَ الثَّعبانَ هذا الختالَ؟
والحيوانَ الغدرَ من علَّمه؟
يا أرضُ، هذا الوحيُّ من عالمِكَ
الماءُ والطَّيْنُ به يشهدانِ
جنيتِ، يا أرضُ، على آدمِكَ
إن سَمَتِه بالأمسِ هَجَرَ الجنانِ!
يا ضلَّةَ الشاعرِ، أين النجاةُ
وأين، أينَ المنزلُ الآمنُ؟
أكلُّ وادٍ طرَّقته خُطاهُ
طالعهُ منه الرَّدَى الكامنُ؟
حتى إذا ضاقتْ عليه السُّبُلُ
وعزَّ في الأرضِ عليه المقامُ
أوى إلى كهفٍ بسفحِ الجبلِ

عساهُ يقضي ليله في سلامٍ
ما كان إلا حُلُمًا كاذبًا
أفاقَ منه مستطيرَ الجنانِ
البحرُ يُرغي تحتهُ صاخبًا
والشهبُ نارٌ، والدياجي دُخانُ
الأرضُ من أقطارها راجفةُ
كأنما طافَ عليها المنونُ
تضجُ في أرجائها العاصفةُ
كأنما الناسُ بها يُحشرونُ!
ثم استقرَّ العالمُ الثائرُ
وأقبلَ النورُ وولَّى الظلامُ
وَأعجبًا مما يرى الشاعرُ
كأنما أمسى بوادي الحمامِ!
بدتْ لَهُ الأرضُ كقبرٍ عفا
إلا بقايا رَمَّةٍ أو حجرٍ
قد أصبحَ القاعُ بها صَفَصَفًا
فما عليها من حياةٍ أثرُ
مَرَرْتُ بالبُلدانِ مُستعبرًا
أبكي الحضاراتِ وأرثي الفنونَ
أنقاضُها تملأُ وجهَ الثرى
وَكُنْ بالأمسِ مثارَ الفتونِ!
أتى على اليابسِ والأخضرِ
الموجُ، والنوءُ، سيلُ الحَمَمِ
يا رحمةَ اللهِ اهبطي وانظري
ما حصَدَ الموتُ ودكُ العَدَمِ!!
أيستحقُّ الناسُ هذا العقابَ؟
أم حانتِ الساعةُ من نقمتك؟

ما احتملوا، يا ربّ، هذا العذاب
إلا رجاء الغوث من رحمتك؟
أما ترى منفرجات الشفاه
عن آخر الصيحات من رعبها؟
ما زال فيها من معاني الحياة
إيماءة الشكوى إلى ربها!
وهذه الأعينُ نهَبَ العفاء
في رقدة الموت كأنّ لم تنم
مُحدّقات في نواحي السماء
تُشهدها هذا الأسى والألم!
وهذه الأيدي تحوطُ الصدور
كأنها في موقفٍ للصلاة
لم تنسَ في نزع الحياة الغرور
ضراعةً ترسمها للاله!
ما عَرَفُوا في صَعَقَاتِ الردى
إلاّك من غوثٍ ومن منجدٍ
ولا سرى في الأرض منهم صدى
إلا ودوى باسمِكَ الأَمجدِ!
أعبرةً تذكرها كلّ حينٍ
للعالم الذّاكِرِ إمّا نَسِي؟
أم ضرباتٍ قاسياتٍ تُلينُ
بهنّ قلبَ الفِظِّ والأشريس؟
أم موجةً الطهرِ التي تَغسلُ
مآثمَ الكونِ وتمحو أذاه
يا ربّ ضقنا بالذي نحملُ
فحسبنا الأَمْنُ في الحياة!!
ألم تُطهّرْ ذلك العالمَ

من كل عاصٍ أو غويٍّ جموح؟
ما غادر الموجُ به قائمًا
يوم اجتوى الأعلامَ طوفانُ نوح!
إدًا فما للناس ضلُّوا الهدى؟
وأخطئوا اليوم سبيلَ الرشاد؟
لعلَّ نوحًا أخطأ المقصدا
فأغرقَ الخير ونجَّى الفساد!!
يا ليتَّه لمَّا دعا بابنه
وحالتِ الأمواجُ أن يُسمعا
لجَّ عليه القلبُ في حزنه
فلم يرَ الجوديَّ لمَّا دعا!!
يا أرض، ولَّى عهدُ نوحٍ وزال
فمَن لك اليوم بطوفانه؟
مسكينٌ تطوين بحرَ الليالِ
قد عزَّكَ المرسى بشطآنه!
إلامَ تطوين عُبابَ السنينِ
شوقًا إلى فردوسكِ الضائعِ؟
عُرِّزْتَ، يا أرضُ بما تحلِّمين
فاستيقظي من حُلْمِكَ الخادع!!
وابقي كما أنتِ على موجهِ
تُمزِّقُ الأنواءَ منك الشرعُ
يقذفُك التيارُ في لجَّه
عشواءٌ لا يهديك فيه شعاعُ
سلي القداساتِ وأربابها
ضراعةٌ تُصغي إليها السماءُ
أو فاطركي بالبتِّ أبوابها
لعلَّها ترفعُ عنك الشقاء!

يا أيها الغادونَ والرائحونَ
في شعبِ الأرضِ وليلِ الهمومِ
تُمسونَ أَشتاتًا كما تصبحونَ
والشمس حيرى فوقكم والنجومُ!
مُدُّوا لها الأيدي وولُّوا الجباهُ
وأرسلوها صيحةً واحدةً
قولوا لها: يا من شهدتِ الحياةَ
من أينَ تلكَ النظرةُ الجامدةُ؟
من أينَ تلكَ النظرةُ الهادئةُ؟
والقسماتُ المشرقاتُ الجبينُ؟
هل أنتِ من آلامنا هازئةُ؟
أم أنتِ، يا أعينُ لا تُبصرينَ؟!
أم هكذا أوحى إليك القضاءُ
فما عرفتِ الحزنَ والأدمعَا؟
يا أيُّها الناس اضرعوا للسماءِ
قد آن أن تُصغي وأن تُشفعا!
هاتوا الأزاهيرَ وهاتوا الغصونَ
وكلَّ ما يحلو وما يجملُ
قد آن أن تُفَضُّوا بما تشعرونَ
فأشعلوا النارَ بها أشعلوا!!
أو فاملئوا من زهرها اليانعِ
مجامرَ النارِ وألقوا البخورَ
وصعدوا في ذلَّةِ الضارعِ
أنفاسكم نشوى بتلك العطورِ
أحببْ بها من أنَّةِ عاطرةِ
في مسمعِ الأفلاكِ إذ تصعدُ
أصدأؤها الرفافةُ الحائرةُ

في وجهها الأفاقُ لا توصد!!
يا أرض ناديتُ فلم تسمعي
أنكرت صوتي وهو من قلبك
لا تفرقي مني، ولا تفرعي
من شاعرٍ شاكٍ إلى ربِّك
أيتها المحزونة الباكية
لا تياسي من رحمة المُنقذِ
لعلَّ من آلامك الطاغية
إذا دعوتِ الله من منقذ!
فابتهلي لله، واستغفري
وكفّري عنك بنار الألم
وقدّمي التوبة، واستمطري
بين يديه عبراتِ الندم!!

صَخْرَةُ الْمُلتَقَى

صخرة لا تجلُّ في الكائنات
جاورتها الصحراء تستشرفُ اليمَّ
أبدیانِ قد أفاءا إليها
وجدا الملتقى عليها فقرًا
ليلة غوّرت بها الأنجمُ الزهـ
لو تلفتْ في دجاها لراعتـ
وكأنَّ الزمانَ خالجه الرو
وكأنَّ الوجودَ لم يحوِ إلا
عقدة الاتصالِ بين جلالـ
برزخ تعبرُ الليالي عليه
ركزتها الآبادُ بينهما رمزًا
فأقامت تُسرُّ للقفـر واليمَّ
واحتوت سرَّ كائنين كأنَّ لم

عَشِيتَهَا جلالَةُ الآبداتِ
وقرَّ المحيطُ جنبَ الفلاةِ
لم تجمَّعهما يدُ الحادثِ
بعد آبادِ فرقةٍ وشتاتِ
رُ وأضفتْ سوادفَ الظلماتِ
لكِ خوالي الأبراجِ والهالاتِ
عُ ولجَّ الوجودُ في الشُّبهاتِ
ذلك الصخرَ رائعِ الجنباتِ
من أجداً به وثيقَ الصلاتِ
بين عبرين من بلى وحياةِ
على صولةِ الدهورِ العواتي
أحاديثَ أعصرِ خالياتِ
يُبَعَثُ سيرةً مع الكائناتِ

كشفت لي الصحراءُ من دؤها
وبساطاً من الرمالِ تراءى
هو مهدُّ السحرِ الخفيِّ ومثوى

الواسع ما لا تحدُّه نظراتي
ككتابٍ مموّه الصفحاتِ
ما تُجنُّ الصحراءُ من معجزاتِ

رَبِّ لَيْلٍ مَكُوكِبٍ خَطَرْتُ فِيهِ
وَرَمَى الْبَدْرُ بِالْأَشْعَةِ تَبَدُّو
وَسَرَتْ نَسْمَةٌ مِنَ اللَّيْلِ حَيْرَى
فَإِذَا اللَّيْلُ رَوْعَةٌ وَجَلالٌ
غَيْرَ ذَاكَ الْغَرِيبِ فِي تِيهِهِ النَّا
أَرْقَتْهُ صَبَابَةٌ حَمَلَتْهَا
قَدْ شَجَاهُ هَوَى اقْتِحَامِ الصَّحَارَى
رُبَّ نَاءٍ مَدَّتْ إِلَيْهِ هَوَاهَا
يَقْطَعُ الدَّوَّ بَارِدَاتِ اللَّيَالِي
قَتَلَتْهُ سَمُومُهَا وَبَرَاهُ
حَرَمَتْهُ الصَّحْرَاءُ ظِلًّا وَرِيقًا
فَسَلَّ الْقَفَرُ هَلْ لَهُ فِيهِ قَبْرٌ
أَتَرَى غَيْرَ أَعْظَمِ نَخْرَاتِ

هـ الدَّرَارِي وَضِيئَةُ الْقِسْمَاتِ
فَوْقَ وَجْهِ الرَّمَالِ مَنَعَكَسَاتِ
وَعِغْنَاءُ الصَّوَادِحِ الطَّائِرَاتِ
وَإِذَا الْقَفَرُ غَارَقُ فِي سُبَاتِ
ئِي كَثِيبِ الْفَوَادِ وَالنَّظَرَاتِ
نَفْسُهُ مِنْ رَبْوَعِهِ النَّائِيَّاتِ
وَالصَّحَارَى مَثَارَةً الصَّبَّوَاتِ
فَهُوَ فِي شَرَكَاهَا الْقَاتِلَاتِ
وَيَجُوبُ الْحَزُونَ مَلْتَهَبَاتِ
ظَمًا مِنْ عَيُونِهَا الْمَجْدَبَاتِ
فِي حَوَاشِي وَاحَاتِهَا النَّضْرَاتِ
ضَمٌّ مِنْ جَسَمِهِ نَحِيلَ رُفَاتِ؟
فِي ثَنَائِي الرَّمَالِ مَنْتَثِرَاتِ؟

صَحْرَاءُ الْحَيَاةِ كَمْ هَمَّتْ فِيهَا
سَرْتُ فِيهَا وَحْدِي، وَقَدْ حَطَمَ الْمَقْدَا
وَلَكَمْ أَرَمَدَ الْهَجِيرُ جَفُونِي
لَمْ أَجِدْ لِي فِي وَاحَةِ الْعَيْشِ ظِلًّا
أَسْفًا لِلْحَيَاةِ أَصْلَى لَهَا
بَعُدَتْ عَنِّي الْحَقِيقَةُ فِيهَا
كَلِمَا هَاجَتِ الرِّيحُ صَرَخِي
غَيْرُ ذَاكَ الصَّخْرِ الْعَتِيدِ الَّذِي ضَمَّ
ظَلَّلْتَنِي ذَرَاهُ مَنفَرَدَ النَّفْسِ

شَارِدَ الْفِكْرَ، تَائَةً الْخَطَوَاتِ
رُ فِي جَنَحِ لَيْلِهَا مَشْكَاتِي
وَرَمْتَنِي الْحُرُورَ بِاللَّفَحَاتِ
أَوْ غَدِيرًا يَبْلُ حَرَ لِهَاتِي
وَأَرَاهَا وَرَيْفَةَ الْعَذَبَاتِ
وَأَضَلَّتْ مَسْعَايَ لِلْغَايَاتِ
هَدَّجَتْ فِي هَزِيمِهَا صَرَخَاتِي
حَجَّ عَلَيْهِ الْعُجْبَابُ مِنْ أَنَاتِي
أَبَتْ الْمَحِيطُ حَرَ شِكَايَتِي

أَنَا فَوْقَ الْمَحِيطِ كَالطَّائِرِ
نَاشِرًا فَوْقَ غُرْضِهِ مِنْ جَنَاحِي

التَّائِيهِ يعلو مَوَائِجَ اللُّجَاتِ
ظِلَالِ الْهَمُومِ وَالْحَسَرَاتِ

مُـمَعِنًا فِي سَمَائِهِ أَتَغْنِي
لِلْإِلَهِ الْعَظِيمِ مِنْ لُجَّةِ السَّاكِنِ
وَأُنَاجِيهِ طَائِرًا رَفًّا فِي اللَّيْلِ
بِنَشِيدِ الْخُلُودِ فِي صَدَحَاتِي
أُتْلُو الْجَمِيلَ مِنْ صَلَوَاتِي
يُغْنِي خَمَائِلَ الْجَنَّاتِ

صَخْرَةُ الْمُلْتَقَى، أَتَيْتِكَ بَعْدَ الْأَيِّ
أَنَا ذَاكَ الشَّادِي الَّذِي نَسَلْتُ رِبِ
أَنَا ذَاكَ الشَّرِيدُ فِي صَحْرَاءِ الْعَيْدِ
فِي ثَرَاهَا الْغَبِيِّ وَسَدْتُ أَحْلَا
أَنَا قَيْثَارَةً جَفَّتْهَا اللَّيَالِي
وَأَرْتَّتْ أَوْتَارُهَا فَهِيَ تَبْكِي
أَنَا طَيْفُ الْمَاضِي عَلَى صَخْرَةِ الْآبَا
وَوَرَائِي الصَّحْرَاءُ، وَادِي الْمَنَايَا
بَيْنَ عَبْرِيهِمَا ثَوْتُ غُرٍّ أَيْ
مِنْ أَشْكَو مِنَ الْحَيَاةِ أَذَاتِي
شَ شَ جَنَاحِيهِ هَبَّةُ الْعَاصِفَاتِ
شَ شَ ضَلَّ السَّبِيلَ فِي الْفُلُوتِ
مِي وَمَاضِي الْهَنِيِّ مِنْ أَوْقَاتِي
فِي زَوَايَا النِّسْيَانِ وَالْغَفْلَاتِ
مِنْ شَجَاهَا حَبِيسَةَ النِّغْمَاتِ
د، أَسْتَشْرَفُ الزَّمَانَ الْآتِي
وَأَمَامِي الْمَحِيطُ لُجَّةُ الْحَيَاةِ
مِي وَحَالُ الْوُضْيِءِ مِنْ لَيْلَاتِي

لَا أُسَمِّيكِ صَخْرَةَ الْمُلْتَقَى
لَكِنْ أُسَمِّيكِ صَخْرَةَ الْمَأسَةِ!!

عَاصِفَةٌ فِي جُمُجُمَةٍ

ضَجَّتِ الْأَنْجَمُ فِي آفَاقِهَا
ذَاتَ لَيْلٍ تَشْتَكِي طَوْلَ الْأَبَدِ
فَمَضَتْ تَصْرُخُ مِنْ أَعْمَاقِهَا
أَيْهَذَا اللَّيْلِ نَبَّهَ مَنْ رَقَدَ!
أَطْلِقِ الْجَنِّ يَرْفِرُ لَأَنَذَا
بِالرُّبَى يَصْرُخُ مِنْ خَلْفِ الرِّعَاشِ
أَيُّهَا الْأَحْيَاءُ، مَا الْكَوْنُ إِذَا
تُنْثَرُ الشُّهُبُ وَتَنْدُكُ الشَّمُوسُ؟
أَحْيَاةٌ سَمَّتُهَا صَخْرٌ وَنَارٌ
حَفَّتِ الْأَشْوَاكُ مِنْ يَسْلُكِهِ؟
تَنْقُضِي الْأَجَالَ فِيهِ وَالسَّفَارَ
أَبَدِيٌّ، وَيَخُ مِنْ تُهْلِكُهُ!
احْمَلُوا أَمْسِ إِلَى حَفْرِتِهِ
وَتَخَطَّوْا هَوَّةَ الْوَادِي السَّحِيقِ
وَاحْفَظُوا النَّجْمَ إِلَى ثَوْرَتِهِ
وَاحْطَمُوا أَنْوَالَ لَيْلٍ لَا يُفِيقُ
أَبْقِظُوا فِي اللَّيْلِ ثَارَاتِ الرِّعَودِ
إِنَّهَا ثَارَاتُ جِبَارِ السَّمَاءِ

إِنْ يَشَأْ أَرْسَلَهَا فَوْقَ الْوُجُودِ
فَإِذَا الْكَوْنُ هَشِيمٌ وَهَبَاءٌ
لَوْ تَمَشَّتْ بِمَنَايَاها الرُّجُومُ
لَا سَتَحَالَ الْخَلْقُ وَالْكَوْنُ سُدًى
وَرَأَيْتَ الْأَرْضَ حَيْرَى وَالنَّجُومُ
تَذَرَعُ الْجَوَّ عَلَى غَيْرِ هَدًى
أَيُّهَا الْأَحْيَاءُ، يَا أُسْرَى الْقَضَاءِ
كَيْفَ أَمْسَيْتُمْ بِدُنْيَا الْحَدَرِ؟
وَعَلَيْكُمْ فِي غِيَابَاتِ الشَّقَاءِ
ضَرَبْتُ أَفَاقَهَا بِالسَّدَرِ؟!
صِرْخَةٌ فِي الْكَوْنِ دَوَّتْ! يَا لَهَا
خَلَعَتْ أَصْدَاؤُهَا قَلْبَ الزَّمَنِ
قَفَّ مِنْهَا الشُّوْكَ وَارْتَجَّ لَهَا
مَعْبَدُ اللَّيْلِ عَلَى شَمِّ الْقُنَنِ
صِرْخَةٌ مِنْهَا السَّمَاوَاتُ انْتَنَتْ
وَقَدْ اسْتَعَصَتْ عَلَى طَارِقِهَا
صَاحَ مِنْهَا الْوَحْشُ ذَعْرًا وَالتَّفْتُ
يَسْأَلُ الْوُدَيَانَ عَنْ خَالِقِهَا
وَإِذَا الْمَوْتَى يَشْقُقُونَ الْوَهَادَ
كَالضُّوَارِي كُلُّهُمْ عَارِي الْبَدَنِ
رَحْمَةً لِلَّهِ!! أَتَى يَوْمَ الْمَعَادِ
فَنَسُوا مِنْ هَوْلِهِ حَتَّى الْكَفَنِ؟
أَيْنَ مِنْكَ الشَّمْسُ، يَا مَشْرِقَهَا
أُتْرَاهَا خَلْفَ أُسْوَارِ الْأَبَدِ
حَجَبَتْهَا فَهِيَ لَنْ تَطْلُقَهَا
يَوْمَ لَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ!
هَبَّتِ الْجَنُّ تَنَادِي بِالثَّبُورِ

في كهوف الأرض، يا أهل الكهوف
احشدوا الريح على ظهر الصخور
وابعثوها ذات نقس وزفيف
انزعوا الصخر من الطود المنيع
واجعلوه زادكم عند الكفاح
واصعقوا قنّة واديه الرفيع
تتهدم تحت أقدام الرياح!
لا تُصيخوا، دق ناقوس القضاء
فاحملوا أشلاء هذا العالم
احملوها، واعبروا جسر الفناء
واسبحوا فوق العماء الحالم

الْقُطْبُ

وأديمٌ في لُجَّةِ الثلج طافي
رر جليدٍ من لَجَّةٍ وضفافِ
رائعاتِ السفوح والأعرافِ
عند صخرٍ أو واحةٍ مئنافِ
ظ ولا كدرةِ الرمالِ السوافي
دى نياقِ الفلا، وذئبِ الفيافي
مترامي الحدودِ والأطرافِ
هـ يومًا من دورةٍ واختلافِ
هوج فيه، أو هدرَ الرجافِ
ر، ولا أنةَ النميرِ الصافي
والدوحِ سابغِ الأليافِ
فيه والليلُ مؤذنٌ بانتصافِ
ء تهادى في رائعِ الأفوافِ
مرسلٌ من غلالةِ الرّوعِ ضافي
حُمرةِ الورسِ أو مزيجِ السُّلافِ
اقتحامِ الردى ورنقُ الذعافِ!
فليس الحديثُ عنك بخافِ!
شاحبُ اللونِ، باهتُ الأكنافِ؟

هو ليلٌ من الغياهبِ ضافي
وبحارٌ، إن رُدَّتْها، لم تجدُ غيب
وجبالٌ من الثلوجِ تدجّى
وصحارى لا ينتهي الركبُ فيها
وطنُ الزمهريرِ والثلجِ، لا القيدِ
وهي مغدَى السفينِ والدَّبِّ، لا مغدِ
عالمٌ كُلُّه سكونٌ وصمتٌ
لا تَرى للنهارِ والليلِ في واديه
أو تُحسُّ الأرواحَ قصفَ الرياحِ الـ
لا اصطفاقَ الغصونِ، لا هَذَرَ الطيِّ
عَرِيتْ أرضُه من العُشبِ الأخضرِ
قَفْ بهذا الوادي الرهيبِ وحدِّقْ
وانظر الشمسَ في الغياهبِ صفرا
يغمرُ الكائناتِ منها شعاعُ
يحسبُ الناظرون في الأفقِ منه
وهو غيبٌ مُحَبَّبٌ دون مرآةٍ
حدثني، يا شمسَ منتصفِ الليلِ،
أَيُّ أفقٍ من عالمِ الأرض هذا

فيه من صُفرة الفناء، وفيه
أهو القطبُ؟ فتنةُ الأبد الخالي
أم هو العالمُ الذي جهلوه
أي سرٍّ للجاذبية فيه
أي نجم في أفقه رصدوه
لكأنِّي به مغاورَ جنٍّ
لا يقيمون في ذراهنَّ والليد
فإذا أقبلَ النهارُ تولوا
وأراه مَجَنَّ كلِّ خفيٍّ
يستمدُّ الأنباء منه ويُدلي
وبها من خفاءٍ مهبطه الخا
وهو الشاطئُ الذي في حفافيد
كلُّ لحنٍ من الملاحن مهما
فإليه يصبُّ في سُدْفِ الليد
ليت شعري أيستحيلُ صدَى في

من سوادِ النحوس لونُ الغدافِ؟
ومغدى الظنون والأرجافِ؟!
وشأى أوجُه على الكشَّافِ؟
يأخذُ الأرضَ نحوَه بانحرافِ؟
لمسارٍ حول الثرى ومطافِ؟
مستسرى الأرواح والأطيفِ
لُ على الكون مطبقُ الأسدافِ
وتواروا خلال تلك الشعافِ
من تهاويل ساحر عَرَافِ
بالأحاديث وهي جدُّ زيفِ
في خفيِّ الأحبار والأوصافِ
ه تَقَرُّ الأنعامُ بعد طوافِ
أبدعته أناملُ العَرَافِ
ل ويثوي صداهُ بين الحفافِ
لجّه، أم يقرُّ في الأصدافِ؟!

إنَّ هذي، يا شمسُ، ألحان قلبي
فاشهديها تقرُّ في جوفه النائي،

مرسلاتٍ عن مدمعي الذَّرَافِ
فكم فيه من حطام أثافِ

أيها القطبُ، حَدِّثِ الكونَ هَلَّا
طال بالشمس في دجاك اصفرارُ
لم تَجْزُ عن ثراك قيد ذراع
قيل: حاموا على ذراك، وألقوا
وأراهم في زعمهم قد أسفوا
تشهدُ الكائناتُ أنك أُمسيـ

نُسعدُ الشعرَ ليلةً باعترافِ؟
لا الدُّجى حائلٌ ولا الضوء صافي
أو تُنبِّه جفنَ الصباح الغافي
فوق واديك نظرةً استشرافِ
بك، يا قطبُ، أيّما إسفافِ
ت، وتُمسي، سرَّ الوجود الخافي

إلى سيد درويش

ذكرى مجدد الغناء المصري الحديث

طويتَ الحياةَ خفيَّ السُّرى	كما تذهبُ النجمةُ التائهةُ
تُطلُّ على عالمٍ ينظرون	فتطرفك النظرةُ الشائهةُ
وتلحظُهم، من وراءِ الحياةِ	بنفيسٍ معذبَةٍ وإلهةِ
شقيتَ بهم، حيث ساد الغبيُّ	وخصُّوه بالسمعةِ النابهةِ
لقد ضلَّتِ الأرضُ في ليلِها	فحقَّتْ بها لعنةُ الآلهةِ!

الْأُمْسِيَّةُ الْحَزِينَةُ

هنالك بين الأمواج الزرقاء يمتد برزخ من الرمال بين شاطئ البحر الأبيض وبحيرة
المنزلة، حيث تشرف أكواخ (أشتوم الجميل) من بوغازها الصامت على آثار قلعة متهدمة
جلسنا عليها أيام صبانا نمرح في أمسية هائلة بين رمل وصخور وأمواج.
زرنا هذه البقعة ذات مساء قريب في جوٍّ عاصف، فهاجت بنا ما هاجت من أحلام
وآلام اطردت في سياق هذه القصيدة تحية الروح إلى أمسيته المحزونة.

جددتِ زاهبَ أحلامي وليلاتي يا كعبةً لخيلائي، وصومعةً للحُبِّ أولُ أشعارٍ هتفتُ بها عليكِ واديَ أحلامي وقفتُ أرى آوي إلى جنباتِ الصخرِ منفردًا قد غَيَّرْتَنَا الليالي بعدها سِيرًا تلقَّتْ القلبُ في ليلاءٍ باردةٍ وزكرياتٍ من الماضي يطالعُها	فهل لديك حديثٌ عن صباباتي رتَّلتُ في ظلِّها للحسنِ آياتي وللجمالِ بها أولى رسالاتي طيفَ الحوادثِ تمضي بعد مأساةٍ أبكي لأمسيةٍ مرَّت وليلاتٍ وخلفتنا العوادي بعضُ أشتاتٍ يبكي ليلاليكِ الغرَّ المضئياتِ بين الحقولِ وشطآن البحيرات
---	--

يا طولَ ما نغمتُ للصخرِ أنأتي يا قلبُ وادي الصِّبا حالتُ مسارحهُ فلا الجداولُ تحدوها مسلسلةً	وشدَّ ما رجَّعت للموجِ أهاتي وأقفرت من صباياه الجميلاتِ ولا الخمائِلُ تهفو بالنضيراتِ
--	---

صَوَّحَنَ من مشرقِ الوادي لمغربه
ما في حياتك من سلوى تلوذُ بها
فما بهنَّ مُطيفٌ من خيالاتٍ
قد فاجأتكَ غواشيه التي سكنت
لكنه الحبُّ ذاك القاهرُ العاتي
إن الليالي ملأى بالمفاجاتِ

يا للبحيرة: من يرتادُ شاطئها
ومن يعيدُ لنا أطيافَ ليلتها
ومن يغمرُني حفافها وقد عبثت
يضمننا باسقُ، في الشطِّ، منفردُ
وللقلوبِ أحاديثُ يجاوبها
ومن يُسرُّ إلى الوادي مناجاتي
وما غنمنا عليها من أويقاتٍ
يد الصِّبا بحواشيهاموشاةٍ
ضَمَّ الشتيتين في علياءِ جناتٍ
تناوَحُ الطيرِ في ظلِّ الخميلاتِ

يا ليلةً قد زهلنا عن كواكبها
يسري بنا موهناً والريحُ تدفعه
وفي الشواطئِ للمجدافِ أغنيةُ
ما كان أهنأها دنيا، وأهنأنا
مرَّت خيالاتُ ماضيها، وما تركت
ومن تَلَهَّفُ أحنائي وثارتها
يا صرخةَ القلب، هل أسمعُ منك صدى
جوبي مفاوِزَ أيامي فقد صفرْتُ
قضى، على ظمأٍ، قلبي بها وفمي
حتى العواصفُ صمَّتْ عن نداءاتي
في زورق بين ضفّات ولجّاتٍ
كالنجمِ يسبحُ في علويّ هالاتٍ
يَصُبُّها الموجُ في سحريّ موجاتٍ
في ليلها الصحو، أو في فجرها الشاتي
سوى وجوم ليايلها الحزيناتِ
يا للجوانح من وجدي وثاراتي
من ذا يردُّ الصدى في جوف موماةٍ؟
من نبع ماءٍ، ومن أطلال واحاتٍ
وضلّت العينُ فيها إثرَ غاياتي
فما تردُّ على الأيامِ صيحاتي

يا من قتلتَ شبابي في يفاعته
حرمتَ أيامي الأولى مفارَحَها
فَدَعُ فؤادي محزوناً يرفُّ على
دعني على صخرة الماضي لعلَّ بها
ورحتَ تسخرُ من دمعي وأناتي
فما نعمتُ بأوطاري ولذاتي
ماضي ليالي، وانعم أنتَ بالآتي
من الصبابة والتحنان منجاتي!

الفن الجميل

ضاربٌ في الخيالِ مُلقٍ عِناهُ
مستفيضُ الجمالِ، أزهرُ كالور
عاشَ بين الأنامِ نضوً غرامٍ
ملأَ الكونَ من أياديه سحرًا
وحباًهُ الخلودَ في العالمِ الفاني
هو فجرُ النبوغِ يصدحُ فيه
وسماءٌ للشاعرِ الفدَّ منها
تجتلي ريشةُ المصورِ منه
وهو قيثارَةُ الخلودِ عليها
وأنا الشاعرُ الذي افتنَّ بالحسنِ
معهدي هذه المروجُ، وأستأ
وأزاهيرُ حانياتٍ على النهـ
ناشراتٍ وشيَ الربيعِ عليها
يتسمَّعنَ للخيرِ المناجي
معبدٌ للطيورِ، راهبُ الليلِ،
ومحاريبُ للعذارى إذا ما
قام ربُّ الفنِّ الجميلِ عليها
يتغنّى لحنَ الخلودِ ويدعو

مَلَكَ الوحيِ قلبَه ولسانَه
د، إذا كَلَّلَ النَّدَى أفنانَه
لم يُنْفَضْ من الصِّبَا طيلسانَه
وبنى ملكه وشدَّ كيانَه
وأبقى على البلى سلطانَه
كلُّ من أطلقَ الهوى وجدانَه
يستقي الشعرُ وحيه وبيانَه
كلَّ عذراءٍ لا تَرُدُّ بنانَه
يعزفُ الطيرُ في الرُّبى ألحانَه
وأذكتُ يدُ الحياةِ افتنانَه
ذي ربيعِ الطبيعةِ الفينانَه
رِ يُقْبَلْنَ، في الضحى شُطانَه
ساكباتٍ، في لَجِّهِ، ألوانَه
ويرتُلنَ للرُّبى تَحَنانَه
وناقوسه الصِّبَا الرنَّانَه
سَكَبَ الغربُ في الدجى أرجوانَه
مستحجًّا تحت الظلامِ قِيانَه
من وراءِ الغيبِ الرهيبِ زمانَه

أَيُّهَا الدهرُ: حسبك الله، ماذا	برجالِ الفنون هذى المهائنة؟
هل تبينتَ في رفاتِ أوالِيَّ	دفينًا محا البلى عنوانه؟
قف على الفنِّ بين شرقٍ وغربٍ	وصفِ العالمِ المخلدِ شأنه
عرشُ غرناطة، إلهُ أثينا	تاجُ روما، سماءُ مجدِ الكنانة
يشرقُ السحرُ من تماثيلِ فيها	ومقاصيرَ كالبروجِ المزانة
وتراءى العذراءُ تُلهمُ رافائيـ	لَ روحِ الخلودِ وحَيِّ الديانة
وابنُ حمديسٍ في الملا، ولمر	تينِ يفيضانِ صبوةً ومجانة
ناجياً الروضَ والبحيرةَ حتَّى	لمسَ الفنِّ فيهما عُنفوانه
إنما المجدُّ، في الورى، لِمُغِنِّ	هزَّ قلبَ الورى وقادَ عِنانَه
ولمن ساسَ في الممالكِ عدلاً	وارتضى الحقَّ في العلا بنيانَه

الملكُ البطلُ

نُظِمَتْ على أثر وفاته فجأةً في مدينة برن عاصمة سويسرا عام ١٩٣٣، وقد كانت فجيرة العرب فيه أبعد أثراً من كل الفجائع التي توالى عليهم من أيام الحرب الكبرى الماضية. وقد كان — رحمه الله — أول ملك عربي عمل جهده لاستقلال «العراق» بلاده المحبوبة، ومن أعظم الرجال الذين كرَّسوا حياتهم لخدمة القضية العربية.

تألَّق كالبرقة الخاطفةُ	وجلجل كالرعدة القاصفةُ
مُبِينٌ من الحقِّ، في صوته	صدى البطش والرحمة الهاتفةُ
يخوضُ الغِمَارَ دَمًا أو لَظَى	ويركبُ للمأربِ العاصفةُ
يطير على صَهَوَاتِ السحاب	ويمشي على اللجَّةِ الرَّاجفةُ
ويقتحمُ الموتَ في مأزق	ترى الأرضَ من هوله واجفةُ
تَمَزَّقَ في جانبيه الرياحُ	وتنفطرُ السُّحُبُ الواكفةُ
وتشتجرُ الرُّجْمُ الهاوياتُ	وتعتنقُ الظُّلُمُ الزَّاحفةُ
عَشِيَّةَ لا القلبُ طوعَ النُّهى	ولا العقلُ تأسره العاطفةُ
ولكنها وثباتُ الجريءِ	على عثراتِ المنى الخائفةُ
شعوبُ تعالِجُ أصفادها	وتأبى الحياةَ بها راسفةُ
صَحَّتْ بعد إغفاءةِ الحالمين	على لُجَّةِ الزمنِ الجارفةُ
وحسبك بالدهر من منذرٍ	كَرَبٍ يعاقبُ من خالفهُ
رأيتَ السفينةَ في بحره	تنازعُها اللججُ القاذفةُ
مددتَ يديك فأرسيتهَا	أمانًا من الغمرةِ الحائفةُ

إلى النور فازعة شاعفه
يُقبَلُ فيه الضحى شارفه
وبوأتها الذروة الشائفه
دَعَمَتْ بتالده طارفه
وأحيَتْ لياليها السالفه
حديث النباهة والعارفه
بفقدك في الليلة السادفه
تسيل البروق بها راعفه
فردَّ الشמוש به كاسفه
فقصَّفَ أفنانها الوارفه
وأسكت أوتارها العازفه
حُطامًا على الشفة الراشفه
كأنَّ بهم فَرَعَ الأزفه
وتصدقه الأعينُ الذارفه
صدى الويل في صَحْبِ العاصفه!
إذا قيل: ليس لها كاشفه
وبيعَ الصحيحه بالزائفه
ونفسك عن زهوها صادفه
سُرَى النَّسَمِ في الليلة الصائفه
تخرُ الجبالُ له خاسفه
وُثْمَسِي على أمرهم عاكفه
غوائلُ تطوي الدجى خاطفه
رفيفَ الندى في اليد القاطفه
هَمَّتْ من جراحاتها النازفه
بشطَّيْهِ حائمة طائفه
وتدعو لغازيهم هاتفه

وخلفك من يَعْرِبُ أمةً
نَضَتْ فيصلاً من صقال السيوف
أعدت لها مجدها المجتبى
بناءً من السؤدد اليَعْرِبِيَّ
جَلَّتْ فيه (بغدادُ) عهد الرشيد
وأرسلتها بعد نسيانها
فوا أسفاً، كيف روعتْها
صَحَتْ (برنُ) منك على نبأه
رمى الغرب بالشرق إيماضها
أنَاخَ على سَرَوَاتِ العراق
طوى فجرها بسماتِ المنى
ومُصْطَبِحِينَ هوت كأسهم
أفاقوا على حُلُمٍ رائع
يردُّون بالشكُّ صوتَ اليقينِ
وإني لأسمعُ ما يسمعون!
وكيف؟ وقد كنتَ نجمَ الرجاءِ
وما عرفوا عنك نقصَ التمام
تحفك أبهتُ المالكين
سَرَتْ بالوداعة في بأسها
وتحملُ عنهم من العبء ما
تَهْزَأُ من صرعات الردى
إلى أن طوتْها وأودتْ بها
فراحتْ ترفُّ على كفِّها
وما هي إلا دموعُ الأسى
وما نَسِيَتْ دجلةَ إنَّها
تباركهم من سماء الخلود

الشَّاطِئُ الْمُهْجُورُ

اغمرني القلبَ بالخيالِ الغميرِ
ورُدِّي عليَّ نفحَ العبيرِ
فوقَ آلامِهِ الجسامِ وثوري
ذكرياتٍ من الشبابِ الغريرِ
تُ وأيامَ غبطةٍ وسرورِ
مِ كانت عزاءَ قلبٍ كسيرِ
غمرَ الرُّوحَ في بقيةِ نورِ
علقت في غروبها بالصخورِ
موجٍ يجتاز لجةَ الديجورِ
أثرًا من غرامنا المأثورِ
من حبيبين في الشبابِ النضيرِ
هوى طاهرٍ، وعيشٍ قريرِ
مغربَ الشمسِ وانبثاقَ البدورِ
صفحةَ الماءِ في الضحى والبكورِ
هزَّت بنا خفيَّ الشعورِ
بهوى فاض عن حنايا الصدورِ
مطمئنَّ الأمواه شاجي الخيرِ
في جلوة المساءِ المنيرِ

موجةَ السحرِ من خفيِّ البحورِ
أقبلني الآن من شواطئِ أحلامي
واصخبي في شعابِ قلبي وضجِّي
أيقظني فيه من فتونٍ وسحرِ
إنها ذكرياتُ أمسيةٍ مرَّ
وبريءٍ ابتسامَةٍ في فم الأيا
قد طواها النسيانُ إلا شعاعًا
رَمَقَ ذاك من أشعةِ شمسٍ
أخذ القلبَ لمحها من وراء الـ
فتبيَّنتُ في الشواطئِ حولي
صخرةً كانت الملاذِ لقلبيـ
جمعتنا بها الحوادثُ في ظلِّ
كم وقفنا العشيَّ نرقب منها
وجلسنا في ظلها نتملَّى
فإذا ما تهللت ليلةُ قمرٍاءِ
وسرينا في ضوئها نتناجى
وانتحنينا من جانب البحرِ مجرى
نزلت فيه تستحمُّ النجومُ الزُّهرِ

راقصاتٍ به على هَزَجِ الـ
وعلى صدره الخفوقِ طوينا الـ
ورياح الخليج دافئةً تثني
خافقًا فوقنا يدفُ شعاعُ الـ
ومن الساحلِ الطروبِ أغانِ
رجَّعتها «بحارة» آذنتهم
وسكتنا فليس إلا عيونُ
تتلاقى على نوازعِ قلبِ
وكان الوجود بحرٌ من النو
كل ما حولنا يشفُ عن الحب
وكانًا نطوف في ليلِ أحلامِ،

يا صخورَ الوادي يضجُّ عليها البحـ
يا رمالَ الكثبان تنقشُ فيها الرِّيدَ
يا خفاف الأمواج، تحلم بالإينا
يا نسيمَ الشمالِ، يعبثُ بالرغـ
أنت يا من شهدتِ فجرَ غرامي
أين أخفيتِ أمسياتي اللواتي
أمحاهما الزمانُ؟ أم حجبتهما
بدلتني الأقدارُ منها بليلِ
غشيَ العينِ ظلُّه، وتمشت
لك يا شاهداتِ حبي أتيتُ الآنِ
فانظري، ما ترين غيرَ شقيِّ
راعهُ عاصفٌ يرجُّ السماواتِ
فكانَ الحياة في مسمعيه
وكانَ الوجودَ في ناظريه
في هزيمِ الرياح، في قاصفِ الرعدِ

رُ في جهشة المحبِّ الغيورِ
حُ أسطورةَ الحياة الغرورِ
س من كوكب المساء الصغيرِ
و ويهفو على الرشاش النثيرِ
ووعيت الغداة سرَّ الدهورِ
نَزَعَتْهَا مِنِّي يدُ المقدورِ؟
من عواديهِ ماحياتِ البدورِ؟
مدلهمُ الأفاقِ جهمِ الستورِ
في دمي منه رعدةُ المقرورِ
أفضي حقَّ الوداع الأخيرِ
طاف يبكي بالشاطئ المهجورِ
وموجُ يضجُّ ملء البحورِ
ضجةُ الحشرِ أو هزيمُ السعيرِ
وهدةُ اليأس أو ظلامُ القبورِ
يدُ، يُدوي للبارقِ المستطيرِ

في الفيافي كآبَةً ووجومًا
في الدياجي عوابسًا، ونجوم الـ
إنها الكائناتُ تبكي لمبكاها،
وهي مأساةٌ حبُّه صورتها
مَنَلَتْهَا لِعَيْنِهِ الآنَ شطَا
والمحيطاتِ صاخباتِ الهديرِ
لَّيْلٍ بين الخفوقِ والتغويرِ
وتبدي ضراعةَ المستجيرِ
ريشةُ الليلِ مبدعِ التصويرِ
نُ وموجٌ يئنُّ تَحْتَ الصخورِ!

عَاشِقُ الزَّهْرِ

يا لَيْتَ لي كالفرّاشِ أَجْنَحَةً
أَدْفُ لِلنُّورِ في مِشارِقِهِ
وأرشفُ القَطْرَ من بواكِره
وَأَلْثَمُ النُّورَ في سَنابِلِهِ
حتى إذا ما المساءُ ظَلَلَنِي
أَشْرَبُ أَنْفَاسَهَا وقد خَفَقَتْ
تحلُمُ بالفجرِ فوق جَنَّتِها
وبالعصافيرِ في ملاحِنِها
لو يعلمُ الزَّهْرُ سرَّ عاشِقِهِ
فلا تراني العيونُ مُقْتَحِمًا
إِذْ لَغَرَّدْتُ في خُمائِلِهِ
لكنَّه شاءَ خَلَقَ مُبْتَدِعَ
أرادَه شاعِرًا فدلَّهه

أَهْفُو بها في الفِضاءِ هِيَمَانًا
وأَغْتَدِي من سَناهِ نِشْوانًا
فلا أروُدُ الضِّفَافَ ظِمَّانًا
مِصْفَقًا لِلنَّسِيمِ جِذْلانًا
سَرِيتُ بينَ الورودِ سَهْرانًا
صَدورُها لِلرَّبِيعِ تَحَنَّانًا
يَمُوجُ فيهِ الغِمامُ أَلوانًا
تَهزُّ قَلْبَ الصِّباحِ إِرْنانًا
أَفَرَدَ لي من هِواهِ بَسْتانًا
سِياجَه، أو تحسُّ لي شانًا
وصَغْتُ فيهِ الحِياةَ أَلحانًا
من فَنِّهِ العِبقريِّ فَنانًا
وسامَه جَفوةً وهَجْرانًا

* * *

فليَحْمِنِي الحَسَنُ زَهْرَ جَنَّتِهِ
ما كُنْتُ لولاهُ طائِرًا غَرْدًا
ولِيَقْصِنِي العَمَرُ عَنْه حَرمانًا
ولو جَهِلْتُ الغِناءَ ما كانا!

قَبْرِ شَاعِرٍ

رَفَّتْ عَلَيْهِ مَوْرَقَاتُ الْغُصُونِ	وَحَفَّهَ الْعُشْبُ بِنَوَّارِهِ
ذَلِكَ قَبْرٌ لَمْ تَشْدُهُ الْمَنُونُ	بَلْ شَادَهُ الشَّعْرُ بِأَثَارِهِ
أَقَامَهُ مِنْ لِبْنَاتِ الْفَنُونِ	وَزَانَهُ الْمَجْدُ بِأَحْجَارِهِ
أَلْقَى بِهِ الشَّاعِرُ عَبَاءَ الشَّجُونِ	وَأَوْدَعَ الْقَلْبَ بِأَسْرَارِهِ

* * *

وَجَاوَرَتْهُ نَخْلَةٌ بِاسِقَةٍ	تَجَثَّمُ فِي الْوَادِي إِلَى جَنْبِهِ
كَأَنَّهَا الثَّالِكَةُ الْوَامِقَةُ	تَقْضِي مَدَى الْعَمْرِ إِلَى قَرْبِهِ
تَتَنُّ فِيهَا النِّسْمَةُ الْخَافِقَةُ	كَأَنَّمَا تَخْفُقُ عَنْ قَلْبِهِ
وَتُرْسَلُ الْأَغْنِيَةُ الشَّائِقَةُ	قَمْرِيَّةٌ ظَلَّتْ عَلَى حَبِّهِ

* * *

وَيَقْبَلُ الْفَجْرُ الرَّقِيقُ الْإِهَابَ	يَحْنُو عَلَى الْقَبْرِ بِأَضْوَائِهِ
كَأَنَّمَا يَنْشُدُ تَحْتَ التَّرَابِ	لَوْلَوْهُ تُزْرِي بِلَأَلَائِهِ
اسْتَلَّ مِنْهَا الْمَوْتُ ذَاكَ الشَّهَابَ	غَيْرَ شِعَاعٍ، فِي الدَّجَى تَائِهِ
يَظَلُّ يَهْفُو فَوْقَ تِلْكَ الشَّعَابِ	يَطُوفُ بِالْيَنْبُوعِ مِنْ مَائِهِ

* * *

وَيَذْهَبُ النُّورُ وَيَأْتِي الظَّلَامُ	وَتَبْزَغُ الْأَنْجُمُ فِي نَسْقِهِ
--	-------------------------------------

حيرى تحوم الليلَ كالمستَهَامَ أسهرهُ الثائرُ من شوقِهِ
تبحثُ عن نجمٍ بتلك الرَجَامَ هوتُ به الأقدارُ عن أفقِهِ
أخُ لها في الأرضِ ودَّ المقَامَ وآثر الغربَ في شرقِهِ

* * *

ويُطلقُ الطيرُ نشيدَ الصبَاحِ بنغمةٍ تصدر عن حزنِهِ
يَمُدُّ فوقَ القبرِ منه الجَنَاحِ ويرسل المنقارَ في ركنِهِ
أفضى إلى الراقدِ فيه وبَاحِ بأنَّهُ الملهمُ من فَنِّهِ
فمن قوافيه استمدَّ النواحِ ومن أغانيه صدى لحنِهِ

* * *

وحين تمضي نسماتُ الخريفِ وتملأُ الأرضُ رياحَ الشُّتَاءِ
ويقبلُ الليلُ الدُّجى المخيفِ فلا ترى نجماً ينيرُ السَّمَاءِ
هناك لا غصنٌ عليه وريفِ يهفو، ولا طيرٌ يثيرُ الغِنَاءِ
يظللُ الأرضُ الظلامُ الكثيفِ كأنما تُمسي بوادي الفَنَاءِ

* * *

يا شاعراً ما جمعتني بِهِ كواكبُ الليلِ وشمسُ النهارِ
لكنَّه الشرقُ وفي حبِّهِ ينأى بنا الشوقُ وتدنو الديارِ
سكبتُ من شجوكَ في قلبِهِ ومن مآقيكَ الدموعُ الغزارِ
فودَّ أنْ لو نمت في تربيهِ ليشقى النفسَ بهذا الجوارِ

* * *

صوّرَ لي القبرَ الذي تنزلُ نَحِيلُ الشعرِ ووحى الشعرِ
فجئتُ للقبرِ بما يجملُ من صوَرِ الدنيا الفَتونِ العُروِ
قل لي بحقِّ الموتِ ما يفعلُ بالشاعرِ الموتُ وهذي القبورُ؟
وهل وراءَ الموتِ ما نجهلُ من عالمِ الرجعى ويومِ النشورُ؟

* * *

قَبْرُ شَاعِرٍ

قد راعني موتك، يا شاعري في ميعة العمر وفجر الشباب
وهزني ما فاض من خاطر كان ينابيع البيان العذاب
ونفثات القلم الساحر في جوبك الأفق وطى السحاب
ووقفه بالكوكب الحائر رأى بساط الرياح يدنو فهاب

* * *

لكنه شعرك لما يزل يُردد الكون أناشيده
شعر كصوب الغيث أنى نزل أرقص في الروض أماليده
وعلم الطير الهوى والغزل فأسمع الزهر أغاريده
وعنت الريح به في الجبل فحركت منه جلاميده

* * *

يا قبر لم تبصر عيني ولا رأتك إلا في ثنايا الخيال
ملأت بالروع فؤادا خلا إلا من الحب ونور الجمال
أوحيت لي سر الردى فانجلي عن عيني الشك وليل الضلال
غدا ستطوي القلب أيدي البلى ويقنص النجم عقاب الليال

* * *

وهكذا تمضي ليالي الحياه والقبر ما زال على حاله
دنيا من الوهم ودهر تراه يُغرر القلب بآماله
يسخر من مبتسمات الشفاء وجامد الدمع وسآله
دهر على العالم دارت رحاه فلم تدع رسما لأطلاله

حافظ إبراهيم

املئي الأرض من حدادٍ وغيهَبْ
وخبأ من مصابح الفكر نورَ
وطوى الموت هالةً كان يُنمى
يا سماء الخيال ما كلُّ يومٍ
ذهبَ الشاعرُ الذي رَدَدَ الشـ
ومضى النائرُ الذي صَوَّرَ النفسَ،
الأديبُ العريقُ في لغة الضأ
لم يكن شاعرَ القديم، ولا كا
كان يُعنى بكلِّ فذٍّ من القو
شاعرُ الحبِّ والجمالِ، وربُّ الـ
شعره من ينباع السحر ينسا
عاطفيَّ القصيدِ، يعبثُ بالألبا
وخيالٌ يسمو إلى ما وراء الكو
يُنْفِذُ الفكرَ في مجاهل دنيا
ومعان أرقُّ من نسمة الفجرِ
وبيانٌ يسيلُ في كل نفسٍ
وقوافٍ كأنَّها نغماتُ
وكانَ الأوزانُ شتَّى مثنانِ

مالَ نجمُ البيانِ عنكِ وغرَبْ
كان أمضى من الشهابِ وأثقبُ
كلُّ أفقٍ إلى سناها ويُنسَبُ
من بني الشعرِ تظفريْنَ بكوكبِ
رقُّ صدى شعره الجميلِ المحبَّبِ
وجلَّى سرَّ الضميرِ المحبَّبِ
بِ، وقاموسُها الصحيحُ المرتَّبِ
نَ لآدابِ عصره يتعصَّبِ
لِ، ويُزهِى بكلِّ حسنٍ ويُعجبُ
منطقِ الحقِّ واليراعِ المؤدَّبِ
بُ، وفي عالم الحقيقة ينصبُ
ب أسلوبه الرشيقُ ويلعبُ
ن من عالم اليقينِ ويذهبُ
هُ فيبدو له الخفيُّ المغيَّبِ
ولفظُ من سلسلِ الخمرِ أعذبُ
فعله من غرائبِ السحرِ أغربُ
هاجها الشجُو في يراعٍ مُثَقَّبِ
ترقص النفسُ وفقهنَّ فتطربُ

* * *

بؤساء الحياة من لكم اليو
ضاقَت الأرض بالحنان، وفاضتُ
فابحثوا في شعابها عن مقيلٍ
قد فُقدتم نصيركم وسُلبتم
عَقْلَ الموتِ مَقولاً منه عضباً
وخلا اليومِ مِنْ شجاكم فؤادُ
وَعَفَتْ أَعْيُنُ بكتكم بدمعٍ
الرفيقُ الحاني على كلِّ قلبٍ
والخفيفُ الخطى إلى كلِّ نفسٍ
فاذكروه على الليالي إذا ما
مَ على الحادثات، والعيشُ أخطبُ
بالأذى أبحراً، تَضجُ وتصحبُ
وانشدوا من منافذِ النجمِ مهرَبُ
عَضُدًا شَدَّ أَنْ يُغَالِ وَيُسْلَبُ
وطوى مهجةً وأطبق هيدبُ
ذابَ من رحمةٍ لكم وتصبَّبُ
لم تَدَعِ منه ما يُراق ويُسكَبُ
أنشَبَ البؤسُ فيه ناباً ومخلبُ
مال عنها نصيرُها وتَنكَّبُ
زَحَمَ الدهرُ ركنكم وتألَّبُ

* * *

مَنْ لصرعى الهموم بعدك يا حا
كنتَ بَرًّا بهم، وأُحْنِي عليهم
عَجَبُ صبرهم على خطبك الدَّاوي
قُمْ وشاهد مَاتَمَ الشرقِ وانظُرْ
فَسَمًا لو يُرَدُّ «هيجو» إلى العيدِ
ومشى في يمينه غارُ «باريدِ»
وتمنَّى الذي كتبت عن البؤ
فظ، مَنْ للحزين؟ مَنْ للمعذب؟
من فؤادِ الأبِ الشفيقِ، وأحدبُ
وصبرُ البأساءِ من ذاك أعجبُ!
كيف يُبكي البيانُ فيك ويُندبُ
شِ لَأَلْقَى لَكَ الزمَامَ وَقَرَّبُ
سَ» إلى رأسِكَ الكريمِ وَعَصَبُ
سِ وردَّ الأصيل دون المعرَّبُ!

* * *

فُجِعَتْ نهضةُ البلاد ببيان
وحباها من شعره وحجاءُ
هزَّ أشبالها الكماءَ وأحيا
لو شهدت غداة ثورتها الكبرى
لرأيتم في ثورة النفسِ منه
شَدَّ من ركنها، وشادَ، وطنَّبُ
ما أفادَ الجهادَ فخرًا وأكسبُ
أملًا في صدورهم يتوثَّبُ
لَجَاجَ النفوسِ وهي تَلَهَّبُ
محققًا من قساوِرِ الغيلِ مُغْضَبُ

لم يَزَلْ منه في المسامع صوتٌ تتوقَّى الظُّبَى صداهُ وترهبُ
نافذٌ في الصميم من باطلِ القوِّ م كما ينفذُ السَّنانُ المذربُ

* * *

حافظُ الودِّ والذمامِ سلامًا لم يَعُدْ بعدُ من يُوَدُّ ويُصحبُ
كنتَ نعم الصديقِ في كلِّ آنٍ حينَ يرجى الصديقُ أو حينَ يُطلبُ
لم تُغَيِّرْكَ من زمانِكَ دنيا وحياءُ بأهلها تتقلَّبُ
خُلِقَ رضتُهُ على شرعةِ الصدقِ وإنَّ خانَكَ الرجاءُ وكذبُ
وإياءُ حميتُهُ من صغارٍ وبريقٍ من المواعدِ خُلبُ
وفؤادٌ لغيرِ عاطفةِ الـ وجدانٍ لا يدَّني ولا يتقربُ
وضميرٌ لا يبلغُ المالُ منه وبلوغُ النجومِ من ذاكِ أقربُ
ولسانٌ حفظته من سؤالٍ لا يمينُ الكلامِ أو يتذبذبُ
يلفظُ الروحَ صاديًا وإذا لم يَصِفُ للماءِ موردٌ ليس يشربُ
صفحاتُ نقيَّةٍ بمدادِ الحـ قُ في مجتليِ العظامِ تكتبُ

* * *

خانني فيك منطقي، وعصاني قَلَمٌ طالما أفاضَ وأسهبُ
أب بالشعرِ من مصابكٍ يبكي رزءَه فيك والرجاءُ المخيبُ
أنتَ من أمةٍ بهم بعثَ الله هداهُ إلى الشعوبِ فثوبُ
لم يَزَلْ منكم على الأرضِ ظلُّ وشعاعُ هادٍ، وغيثُ مُصوبُ
ويجوبُ الحياةَ في كلِّ آنٍ هاتفٌ منكمُ وطيفُ تأوُّبُ
حُضِرَ في القلوبِ أنتم وإن كنـ تم، على ملتقىِ النواظرِ غُيبُ

شوقي

هَجَرَ الْأَرْضَ حِينَ مَلَّ مَقَامَهُ
هَيَّكَلُ مِنْ حَقِيقَةٍ وَخِيَالٍ
أَلْهَمَ الشَّعْرُ أَصْغَرِيهِ فَرْقًا
سَلْسَبِيلُ مِنْ حِكْمَةٍ وَبَيَانٍ
تَأْخُذُ الْقَلْبَ هَزَّةً مِنْ تَسَاقِيهِ
غَمَرَ الْأَرْضَ رَحْمَةً وَسَلَامًا
مَالِنًا مِسْمَعَ الْوُجُودِ نَشِيدًا
مَا لَهُ وَالزَّمَانُ مَصْغٍ إِلَيْهِ
رُوعَ الطَّيْرِ يَوْمَ غَابَ عَنِ الْأَيْدِ
مَا الَّذِي شَاقَهُ إِلَى عَالَمِ الرُّوحِ
رَاعَهَا النُّورُ وَهِيَ فِي ظِلْمَةِ الْكُو
هِيَ بَنَتْ السَّمَاءَ وَهُوَ مِنَ الْأَرْضِ
فَاهْتَفُوا بِاسْمِهِ فَمَا مَاتَ، لَكُنْ

وَطَوَى الْعُمَرَ حَيْرَةً وَسَامَهُ
مَلَكَ الْحُبِّ وَالْجَمَالُ زَمَامَهُ
فِي قَمِ الدَّهْرِ كَوْنًا وَمُدَامَهُ
فَجَّرَ اللَّهُ مِنْهُمَا إِلَهَامَهُ
وَيَنْسَى بِسَحَرِهِ آلامَهُ
وَجَلَا الْكُونُ فَتْنَةً وَوَسَامَهُ
عَلَّمَ الطَّيْرَ لَحْنَهُ وَانْسَجَامَهُ
رَدَّ أَوْتَارَهُ وَحَطَّمَ جَامَهُ؟
كَيْ وَسَالَتْ جِرَاحُهَا الْمَلْتَامَهُ
حِ؟ أَجَلَ تِلْكَ رُوحِهِ الْمُسْتَهَامَهُ!
نِ فَخَفَّتْ إِلَيْهِ تَطْوِي ظِلَامَهُ
ضِ سَلِيلُ نَمَا التُّرَابُ عِظَامَهُ
آثَرَ الْيَوْمِ فِي السَّمَاءِ مُقَامَهُ!

حَدَّثَنِي الرِّيَاضُ عَنْهُ صَبَاحًا
وَشَكَا لِي النَّسِيمُ أَوَّلَ يَوْمٍ
وَتَسْمَعْتُ لِلْغَدِيرِ يُنَادِي
مَا لَصَدَّاجِهَا جَفَا أَنْغَامَهُ؟
لَمْ يُحَمِّلْهُ لِلْحَبِيبِ سَلَامَهُ
مَا الَّذِي عَاقَ طَيْرَهُ وَحِيَامَهُ؟

أُتْرَاهُ تَرَشَّفَ الْفَجَرَ نَوْرًا
وَرَأَيْتُ الْجَمَالَ فِي شُعْبِ الْوَا
صَارَحًا يَسْتَجِيرُ شَاعِرَهُ الشَّا
فَتَلَفَّتْ بَاكِيًا وَبَعِينِي
هَتَفَ الْقَلْبُ بِالْمَنَادِينَ حَوْلِي:
فَاذْكُرُوا شِدْوَهُ بِكُلِّ صَبَاحٍ
وَامْلَأُوا الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ هُتَافًا
أَمْ شَفِي مِنْ نَدَى الصَّبَاحِ أَوَامَهُ
يِي يَنَادِي بِطَاحِهِ وَأَكَامَهُ
دِي، وَيَدْعُو لِفَنِّهِ رَسَامَهُ
شَبَّحَ تَخَطَّرُ الْمَنُونُ أَمَامَهُ
لَقِيَ الصَّادِحَ الطَّرُوبُ جَمَامَهُ
وَارْقُبُوا مِنْ خِيَالِهِ إِمَامَهُ
عَلَّهْ لَمْ يَرِ الصَّبَاحَ فَنَامَهُ

لَمْ يَرْغُنِي مِنْ جَانِبِ النِّيلِ إِلَّا
تَحْتَ سَاجِي ظِلَالِهَا زَهْرَةٌ تَبِ
عَرَفْتَهَا عَيْنِي، وَمَا أَنْكَرْتَهَا
قُلْتُ: يَا كَرَمَةَ ابْنِ هَانِي سَلَامًا
نَحْنُ لَوْ تَعْلَمِينَ أَشْبَاحُ لَيْلٍ
وَالَّذِي تَلْمِحِينَ مِنْ لَهَبِ الشَّمْسِ
وَالَّذِي تَبْصَرِينَهُ مِنْ نَجُومٍ
وَالْمَرَادُ الْمَدِلُّ بِالْوَرْدِ زَهْوًا
عَبَثًا نَنْشُدُ الْحَيَاةَ خُلُودًا
إِنَّمَا الْأَرْضُ قَبْرُنَا الْوَاسِعُ الرَّحْ
أَوْدَعَ الْقَلْبُ فِيهِ أَلَامَهُ الْكَبِ
نَسِي النَّاعِمُونَ فِيهِ صَبَاهُمْ
فَامَسَحِي الدَّمْعَ وَابْسِمِي لِلْمَنَايَا
كَرَمَةٌ فَوْقَهَا تَرْفُ غَمَامَهُ
كِي، وَفِي فَرْعِهَا تَنَوُّحُ حَمَامَهُ
مِنْ ظِلَامٍ وَوَحْشَةٍ وَجْهَامَهُ
لَيْسَ لِلْمَرْءِ فِي الْحَيَاةِ سَلَامَهُ
عَابِرٍ يَنْسَخُ الضِّيَاءُ ظِلَامَهُ
سِيسَ غَدَا يُطْفِئُ الزَّمَانَ ضَرَامَهُ
فَلَكُ يَرِصُدُ الْقَضَاءُ نِظَامَهُ
كَالَّذِي أَذْبَلَ الرَّدَى أَكْمَامَهُ
وَنَرَجِّي الصُّبَا، وَنَبْغِي دَوَامَهُ
سَبُّ وَفِي جَوْفِهِ تَطْيِبُ الْإِقَامَهُ
رَى، وَأَلْقَى بَبَابَهُ أَحْلَامَهُ
وَسَلَا الْمَغْرَمُ الْمَشُوقُ غَرَامَهُ
إِنَّ دُنْيَاكَ دَمْعَةٌ وَابْتِسَامَةٌ!!

أَيُّهَا الْمَسْرُوحُ الْحَزِينُ عِزَاءً
نَهَبَ الشَّاعِرُ الَّذِي كُنْتَ تَسْتَوِ
وَاهِبُ الْفَنِّ قَلْبَهُ وَقَوَاهِ
رَبِّ لَيْلٍ بِجَانِبِكَ شَهْدَنَا
قَدْ فَقَدْتَ الْغَدَاةَ أَقْوَى دِعَامَهُ
حَيٍّ وَتَسْتَلْهُمُ الْخُلُودَ كَلَامَهُ
وَالْمَصَافِيَةَ وَدَّهْ وَهِيَامَهُ
قِصَّةَ الدَّهْرِ رَوْعَةً وَفَخَامَهُ

وَأَلْقَى عَنِ الْخَفَاءِ لَثَامَهُ بِهِ وَجَدْدٌ، عَلَى الْمَدَى، أَيَّامَهُ مَلَأُوا الْعَصْرَ قُوَّةً وَهُمَامَهُ بِدِ شَقُّوا إِلَى الْحَيَاةِ زَحَامَهُ أَطْلَعْتُ فِي سَمَائِهَا أَعْلَامَهُ وَتَرَعَى عَهْوَهُ وَذِمَامَهُ قِ، وَفِي كَفِّهَا لَوَاءُ الزَّعَامَهُ لَهُوَ يَوْمُ الْمَعَادِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ!!	أَسْفَرَ الشَّعْرُ عَنْ رَوَائِعِهِ فِيهَا فَأَعَدَّ عَهْدَهُ وَأَحْيَى لِيَالِيهِ وَلَكَ الْيَوْمَ هِمَّةٌ فِي شَبَابٍ نَزَلُوا سَاحَهُ يَشِيدُونَ لِلْمَجْدِ فَاذْكُرُوا نَهْضَةَ الْبَيَانِ بِأَرْضِ إِنَّهَا أُمَّةٌ تَغَارُ عَلَى الْفَنِّ لَمْ تَزَلْ مَصْرُ كَعْبَةِ الشَّعْرِ فِي الشَّرِّ إِنَّ يَوْمًا يَفُوتُهَا السَّبْقُ فِيهِ
--	---

انتظارٌ

طال انتظارُكَ في الظلام ولم تَزَلْ
ويطير سمعي صوبَ كلِّ مُرْنَةٍ
وترفُّ روعي فوق أنفاسِ الرُّبَا
ويخفُّ قلبي إثرَ كلِّ شعاعةٍ
فلعلَّ من لمحاتِ ثغركَ بارقُ
ليلٌ من الأوهام طالَ سهادُه
عينايَ ترقبُ كلَّ طيفٍ عابرٍ
في الأفقِ تخفُّ عن جَناحي طائرٍ
فلعلَّها نَفْسُ الحبيبِ الزائرِ
في الليلِ تومضُ عن شهابٍ غائرٍ
ولعلَّه وضُّعُ الجبينِ الناصرِ
بين الجوى المضني وهجسِ الخاطرِ

حتى إذا هتفتُ بمقدمكَ المُنَى
وسرى النسيمُ من الخمايلِ والرُّبَى
وترنَّم الوادي بسلسلِ مائه
وأطلَّت الأزهارُ من ورقاتِها
وجرى شعاعُ البدر حولكَ راقصاً
وتجلَّت الدنيا كأبهج ما رأْتُ
ومضتُ تكذبني الظنونُ فأنتنني
أقبلتُ بالبسماتِ تملأُ خاطري
وأظللنا الصمتُ الرهيبُ ونحن في
وأصختُ أسترعي انتباهةَ حائرٍ
نشوانٌ يعبقُ من شذاك العاطرِ
وتلَّت حمائمُه نشيدَ الصافرِ
حيرى تَعَجَّبُ للربيعِ الباكرِ
طرباً على المرحِ النضيرِ الزاهرِ
عينٌ وصوَّرها خيالُ الشاعرِ
مُتَسَمِّعاً بقاتِ قلبي الثائرِ
سحراً وأملاً من جمالك ناظري
شكُّ من الدنيا وحلمٍ ساحرِ

حتى إذا حان الرحيلُ هتفتَ بي فوقفتُ واستبقتُ خطاك نواظري
وصرختُ بالليلِ المودّعِ باكيًا ويداك تمسك بي وأنتَ مغادري
يا ليتنا لم نصحُ منك وليتها ما أعجلتك رَحَى الزمانِ الدائرِ

* * *

ولقد أتت بعدُ الليالي وانقضت وكأننا في الدهر لم نتزاوِرِ
بُدلتُ من عطفٍ لديك ورقّةٍ بحنين مهجورٍ وقسوةٍ هاجرِ
وكانني ما كنتُ إلّك في الصُّبَا يومًا ولا كنتُ الحياةَ مشاطِري
ونسيتَ أنتَ، وما نسيتُ، وإنّني لأعيشُ بالذكرى ... لعلَّكَ ذاكري!!

إِلَى الْبَحْرِ

قِفْ مِنْ اللَّيْلِ مَصْغِيًّا وَالْعَبَابِ
صَاعِدَاتٍ تَلُوكَ فِي شِدْقِهَا الصَّخَرِ
هَابِطَاتٍ تَنْتُنُّ فِي قَبْضَةِ الرِّيحِ وَتُرِ
ذَلِكَ الْبَحْرُ: هَلْ تَشَاهَدُ فِيهِ
ظُلُمَاتٌ مِنْ فَوْقِهَا ظُلُمَاتٌ
لَا تَرَى تَحْتَهُنَّ غَيْرَ وَجُودِ

وَتَأْمَلُ فِي الْمَزْبَدَاتِ الْغَضَابِ
وَتَرْمِي بِهِ صُدُورَ الشَّعَابِ
غِيَّ عَلَى الصَّخُورِ الصَّلَابِ
غَيْرَ لَيْلٍ مِنْ وَحْشَةٍ وَاكْتِنَابِ؟
تَتْرَامِي بِالْمَائِحِ الصَّخَّابِ
مِنْ عِبَابٍ، وَعَالَمٍ مِنْ ضَبَابِ

أَيُّهَا الْبَحْرُ، كَيْفَ تَنْجُو مِنْ اللَّيْلِ
هُوَ بَحْرٌ أَطْمُ لَجًّا، وَأَطْغَى
أَوْ مَا تَبْصُرُ الْكَوَاكِبَ غَرَقَى
وَتَرَى الْأَرْضَ فِي نَوَاحِيهِ حَيْرَى
وَيْكَ، يَا بَحْرُ، مَا أَنْيْنُكَ فِي اللَّيْلِ
امْضِ حَتَّى تَرَى الْمَدَائِنَ غَرَقَى
امْضِ عَبْرَ السَّمَاءِ، وَأَطْغِ عَلَى الْأَفْ
ذَاكَ، أَوْ يَهْتِكَ الظَّلَامُ دِيَاغِيهِ
وَتَرَى الشَّمْسَ فِي مِيَاهِكَ تُلْقَى

لِ؟ وَأَيْنَ الْمَنْجَى بِتِلْكَ الرِّحَابِ
مِنْكَ مُوجًّا فِي جِيئَةٍ وَذَهَابِ
فِي دِيَاغِيهِ كَاسِفَاتٍ خَوَابِي؟
تَسْأَلُ السَّحْبَ عَنْ وَمِضْ شَهَابِ
لِ أَنْيْنِ الْمَرْوَعِ الْهَيَّابِ؟
وَتَرَى الْكُونَ زَخْرَةً مِنْ عُبابِ
لَاكِ، وَاغْمُرْ فِي الْجَوْ مَسْرَى الْعُقَابِ
هَ، وَيَنْضُو ذَاكَ السَّوَادَ الْكَابِي
خَالِصَ التَّبَرِ وَاللَّجِينِ الْمَذَابِ

يتهاذى في منظرٍ خلّابٍ
يتماوجن في حواشي السحابِ
حوله الطير بالأغاني العذابِ
بِ وَيَثْنِي ذَوَائِبَ الأعشابِ
موج، يذكو ضرامُها غير خابي
قُزَحِيّ الأديم غَضُ الإهابِ
ضوءٍ من كل بضّةٍ وكعابِ
لَفَّها الرغو من رقيقِ الثيابِ
نَسَّقَتها أنامل الأربابِ
وإذا الطير صُدَّحَ في الروابي
رَقَصَاتِ المغرِّدِ المطرابِ
سي نَمِيرًا كالجدول المنسابِ
أسمعِ البحرَ أغنياتِ الشبابِ

أَقْبَلَ الفجرُ في شفوفِ رفاقِ
حُلُلٍ من وشائِعِ النورِ زُهرُ
وإذا الشاطئُ الضحوكِ تغنّى
ونسيم الصباح يعبث بالغا
ومن الشمس جمرة، في ثنانيا الـ
ومن البحر جانب مطمئنٌ
نزلت فيه تستحمُّ عذارى الـ
عاريات يسبحن في اليم لكنْ
خَفِرَاتٍ من الأشعة خويد
فإذا البحر يرقصُ الموج فيه
راقصات الأمواج: عَلَّمَن قلبي
وأفيضني عليه من سلسل الوحـ
واستثيري عواطفني ودعيني

نازحُ الدار ما له من مآبٍ
وهو مُلقَى في وحشةٍ واغترابٍ
أَيْنَ مني منازلِ الأحبابِ
مي، غريقٌ في حيرتي وارتياحي
عكفت في الدجى على التسكّابِ
صدحةُ الطير أو نعيقُ الغرابِ
رُ أو الليلُ أسودُ الجلبابِ
من سقامي، ورحمةٌ من عذابي
رُ ومثوى الهموم والأوصابِ
مي وعبء الحياة والأحقابِ

لي وراء الأمواج، يا بحر، قلبٌ
نزعتَه منِّي الليالي فأمسى
ذكرياتُ تدني القصي ولكنْ
أنا وحدي، هيمانٌ في لجك الطا
أرْمَقِ الشاطئِ البعيد بعين
فسواء، في مسمعي، من ذَرَاهُ
وسواء، في العين، شارقةُ الفجـ
بيد أني أحسُّ فيك شفاءً
أنت مهد الميلادِ والموتِ يا بحـ
فأننا فيك أطرُحُ الآن ألا

الطريد

سليبَ رقادٍ أَرَقَّتْهُ المخاوفُ
به الأرض غرقى، والنجوم كواسفُ
يساريك برقُ أو يباريك عاصفُ؟
إلى الشاطئِ المجهول يدعوك هاتفُ
يسائل: من ذاك الشقيِّ المجازفُ؟!
ويعزبُ عنه الصِّلُ، والصِّلُ واجفُ
أَوَّانَ الردى في برده الرثَّ زاحفُ
ولا طاف منه بالدُّجْنَةِ طائفُ
وبينهما يسري الدُّجى وهو خائفُ
أليس له من نبأة القلب كاشفُ؟
إليك هوى، من جانب الغيب، شاغفُ!
إليَّ كلحن رددته المعازفُ
لسرُّ تهز القلبُ منه الرواجفُ
رمته الدياجي والرعودُ القواصفُ؟
لعينك، لكنَّ القلوبَ تعارفُ؟
مقيمُ عذابى والشقاء المحالفُ
ليرهبُ نفساً حقَّرتُ ما تصادفُ
غياهبُ في سرِّ الدجى تتكاثفُ

شقيُّ أجنَّتْهُ الدياجي السوادفُ
ترامى به ليلٌ كأنَّ سواده
إلى أين تمضي، أيها التائه الخُطى،
رأيتك في بحر الظلام كأنما
تخوض الدُّجى سهمانَ والنجم حائرُ
طريداً يفرُّ الوحشُ من وقع خطوه
كأنَّ إله الشرِّ يقتحم الورى
فوا عجباً!! لم تحمل الأرض مثله
يخاف الثرى مسراه وهو يخافه
تُرى أيُّ سرٍّ في الظلام محجَّبُ؟
أجبنى طريدَ الأرض، إني يهزنى
فرددَ ذاك الطيفُ صوتاً محبَّباً
وقال: أجل إنَّي الطريدُ وإنه
أتسألكَ الأفلاك عني، أنا الذي
أجل: إن ذاتي يا نجِّي تنكرت
وما أنا إلا من بني الأرض ناء بي
وما كان هذا النوءُ والموجُ والدُّجى
سواءً لديها أشرقَ الفجرُ أم سجت

ومن قبل أن دبَّت عليها الزواحفُ
وأترعها سيلٌ من الدَّم جارفُ
ويا ليتَ ترويتها الدموعُ الذَّوارفُ
ويعجز عن تصويرها، اليوم، واصفُ
ثقافتهم ضربٌ من العلم زائفُ
وأن قصاراهُ حُلَى وزخارفُ
وقالوا: ألا أين الضياءُ المشارفُ؟
من الوهم يُمسي وهو في القيد راسفُ
وليس بما تُزهى هناك المقاصفُ
إذا كذبت ربَّ القصورِ العواطفُ
بديلاً عن الكأس التي أنا راشفُ
ويشقى بمصر النابهونَ الغطارفُ؟
رواحلٌ بيدٍ شردتها العواصفُ
يرقُ، ولا دانٍ من الظلِّ وارفُ
عصائبُ تنزو من دمي ولفائفُ
به في غار الحادثات أجازفُ
خفوقُ جناحٍ وهو بالدمِ نازفُ
إليه عهدٌ للشبابِ سوالفُ
أحاديثَ شتَّى كلهن طرائفُ
أفارقها والقلب لهفانُ كاسفُ
من الحقِّ فيها ألسنٌ وصحائفُ
ولا نبهتُ فيها لذكري عوارفُ
برأيي إمَّا أسعدتني المواقفُ!

هي الأرض مهدُ الشرِّ من قبل خلقنا
غذتها الضحايا بالجسوم فأخصبت
وهيئات تشفي غُلَّةً من دماننا
ولي قصةٌ يُشجي القلوبَ حديثُها
دعوتُ إلى حرِّيَّةِ الرأيِ معشراً
يرون بأنَّ العيشَ لذاتُ ماجنٍ
إذا لمحو نور الحقيقة أغمضوا
عجبتُ لهذا العقل حُرّاً فما له
هو الحقُّ في الكوخ الحقيق فحيه
هنا تصدقُ الإنسانَ عاطفةُ الهوى
لقد سئمت نفسي الحياةَ وما أرى
أُيجدُ في الشرقِ النبوغَ ويُزدرى
يجوبون آفاقَ الحياة كأنهم
طرائدُ في صحراءٍ لا نبعٍ واحةٍ
ألا إنَّ لي قلباً طعيناً تحوطه
أقلَّتُهُ أحنائي ذمَاءٌ ولم أزلُ
كما رفَّ نسرُ راشه السهمُ فارلقى
أتيتُ إلى هذا المكان تهزُّني
أرددُ فيها للطفولة والصِّبا
أودعها قبل الفراق وإنني
إلى حيثُ ينمو الرأيُ حُرّاً تذيعة
لعلَّ بلاداً ما علتنى سماؤها
أعيش بها حُرّاً العقيدة هاتفاً

عَدْلِي يَكُنْ

يذكر النيلُ دمعَه وشجونَه
هُ وَبَثُّوا على الطريقِ عيونَه
كلِ بحرًا من الدُموعِ الهتونَه
شاطئُ حالتِ المنِيَّةُ دونَه
آنَ لليث أن يَحِلَّ عرينَه
تَضُمُّ الصدرَ الذي تحملينَه
لوعةَ البينِ أو يَبْثُ حنينَه
كنتِ في كلِّ موكبٍ ترقبينَه
لمحاتُ الطوالعِ الميمونَه
رينَ» غيرَ المجلاتِ الحزينَه
ءَ عليها من المنى أَلْفُ زينَه
رِ يئنُّ الجريحُ فيها أنينَه
حَ بطيفٍ من الفتوحِ المبينَه
يشفقُ النجمُ أن يشقَّ دجونَه
ذاقَ في وحشةِ الغريبِ منونَه
أن يرى مصرَ في الحديدِ سجينَه
شَيَّعَتْ بالبكاءِ كلَّ سفينَه
والثُمي ثغرُه، وحيِّي جبينَه

وقفَه بالشواطئِ المحزونَه
ودَّ لو حولوا إلى السَّينِ مجرا
ومشى بالشهيدِ للوطنِ الثا
دَنَتِ الدَّارُ، يا سفينة، إلَّا
فاهدئي في ضفافِ مصرَ وقرِّي
قَرِّبي من أديمها هيكَلِ الحقِّ
لحظةً يشتكي المتيمُّ فيها
ولك الله، يا شواطئُ، فيمن
ذَهَبَتْ بسمهُ الثغورِ وحالتِ
ما عَرَفَتْ السفينَ من عهد «نافا
خرجتُ منك، ليلَةَ البحرِ، غرًّا
ثم آبتِ إليك منكوسةً الصو
فسلي البحرَ هل غدا لك أو را
ما شَهِدَتْ الأيامُ غيرَ سوادِ
كلَّ يومٍ تستقبلينَ شهيدًا
أو طريدًا وراءَ بحرٍ تحامى
فاذكري الآن، يا شواطئُ، عينًا
واحملي الوافدَ الكريمَ حنانًا

وإذا ضقتِ بالأسى فاستمدي الـ
سائلي الرياح أن تضجَّ عويلاً
سنوح من كل قرية ومدينه
وسلي البحر أن يُجنَّ جنونه
أن يري الناس في البكاء فنونه!

يا شهيدَ «الأحرار» لا كان يومٌ
فزع النيلُ بالظنون إليه
كم تمنى في الغيب ألا يكونه
فتحدى رجاءه وظنونه
كل جرح أسال رزؤك حتى
رسفت مصر في الجراح الثخينه
لو تلفت خلف نعشك يا «عد
لي» لراعتك أمة مسكينه
كنت أهلاً لبرها وهواها
وهي كانت بمن تحب ضنينه!
كيف لا تستقل في حقك الدم
ع ولا ترخص الدموع الثمينه؟
ما بكاء على الذي اتخذ الأو
طان دنياه في الحياة ودينه؟
ما بكاء على الذي حبس القلب
ب عليها، وجيبه، وسكونه؟
ما بكاء عليه لو كان يفدى
كنت يا مصر بره تفتدينه!!

يا رسول السلام في كل حين
ذكر الناس فيك أيام «سعيد»
فقدت مصر وحيه وأمينه
وتناجوا بذكر «ثروت» حتى
فبكوا رحمة لما يذكرونه
عرضوا الذكريات فاهتجن فيهم
شئوننا واستعادوا
دنت بالنبل والوداعة قلباً
رجعوا الأمس واستعادوا
عقدت كفه بكفك عهداً
شئوننا والهموم الدفينه
وتعانقتما وما كنت إلا
عجز البطش والأذى أن يلينيه
يتمنى العدو ألا تصونه

يا نصير الحقوق آثرت حقاً
عون سعيد وإفقه وخدينه!
فتم الآن في ثرى مصر وانزل
كل نفس بما قضاه رهيته
منزل الحب والهدى والسكينه

عَدِّي يَكُنْ

لم يَمُتْ مَنْ حَدِيثُهُ يَمْلَأُ الْوَا دي ويطوي سهولَه وحزونَه
تَأْخُذُ الظَّالِمِينَ صِيحْتُهُ الْكَبْ رى، وتستعذبُ السماءُ رنيَه!

في القرية

غَنِّي بِأُودِيَةِ الرَّبِيعِ وَطُوفِي
وَلَّى خَرِيفُ الْعَامِ بَعْدَ رَبِيعِهِ
يَا أُخْتِ طَالَعَةِ الشَّمْسِ تَطْلُعِي
وَالطَّيْرِ هَدَارٌ، فَأَفْقُ أَكْدَرُ
لَهْفَانٍ يَرْتَادُ الْجَدَاوِلَ بَاكِئًا
أَهْدَى الشِّتَاءُ إِلَيْهِ مِنْ نَعْمِ الْأَسَى
هَذَا بَعَبْرَتُهُ يَجُودُ وَهَذِهِ
وَصِفِي الطَّبِيعَةَ يَا فَتَاةَ الرَّيْفِ
وَلَكُمُ رَّبِيعٌ مَرٌّ بَعْدَ خَرِيفِ
لِلوَرْدِ بَيْنَ مَفْتَحٍ وَكَفِيفِ
يَرْمِي الْغَمَامَ بِهِ، وَأَفْقُ يُوْفِي
مَنْ كُلُّ طَيْفٍ لِلرَّبِيعِ لَطِيفِ
صَحَبَ الرِّيحَ وَأَنَّ الشَّادُوفِ
مَا بَيْنَ نَقْسٍ فِي الرَّبَى وَزَفِيفِ

إِنِّي لِأُنْكَرُ حَقْلَنَا، وَلِيَالِيَا
وَمِرَاحِنَا بِقَرَى الشَّمَالِ، وَكُوخَنَا
نَلْقَى الْخُمَائِلَ بِالْخُمَائِلِ حَوْلَنَا
ذَكَرَى الطُّفُولَةَ أَنْتِ وَحْدَكَ لِلصَّبَا
يَا رَبِّ رَسْمٍ مِنْ رَبِوعِكَ دَارِسِ
إِنِّي طَوَيْتُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ ضَارِبًا
صَدَفَ الْفَوَادِ عَنْ الشَّبَابِ وَلَهْوِهِ
يَا رَبِّ لَيْلٍ دَبَّ فِي أَحْشَائِهِ
نَقْتَاثُ أَثَارِ الطَّيُورِ شَوَارِدًا
أَزْهَرَنَ فِي ظِلٍّ لَدَيْهِ وَرَيْفِ
تَحْتَ الْعَرَائِشِ فِي ظِلَالِ اللَّوْفِ
مَتَعَانِقَاتٍ سَابِغَاتِ الْفَوْفِ
حُلْمٌ يَرْفُقُهُ عَنْهُ بِالتَّشْوِيفِ
قَصَرَ الثَّوَاءُ بِهِ وَطَالَ وَقُوفِي
فِي الْأَرْضِ مَنْفَرِدًا بِغَيْرِ أَلِيفِ
وَمَضَى عَنِ الْأَحْبَابِ غَيْرِ صَدُوفِ
مَنَا لَفِيفٌ سَارَ إِثْرَ لَفِيفِ
بَيْنَ النَّخِيلِ عَلَى رَمَالِ السَّيْفِ

شادِ هنا وهناك رَنَّةُ مِزْهَرٍ النجمُ في خفقٍ له ورفيفِ
والبدرُ نَقَبَهُ الغمامُ كأنَّه وجهُ تَأَلَّقَ من وراءِ نصيفِ
والنهرُ سلسالِ الخريزِ كأنَّه قيثارَةُ سحريَّةِ التعزيفِ

* * *

قومي عذارى الريف والتمسي الرُّبى نُضْرًا وَغْنِي بِالْغديرِ وطوفي
وتفِيئِي الدوْحَ الظَّلِيلِ ومرباً للفنِّ تحت أزاهرٍ وقطوفِ
غُصْنٌ يطلُّ الفجرُ من ورقاته وَيُقَبِّلُ الأنداءَ جدَّ شغوفِ
أين الغديرُ عليه يخلع وشيهُ صَنَعُ الأناملِ رائعِ التفويهِ
يا حبذا هو من مراحِ اللَّصْبَا والكوخِ من مشتَى لنا ومصيفِ
صُورٌ نزلنَ على بنانٍ مصورِ صُورنَ من نسقٍ أغرَّ شريفِ
أُغرينَ بي حُلْمَ الطفولة والهوى وأثرنَ بي ذكرى ليالي الريفِ

الْبُحِيرَةُ

لألفونس لامارتين

ليت شعري أهكذا نحنُ نمضي
ونخوضُ الزمانَ في جُنْحِ ليلٍ
وضفافُ الحياةِ ترمقها العَيـ
دون أن نملك الرجوعَ إلى ما
في عُبابٍ إلى شواطئ غُمُضٍ
أبدِيٍّ، يُضني النفوسَ ويُنْضي
نُ فبعضُ يمرُّ في إثرِ بَعْضٍ
فات منها، ولا الرسوُ بأرض؟!

حدثي القلبَ، يا بحيرةُ، ما لي
أوشكُ العامُ أن يمرَّ، وهذا
صخرةُ العهد! ويك هأنذا عد
عدتُ وحدي أرعى الضفافَ بعينٍ
لا أرى «أولفير» فوق ضفافك
موعدٌ للقاءٍ في مصطافك
تُ، فماذا لديك عن أضيافك؟
سفكتُ دمعها الليلي السوافكُ

كنتِ بالأمسِ تهديرين كما أنـ
وضفافُ أمواجها يتداعين
والنسيمُ العليل يدفعُ وهنًا
ملقيًا رغوها على قدميها
ت هديرٌ يهزُّ قلبَ السكونِ
نَ على هذه الصخورِ الجونِ
زَبَدَ الموج للربى والحزونِ
لِيَنَّ المسُّ مستحبَّ الأنينِ

* * *

أُثْرِى تَذَكْرِينَ لَيْلَةً كُنَّا مِنْكَ فَوْقَ الْأَمْوَاجِ، بَيْنَ الضَّفَافِ
وَسَرَى زَوْرُقُ بَنَا يَتَهَادَى تَحْتَ جَنَحِ الدُّجَى وَسِتْرِ الْعَفَافِ؟!
فِي سَكُونٍ، فَلَيْسَ نَسْمَعُ فَوْقَ الْـ مَوْجٍ إِلَّا أَغَانِيَّ الْمَجْدَافِ
تَتَلَقَّى عَلَى الرُّبَى وَالْحَوَافِي بِأُنَاشِيدِ مَوْجِكَ الْعَرَافِ؟؟

* * *

وَعَلَى حِينَ غَرَّةٍ رَنَّ صَوْتُ لَمْ يُعَوِّدْ سَمَاعَهُ إِنْسِي
هَبَطَ الشَّاطِئُ الطَّرُوبَ فَمَا يُسـ مَعُ فِيهِ لِلِهَاتِفَاتِ دَوِي
وَإِذَا اللَّيْلُ سَاهَمٌ سَكَنَ النُّو ءُ إِلَيْهِ وَأَنْصَتَ اللَّجِّي
يَتَلَقَّى عَنْ نَبْأَةِ الصَّوْتِ نَجْوَى كَلِمَاتٍ أَلْقَى بِهِنَّ نَجِي

* * *

يَا زَمَانًا يَمُرُّ كَالطَّيْرِ مَهْلًا طَائِرَ أَنْتَ؟ وَيَكْ، قِفْ طَيْرَانَكْ!
أَهْنَاءَ السَّاعَاتِ تَجْرِي وَتَعْدُو نَا عَطَاشًا، فَقِفْ بَنَا جَرِيَانَكْ!
وَيْكَ دَعْنَا نَمْرُخَ بِأَجْمَلِ أَيَّا م وَنَلْقَى، مِنْ بَعْدِ خَوْفٍ، أَمَانَكْ
وَإِذَا نَحْنُ لَدَّةَ الْعَيْشِ ذَقْنَا هَا وَمَرَّتْ بَنَا قَدْرُ دَوْرَانَكْ!

* * *

بَيْدَ أَنْ الشَّقَاءَ قَدْ غَمَرَ الْأَرْضَ ضَ وَفَاضَ الْوُجُودُ بِالتَّاعْسِينَا
كُلَّهُمْ ضَارِعٌ إِلَيْكَ يَرْجِيـ كَ فَأَسْرَعُ! أَسْرَعُ! إِلَى الضَّارِعِينَا
وَافْتَرَسَ مُشَقِّياتِ أَيَّامِهِمْ وَامْضَ رَحَى تَطْحَنُ الشَّقَاءَ طَحُونَا
رَحْمَةً، فَاذْكُرِ النُّفُوسَ الْحَزَانَى وَانْسَ، يَا دَهْرُ، أَنْفُسَ النَّاعِمِينَا!

* * *

عَبْنًا أَنْشَدُ الْبَقَاءَ لِعَهْدِ يُقْلِتُ الْيَوْمَ مِنْ يَدِي وَيَفِرُّ
وَسُوِيَعَاتٍ غَبِطَةً مَا أَرَاهَا وَوَشِيغًا مَا تَنْقُضِي وَتَمُرُّ
وَأُنَادِي يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ قَرِّي إِنَّ بَعْدَ السَّرَى يَطِيبُ الْمَقَرُّ

أَسْفًا لِلصَّبَا وَغَرَّ لِيَالٍ لَيْسَ يُبْقِي عَلَى صَبَاهَنْ فَجْرُ

فَلْنَحِبِّ الْغَدَاةَ وَلْنَحْيَ حُبًّا وَلْنَسَارِعْ فَنَقْتَفِي إِثْرَ سَاعَاتٍ
فَقَدْ تَوَذَّنُ النُّوَى بِالتَّقْضَى لَيْسَ نُلْقِي الْمَرْسَاةَ فِيهِ بِأَرْضٍ
نَحْنُ نَمْضِي فِي لَجَّهِ، وَهُوَ يَمْضِي! مَا بِهِ مَرْفَأٌ يَبِينُ وَلَكِنْ

أَكْذَا أَنْتَ، أَيُّهَا الزَّمَنُ الْحَاقِفُ حَيْثُ يُزْجِي لَنَا السَّعَادَةَ أَمْوَا
جَا مِنْ الْحَبِّ زَاخِرِ اللَّجَاتِ؟ أَكْذَا أَنْتَ ذَاهِبٌ بِلِيَالِي الْـ
صَفْوِ عَنَّا سَرِيعَةَ الْخَطَوَاتِ؟ أَكْذَا تَنْقُضِي مَلَاوَةً نَعْمَا
هَا كَمَا يَنْقُضِي شَقَاءُ الْحَيَاةِ؟

كَيْفَ؟ حَدَّثْ: أَغَالَهَا مِنْكَ صَرْفٌ وَيَكْ، قُلْ لِي، أَلَيْسَ نَمْلِكُ يَوْمًا
أَنْ نَرَاهَا؟ أَمَا تَبِينُ خَطَاهَا؟ أَتَرَاهَا وَلَّتْ جَمِيعًا، وَلَمَّا
تَبَقَّ حَتَّى آثَارُهَا، أَتَرَاهَا؟ أَوَذَاكَ الدَّهْرُ الَّذِي افْتَنَّ فِي صَو
غِ صَبَاهَا هُوَ الَّذِي قَدْ مَحَاهَا؟

أَيُّ هَذَا الزَّمَانُ، وَالْعَدَمُ الْعَا أَيُّ عَمِيقِ اللَّجَاتِ: مَاذَا بِأَيَّا
تِي، غَرِيقِينَ فِي سَكُونٍ وَصَمْتٍ حَدَّثْنِي أَمَا تَعِيدِينَ مَا مِنْ
مِ صَبَانَا؟ مَاذَا بِهِنَ صَنَعْتَ؟ أَوْمَا تُطْلِقِينَهَا مِنْ دِيَاجِيـ
سَكْرَاتِ الْغَرَامِ مَنَا اخْتَطَفْتَ؟ ك؟ أَمَا تَبْعَثِينَهَا بَعْدَ مَوْتِ؟

أَنْتِ يَا هَذِهِ الْبَحِيرَةُ، مَاذَا يَكْتُمُ الْمَوْجُ فِيكَ وَالشَّطَّانُ
أَيُّهَا الْغَابَةُ الظِّلِيلَةُ رُدِّي أَنْتِ، يَا مَنْ أَبْقَى عَلَيْهَا الزَّمَانُ

وهو يستطيعُ أن يُجَدِّكَ حسنًا!! احفظني لا أصابك النسيان!!
قلَّ حفظًا أن تذكرني ليلة مـ رتَّ وأنتِ الطبيعةُ الحسنانُ

* * *

ليكنُ منك، يا بحيرةُ، ما لـ جَّ بك الصمتُ أو جنون اصطخابك
في مغانيكِ حالياتٍ تراءى ضاحكاتٍ على سفوح هضابك
في مروج الصُّنوبرِ الحوِّ تهفو سابغاتِ الألياف حول شعابك
في نتوءِ الصخور، مشرفة الأعنا ق، بيضًا، تطلُّ فوق عبابك

* * *

وليكن في العُباب يهدرُ أموا جًا على شاطئيك مثلَ الرعودِ
في انتخابِ الرياحِ تعول في الود يانِ إعوَالَ قلبيَ المفقودِ
في صدَى الجدولِ الموقَّع أنا تِ حشاهُ بالجنْدِلِ الجلمودِ
في شذاكِ السريِّ ينشَقُّ منه القلبُ رَيًّا فردوسه المفقود؟!

* * *

وليكن في النسيم ما هبَّ ساريـ هـ بجوبُ الشطآن نحوكِ جوبًا
في جبينِ النجمِ اللجينيِّ يلقي فضَّةَ الضوءِ في مياهِك ذوبًا
وليكن في شتيتٍ ما تسمع الأذُن نْ، وفيما نراهُ عينًا وقلبًا
ليكن هاتِفٌ من الصوتِ يتلو: «قد أحبًّا وأخلصا ما أحبًّا»

ليالي الملاح التائه

١٩٤٠

الإهداء

إلى الذين أطالوا التأمل في أسرار الكون وأرهقهم التيه في مجاهل الحياة ...
إلى العائدين بأنس أحلامهم إلى وحشة مضاجعهم بين اللفهة والحنين ...
إلى المتطلعين عبر الشاطئ المهجور في ارتقاب عودة الملاح التائه ...
إليهم جميعاً أقدم وحي ليلاليه وأهدي بعضاً من أشعاره وطرفاً من حديث
أسفاره.

علي محمود طه

أغنية الجندول في كرنفال فينسيا

تغريدة الموسيقىار الأستاذ محمد عبد الوهاب

أين من عينيّ هاتيك المجالي؟ يا عروس البحر، يا حُلْمَ الخيالِ
أين عشاقك سُمارُ الليالي؟ أين من واديك، يا مهدّ الجمالِ؟
موكبُ الغيد وعيدُ الكرنفالِ وسرى الجندول في عرض القنالِ
بين كأس يتشهى الكرمُ خمره
وحبيب يتمنى الكأس ثغره
التقت عيني به أول مره
فعرفت الحب من أول نظره
أين من عينيّ هاتيك المجالي؟ يا عروس البحر، يا حُلْمَ الخيالِ

* * *

مرّ بي مُستضحكاً في قرب ساقِي يَمزُجُ الراح بأقداح رِقاقِ
قد قصدناه على غير اتفاق فنظرنا، وابتسمنا للتلاقِي
وهو يستهدي على المَفْرِقِ زهره
ويُسوّي بيدِ الفتنة شعره
حين مسّت شفتي أول قطره
خلّته ذوب في كاسي عطره

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

زَهَبِي الشَّعْرَ، شَرْقِي السَّمَاتِ مَرِحُ الْأَعْطَافِ، حَلُو اللَّفْتَاتِ
كُلَّمَا قَلْتُ لَهُ: خُذْ. قَالَ: هَاتِ يَا حَبِيبَ الرُّوحِ، يَا أَنْسَ الْحَيَاةِ
أَنَا مَنْ ضَيَّعَ فِي الْأَوْهَامِ عُمْرَهُ
نَسِيَ التَّارِيخَ أَوْ أَنْسَى ذِكْرَهُ
غَيْرَ يَوْمٍ لَمْ يَعُدْ يَذْكُرُ غَيْرَهُ
يَوْمَ أَنْ قَابَلْتُهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

قَالَ: مَنْ أَيْنَ؟ وَأَصْغَى، وَرَنَا قَلْتُ: مِنْ مِصْرَ، غَرِيبُ هَا هُنَا
قَالَ: إِنْ كُنْتَ غَرِيبًا فَأَنَا لَمْ تَكُنْ فِينِيسِيَا لِي مَوْطِنًا
أَيْنَ مِنِّْي الْآنَ أَحْلَامُ الْبُحَيْرَةِ
وَسَمَاءُ كَسَتْ الشَّطْرَانَ نَضْرَهُ
مَنْزَلِي مِنْهَا عَلَى قِمَّةِ صَخْرَةٍ
ذَاتِ عَيْنٍ مِنْ مَعِينِ الْمَاءِ ثَرَّةٍ
أَيْنَ مِنْ فَارِسُوفِيَا تِلْكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

قَلْتُ، وَالنَّشْوَةُ تَسْرِي فِي لِسَانِي: هَاجَتِ الذِّكْرَى، فَأَيْنَ الْهَرَمَانِ؟
أَيْنَ وَادِي السَّحْرِ صَدَّاحُ الْمَغَانِي؟ أَيْنَ مَاءُ النِّيلِ؟ أَيْنَ الضَّفَّتَانِ؟
أَهْ لَوْ كُنْتَ مَعِي نَخْتَالُ عِبْرَةَ
بِشْرَاعٍ تَسْبَحُ الْأَنْجُمُ إِثْرَهُ
حَيْثُ يَرُوي المَوْجُ فِي أَرْخَمِ نَبْرَهُ
حُلْمُ لَيْلٍ مِنْ لِيَالِي كَلْبِوْبِتْرَهُ
أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

* * *

أَيُّهَا الْمَلَّاحُ، قِفْ بَيْنَ الْجُسُورِ فِتْنَةُ الدُّنْيَا، وَأَحْلَامِ الدَّهْوَ
صَفَّقِ الْمَوْجُ لَوْلَدَانِ وَحُورِ يُغْرِقُونَ اللَّيْلَ فِي يَنْبُوعِ نَوْرِ
مَا تَرَى الْأَغْيَدَ وَضَاءَ الْأَيْسَرَةِ؟
دَقَّ بِالسَّاقِ وَقَدْ أَسْلَمَ صَدْرَهُ
لِمُحِبٍّ لَفَّ بِالسَّاعِدِ خَصْرَهُ؟
لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ لَا يُطْلِعُ فَجْرَهُ!
أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

* * *

رَقَصَ الْجُنْدُولُ كَالنَّجْمِ الْوَضِيِّ فَاشْدُ، يَا مَلَّاحُ، بِالصَّوْتِ الشَّجِيِّ
وَتَرَنَّمْ بِالنَّشِيدِ الْوِثْنِيِّ هَذِهِ اللَّيْلَةُ حُلْمُ الْعَبْقَرِيِّ
شَاعَتِ الْفَرَحَةُ فِيهَا وَالْمَسَرَّةُ
وَجَلَا الْحُبُّ عَلَى الْعُشَّاقِ سَرَّةُ
يَمْنَةً مِلْ بِبِي، عَلَى الْمَاءِ، وَيَسْرَةُ
إِنَّ لِلْجُنْدُولِ تَحْتَ اللَّيْلِ سَحْرَةَ

* * *

أَيْنَ، يَا فِينِيسِيَا، تِلْكَ الْمَجَالِي؟ أَيْنَ عُشَّاقُكَ سُمَّارِ اللَّيَالِي؟
أَيْنَ مِنْ عَيْنِي أَطْيَافُ الْجَمَالِ؟ مَوْكِبُ الْغَيْدِ وَعِيدُ الْكَرْنِفَالِ؟
يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ!!

القَمَرُ العَاشِقُ

إلى ذات الغلالة الرقيقة النائمة تحت نافذتها المفتوحة في ليالي الصيف المقمرة.

إذا ما طافَ بالشُّرفةِ	ضوءُ القمرِ المَضْنَى
ورفَّ عليكِ مثلَ الحُلـ	مِ أو إشراقةَ المعْنَى
وأنتِ، على فراشِ الطُّهـ	رِ، كالزَّنْبَقَةِ الوَسْنَى
فضمِّي جسمَكَ العاري	وصوني ذلك الحُسْنَى

* * *

أغارُ عليكِ من سَابِ	كأنَّ لضوئه لَحْنَا
تدقُّ له قلوبُ الحو	رِ أشواقًا إذا غَنَّى
رقيقُ اللمسِ، عريـ	بكلِّ مـليحةٍ يُعْنَى
جريءٌ، إنْ دعاه الشـو	قُ، أنْ يفتَحَ الحصْنَ!

* * *

تحدَّرَ من وراءِ الغيـ	مِ، حينَ رآكَ، واستأنَى
ومسَّ الأرضَ في رفقٍ	يشقُّ رياضها الغنَا
عجبتُ له، وما أعجـ	بُ كيفَ استلَمَ الرُّكْنَ؟
وكيفَ تسوَّرَ الشُّوكُ؟	وكيفَ تسلَّقَ الغُصْنَ؟

* * *

على خديك خمرٌ صبا	بّةٍ أفرغها دَنَّا
رحيقٌ من جنَى الفتنة	ةٍ لا ينضبُ أو يفنى
وفي نهديك طلّسما	نِ في حلّهما افتنّا
إلى كنزهما المعبو	دِ باتِ يعالجُ الرُدنّا

* * *

أغارُ، أغارُ إنْ قَبـ	لَ هذا الثغرَ أو ثنّى
ولفّ النّهدَ في لين	وَضَمَّ الجسدَ اللّدنّا
فإنّ لضوئه قلبًا	وإنّ لسحره جَفنّا
يصيدُ الموجةَ العذرا	ءَ من أغوارها وَهَنّا!

* * *

وكم من ليلةٍ لمّا	دعاهُ الشوقُ واستدنى
جثا الجبارُ بين يديـ	كِ طفلًا يشتكي العَبْنّا
أرادَ، فلم يَنلْ ثغرا	ورامَ، فلم يصب حُضنّا
حوَتِكَ ذراعهُ رسمّا	وأنتِ حويتهِ فنّا!

* * *

عصيتُ هواهُ فاستضرى	كَأَنَّ بصدريهِ جَنّا
مضى بالنظرةِ الرّعنا	ءِ يطوي السّهْلَ والحَزنّا
يثيرُ الليلَ أحقادًا	وصدرَ سحابِهِ ضِغْنّا
وعادَ الطفلُ جَبّارًا	يهزُّ صراعهُ الكوْنّا!

* * *

فَرُدّي الشرفَةَ الحمرا	ءَ دونَ المخدَعِ الأسنَى
وصوني الحسنَ من ثور	ةِ هذا العاشقِ المُضنى
مخافةً أنْ يظنّ النّا	سُ في مخدعك الظنّا
فكم أفلقتِ من ليلٍ!	وكم من قَمَرٍ جُنّا!

كَأْسُ الْخِيَامِ

هَاتِفُ الْفَجْرِ الَّذِي رَاعَ النُّجُومَ
وَأَطَارَ اللَّيْلَ عَنْ آفَاقِهَا
لَمْ يَزَلْ يُغْرِي بِنَا بِنْتَ الْكُرُومِ
وَيُثِيرُ الْوَجْدَ فِي عَشَاقِهَا

صَيِّدُحُ جُنَّ غَرَامًا بِالسَّحَرِ
أَنْطَقْتَهُ لَهْفَةً الرُّوحِ الْمَشُوقِ
مَوْثِقُ الْقَلْبِ، وَمِيعَادُ النَّظَرِ
مَهْرَجَانُ النُّورِ فِي عُرْسِ الشُّرُوقِ

فَرَحُ الْجَنَّةِ فِي أَلْحَانِهِ
وَصَدَاهُ فِي السَّحَابِ الْعَابِرِ
أَرْسَلَ السَّحَرَ عَلَى أَلْوَانِهِ
مَنْ فَمٍ شَادٍ، وَقَلْبٍ شَاعِرِ

يَا لَهُ صَوْتًا مِنَ الْمَاضِي الْبَعِيدِ

رائع الإيقاع فتَّان النِّعَمِ
جَدَّدَ الأشواقَ باللحن الجديدِ
وهو كالدنيا عَرِيقٌ في القَدَمِ

كم عيونٍ نَفَضَتْ أحلامَها
حين نادى، غيرَ حُلُمٍ واحدٍ
سلسلتُ فيه المُنَى أنغامَها
وهي تشدو بالرحيقِ الخالدِ

كلَّما لَأَلَّ في الشرقِ السَّنا
دَقَّتِ البابُ الأَكْفُ الناحِلَه
أَيُّها الحَمَّارُ! قم وافتحْ لَنَا
واسقِنَا، قبل رحيلِ القافِلَه

خَمَرَةُ العشاقِ لا زالتْ، وَلَا
جَفَّ من ينبوعِها نهرُ الحياهِ
نَضِبْتُ، في قَدَحِ العمرِ، الطَّلَا
وهي في الأرواحِ تستهوي الشُّفَاة!

كم شموِسٍ عَبَرَتْ هذا الفضاءَ
وَأَلُوفٍ من بدورٍ ونجومٍ
والثرى بين ربيعٍ وشتاءٍ
ضاحك النُّوَّارِ وهَجَّ الكرومِ

كَأْسُ الْحَيَّامِ

كُلُّ عُنُقٍ دَمُوعٌ جَمَدَتْ
وَقُلُوبٌ فَزَعَتْ فِيهَا شَعَاعًا
مَا احْتَوَاهَا الْفَجْرُ إِلَّا اتَّقَدَّتْ
جَمْرَةً تَذْكُو حَنِينًا وَالتِّيَاعَا

لَوْ أَصَابَتْ رِيشتَيْهَا وَثَبَتْ
بِجَنَاحَيْنِ مِنَ الشُّوقِ الْقَدِيمِ
فَاعْذِرِ الْكَأْسَ إِذَا مَا اضْطَرَبَتْ
حَبَبًا يَخْفِقُ فِي كَفِّ النَّدِيمِ

أَيُّهَا الْخَالِدُ فِي الدُّنْيَا غَرَامًا
أَيْنَ نَيْسَابُورُ، وَالرُّوضُ الْأَنْيَقُ؟
أَيْنَ مَعْشُوقُكَ إِبْرِيْقًا وَجَامًا؟
هَلْ حَطَمْتَ الْكَأْسَ؟ أَمْ جَفَّ الرَّحِيقُ؟

هَذِهِ الْكَرْمَةُ وَالْوَادِي الظَّلِيلُ
مِثْلَمَا كَانَا، وَهَذَا الْبَلْبَلُ
حَاضِرٌ أَشْبَهُ بِالْمَاضِي الْجَمِيلِ
لَوْ يُغْنِيهِ الْمَغْنَى الْأَوَّلُ

الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي كُلِّ الْغُصُونِ
زَهْرَةٌ تَنْدَى، وَنَوْرٌ يُشْرِقُ
وَالثَّرَى مِنْ نَفْسِ الرُّوحِ الْحَنُونِ
مَهْجَةٌ تَهْفُو، وَقَلْبٌ يَخْفِقُ

* * *

كَمْ تَشْهَيْتَ الْحَبِيبَ الْمُحْسِنَا
لَوْ سَقَى مَثْوَاكَ بِالْكَأْسِ الصَّبِيبُ
وَتَمَنَّيْتَ، وَمَا أَحْلَى الْمُنَى
خَطَوَاتٍ مِنْهُ، وَالْمَثْوَى قَرِيبُ

* * *

أُتْرَى أَعْطَيْتَهُ سِرَّ الْخُلُودِ؟
أَمْ حَبَوْتَ الْحَسْنَ سُلْطَانًا يَدُومُ
عَجَبًا، تَخْطِئُ أَسْرَارَ الْوُجُودِ
أَيُّهَا الْحَاسِبُ أَعْمَارَ النُّجُومِ!

* * *

شَفَةُ الْكَأْسِ الَّتِي أَنْطَقَتْهَا
لَمْ تَدْعُ مِنْ مَنْطِقِ الدُّنْيَا جَوَابًا
حُجُبٌ عَنْ نَاطِرِي مَزَقَّتْهَا
فَرَأَيْتُ الْعَيْشَ بَرْقًا وَسَرَابًا

* * *

وَلَمَسْتُ الْخَافِقَ الْحَيَّ الْمُنَى
طِينَةً تَبْكِي بِكَفِّ الْجَابِلِ
تَشْتَهِي الرَّشْفَةَ مِمَّا عَلَّنَا
وَهِيَ مَلَأَى تَحْتَ ثَغْرِ النَّاهِلِ

* * *

نَسِيَ الْأَنْخَابَ مِنْ تَهْوَى وَأَمْسَى
مِثْلَمَا أَمْسَيْتَ يَسْتَسْقِي الْغَمَامَا
وَاشْتَكَّتْ رَقَّتُهُ فِي الْأَرْضِ يُبْسَا

كَأْسُ الْحَيَّامِ

وغدا الإبريقُ والكأسُ حطامًا

لا، فما زالا، ولا زال الحبيبُ
أيها المفعمُ بالحبِّ الوجودًا
إِنَّ مَنْ غَنَيْتَ بِالْأَمْسِ الْقَرِيبُ
مَنْحَتُهُ رَبَّةُ الشَّعْرِ الْخُلُودًا

مَرَّ بِي طَيْفُكَمَا ذَاتَ مَسَاءٍ
وَأَنَا مَا بَيْنَ أَحْلَامِي وَكَأْسِي
اسْتَبَدَّتْ بِي أَطْيَافُ الْخَفَاءِ
وَتَغَرَّبْتُ عَنِ الدُّنْيَا بِنَفْسِي

صَحْتُ بِاللَّيْلِ إِلَى أَنْ أَشْفَقَا
فَلْيَقِفْ نَجْمُكَ ... وَلَيْنَا السَّحَرُ
جَدَّدَ الْعِشَاقُ فِيكَ الْمَلْتَقَى
وَحَلَا الْهَمْسُ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ

فَادْخُلَا بَيْنَ ضِيَاءٍ وَغَمَامٍ
حَانَةَ الْأَقْدَارِ وَاللَّيْلِ الْقَدِيمِ
مَجْلَسًا يَهْفُو بِهِ رُوحُ الْغَرَامِ
كُلُّ نَجْمٍ فِيهِ سَاقٍ وَنَدِيمٌ

وانهلا من سَلْسَلِ النُّورِ المَذَابُ؟
خَمْرَةٌ لَيْسَ لَهَا مِنْ عَاصِرٍ

قَنَعَ الصُوفِيُّ مِنْهَا بِالْحَبَابِ
وَهِيَ تَنْهَلُ بِكَأْسِ الشَّاعِرِ

فَارَوْا يَا شَاعِرُ عَنْ إِشْرَاقِهَا
إِنَّمَا كَأْسُكَ نُورٌ وَصَفَاءُ
كَيْفَ طَالَعْتَ عَلَى آفَاقِهَا
رُوعَةَ الْغَيْبِ وَأَسْرَارَ السَّمَاءِ؟

كَيْفَ أَبْصَرْتَ الْجَمَالَ الْمَشْرِقَا
بَصَرَ الْفَانِينَ فِي حُبِّ الْإِلَهِ
وَفَتَحْتَ الْأَبَدَ الْمُسْتَغْلِقَا
عَنْ ضَمِيرِ الْكَوْنِ أَوْ قَلْبِ الْحَيَاةِ؟

أَبْرُوحَانِيَّةَ الشَّرْقِ الْعَرِيقُ
أَمْ بَبُوهِيْمِيَّةِ الْفَنِّ الطَّلِيْقُ
سَبَحْتَ رُوحُكَ فِي الْكَوْنِ السَّحِيقُ
حَيْثُ لَا يَسْمَعُ طَافٍ لَغَرِيقُ؟

حَيْثُ أَبْصَرْتَ الَّذِي لَمْ تُبْصِرِ
أَعْيُنٌ مَرَّتْ بِهَذَا الْعَالَمِ
ذَاكَ سَرُّ الشَّاعِرِ الْمُسْتَهْتَرِ
وَفُتُّونَ الْفِيلَسُوفِ الْعَالِمِ

ذَاكَ سَرُّ النَّغْمِ الْمُسْتَرْسَلِ

كَأْسُ الْخَيَْامِ

والصفاءِ السلسلِ المطَّردِ
رُوحُ شَادٍ فَنِيَتْ فِي الْأَزَلِ
وتحدَّتْ شهوةُ المنتقدِ

صَرَخَتْ أَلَامُهُ فِي كُوبِهِ
فهوى يثأرُ من ألامِهِ
إنما البعثُ الذي تشدُّو بِهِ
يقظةُ المفجوعِ في أحلامِهِ!

إنَّما البعثُ المُرجى للورى
غايةُ الحيِّ التي لا تُحْمَدُ
إنما تَبَعْتُ فِي هَذَا الثَّرَى
بعضَ ما يُقْطَفُ أو ما يُحْصَدُ

حَسْبُهَا تعزيةٌ أَنَا سَنَحِيَا
في غَدٍ، مثلَ حياةِ الزَّهْرِ
وَسَنَطْوِي الأَبَدَ المجهولَ طَيًّا
جُدَدَ الأطْيَافِ شَتَّى الصُّوَرِ

حسبُهَا تعزية أن نَحْلُمَا
بأناشيدِ الصَّبَاحِ المنتظرِ
ونشقُّ الأرضَ عن وجهِ السَّما
حيث نورُ الشمسِ أو ضوءُ القمرِ

رَبِّمَا جَدَّدَ أَوْ هَاجَ لَنَا
نَبَأً أَوْ قِصَّةً مِنْ حُبِّنَا
نَوْحُ وَرَقَاءَ أَرْنَتْ حَوْلَنَا
أَوْ شَجَى قُبْرَةٍ مَرَّتْ بَنَا

أَوْ خُطَى إِلْفَيْنِ فِي فَجْرِ الصَّبَا
أَتَرَعَا كَأَسِيهِمَا مِنْ ذَوْبِهِ
أَوْ صَدَى رَاعٍ عَلَى تِلْكَ الرُّبَى
صَبَّ فِي النَّايِ أَغَانِي حُبِّهِ

حُلُمٌ مَثَّلَتْهُ فِي خَاطِرِي
فَعَشَقْتُ الْخُلْدَ فِي هَذَا الرُّوَاءِ
أَنْكَرُوهُ فَحَكُّوا عَنْ شَاعِرِ
جُنَّ بِالْخَمْرِ وَأَغَوَّتُهُ النِّسَاءُ

وَلَقَدْ قَالُوا: شَذُوذُ مُغْرِبُ
وإِبَاحِيَّةٌ لَاهٍ لَا يُفِيْقُ
أَهْ لَوْ يَذْرَوْنَ مَا يَضْطَرُّ
بَيْنَ جَنْبَيْكَ مِنَ الْحَزَنِ الْعَمِيقِ

أَوَّلَا يَغْدُو الْخَلِيْعَ الْمَاجِنَا
مَنْ رَأَى عُقْبَى الصَّبَاحِ الْبَاسِمِ؟
وَرَأَى الْحَيَّ جَمَادًا سَاكِنَا
بَعْدَ ذِيَاكَ الْحَرَكَ الدَّائِمِ؟

أَوَّلَا يُغْرِبُ فِي نَشْوَتِهِ
شَارِبُ الْغُصَّةِ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ؟
أَوَّلَا يُمَعِنُ فِي شَهْوَتِهِ
مُسْلِمُ الْجِسْمِ إِلَى الدُّودِ الْحَقِيرِ؟

قِصَّةُ الزُّهْدِ الَّتِي غَنَّوْا لَهَا
عَلَّلْتَهُمْ بِالسَّرَابِ الْخَادِعِ
نَشْوَةُ الشَّاعِرِ، مَا أَجْمَلَهَا!
هِيَ مِفْتَاحُ الْخُلُودِ الضَّائِعِ!!

لَوْ أَصَابُوا حِكْمَةً مَا اتَّهَمُوا
وَبَكَى لَاحِيكَ وَالْمُسْتَهْجِنُ
فَهُوَ مِنْ دُنْيَاهُمْ لَوْ عَلِمُوا
عَبَثُ مُرٍّ، وَلَهُوَ مُحْزِنٌ!!

مَصْرَعُ الرُّبَّانِ

يا قاهرَ الموتِ كمّ للنفسِ أسرارُ؟
وأشفقَ البحرُ منها، وهو طاغيةٌ
حواكُ أهدوثةٍ مُثْلَى، وتضحيةٌ
رماكٍ في جنّباتِ اليمِّ مُحْتَرِبُ
ترصدتكِ مراميه ولو وَقَعَتْ
يَدْبُ في مسيحِ الحيتانِ منسرباً
كدودةِ الأرضِ نورَ الشمسِ يقتلها
هوى بكِ الفُلكُ إلّا هامةٌ رُفِعَتْ
واستقبلَ البحرُ صدرًا حين لامسه
وغابَ كلُّ مَشِيدٍ، غَيْرَ قُبْعَةٍ
أَلْقَيْتَهَا، فتلقَى الموجُ مَعْقَدَهَا
ولو يُرَدُّ زمانُ المعجزاتِ بها
كأنّها خطبةٌ راعَتْ مقاطعُها
تقول: لا كانَ لي ربُّ ولا هتفتُ

ذَلَّ الحديدُ لها، واستخذتِ النَّارُ
عاتٍ على ضرباتِ الصَّخْرِ، جَبَّارُ
لم تَحَوِّها سَيْرٌ، أو تروِ أخبارُ
خافي المقاتلِ، عند الرُّوعِ فرَّارُ
عليه عيناكِ لم تُنْقِذهُ أقدارُ
والغورُ داج، وصدرُ البحرِ موَّارُ
وكم بها قُتِلَتْ في الروضِ أزهارُ
لها من المجدِ إعظامٌ وإكبارُ
كادتُ عليه جبالُ الموجِ تنهارُ
نكرى من الشَّرفِ العاليِ وتذكُرُ
كما تَلَقَّى جبينَ الفاتحِ الغارُ
لانشقَّ بحرٌ لها، وارتدَّ تيّارُ
لها العوالمُ سُمَاعُ ونُظَّارُ
بذكره الحربُ، إن لم يُؤخِذِ الثَّارُ

يا ابنَ البحارِ وليدًا في مسابحها
ما عالمُ الماءِ؟ يا ربَّانُ، صِفْهُ لَنَا
ويافعًا يُؤثِّرُ الجُلَى ويختارُ
فما تحيِّطُ به في الوهمِ أفكارُ!

وراحة؟ أم فجاءت وأخطار؟
على أهازيج غناهن إعصار
وأسدلت من خدور الشهب أستار
كما رنا نازح لاحت له الدار
من ذروة الليل أنواء وأمطار
كم في لياليه للعشاق أسمار
فالصيف خمر، والحن، وأشعار
وضوأت من كوى الظلماء أنوار
عرائس من بنات الجن أبكار
تجلى بهن عشيّات وأسحار
البحر كهف لها، والدهر خمار
كأن أجراسها في الأذن قيثار
ورنحتها من الأشواق أسفار
والنوء مصطرع والموج هذار
عيناك تقرأ، والأمواج أسطار
رفقت عليه من المرجان أشجار
جنباً لجنب، فلا ذل ولا عار!!

وما حياة الفتى فيه؟ أتسليه
إذا السفينة في أمواجه رقصت
وأشجت السحب موسيقاه، فاعتنقت
وأنت ترنو وراء الأفق مبتسماً
غرقان في حلم عذب تسلسله
يا عاشق البحر، حدث عن مفاته
ما ليلة الصيف فيه؟ ما روايتها؟
إذا النسائم من آفاقه انحدرت
وأقبلت عاريات من غلائلها
شغل الربابة السارين من قدم
يترعن كأسك من خمر معتقة
وأنت عنهن مشغول بجارية
صوت الحبيبة قد فاضت خوالجها
وا لهف قلبك لما اندك شامخها
بوغت بالقدّر المكتوب فانسرحت
نزلتما البحر قبراً، حين ضمكما
نام الحبيبان في مثواه واتسدا

مستقلون وراء البحر أحرار
تجددت لك في الأجيال أعمار
خلق الرجال إذا هاجته أخطار
وما أجنته خلجان وأغوار
للخالدين أماتيل وآثار
وسرت فيه على آثار من ساروا
رخامه الدهر، والتاريخ حفار

مصارع للفدائيين يعشقها
منية كحياة، كلما ذكرت
هي الفخار لشعب من خلائقه
له البحار بما احتازت شواطئها
رواق مجد على جدرانه رفعت
دخلت من بابيه، واجتزت ساحته
يتيه باسمك في أقداسه نصب

نَشِيدُ إِفْرِيقِيَّ

عَوْدَةُ الْمُحَارِبِ

«إلى الذين قدسوا الحياة بحب الموت!»

واتبعني، يا جبال، في الأرضِ ظِلِّي
بأناشيدِ مائكِ المُنْهَلِ
زَهْرَاتٍ من عُشْبِكَ المَخْضَلِ
قَدَمًا لم تَطَأْكَ يَوْمًا بَذَلِ
ثِ وَأَنْيَابِ كُلِّ أَفْعَى وَصَلِ
دي وَضَجِّي بكلِّ حَزْنٍ وَسَهْلِ
ل وكوني إلى الأَحَبَّةِ رُسُلِي
ضَوَّاتٌ لي على مَضَارِبِ أَهْلِي
بأغاني شَبَابِهَا المَسْتَهْلِ
ونداءُ القُرُونِ بعدي وَقَبْلِي
بيدٍ تَخْفِضُ الحِظُوظَ وَتُعْلِي
نَارُهَا تُنْضِجُ الصَّخُورَ وَتُبْلِي
قَدْرَ، تَكْتَبُ الحَتُوفَ وَأُمْلِي
دِ على عِفَّةِ صَوَاحِبِ بَذَلِ

أَرْقُصِي، يا نجوم، في الليلِ حولي
واصْدَحِي، يا جنادلَ النهر، تَحْتِي
وارفعني، يا رَبِّا، إِلَيَّ وَأَذْنِي
ضَمِّخِي من عبيرها وَنَدَاهَا
هَزَأْتُ بالجراحِ من مِخْلَبِ اللَّيْلِ
واحملي يا رياحُ، صوتي إلى الوا
وانسِمي، بالغرام، يا نَسْمَةَ اللَّيْلِ
إِنَّ فِي حَوْمَةِ القَبِيلَةِ نَارًا
رَقِصْتُ حولها الصَّبَايا وَغَنَّتْ
صوتُ إفريقيّا ووحى صباها
باسمِهَا الخالدِ امْتَشَقْتُ حُسَامِي
وشربتُ الحَمِيمَ من كُلِّ شَمْسٍ
وقهرتُ الحَيَاةَ حَتَّى كَأَنِّي
يا عَذَارَى القَبِيلِ أَنْتَنَ لِلْمَجْدِ

حَسْبُ رُوحِي الظَّامِي وَحَسْبُ جِرَاحِي	رَشْفَةٌ مِنْ عَيُونِ كُنَّ النُّجُلِ
وَابْتِسَامَاتِكُنَّ فَوْقَ شِفَاهِي	بِمَعَانِي الْحَيَاةِ كَمْ أَوْمَاتُ لِي
حِينَ أَلْقَى زَوْجِي عَلَى بَابِ كُوخِي	وَأُنَاغِي عَلَى ذِرَاعِي طِفْلِي
وَأَنَامُ اللَّيْلَ الْقَصِيرَ لِأَجْلُو	صَارَمِي فِي سَنَا الصَّبَاحِ الْمُطَلِّ

حُلْمُ لَيْلَةٍ

إِذَا ارْتَقَى الْبَدْرُ صَفْحَةَ النُّهْرِ
وَضَمَّنَا فِيهِ زَوْرُقُ يَجْرِي
وَدَاعِبَتْ نَسْمَةُ مِنَ الْعِطْرِ
عَلَى مُحْيَاكِ خَصْلَةِ الشَّعْرِ
حَسَوْتُهَا قَبْلَةً مِنَ الْجَمْرِ
جُنَّ جُنُونِي لَهَا وَمَا أَذْرِي
أَيَّ مَعَانِي الْفَتُونِ وَالسَّحْرِ
تَغْرُكُ أَوْحَى بِهَا إِلَى تَغْرِي!
حُلْمُ مَسَاءٍ أَتَاحَهُ دَهْرِي
غَرَّدَ فِيهِ الْحَبِيسُ فِي صَدْرِي

* * *

فَنَوَّلِينِي فَلَيْسَ فِي الْعَمْرِ
سَوَى لِيَالِ الْغَرَامِ وَالشَّعْرِ
إِنِّي رَأَيْتُ النَّذِيرَ فِي الْإِثْرِ
تَطْلُقُ كَفَّاهُ طَائِرَ الْفَجْرِ
فَقَرَّبِي الْكَأْسَ، وَاسْكُبِي خَمْرِي!

إِلَى رَاقِصَةٍ

بعينيك ما يُلْهِمُ الخاطرا
فيا فتنَةً من وراء البحار
دَعْتَنِي، فَجَمَعْتُ قلبي لها
وأقبلتُ في موكبِ الذكرياتِ
وساءلني القلبُ، ماذا ترى؟
أرى جنَّةً، وأراني بها
ملأتُ بتفّاحِها راحتي
وذقتُ الحنانَ بها والرّضا
فيا ليلةً لم تَكُنْ في الخيالِ
أفاءتُ على النيلِ سحرَ الحياةِ
نسيتُ لياليَّ من قبلها
سلي من أثارتُ بقلبي الفتونَ
بربك! من ألفِ الأصغرئينِ
إذا أطلقَ الضوءُ أطيافه
وطوّقَ نَحْرَكَ لَحْظُ العيونِ
ووقعتُ من خفقاتِ القلوبِ
وحَدَّثْتُ كُلَّ فِتْنَى نفسَه:
تمثّلْتِه طيفَ إنسانَةٍ
ويتركُ كلَّ فِتْنَى شاعِرا
لَقِيتُ بها القَدْرُضَ السَّاحِرا
وناديتُ ماضِيَّ والحاضرَا
أُحْيِي الخميْلَةَ والطائرَا
فقلتُ: أَرَى حُلْمًا عابِرا
أهيمُ بأرجائها حائِرا
وبتُ لكَرْمَتِهَا عاصِرا
يَدًا بَرَّةً وفَمًا طاهرَا
أَجَدْتُ لِي المَرَحَ الغابِرا
وأحييتُ لشعري به سامِرا
وكنْتُ لها الوَافِي الذّاكِرا
وخلّطْتُ محتدِمًا ثائِرا
وعلّقَ بالناظِرِ الناظِرا
ولفَ بها خصرَكَ الضّامِرا
وعادَ بِكَرَّتِهِ حاسِرا
على قدميّكَ الصّدَى السّاجِرا
أرى الفنَّ أَمْ رَوْحَهُ القاهرَا؟
ومثّلَ فيكَ الصّبَا الناضِرا!!

فِي الشَّتَاءِ

ذَكَّرْنِي فَقَدْ نَسِيتُ، وَيَا
وَارْفَعِي وَجْهَكَ الْجَمِيلَ أَرَى
وَأَسْنَدِي رَأْسِكَ الصَّغِيرَ إِلَى
ذَلِكَ الطِّفْلُ، هُدْهِدِيهِ فَمَا
وَأَمْنَحِي عَيْنِي النُّعَاسَ عَلَى
ظَمْمِي قَاتِلِي، فَمَا حَذَّرِي
تُرْثِيرِي، وَأَصْنَعِي الدَّمُوعَ وَلَا
بِي نَزْوَعُ إِلَى الْخِيَالِ وَبِي
وَأَعْجِبِي مِنْكَ، إِنَّ نَسِيتُ، وَمَا
لَمْ أَزَلْ أَرْقُبُ السَّمَاءَ إِلَى
مَوْعِدُنَا كَانَ فِي أَصَائِلِهِ
نَرْقُبُ النِّيلَ تَحْتَ زَوَرَقِنَا
وِظِلَالِ النِّخِيلِ فِي شَفَقِ
كَأْسُنَا مَتَرَعُ وَلَيْلَتُنَا

رُبَّ ذَكَرَى تَعِيدُ لِي طَرَبِي
كَيْفَ هَذَا الْحَيَاءُ لَمْ يَذُبِ
ثَائِرٍ فِي الضُّلُوعِ مُضْطَرِبِ
ثَابٍ مِنْ ثَوْرَةٍ وَمِنْ صَخَبِ
خَصَلَاتٍ مِنْ شَعْرِكَ الذَّهَبِيِّ
مُورِدِي مِنْكَ مَوْرِدَ الْعَطَبِ
تَحْفَلِي إِنَّ هَمَمَتِ بِالْكَذِبِ
لِلتَّمَنِّي حَنِينُ مُغْتَرِبِ
أَسْفِي نَافِعُ وَلَا عَجَبِي
أَنْ أَطَلَّ الشَّتَاءُ بِالسُّحُبِ
ضِفَّةً سُنْدُوسِيَّةَ الْعُشْبِ
وَحَفُوقَ الشَّرَاعِ عَنْ كُتُبِ
سَالَ فَوْقَ الرَّمَالِ كَاللَّهَبِ
غَادَةٌ مِنْ مَضَارِبِ الْعَرَبِ

ويك! لا تنظري إلى قَدَحِي
شفتاكِ النَّدِيَّتَانِ بِهِ
نظراتِ الغريبِ، واقتربي!
فيهما رُوحُ ذَلِكَ الْحَبِّبِ

ديوان علي محمود طه

شَهِدَ الْمُنْتَشِي بِخَمْرِهِمَا أَنَّ هَذَا الرِّحِيقَ مِنْ عِنَبِي!!

هي

«إلى التي علّمتني كيف أحب وكيف أكره.»

هي الكأس مشرقة في يديك،
نظرت إليها وباعدتها
أما ذقتها قبل هذا المساء
حلا طعمها يوم كنت الخلي،
سقيت بها من يدٍ لم تكن
سوى الريح تنفخ في جمرها
فماذا أراك في خمرها؟
كأنّ المنية في قطرها
وعربت نشوان من سُكرها؟
وكل الصبابة في مرّها
سوى الريح تنفخ في جمرها

تلفت! فهذا خيالُ التي
وغرقتها لم تزل مثلما
وقفت بها ساهماً مطرقاً
مكانك فيها كما كان أمس،
وأثار دمعك فوق الوساد،
فهل ذقت حقاً صفاء الحياة،
إذا فُتح الباب تحت الظلام
وكيف طوى خصرها سعادك
وما هذه؟ رغبة في يدك؟
وما في جبينك، يا ابن الخيال؟
مرحت وغرّدت في وكرها
تنسّمت حبك من عطرها
يحدثك الليل عن سرّها
وذلك مثواك في خدرها
وفوق المهدل من سترها
وذوب السعادة في ثغرها؟
فكيف ارتماؤك في صدرها؟
ومرت يدك على شعرها؟
أم الكأس ترجف من ذكرها؟
سمات تحدث عن غدرها!!

* * *

لقد دنَّسَ الجَسَدُ الأَدْمِيَّ	حياةً حَرَصْتَ على طُهرِها
بكى الفنُّ فيكَ على شاعرٍ	تسائلُهُ الروحُ عن ثأرِها
نزلتَ بها وَهْدَةً كم خبا	شُعاعٌ وَغُيِّبَ في قَبْرِها
رفعتَ تماثيلَكَ الرائعاتِ	وحَطَّمْتَهنَّ على صَخْرِها

* * *

فَدَعُ زهرةَ الأرضِ يا ابنَ السماءِ،	فأنتَ المَبْرَأُ من شرِّها
مراحُك في السُّحْبِ العالِيَّاتِ	وفوقَ المَنوِّرِ من زُهرِها
فَمَدَّ جَنَاحَيْكَ فوقَ الحياةِ،	وأطْلَقَ نَشِيدَكَ في فَجرِها

بُحَيْرَةُ كُومُو

هَيَّئِي الكَاسَ وَالوَتَرَ
وَاصدحي، يا خواطري
وَدَنَتْ جَنَّةُ المُنَى
قَد بُعِثْنَا بِهَا عَلَي
فِي مَسَاءٍ كَأَنَّهُ
الْبَحِيرَاتُ وَالْجِبَا
وَتَنَقَّبْنَ بِالْغَمَا
«وَالْبَرُونَاتُ» غَادَةً
نُثِرَتْ فَوْقَهَا الدِيَا
وَعَبَرْنَا رَحَابَهَا
هَاكُنَّ قُبْلَةً، فَمَنْ
فَسَمُونَا لَخَذِرَهَا
فِي زَجَاجٍ مُخَلِّقٍ
يَتَخَطَّى بِنَا الْفَضَا
سَلَّمَ يُشَبِّهُ الصَّرَا
فِإِلَى النِّجْمِ مُرْتَقَى
وَحَلَلْنَا بِقِمَّةِ
بَهْجٍ فِي كُنُوزِهَا

تلك «كومو» مَدَى النَّظَرِ
طُوِيَتْ شُقَّةُ السَّفَرِ
وَحَلَّا عِنْدَهَا الْمَقَرِ
مَوْعِدٍ غَيْرِ مُنْتَظَرِ
حُلْمُ الشَّيْخِ بِالصَّغَرِ
لُ تَوَشَّحْنَ بِالشَّجَرِ
مِ وَأَسْفَرْنَ بِالقَمَرِ
لَبَسَتْ حُلَّةَ السَّهَرِ
رُ كَمَا يُنْثَرُ الزَّهَرُ
فَأَشَارَتْ لِمَنْ عَبَرَ
رَامَ فَلْيَرْكَبِ الْخَطَرَ
زُمرًا تَلُوهَا زُمرُ
لَا دَخَانَ وَلَا شَرَرَ
ءَ عَلَى السُّنْدُسِ النَّضِرِ
طَ تَسَامَى عَلَى الْبَصَرِ
وَإِلَى السُّحُبِ مَنْحَدِرِ
دُونَهَا قِمَّةُ الْفِكْرِ
لِلْمَحْبِبِّينَ مُدَّخِرِ

أَمْ قَصُورٌ مِنَ الدَّرَرِ؟	بَابِلُ؟ أَمْ بَحِيرَةٌ؟
ةِ تَمَثَّلْنَ لِلْبَشَرِ؟	أَمْ رُؤَى الْخَلْدِ فِي الْحَيَا
وَحْنِيْنَا إِلَى الْبُكَرِ	حَبِّذَا أُمْسِيَاتُهَا
تَهَيَّأْنَ لِلسَّفَرِ	وَنَزَوْعَا إِلَى السَّفِينِ
وَهَلَّلْنَ لِلسَّمَرِ	نَسِيَتْ شُغْلَهَا الْقُلُوبُ
زَهْرَةُ الصَّيْفِ لِلْمَطَرِ	أَوْجُهُ مِثْلَمَا رَنَتْ
هَلَالِيَّةُ الطُّرَرِ	أُضْحِيَانِيَّةُ السَّمَاتِ
بِ وَيَنْدِينَ بِالْخَفَرِ	يَتَوَهَّجْنَ بِالشَّبَا
وَتَعْطِي لَهُ الْعُمَرِ	طَلْعَةُ تُسَعِدُ الشَّقِيَّ
ءُ وَتُبْقِي، وَلَا تَذَرِ	تَمْنَحُ الْحِظَّ مِنْ تَشَا
ءُ إِلَى هَذِهِ الصُّورِ	إِنَّمَا تَنْظُرُ السَّمَا
مُبْدِعًا، مُعْجَزَ الْأَثَرِ	لَتَرَى اللَّهَ خَالِقًا

غَنَّا كُلَّ مَبْتَكَرِ	شَاعَرَ النِّيلِ طُفَّ بِهَا
فِي التَّفَاهَاتِ وَالْهَذَرِ	الثَّلَاثُونَ قَدْ مَضَتْ
مِ لَأَيَّامِكَ الْأَخَرِ	فَتَزَوَّدَ مِنَ النِّعَمِ
قَاهِرِيَّاتُهُ الْغُرَرِ؟	أَيْنَ وَادِي النِّخِيلِ، أَمْ
فَهُنَا أَوْرَقَ الْحَجَرِ!!	لَا تَقُلْ: أَخْصَبَ الثَّرَى
دُ وَيُوجِي لِمَنْ شَعَرُ!!	هَا هُنَا يَشْعُرُ الْجَمَا
نَزَلُوا شَاطِئَ النَّهَرِ	آهَ لَوْلَا أَحَبَّةُ
وَكَرِيمٌ مِنَ السَّيْرِ	وَرَفَاتٌ مُطَهَّرُ
لِي فِي هَذِهِ الْحَجَرِ	لَتَمْنِيَتْ شُرْفَةً
غَيْرَ وَإِنْ عَنِ النَّظَرِ	أَقْطَعُ الْعُمَرَ عِنْدَهَا
وَلَقَدْ عَاشَ مِنْ ظَفَرِ	فَلَقَدْ فَازَ مِنْ رَأَى

يَا ابْنَةَ الْعَالَمِ الْجَدِيدِ دِ صِلِي عَالَمًا غَبَرَ

فِي دَمِي مِنْ تُرَائِهِ	نَفَحَةُ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
وَأَغَانِ لِمَنْ شَدَا	وَمَعَانِ لِمَنْ فَخَرِ
مَا تُسَرِّينَ؟ أَفْصَحِي!	إِنَّ فِي عَيْنِكَ الْخَبَرَ
الْغَرِيبَانِ هَا هُنَا	لَيْسَ يُجْدِيهِمَا الْحَذَرُ
نَحْنُ رُوحَانِ عَاصِفَا	نِ وَجَسْمَانِ مِنْ سَقَرِ
فَاعْذِرِي الرُّوحَ إِنْ طَغَى	وَاعْذِرِي الْجِسْمَ إِنْ ثَأَرَ!
نَضَبْتُ خَمْرُ بَابِلِ	وَهَوَى الْكَاسُ وَانْكَسَرَ
وَهُنَا كَرْمَةُ الْخَلُو	يَ فَطَوْبَى لِمَنْ عَصَرَ
فَيْمَ، وَالنَّبْعُ دَافِقُ،	يَشْتَكِي الظَّامِيُّ الصَّدْرُ؟
وَلِمَنْ هَذِهِ الْعِيُو	نُ تَغْمَرْنَ بِالْحَوَرِ؟
بَتْنُ يَلْعَبْنَ بِالنُّهَى	لَعِبَ الْطِفْلِ بِالْأَكْرِ
هَنْ أَصْفَى مِنَ الشُّعَا	عَ وَأَخْفَى مِنَ الْقَدَرِ
وَلِمَنْ تَوَشَّكُ التُّدَى	وَتَبَّةُ الطَّيْرِ فِي السَّحَرِ؟
كُلُّ إِلْفٍ لِإِلْفِهِ	هَمَّ بِالصَّدْرِ وَابْتَدَرَ
عَضَّ فِي الثَّوْبِ وَاشْتَكَى	وِطَاءَةَ الْخَرِّ وَالْوَبَرِ
سِمَةً الطَّائِرِ الْمَعْدُ	بِ فِي قَيْدِهِ نَقَرَ
وَلِمَنْ رَفَّتِ الْمَبَا	سُمُ وَاسْتَرْسَلَ الشَّعْرُ؟
ثَمَرُ نَاضِجِ الْجَنَى	كَيْفَ لَا نَقْطُفُ الثَّمَرَ
مَا أَبِي الْخَلْدَ آدَمُ	أَوْ غَوَى فِيهِ أَوْ عَثَرَ!
زَلَّةٌ تَوَرَّثَ الْحَجَبَى	وَتُرِي اللَّهَ مِنْ كَفَرِ!
كَأَسْنَا ضَاحِكُ الْحَبَابِ،	مُصَفَّى مِنَ الْكَدَرِ

فَاسْكُبِي الْخَمْرَ وَارْشَفِي	هَ عَلَى رَنَّةِ الْوَتَرِ
وَإِذَا شَتَّتِ فَاسْقَنِي	هَ عَلَى نَعْمَةِ الْمَطَرِ
فَعَدَا يَذْهَبُ الشَّبَا	بُ وَتَبْقَى لَنَا الذُّكْرُ!

أَفْرَاحُ الْوَادِي

عيدُ التَّثْوِيحِ

هَلْ طَافَ بِالصَّحَرَاءِ مِنْهُمْ مُلْهُمُ؟
وَجَلَا النُّبُوءَةُ بِرُقُفِهَا الْمَتَكَلَّمُ؟
وَتَقَابَلْتُ أَنْظَارَهُمْ فَتَبَسَّموا
بِبَشَائِرِ الْغَيْبِ الْمَحْجَبِ أَعْلَمُ
نَبَأُ تَقَرُّ بِهِ الشُّعُوبُ وَتَنْعَمُ
أَثَرُ مِنَ الْوَحْيِ الْقَدِيمِ وَمَعْلَمُ
فَدْلِيلُكُمْ قَبَسُ الْخُلُودِ الْمُضْرَمُ
وَالصَّوْلَجَانُ، وَتَاجُهَا الْمَتَوَسَّمُ
نُورٌ عَلَى إِصْبَاحِهَا مُتَقَدِّمُ
وَجْهٌ تَبَارَكُهُ السَّمَاءُ وَتَرَامُ
مَلَكٌ يُفَكِّرُ أَوْ نَبِيٌّ يُلْهِمُ
أَنْفَاسُ رَوْضٍ بِالْعَشِيَّةِ يَنْسَمُ
وَالنَّهْرُ، وَالْجَبَلُ الْعَرِيضُ الْإِيْهِمُ
فِيهِ شَبَابٌ مَلُوكِهَا يَتَبَسَّمُ
وَتَلَفَّتْ أُمَمٌ وَدَارَتْ أَنْجُمُ

مَا بِالرُّعَاةِ! أَثَارَهُمْ فَتَرَنَّمُوا؟
أَمْ ضَوَّاتُ سَيْنَاءٍ فِي غَسَقِ الدُّجَى
نَظَرُوا خِلَالَ سَمَائِهَا وَتَأَمَّلُوا
إِيَّاهُ فَلَاسِفَةُ الزَّمَانِ فَأَنْتَمُ
هَذَا النِّشِيدُ الْأَسْيَوِيُّ مَعَادُهُ
وَطَرِيقُكُمْ مَصْرٌ، وَإِنَّ طَرِيقَهَا
أَلَّا يَكُونَ الْفَجْرُ هَدْيَ خُطَاكُمْ
هُوَ سَحَرُ مَصْرٍ، وَعَرْشُهَا، وَلَوَاؤُهَا
وَجَبِينُ صَاحِبِهَا الْعَزِيزِ وَإِنَّهُ
أَوْفَى عَلَى الْوَادِي بِضَاحِكِ ثَغْرِهِ
مُسْتَرْسِلُ النَّظَرِ الْبَعِيدِ كَأَنَّهُ
وَكَأَنَّمَا الْأَمَالُ عَبَّرَ طَرِيقَهُ
يَتَنَظَّرُ الْحَقْلُ الْمَنُورُ خَطْوَهُ
فَكَأَنَّ رُوحًا عَائِدًا مِنْ «طَيْبَةِ»
هَتَفَ الْبَشِيرُ بِهِ فَمَا جِئْتَ أَعْصَرُ

مِصْرُ، وَهَذَا حُبُّهَا الْمُتَجَسِّمُ
لِمَنِ النُّسُورُ عَلَى السَّحَابِ تَحَوُّمُ
أَوَمْتُ عَصَا مُوسَى فَشَقَّ الْعَيْلُمُ
كَأْسُ تَصَفَّقُ أَوْ رَحِيقُ يُسْجَمُ
شَيْخٌ يُذَكِّرُ بِالشَّبَابِ وَيَحْلُمُ
أَشْجَى مِنَ الْوَتْرِ الْحَنُونِ وَأَرْحَمُ
تَغْزُو بِوَارِقِهَا النُّجُومُ وَتَزْحُمُ
وَلِمَنْ شَفَاهُ بِالْإِدْعَاءِ تُتَمِّتُمُ
فَالْيَوْمَ قَدْ وَضَحَ الْحَنِينُ الْمُبْهَمُ
خَمْرًا أَعْلَى بِهَا وَلَا أَتَأَنَّمُ
إِنِّي إِذَنْ غَرِيدُكَ الْمَتَرَنَّمُ
جَيْدُ الْبَحَارِ بِمِثْلِهَا وَالْمَعْصَمُ
رَكْبٌ لِفَارُوقِ الْعَظِيمِ وَمَقْدِمُ
قَدْ عَادَ قَيْصَرُكَ الرَّشِيدُ الْمُسْلِمُ
وَصَفٌّ وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاهُ تَوْهَمُ
لِلشَّرْقِ عِيدٌ وَالْكَنَانَةُ مَوْسَمُ
يُصْغِي إِلَيْهِ وَيَشْرُبُ الْمِرْقَمُ
لِشَبَابِ شَعْبٍ خَالِدٍ لَا يَهْرَمُ
وَيَسُودُ بِاسْمِكَ فِي الْحَيَاةِ وَيَحْكُمُ
إِنَّ الشَّبَابَ تَوَثَّبَ وَتَقَحَّمُ
مِنْهُ مَضَاءٌ كَالْحَسَامِ مُصَمَّمُ
«شَمَشُونُ» فِي حَلْقِ الْحَدِيدِ يَحْطُمُ
أُمٌّ وَرَاءَ تَخُومِهِ تَتَأَجَّمُ
تَبْنِي الْمَوَاهِبُ، وَالْخَلَائِقُ تَدْعُمُ
وَيُثِيرُ مِرَّتَهُ الْخِيَالُ فَيَعْرُمُ
إِنَّ الْخِيَالَ إِلَى الْحَقِيقَةِ سَلَّمَ

هَذَا هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي سَعِدَتْ بِهِ
لِمَنِ الْبَنُودُ عَلَى الْعُبابِ خَوَافِقَا
لِمَنِ الْمَوَاكِبُ مَائِجَاتٍ مِثْلَمَا
وَلِمَ الصَّبَاحُ كَأَنَّمَا أُنْدَاؤُهُ
وَلِمَ اخْتِلَاجُ النِّيلِ فِيهِ كَأَنَّهُ
وَلِمَنْ هَتَافٌ بِالضُّفَافِ مُرْدَّدُ
وَلِمَنْ عَوَاصِمُ مِصْرَ حَالِيَةِ الذَّرَا
وَلِمَ احْتِشَادُ سِرَائِرِي وَخَوَاطِرِي
إِسْكَندَرِيَّةُ، قَدْ شَهِدْتُ فَحْدَثِي
هَاتِي اْمَلْثِي كَأْسِي وَغَنِّي وَاعْصِرِي
إِنْ كُنْتُ أَفَقَ الْمَلْهَمِينَ وَأَيَّكُهُمُ
يَا دُرَّةَ الْبَحْرِ الَّتِي لَمْ يَتَّسِمُ
جَدَّدَتْ أَعْرَاسَ الزَّمَانِ وَزَانَهَا
مَا عَادَ جَبَّارُ الشُّعُوبِ وَإِنَّمَا
فِي مَهْرَجَانٍ لَمْ يُحِطْ بِجَلَالِهِ
يَوْمُ الشَّبَابِ وَلَا مِرَاءَ وَإِنَّهُ
قَدْ فَتَحَ التَّارِيخُ فِيهِ كِتَابَهُ
مَوْلَايَ، أُمِّلِ عَلَيْهِ أَوَّلَ آيَةٍ
هُوَ مِنْ شَبَابِكَ يَسْتَمِدُّ رَجَاءَهُ
فَابْعَثْهُ جَيْلًا وَاثِبًا مُتَقَحِّمًا
هَزَّ الْفَتَى الْأُمُويَّ تَحْتَ إِهَابِهِ
فَمَشَى يَطْوُحُ بِالْعُرُوشِ كَأَنَّهُ
دُونَ الثَّلَاثِينَ اسْتَثِيرَ فَأَجْفَلْتُ
وَالْمَجْدُ مَوْهَبَةُ الْمُلُوكِ وَإِنَّمَا
وَيُضِيقُ بِالشَّعْبِ الطُّمُوحُ يَقِينُهُ
قُوَّةُ الشُّعُوبِ وَرِييْهَا أَحْلَامُهَا

كَالْحَقِّ مَعْقِدُهُ هُدًى وَتَبَسُّمُ
كَنْزُ وَلَمْ يَحْرِزْ حُلَاةَ مَنْجَمُ
عَرْشُ أَعَزُّ مِنَ الْجِبَالِ وَأَضْخَمُ
طَافَ الرَّحِيقُ الْبَابِلِيُّ عَلَيْهِمْ
أَمَلٌ يَجِلُّ عَنِ الْهَتَافِ وَيَعْظُمُ
بَكَ بَعْدَ رَبِّكَ فِي الْعِظَائِمِ يُقْسِمُ
لِجَدْوِكَ الصَّيْدِ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا
مُهَجُّ يَكَادُ خَفَوقَهَا يَتَكَلَّمُ
لَحْنٌ عَلَى أَوْتَارِهِنَّ يُنْغَمُ
وَتَنْصَتُ الْعَصْفُورُ وَهُوَ يَهْنِئُ
تَأْوِيلُ «يُوسُفَ» فَهِيَ خُضْرُ تَنْجُمُ
زِدْ رَوْعَتِي مِمَّا يَهْزُ وَيُفْعِمُ
شَعْبٌ لَغَيْرِ خُطَاكَ لَا يَتَرَسَّمُ
فِي الدَّهْرِ عُرْوَتِهِ الَّتِي لَا تُفْصَمُ

يَا عَاقِدَ التَّاجِ الْوُضْيَاءِ بِمَفْرِقِ
أَعْظَمُ بِتَاجِكَ جَوْهَرًا لَمْ يَحْوِهِ
مِيرَاثُ أَوَّلِ مَالِكِينَ سَمَا بِهِمْ
نُؤَابُ شَعْبِكَ حِينَمَا طَالَعْتَهُمْ
هَتَفُوا بِمَجْدِكَ وَاسْتَخَفَّ وَقَارَهُمْ
أَقْسَمْتَ بِالْدُسْتُورِ وَالْوَطَنِ الَّذِي
بَرًّا بِوَالِدِكَ الْعَظِيمِ وَذِمَّةُ
وَتَطَلَّعْتَ عَبْرَ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى
تُصْغِي لَصَوْتِكَ فِي السَّحَابِ وَرَجْعُهُ
خَشَعَتْ لَهُ النَّسَمَاتُ وَهِيَ هَوَازِجُ
وَصَغَتْ سَنَابِلُ مِثْلَمَا أَوْحَى لَهَا
يَا صَوْتَ مِصْرَ، وَيَا صَدَى أَحْلَامِهَا
أَلْقَى الْمَقَادَةَ فِي يَدَيْكَ وَدِيعةُ
فَتَلَقَّ تَاجَكَ مِنْ يَدَيْهِ فَإِنَّهُ

وَلِيَعْرِضَ الْجَيْشُ الْكَمِّيَّ الْمَعْلَمُ
سَيْفًا يُقْبَلُ أَوْ لَوَاءً يُلْتَمُ
وَضَعُوا السَّيُوفَ عَلَى الصُّدُورِ وَأَقْسَمُوا
وَكَأَنَّكَ الرُّوحُ الشَّقِيقُ التَّوَامُ
إِنَّ الشُّعُوبَ بِمِثْلِ جَيْشِكَ تُكْرَمُ
سَيْلٌ إِذَا لَمَعَ الْحَدِيدُ وَقَشَعُمُ
تَرَوِي؟ أَمْ الْبَيْتُ الْعَنِيْقُ وَزَمْزَمْ؟
السَّيْفُ خَطَّ سَطُورَهَا وَاللَّهْدَمْ؟
وَالنَّارُ حَوْلَ سَفِينِهِ تَتَهَزَّمُ؟
لَمْ يَعْزْ «نَافَارَيْنَ» هَذَا الْمَيْسَمُ
بُؤْسَى تَمُرُّ عَلَى الشُّعُوبِ وَأَنْعَمُ
يَرْمِي سَطَاها الْمُسْتَخَفَّ فَيُحْجَمُ

فَلِيَهْنَأَ الْمَلِكُ الْهُمَامُ بَعِيدِهِ
مَوْلَايَ، جَنْدِكَ مَائِلُونَ فَأُولِهِمْ
لَمَّا رَأَوْكَ عَلَى جَوَادِكَ قَائِمًا
وَكَأَنَّ «إِبْرَاهِيمَ» طَيْفُكَ مَائِلًا
يَا قَائِدَ الْجَيْشِ الْمَظْفَرِ تَهْ بِهِ
الْأَرْضُ تَعْرِفُهُ وَتَشْهَدُ أَنَّهُ
طُورُوسُ أَمْ عَكَّاءُ عَنْ أَمْجَادِهِ
أَمْ حَوْمَةُ السُّودَانِ، وَهِيَ صَحِيفَةُ
أَمْ «مُورَةُ» الشَّمَاءِ يَوْمَ أَبَاحَهَا
لَوْلَا قِرَاصِنَةُ عَلَيْهِ تَأْمَرُوا
فَاغْفِرْ لِمَا صَنَعَ الزَّمَانُ، فَإِنَّهَا
وَانْفُخْ بِهِ مِنْ بَاسِ رُوحِكَ سَوْرَةَ

فالفَرْقُ من نُبُلِ النفوسِ ورُبَّمَا
إِنَّا لفي زمنٍ حديثُ دُعَاتِهِ
ووراءَ كلِّ سحابةٍ في أفقِهِ
يُلْحَى النَبِيلُ بفعلِهِ ويُدَمَّمُ
نُسْكُ، ولكنَّ السِّيَاسَةَ تَأْتُمُ
جيشَ من المتأهِّبينَ عَرْمَرَمُ

قالوا: فتَى عَشِقِ الطَّبِيعَةَ واغْتَدَى
وطوى البحارَ على شراعِ خيَالِهِ
أنا من زعمتم، غيرَ أَنِّي شاعِرُ
إِنِّي بنيتُ على القديمِ جديدهُ
الشعرُ عندي نشوةٌ علويَّةٌ
ولحونُ سَلَمٍ أو ملاحِمُ غارةٍ
أرسلته يومَ النداءِ فخلتُهُ
ودعاهُ عرشُكَ، فاستهلَّ خواطرًا
ورفعتُ رأسي للسماءِ وخلتُني
فاقبلِ نشيدي إِنَّ عطفَتَ فَإِنَّهُ
وسَلِمْتَ يا مولاي للوطنِ الذي
بغرائبِ الأشعارِ وهو متيَّمُ
يرتادُ عاليَةَ الذُّرَا ويؤمُّمُ
أرضى البيانَ بما يصوغُ ويرسُمُ
ورفعتُ من بنيانِهِ ما هدَّمُوا
وشعاعُ كأسٍ لم يُقَبَّلْهَا فَمُ
عَنَى الجبالَ بها السحابُ المرزَمُ
نارًا وخلتُ الأرضَ خَضَّبَهَا الدمُ
فأتيتُ عن خَطَرَاتِهِنَّ أترجمُ
أتناولُ النجمَ البعيدَ وأنظِمُ
صوتُ الشبابِ، وروحُهُ المتضرمُ
بكِ يستظِلُّ، ويستعِرُّ، ويسلَمُ!

مهرجان الزفاف

ولكَ الولاءُ ولي بعرشك موثقُ
هذا نشيدي في سماءك يخفقُ
مصرُ، ونورُ شبابك المتألقُ
والكونُ مُصغٍ والشعاعُ يُصَفِّقُ
ولكلِّ قلبٍ صبوهُ وتشوُّقُ
يسري عليها للملائك زورقُ
بالزهرِ حورياتهُ تتمنطقُ
سيناءُ من قُبسِ النبوة تُشرقُ
أملٌ لمصرَ على يديك يُحقِّقُ
وجنائها، وشعورها المتدفقُ
عيدٌ يهنئُ مصرَ فيه المشرقُ

سِحْرُ نطقَتْ به وأنت المنطقُ
يا أفقَ إلهامي ووحى خواطري
توجي إليَّ الشعرَ علويَّ السنا
وشواردُ هزَّ النجومَ رويُّها
في ليلةٍ للنفس فيها هزَّةُ
رَبِّ الأديمِ كلجَّةٍ مسجورةِ
غنى بها الشعرُ الطروبُ وأقبلتُ
وشدا الرعاةُ المُلهمونَ كأنما
هي من طوالِ عك الحسانِ، وإنه
مصرُ إذا سُلِّتْ فأنت لسانها
فَتَلَقَّ فرحتها بعيديك إنَّه

* * *

بيضاء تُحيي المآثراتِ وتخلقُ
عينُ مَفَجَّرَةٍ، وغصنُ مُورِقُ
برهانَ ربك ساطعًا يتألقُ
وتساءلوا بك مُجمعينَ وأحدقوا
لا سحرَ بعد اليوم، أنت مُصدقُ

مولاي هل لي أن أقبلَ راحةً
مرَّت على الوادي، فكلُّ شعابه
وجلوتها للناظرين فأبصروا
لو رُدَّ فرعونُ وسِحْرُ دعاته
لَقِفَتْ عصاك عصيَّهم فتصايحوا

يا باعَتْ الروحَ الفتِيَّ بأمةٍ
أغلى الذخائر في كنوز فخارها
صاغَتْهُ من آمالِها ودمايِها
إن أنس، لا ينسَ اليمينَ ويومَهُ
وهتافٌ روحي في خِصَمٍ صاحبِ
القائدِ الأعلى، وتحتَ لوائِهِ
طافوا بساحتِكَ الكريمةَ فيلقا
وأنلَتْهُم شَرَفَ المَثُولِ فقَرَّبوا
وضعوا الأَكْفَ على الكتابِ وأقسموا
أوماً لها الماضي، فجَنَّ حديدُها
ذَكَرْتُ بك النصرَ المبينَ وفاتِحًا
يا صنو إبراهيم، لو ناديتُهُ
لك مصرُ، والسودانُ، والنهر الذي
عرشُ قوائِمُهُ التُّقَى، وظلالُهُ
المسجدُ الأقصى يودُّ لو أَنَّهُ
كَمْ وقفةٍ لَكَ في الصلاةِ كأنَّما
لما وقفتَ تَلَفَّتَ المحرابُ مَنْ
ويكاد من بهَجٍ يُضيءُ سِراجَهُ
أحييتَ سُنَّةَ مالِكينَ سما بِهِمُ
فانينَ في حبِّ الإله، ولنَ تَرَى
طُهرُ عَصَمَتَ به الشبابِ وإنَّما
تُغْضِي لِرقتِكَ النفوسَ مهابةً
إنَّ السيوفَ تُهابَ وهي رقيقةٌ

تسمو بها آمالُها وتُحَلِّقُ
تاجٌ يُجَمِّلُهُ بنوركِ مفرقُ
وأَجَلُّهُنَّ دُمُ الشبابِ المُهْرَقُ
قلبي الطروبُ وجَفَنِي المغزورُ
خِلْتُ الفضاءَ الرَّحْبَ فيه يَغْرُقُ
حُرَّاسُ مصرَ الباسلونَ السُّبُقُ
يَحْدُوهُ مَنْ آمالِ مصرَ فيلِقُ
مُهْجًا يَحْوطُكَ حُبُّها وَيُطَوِّقُ
وسَيُوفُهُمْ من لَهْفَةٍ تَتَحَرَّقُ
حتى تكادَ بغيرِ كَفٍّ تُمَشِّقُ
يطأُ الجبالَ الشامخاتِ ويصعُقُ
بك لاستجابَ وجاءَ باسمِكَ يَنْطِقُ
يَحْيَا المواتُ به، ويغْنِي المُمْلِقُ
عَدْلٌ، وروحانيَّةٌ، وتَرْفُقُ
أسرى إليه بك الخيالُ الشيقُ
عمرٌ تَحْفُ به القلوبُ وتَخْفُقُ
فَرَحٌ، وأنتَ لَدِيهِ حانِ مطرُقُ
وجهٌ عليه من الطهارةِ زَوْنُقُ
في الشرقِ أوجُ حَصارَةٍ لا يُلْحَقُ
بعدَ الألوهَةِ ما يُحِبُّ وَيُعْشَقُ
شيمُ الملوكِ به أحقُّ وأخلُقُ
وتَهُمُ بالنظرِ العيونُ فَتُشْفِقُ
وخلاتُ العظماءِ حينَ تُرَقِّقُ

ألقى البشيرُ على المدائنِ والقُرَى
عَبْرَ الضُّفَافِ الحالماتِ فمسَحَتْ
فَرَحٌ تَمَثَّلَ مصرَ فهي خواطرُ

نبأً كصوتِ الوَحْيِ ساعةً يُطْلَقُ
جَفَنًا، وهبَّ نَخيلُها يَتَأَنَّقُ
صدَّاحَةٌ، وسرائرُ تترقرقُ

أَدْنَى لِقَلْبِكَ فِي الْحَيَاةِ وَالصُّوقِ	الْيَوْمَ آمَنْتِ الرَّعِيَّةُ أَنَّهَا
تَاجًا شَعَائِرُهُ الْوَلَاءُ الْمُطْلَقُ	أَثَرَتَهَا، فَحَبَبَتْكَ مِنْ إِثَارِهَا
كَفُّ تَشِيرُ لَهُ، وَعَيْنُ تَرْمُقُ	مَلِكَاتُ مِصْرَ الرَّائِعَاتِ، إِذَا بَدَا
وَمَنْ الطَّهَارَةَ مَا يَضُوعُ وَيَعْبُقُ	وَحَدِيثُ أَرْوَاحٍ يَضُوعُ عَبِيرُهُ
وَجَرَى بِيَمِينِكُمَا الرِّبْعُ الْمُونِقُ	يَا صَاحِبَي مِصْرٍ، أَظْلَكُمَا الرِّضَا
أَمَسَتْ خَنَاصِرُهَا عَلَيْهِ تُوْنَقُ	وَفِدَاءُ عَرْشِكُمَا الْمُؤْتَلِ أُمَةٌ

* * *

فَلَقَدْ يُثَابُ عَلَى الْكَلَامِ الصَّيْدُوقُ	يَا شَمْسُ يَا أُمَّ الْحَيَاةِ! تَكَلَّمِي
هِيَ بِالْحَيَاةِ وَبِالسِّيَادَةِ أَخْلَقُ؟	أَعَزُّ مِنَّا تَحْتَ ضَوْئِكَ أُمَةٌ
مَهْدُ الشَّمُوسِ وَعَرْشُهُنَّ الْمُعْرِقُ	إِنَّا بَنُوكِ، وَإِنْ سُئِلَتْ فَاُئْمِنَا
هَذَا الشَّبَابُ الْعَبْقَرِيُّ الْمَشْرِقُ	عَرْشُ لِفَارُوقِ الْعَظِيمِ، يَزِينُهُ

أَمِيرَةُ الشَّرْقِ

نُظِمت هذه القصيدة في العام الأول لميلاد صاحبة السمو الملكي الأميرة المحبوبة «فريال».

يا بشيرَ المُنَى، أُلْهُمُ شَبَابِ	مَرَّ بالنهر، أُمُّ غِرَامٍ جَدِيدُ؟
أُمُّ شِدَا الْأَنْبِيَاءِ بِالضُّفَّةِ الْخَضْرَا	ء أُمُّ قَامَ لِلْمَلَائِكِ عَيْدُ؟
مَهْرَجَانُ، مَمَالِكُ الشَّرْقِ فِيهِ	دَعَوَاتُ، وَفَرَحَةٌ، وَنَشِيدُ
وَهْتَافُ بِالشَّاطِئَيْنِ صَدَاهُ	تَتَنَاجَى بِهِ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ:

* * *

إِسْلَمِي يَا أَمِيرَةَ الشَّرْقِ وَاحْكُمُ	مَلِكَ الشَّرْقِ، مَا يَشَاءُ الْخُلُودُ
يَوْمَ نَادَتْكَ بِاسْمِكَ الْعَذْبُ «فَرِيَا	لُ»: أَبِي! هَلَّلَ الزَّمَانُ السَّعِيدُ
دُمتَ، أَيَا مُكُ الْحَسَانُ شَبَابُ	وَلِيَالِيكَ كُلْهَنَ سَعُودُ

سِيرَانَادَا مَصْرِيةَ

أَغْنِيَة لَيَالِي النَّيْلِ

«للسيرانادا» ذِكْرُ مَأْثُورٍ فِي الْمَوْسِيقَى الْإِيطَالِيَّةِ، وَقَدْ اشْتَهَرَتْ فِي الْأَدَبِ الْأُورُوبِيِّ وَخَلَدَتْهَا قِصَصُ الْحُبِّ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ أَغَانٍ لَيْلِيَّةٍ يَشْدُو بِهَا الْعِشَّاقُ عَلَى مَعَارِزِهِمْ تَحْتَ نَوَافِذِ مَعْشُوقَاتِهِمْ...»

دَنَا اللَّيْلُ فَهِيَ الْآنَ يَا رَبَّةَ أَحْلَامِي
دَعَانَا مَلَكُ الْحُبِّ إِلَى مَحْرَابِهِ السَّامِي
تَعَالَيْ، فَالْدُّجَى وَحْيُ أَنْاشِيدٍ وَأَنْغَامِ

* * *

سَرَتْ فَرَحْتُهُ فِي الْمَاءِ، وَالْأَشْجَارِ، وَالسُّحُبِ
تَعَالَيْ نَحْلُمِ الْآنَ، فَهَذِي لَيْلَةُ الْحُبِّ

* * *

عَلَى النَّيْلِ، وَضَوْءُ الْقَمَرِ الْوَضَّاحِ كَالطُّفْلِ
جَرَى فِي الصُّفَّةِ الْخَضْرَاءِ خَلْفَ الْمَاءِ وَالطَّلِّ
تَعَالَيْ مِثْلَهُ نَلْهُو بِلَثْمِ الْوَرْدِ وَالطَّلِّ

* * *

هناكَ على رَبِّا الوادي، لنا مَهْدٌ من العُشْبِ
يُلْفُ الصَّمْتُ رَوْحَيْنَا، ويشدو بُلْبُلُ الحَبِّ

* * *

يطوفُ بنا على شَطٍّ من الأضواءِ مسحورِ
شِراعُ خَافِقِ الظلِّ على بحرٍ من النورِ
تُناجِيهِ نجومُ الليلِ، نجوى الأعينِ الحُورِ

* * *

وأنتِ على فمي ويدي، خيالٌ خَافِقُ القَلْبِ
تَعَالِي نَحْلُمُ الآنَ، فهذي لَيْلَةُ الحَبِّ

* * *

ليالي الصيفِ أحلامٌ، تراءتُ للمحبِّينَا
تَغيبُ الخمرُ، والسَّاقِي، ويبقى سحرُها فينَا
وهذا كأسُها الوهاجُ صَدَّاحٌ بأيدينَا

* * *

فهياً نشرب الليلة، من نبع الهوى العذبِ
تَعَالِي نَحْلُمُ الآنَ، فهذي لَيْلَةُ الحَبِّ

الشَّوَاطِئُ الْمِصْرِيَّةُ

صيف عام ١٩٣٤ على صخور المكس.

بحرٌ شدا صخرًا، وصفَّق ماءً
ويرفُ أنفاسًا بهنَّ مساءً
شتَّى الأشعَّةِ فيكِ والأنداءَ
عرَّافَةً، تستطلِعُ الأنباءَ
فنَّ الجمالِ السَّحرَ، والإغراءَ
صُورًا بريًّا صفحتيه تراءى
زادتْ بريشتيه السماءَ جلاءً
شمسًا، ولا أزهى سنًا وضياءً
بأغرَّ بدرًا، أو أرقَّ سماءَ
أفقًا أحمرَّ ولجَّةَ حمراءَ
لهبًا، وفجَّرتِ الصخورَ دماءَ
طالعتْ، فيها الليلةَ القمرَاءَ
وسرَّتْ تجاذبُ للنسيمِ رداءَ
ألقَتْ إليكِ بسمعها إصغاءَ
يشدو، فيبدعُ في النشيدِ غناءَ
فشجى الشواطئَ واستخَفَّ الماءَ
في الأفقِ حيرى تتبَّعُ الأصداءَ

حَيَّاكِ أرضًا، وازدهاكِ سماءَ
يحبو شعابكِ في الضحى قُبْلَاتُهُ
متجدِّد الصَّبَوَاتِ أودعَ حُبَّهُ
ولِعَ بتخطيطِ الرمالِ كأنَّهُ
ومصوِّرٌ لبِقُ الخيالِ، يصوغُ من
نسقِ الشواطئِ زينةً وأدقَّها
يَجْلُو بريشتيه السماءَ، وإنَّمَا
لا الصبحُ أوضَحُ من مطالعه بها
كلَّا، ولا الليلِ المكوكبُ أفقُهُ
يا ربُّ زاهيةِ الأصيلِ أحالها
وكأنما طوتِ السماءَ ونشَرَتْ
ولربَّ عاطرةِ النسيمِ، عليلَةٍ
رقصَتْ بها الأمواجُ تحت شُعاعِهَا
حتى إذا رَانَ الكرى بجفونِهَا
تتسمَّعُ النوتى تحت شرعِهِ
هزَّتْ ليالي الصيفِ ساحرَ صوتهِ
وأثارَ أجنحةَ الطيُورِ فحوَّمتْ

صُورُ فَوَاتِنُ يَا شَوَاطِي صَاغَهَا
فَتَنْظَرِيهِ عَلَى شَعَابِكِ مِثْلَمَا
كَمْ ظَلَّ يَضْرِبُ فِي صَخُورِكَ مَوْجُهُ
عُذْرًا، إِذَا عَيَّتْ بِمَنْطَقَةِ اللُّغَى
فُخْذِي الْحَدِيثَ عَلَيْهِ وَاسْتَمْعِي لَهُ
وَسَلِيهِ، كَيْفَ طَوَى اللَّيَالِي سَاهِدًا
كَمْ لَيْلَةٍ لَكَ يَا شَوَاطِي خَاضَهَا
وَالسَّفْنُ مَرْهَفَةُ الْقَلَاعِ كَأَنَّمَا
حَمَلْتُ لِمَصْرِ الْفَاتِحِينَ وَطَوَّحْتُ
وَلَوْ اسْتَطَاعَ لَرَدَّ عَنْكَ بِلَاءُهُمْ
أَوْ كَانَ يَمْلِكُ قَدْرَةَ حَسَدِ الدُّجَى
وَدَعَا غَوَارِبَهُ الْخَفَافَ فَأَقْبَلَتْ
فَاسْتَعْرَضِي سَيْرَ الْحَيَاةِ وَرَدِّدِي
وُخْذِي لِيَوْمِكَ مِنْ قَدِيمِكَ أَهْبَةً
إِيَّاهُ شَوَاطِي مَصْرَ، وَالدُّنْيَا مَنَى
نَاجِيَتِ أَحْلَامَ الرَّبِيعِ، فَأَقْبَلْتُ
يَحْبُوكِ مِنْ صَفْوِ الزَّمَانِ وَأَنْسِه
وَعَدًا تَضِيءُ عَلَى جَبِينِكَ لِمَحَّةٍ
وَتَرْفُ مِنْهُ عَلَى تُغُورِكَ قَبْلَةً
فَاسْتَقْبَلِي الصَّيْفَ الْجَمِيلَ، وَهَيَّيْ
وَتَسْمَعِي لِحَنَ الْخِيَالِ، وَأَفْرِدِي
وَاسْتَعْرَضِي حَوْرَ الْجِنَانِ، وَأَطْلِقِي

لَكَ ذَلِكَ الْبَحْرُ الصَّنَاعُ رَوَاءَ
رَجَعَ الْغَرِيبَ إِلَى جِمَاهُ وَفَاءَ
مِمَّا أَجَنَ مُحِبَّةً وَوَفَاءَ
فَهُوَ الْعَيْيُ الْمَفْجُمُ الْفُصْحَاءُ
كَمْ مِنْ جِمَادٍ حَدَّثَ الْأَحْيَاءَ
وَبَلَا الْأَحْبَةَ فِيكَ وَالْأَعْدَاءَ
وَالْهَوْلُ يَمْلَأُ حَوْلَكَ الْأَرْجَاءَ
تَطَأَ السَّحَابَ، وَتَهَبَّطُ الدَّامَاءُ
بِالنَّيْلِ مِنْهُمْ جَحْفَلًا، وَلِوَاءَ
وَأَطَارَ كُلَّ سَفِينَةٍ أَشْلَاءَ
وَنَضَا الرُّجُومَ، وَجَنَّدَ الْأَنْوَاءَ
فَرَمَى بِهَا قَدْرًا، وَرَدَّ قَضَاءَ
مَا سَرَّ مِنْ أَنْبَاءِهِنَّ، وَسَاءَ
وَمِنْ الْجَدِيدِ تَعَلَّةٌ وَرَجَاءَ
تَهْفُو إِلَيْكَ بِنَا صَبَاحَ مَسَاءَ
وَأَشْرَتْ لِلصَّيْفِ الْوَسِيمِ، فَجَاءَ
مَا شَتَّتَ مِنْ مَرْحِ الْحَيَاةِ، وَشَاءَ
طَبَعَ الْخُلُودُ سَمَاتِهَا الْغُرَاءَ
أَصْغَى النَّسِيمَ لَهَا، وَغَضَّ حَيَاءَ
لِلشَّعْرِ فِيكَ خَمِيلَةَ غَنَاءَ
لِي فَوْقَ مَائِكَ صَخْرَةً بِيضَاءَ
لُغَةَ السَّمَاءِ، وَالْهَمِي الشَّعْرَاءَ

خَيَالٌ

عشقنا الدُّمَى وعبدنا الصُّورَ
وَصُغْنَا لَكَ الشَّعْرَ، حُبَّ الصَّبَا
تَغَنَّتْ بِهِ الْقُبُلُ الْخَالِدَاتُ
وَجِئْنَا إِلَيْكَ بِمُلْكِ الْهَوَى
بِأَفْنَدَةٍ، مِثْلَمَا عَرَبَدَتْ
وَأَنْتَ بِأَفْئِكَ سَاجِي اللَّحَاطِ
دَنَوْتَ، فَقَلْنَا: رُؤَى الْحَالِمِينَ،
وَحَامَتْ عَلَيْكَ بِأَضْوَائِهَا
تَتَبَّعْنَ خَطُوكَ عَبْرَ الطَّرِيقِ
يُقَبِّلْنَ مِنْ قَدَمِكَ الْخَطَا
وَهَمْنَا بِكُلِّ خِيَالٍ عَبَّرَ
وَشَدَوِ الْأَمَانِي، وَشَجَوِ الذِّكْرَ
وَعَنَى بِإِيقَاعِهَا الْمَبْتَكَرَ
وَعَرِشِ الْقُلُوبِ، وَحَكَمِ الْقَدَرِ
يَدُ الرِّيحِ فِي وَرَقَاتِ الشَّجَرِ
تُطِلُّ عَلَى سُبُحَاتِ الْفِكْرِ
فَلَمَّا بَعُدْتَ أَتَّهَمْنَا النَّظَرَ
مَصَابِيحُ مِثْلَ عَيُونِ الزَّهْرِ
كَمَا يَتَحَرَّى الدَّلِيلُ الْأَثَرَ
كَمَا قَبَّلَ الْوَثْنَى الْحَجَرَ

* * *

مَشَى الْحَسَنُ حَوْلَكَ فِي مَوْكِبٍ
تَمَثَّلَ صَدْرُكَ سُلْطَانُهُ
بَنَهْدِينَ، يَسْتَقْبِلَانِ السَّمَاءَ
تَسَامِيَتٍ عَنْ لُغَةِ الْكَاتِبِينَ
سَوَى شَاعِرٍ فِي زَوَايَا الْحَيَاةِ
أَكْبَبَ عَلَى كَأْسِهِ، وَانْتَحَى
يَرِفُ عَلَيْهِ لَوَاءُ الظَّفَرِ
كَجَبَّارٍ وَادٍ تَحْدَى الْخَطَرَ
كَأَنَّهُمَا يُرْضِعَانِ الْقَمَرَ
وَرَوْعَةً كُلَّ قَصِيدِ خَطَرَ
دَعَتْهُ مِبَاهِجُهَا فَاعْتَذَرَ
صَدَى اللَّيْلِ، فِي اللَّحْظَاتِ الْأُخْرَى

ديوان علي محمود طه

رنا حيث ترقُبُ أحلامهُ خيالك في الموعدِ المنتظر!

التَّمَثَالُ

قصة الأمل الإنساني في أربعة فصول

الإنسان صانع الأمل، ينحت تمثاله من قلبه وروحه، ولا يزال عاكفًا عليه يُبدع في تصويره وصقله متخيلاً فيه الحياة ومرحها وجمالها، ولكن الزمن يمضي ولا يزال تمثاله طيناً جامداً وحجراً أصم، حتى تخمد وقدة الشباب في دم الصانع الطامح، وتُسعره السنون بالعجز والضعف فيفزع إلى معبد أحلامه هاتفاً بتمثاله، ولكن التمثال لا يتحرك، والحلم الجميل لا يتحقق، وهكذا تجتاح الليالي ذلك المعبد، وتعصف بالتمثال فيهبوي حطاماً، وهنا يصرخ اليأس الإنساني ويمضي القدر في عمله.

أقبلَ الليلُ، واتَّخذتُ طريقي	لكَ، والنجمُ مؤنسي، ورفيقي
وتوارى النهارُ خلف ستارٍ	شفقيّ، من الغمام رقيقٍ
مدَّ طيرُ المساءِ فيه جناحاً	كشراعٍ في لُجةٍ من عقيقٍ
هو مثلي، حيرانٌ يضربُ في الليـ	لٍ ويجتازُ كلَّ وادٍ سحيقٍ
عادَ من رحلةِ الحياةِ كما عُدَّ	تُ، وكلُّ لوكِرِه في طريقٍ!!
أيُّهذا التمثالُ هأنذا جئتُ	تُ لألقاكَ في السكونِ العميقِ
حاملاً من غرائبِ البرِّ، والبحـ	رٍ ومن كلِّ مُحدَثٍ، وعريقٍ
ذاك صيدي الذي أعودُ به لـ	لًا وأمضي إليه عند الشروقِ
جئتُ ألقي به على قدميكَ الآ	نَ في لهفَةٍ الغريبِ المَشوقِ

عاقداً منه حول رأسك تاجاً ووشاحاً، لقدك الممشوق!

صورة أنت من بدائع شتّى	ومثال من كل فنّ رشيق
بيدي هذه جبلتُك، من قلـ	بي، ومن رونق الشباب الأنيق
كلما شمتُ بارقاً من جمال	طرتُ في إثره أشقُ طريقي
شهد النجم، كم أخذتُ من الرو	عة عنه، ومن صفاء البريق
شهد الطير، كم سكبتُ أغانيـ	ه على مسمعيك سكبَ الرحيق
شهد الكرم، كم عصرتُ جناهُ	وملأتُ الكئوس من إبريقي
شهد البر، ما تركتُ من الغا	ر على معطف الربيع الوريق
شهد البحر، لم أدع فيه من درّ	جدير بمفرقيك، خليق
ولقد حيّر الطبيعة إسرا	ئي لها كل ليلة وطروقي
واقترامي الضحى عليها كراع	أسيوي، أو صائد إفريقي
أو إليه مجنّح يتراءى	في أساطير شاعرٍ إغريقي

قلت: لا تعجبي فما أنا إلّا	شبح لجّ في الخفاء الوثيق
أنا يا أمّ، صانع الأمل الضا	حك في صورة الغد المرموق
صنّته صوغ خالق يعشق الفنّ	ويسمو لكل معنى دقيق
وتنظّرتُه حياة، فأعيا	ني دبيب الحياة في مخلوقي!!
كلّ يوم أقول: في الغد، لكنّ	لست ألقاه في غدٍ بالمفيع
ضاع عمري، وما بلغتُ طريقي	وشكا القلب من عذاب وضيق

معبدي! معبدي! دجا الليل إلّا	رعدة الضوء في السراج الخفوق
زأرتُ حولك العواصف لما	قهقه الرعد لالتماع البروق
لطمتُ في الدجى نوافذك الصـ	م ودقتُ بكل سيل دفوق
يا لتمثالي الجميل، احتواه	سارب الماء كالشهيد الغريق

لم أَعُدْ ذلك القويِّ، فأحميـه من الويل والبلاء المحيقِ
 ليلتي! ليلتي جنيت من الآثا مِ حتّى حملتِ ما لم تطيقي
 فاطربي واشربي صُبابَةَ كأسِ خمرها سالَ من صميم عروقي!

* * *

مرَّ نورُ الضحى على آدميٍّ مُطرقٍ في اختلاجة المصعوقِ
 في يديه حُطامةُ الأملِ الذا هب في ميعة الصُّبا الموموقِ
 واجمًا أطبقَ الأسى شفتيه غيرَ صوتٍ عبرَ الحياة طليقِ
 صاح بالشمس: لا يُرْعِكِ عذابِي فاسكبي النارَ في دمي، وأريقي
 نارُك المشتهاةُ أُنْدَى على القلبِ ب وأحني من الفؤاد الشفيقِ
 فخذي الجسمَ حَفَنَةً من رماذٍ وخذي الروحَ شُعْلَةً من حريقِ
 جُنَّ قلبي فما يرى دَمَهُ القا ني على خنجرِ القضاء الرقيق!!

دُعَابَةٌ

حلفتُ بالخمِرِ، والنساءِ
ورحلةِ الصيفِ في أوروبا
رفعتُ فيها لواءَ مصرِ
لم أنسَكم قطُّ أصدقائي
أحبكم فوق كلِّ حبٍّ
وهانَ في حبكم فنائي
ومجلسِ الشعرِ، والغناءِ
وسحرِ أيامها، الوضاءِ
ورأسِ مصرِ إلى السماءِ
ولم يحلْ عنكم إخائي
وهرانَ في حبكم فنائي

* * *

فما تظنونَ في وفِّي
إذا احتواه الصعيدُ ليلاً
وتاهت «الأقصر» اختيالاً
صدفتُ عنها إلى وجوه
أنتم، وهل لي سوى خيالٍ
فانتظروني، ولا تظنوا الـ
أربى هواهُ على الوفاءِ
أو هيئمتُ نَسمةَ المساءِ
بالغيدِ في موسمِ الشتاءِ
عرفتُ فيهنَّ أصدقائي
يجمعكم بي على التناي
ظنونَ، واستمطروا ثنائي!

تاييسُ الجديدة

«ليلة أول أغسطس سنة ١٩٣٩ بمدينة زيوريخ على شاطئ بحيرتها إذ احتفل بعيد
سويسرا الوطني الأكبر بين المواكب الصاخبة المرحّة وأنوار المشاعل والأسهم النارية
وأضواء معرضها العظيم.»

روحي المقيمُ لديك؟ أم شَبَحِي؟
يا حانّة الأرواح، ما صنعتُ
ما للسماء أديمها لهبٌ؟
ولم البحيرة مثلما سُجِرَتْ
نارٌ تطيرُ، وموكبٌ صَخِبُ
لولا ابتسامه جارتِي، وفمٌ
لحسبَتْها «روما» تمورُ لظَى
زهوٌ تملّكني، فأذهلني
أأنا الغريبُ هنا وملءٌ يدي
خَفَقَتْ على وجهي غداؤها
لم أدر، وهي تُديرُ لي قدحي،
وشدا المغنّي، فاحتشدتُ لها
عَرَضَتْ بفاكهة محرّمة

لعبتُ برأسي نشوةً الفرح!
بالرُّوح فيك صبايةً القدحِ
الفجرُ؟ إنَّ الفجرَ لم يَلَحِ!
أو فُجِّرَتْ من عرقٍ منذبَحِ!
من كل ساهي اللحظِ منسرحِ
يدنو إليّ بصدرٍ منشَرَحِ
في قهقهاتِ الساخرِ الوقحِ
ومن الذهول طرائفُ المُلَحِ
أعطافُ هذا الأعيَدِ المَرَحِ؟
فجذبتها بذراعٍ مجترحِ
من أين مُغْتَبَقِي ومُصْطَبَحِي
كم للغناءِ لديّ من مِنَحِ
وعرضتُ، لم أنطقُ ولم أبحِ

يا رَبِّ، صُنْعُكَ كُلُّهُ فِتْنٌ
هَذِي الرَوَائِعُ، أَنْتَ خَالِقُهَا
«تَاييسُ» لَمْ تَعْبَثْ بِرَاهِبِهَا
مَا بَيْنَ أَسْرَارٍ مُغْلَقَةٍ
عَرَضَ الْجَمَالُ لَهُ فَأَكْبَرَهُ
أَتَرَى مَعَاقِبَتِي عَلَى قَدَرٍ
أَيْنَ الْفِرَارِ، وَكَيْفَ مُطَّرِحِي!
مَا بَيْنَ مَنْجَرِدٍ وَمَتَّشِحٍ
لَكِنَّهُ أَشْفَى عَلَى الْبُرْجِ
وَطَرُوقِ بَابٍ غَيْرِ مَنْفَتِحٍ
وَرَأَى فِيهِ فَجْئًا مِنْ فَرَحٍ
لَوْلَاكَ لَمْ يُكْتَبْ وَلَمْ يُتَحَّ؟!

* * *

إِنِّي عَبْدُكَ فِي جَنَى شَفَةِ
وَلَوْ اسْتَطَعْتُ، جَعَلْتُ مِسْبَحَتِي
وَيْدٍ، وَوَجْهِ مُشْرِقِ الْوَضَحِ
ثَمَرَ النُّهْودِ، وَجَلَّ فِي السُّبْحِ

خمرة نهر الرّين

ليلة ٢٠ أغسطس مهداة إلى فتاة «برن».

كنزُ أحلامك، يا شاعرُ، في هذا المكانِ
سحرُ أنغامك طوّفُ بهاتيك المغاني
فجرُ أيامك رفّافٌ على هذي المجاني
أيّها الشاعرُ، هذا الرّينُ، فاصدحْ بالأغاني
كلُّ حيٍّ وجمادٍ ها هُنا
هاتفٌ، يدعو الحبيبَ المحسنا
يا أخا الرّوح، دعا الشوقُ بنا
فاسقنا من خمرة الرّين، اسقنا

عالمُ الفتنة، يا شاعرُ؟ أم دنيا الخيالِ؟
أمروجٌ علقتُ بين سحابٍ، وجبالِ؟
ضحكتُ بين قصورٍ كأساطيرِ الليالي
هذه الجنّةُ، فانظرْ أيّ سحرٍ وجمالِ!
يا حبيبَ الرّوحِ يا حُلَمَ السّنا
هذه ساعتنا، قم غنّنا

سَكِرَ العشاقُ إِلَّا أَننا ...

فاسقنا من خمرة الرِّينِ، اسقِنَا

ليلةٌ فوق ضفافِ الرِّينِ حُلِمَ الشعراءُ

أليالي الشرقِ يا شاعرُ؟ أم عرسُ السماءِ؟

الدُّجى سكرانُ، والأنجمُ بعضُ الندماءِ

أنصتِ الغابُ، وأصغى النهرُ، من صخرٍ وماءٍ

فاسمعِ الآنَ البشيرَ المعلنِنا

حانتِ الليلةُ، والفجرُ دنا

فاملأِ الأقداحَ من هذا الجنى

واسقِنَا من خمرة الرِّينِ، اسقِنَا

ها همُ العشاقُ قد هَبُّوا إلى الوادي خِفَافًا

أقبلوا كالضوءِ أطيافًا وأحلامًا لَطَافًا

ملئوا الشاطئَ همسًا والبساتينَ هُتَافًا

أيُّها الشاعرُ! هذا الرِّينُ! فاستوحِ الضُّفافَا

الصَّبَا، والحسنُ، والحبُّ هنا

يا حبيبي هذه الدنيا لنا

فاملأِ الكأسَ على شِدْوِ المنى

واسقِنَا من خمرة الرِّينِ، اسقِنَا!

يا ابنَةَ «الآر» حديثُ الأمسِ ما أعذبَ ذكرَهُ

كان حُلْمًا أن نرى الرِّينَ وأنْ نشربَ خمرَهُ

وشربِنا فسكرنا، وأفقنا بعد سَكْرَهُ

ووقفنا لوداعٍ، وافترقنا بعد نظرَهُ

خمرة نهر الرّين

أَيْنَ أَنْتِ الْآنَ؟ أَمْ أَيْنَ أَنَا؟
ضربتُ أيدي الليالي بيننَا!
غَيْرَ صَوْتٍ طَافَ كَالْحُلُمِ بِنَا:
اسْقِنَا مِنْ خَمْرَةِ الرّينِ، اسْقِنَا

شاعرٌ مِصرَ

وحدَّثني قلبي بأنك زائري
وكلَّ صدَى في هدأة الليل عابِرِ
وأهتفُ بالنُّجوى، وأنتَ مجاورِي
كأنَّكَ مبعوثُ الليالي الغوايرِ
صدى نبأ من عالم الغيبِ صادرِ
طرقتَ بها بابي فهبَّتْ سرائري
وشمَّتْكَ، لم يلمَحْ مُحَيَّاكَ ناظري
أرى حلمَ أجيالٍ، أرى وجهَ شاعرٍ

دعوتَ خيالي فاستجابتُ خواطري
عشيَّةَ أغرى بي الدُّجى كلَّ صائحِ
أقولُ: مَنْ السَّاري؟ وأنتَ مُقارِبِي
أحسُّكَ ملءَ الكونِ رُوحًا وخاطرًا
ومثَّلَ لي سمعي خطاك، فخلَّتْها
سوى خطراتٍ من بنانٍ رفيقةٍ
عرفتُكَ، لم أسمعَ لصوتِكَ نَبأَةً
أرى طيفَ معشوقٍ، أرى روحَ عاشقٍ

* * *

فَجَدَّدَ بها عهدَ الأنيسِ المُسامِرِ
رَخيماً كأرْهامِ الندى المُتَنائِرِ
كنُوسٌ على ذِكْرِ الغريبِ المسافرِ
خيالَةَ ذكري، أو عُلالَةَ ذاكرِ
إليك، وأضواءُ النجومِ الزَّواهرِ
مرَحَتَ بوجْدانٍ من الشَّعرِ طاهرِ
جَنَى كَرَمَةٍ لم تَحْوَها كَفُّ عاصِرِ
فغَرَّدَ بالإنْهامِ كلُّ مُعاقِرِ

إِلَيْكَ ضِفافَ النيلِ، يا روحَ حافظٍ
وساقطُ جَنَاحها من قوافيكِ سَلْسَلًا
سَرَتْ فيه أرواحُ النَّدَامَى، وَصَفَّقَتْ
نَجِيَّ الليالي القاهريَّاتِ: طُفَّ بها
وجُزَّ عالمُ الأشباحِ، فالليلُ شاخِصٌ
وطالِعُ سماءٍ في مَعارجِ قُدْسِها
وسَلْسَلَتْ من أندائِها وشُعاعِها
تَدَفَّقَ بالخمرِ الإلهيِّ كأسُها

عَلَى النَّيْلِ رُوحَانِيَّةٌ مِنْ صَفَائِهَا
فَصَافِحُ بَعِينِكَ الدِّيَارِ فَطَالَمَا
وَحَذُّ فِي ضِفَافِ النَّهْرِ مَسْرَاكَ، وَاتَّعَ
حَدَائِقُ فَرَعُونَ بِدَفَاقِ نَهْرِهَا
وَفِي شُعْبِ الْوَادِي، وَفَوْقَ رِمَالِهِ
صَوَامِعُ رُهْبَانٍ، مَحَارِبُ سُجَّدٍ،
سَرَى الشَّعْرِ فِي بَاحَاتِهَا رُوحٌ نَاسِكٍ
وَهَمَسَ شِفَاهُ تَتَمَّلُ الرُّوحُ عِنْدَهُ
هُوَ الشَّعْرُ، إِيقَاعُ الْحَيَاةِ وَشَدُوها
وَصَوْتُ بِأَسْرَارِ الطَّبِيعَةِ نَاطِقُ
وَوَثْبَةُ ذَهْنٍ، يَقْنَصُ الْبَرْقُ طَائِرًا
فِيَا دُرَّةً لَمْ يَحُوهَا تَاجٌ قِيصِرٍ
تَأَلَّهَ فِيكَ الْقَلْبُ وَاسْتَكْبَرَ الْحَجَى
إِذَا اعْتَرَضَ الْجَبَّارُ ضَوْعَكَ شَامِخًا
لَمَسَتْ حَدِيدَ الْقَيْدِ فَانْحَلَّ نَظْمُهُ
وَمَا زِدْتَ فِي الْأَحْدَاثِ إِلَّا صِلَابَةً
يَزِينُ بِكَ الْعَافِي سَقِيفَةَ كُوجِهِ
أَضَاعُوكَ فِي أَرْضِ الْكَنُوزِ، وَمَا دَرَوْا
وَهْنَتْ عَلَى مَهْدِ الْفَنُونِ، وَطَالَمَا
إِذَا افْتَقَدَ التَّارِيخُ آثَارَ أُمَّةٍ

وَلَأْلَأُ فَجَرٍ عَنْ سَنَا الْخُلْدِ سَافِرٍ
مَدَدْتَ عَلَى آفَاقِهَا عَيْنَ طَائِرٍ
خُطَا الْوَحْيِ فِي تِلْكَ الْحَقُولِ النَّوَاضِرِ
وَجَنَّتُهُ ذَاتُ الْجَنَى وَالْأَزَاهِرِ
عِصْيِ نَبِيٍّ، أَوْ تَهَاوِيلُ سَاجِرِ
هَيَاكِلِ أَرْبَابٍ، عَرُوشُ قِيَاصِرِ
وَتَرْدِيدُ أَنْفَاسٍ، وَنَجْوَى ضَمَائِرِ
وَتَسْبُحُ فِي تِيهِ مِنَ السَّحْرِ غَامِرِ
وَحُلْمُ صَبَاها فِي الرَّبِيعِ الْمُبَاكِرِ
وَلَكِنَّهُ رُوحٌ، وَإِبْدَاعُ خَاطِرِ
وَيَغْزُو بِرُوحِ النَّجْمِ غَيْرَ مُحَاذِرِ
وَلَا انْتِظَمَتْ إِلَّا مَفَارِقُ شَاعِرِ
عَلَى دَعَاةٍ، مِنْ تَحْتِهَا رُوحٌ ثَائِرِ
تَلَقَّيْتَهُ كِبْرًا بِبَسْمَةِ سَاحِرِ
وَأَطْلَقْتَ أَسْرَى مِنْ بَرَاثِنِ أُسْرِ
إِذَا النَّارُ نَالَتْ مِنْ كِرَامِ الْجَوَاهِرِ
فَتَخْشَعُ حَبِيرَى نِيرَاتِ الْمَقَاصِرِ
بَأَنَّكَ كُنْزٌ ضَمَّ أَعْلَى الذَّخَائِرِ
سَمُوتَ بِسُلْطَانٍ مِنَ الْفَنِّ قَاهِرِ
أَشْرَتْ بِمَا خَلَّدَتْهُ مِنْ مَآثِرِ

سَلَامًا، سَلَامًا، شَاعَرَ النَّيْلِ: لَمْ يَزَلْ
وَشَعْرُكَ فِي الْأَفْوَاهِ إِنْشَادُ أُمَّةٍ
هَتَفَتْ بِهَا حَيًّا، فَلَا تَأُلُ خَالِدًا

خَيَالُكَ يَغْشَى كُلَّ نَادٍ وَسَامِرٍ
تَغْنَتْ بِمَاضٍ وَاسْتَعَزَّتْ بِحَاضِرِ
هُتَافِكَ، وَانْفَضَّ عَنْكَ صَمْتُ الْمَقَابِرِ

صَدَاكَ، وَإِنْ لَمْ تُرْسِلِ الصَّوْتِ، مَالِيُّ
سَمَاعَ الْبَوَادِي وَالْقُرَى وَالْحَوَاضِرِ

وَذِكْرَاكَ نَجَوَى الْبَائِسِينَ، إِذَا هَفَّتْ
يَدُلُّ عَلَيْكَ الْقَلْبَ أَنَا تُ بَائِسِ
وَمَا أَنْتَ إِلَّا رَائِدٌ مِنْ جَمَاعَةٍ
صَحَتْ بَادِيَاتُ الشَّرْقِ تَحْتَ غُبَارِهِمْ
وَفِي الْقِمَمِ الشَّمَاءِ، مِنْ صَرَخَاتِهِمْ
يُضِيئُونَ فِي أَفْقِ الْحَيَاةِ كَأَنَّهُمْ
فِيَا شَاعِرًا غَنَى فَرَقَ لَشَجْوِهِ
لَكَ الدَّهْرُ، لَا، بَلْ عَالَمُ الْحِسِّ وَالنُّهَى

قُلُوبٌ، وَحَارَتْ أَدْمُعٌ فِي الْمَحَاجِرِ
وَنَظَرَةٌ مَحْزُونٌ، وَإِطْرَاقُ سَادِرِ
تَوَالَوْا تَبَاعًا بِالنَّفُوسِ الْحَرَائِرِ
عَلَى شَدْوِ أَقْلَامٍ وَلِمَعِ بَوَاتِرِ
صَدَى الرِّعْدِ فِي عَصْفِ الرِّيَاحِ الثَّوَائِرِ
عَلَى شَطْطِهَا النَّائِي مَنْارَةٌ حَائِرِ
جَفَاءَ اللَّيَالِي، وَاعْتِسَافُ الْمَقَادِرِ
خَمِيلَةٌ شَادٍ آخِذٍ بِالْمَشَاعِرِ

* * *

فَنَمَ فِي ظِلَالِ الشَّرْقِ، وَاهْنًا بِمَضْجَعٍ
وَوَسَدَ ثَرَاهُ الطُّهْرَ جَنْبَكَ وَانْتَضَمَ

نَدِيٌّ بِأَنْفَاسِ النَّبِيِّينَ عَاطِرِ
لِدَاتِكَ فِيهِ، فَهُوَ مَهْدُ الْعَبَاقِرِ

موتُ الشاعر

ككة شادٍ مخضَّبًا بجراحِهِ
خمرةُ الملهمينَ في أقذارِهِ
هـ صَحَتْ تسألُ الربِّي عن صَدَاحِهِ
رِ، وهمسُ الأنداءِ حولِ جناحِهِ
جهشةُ الشعرِ، أو شجِيّ نواحِهِ
لضلالٍ هَدَّتُهُ بافتضاجِهِ
خلَّتُهُ بعضَ لهوه ومزاجِهِ

شعراءُ الشباب: خرَّ عن الأيدِ
مات في ثغره النشيدُ وجفَّتْ
ضِفَّةُ النِيلِ، وهي بعضُ مغانيدِ
أين منها صداهُ في ذروة الفجـ
بُوغِتَتْ بالصباحِ أخرسَ إلَّا
نباُ جاءني، فأسلَمَ عقلي
لو رماه فمُ القضاءِ بسمعي

ح، والأفقُ مائجٌ بصباحِهِ
قد أصابَ الحكيمَ في مصباحِهِ
جُ، وتهوى الصدورُ تحت رِياحِهِ
في، وضاع المجدافُ من مَلَّاحِهِ
سم، يهفو الحنينُ ملءَ وشاحِهِ
سنبلاتُ الوادي إلى أشباحِهِ
يُنطِقُ الواجِماتِ من أدواحِهِ؟
جاء مثنوى رقدت في صُفَّاحِهِ
فدعا المعولاتِ من أرواحِهِ

فلسفتك الحياةُ يا حاملَ المصبا
صِفْ لنا صرعةَ الذُّبالِ وماذا
شَاطىءٌ فوق صدرِهِ يفهقُ المو
ضلُّ في جنحِ ليله زورقي الطا
جُرَّتُهُ أنت في خطا العاشقِ البا
قم، فقد أقبلَ الشتاءُ وأومتُ
ألَّهُ من هُتافِكَ العذبِ داعٍ
عَبَرَ النهرَ والنخيلَ إلى أنْ
حملَ العهدَ عن قلوبِ الحزانى

الثلثون لم تكن عمرَكَ السَّاءَ دِرَ في فتنَةِ الصُّبَا ومِراجِهِ
إنَّها خفَقَةُ الفؤَادِ، وسهْدُ العِيَدِ نِ، في حومةِ العِلا وكفاجِهِ
إنَّها قصَّةُ الصديق، ومأسا ةُ شهيدٍ مكلَّلٍ بنِجاجةِ!

الموسيقية العمياء

إذا ما طافَ بالأرضِ شعاعُ الكوكبِ الفضّي
إذا ما أنَّتِ الرِّيحُ وجاشَ البرقُ بالومضِ
إذا ما فتَّحَ الفجرُ عيونَ النرجسِ الغضِّ
بكيَتْ لزهرةٍ تبكي بدمعٍ غيرِ مُرْفَضِّ

* * *

زواها الدهرُ لم تسعدْ من الإشراقِ باللمحِ
على جفنينِ ظمآنينِ من للأنداءِ والصبحِ
أمهدَ النورِ: ما لليلِ لـ قد لَفَّكَ في جُنْحِ؟
أضئْ في خاطرِ الدنيا ووارِ سنأكَ في جُرْجِي!

* * *

أرى الأقدارَ، يا حسنا ءُ، مثنوى جُرحكِ الدامي
أريها مَوْضِعَ السَّهْمِ الذي سدَّدهُ الرامي
أنيلي مشرقَ الإصبا حِ هذا الكوكبِ الظامي
دعيه يرشِفِ الأنوا رَ من ينبوعها السَّامي

* * *

وخلِّي أدمعَ الفجرِ تُقبِّلُ مغربَ الشمسِ

ولا تبكي على يومٍ لكِ أو تأسّي على الأمسِ
إليكِ الكونَ فاشتفّي جمالَ الكونِ باللمسِ
خذي الأزهارَ في كفّي لكِ، فالأشواقُ في نفسي!

* * *

إذا ما أقبلَ الليلُ وشاع الصمتُ في الوادي
خذي القيثارةَ واستوحي شجونَ سحابه الغادي
وهُزّي النجمَ إشفاقًا لنجمٍ غيرِ وقادٍ
لعلَّ اللحنَ يستدني شعاعَ الرحمة الهادي!

* * *

إذا ما سقسقَ العصفو رُ في أعشاشِهِ الغنِّ
وشقَّ الروضَ بالألحا نِ من غصنٍ إلى غُصنٍ
أتتكِ خواطري الصداً حةَ الرقافة اللحنِ
تغنّيكِ بأشعاري وترعى عالمَ الحُسنِ!

* * *

إذا ما ذابتِ الأندا ءُ فوق الورقِ النَّضْرِ
وصبَّ العطرَ في الأكما مِ إبريقُ من التبرِ
دعوتُ عرائسَ الأحلا مِ من عالمها السُّحري
تُذيبُ اللحنَ في جفني لكِ، والأشجانَ في صدري!

* * *

عرفتِ الحبَّ يا حوًّا ءُ أم ما زالَ مجهولًا
ألمَّا تحملي قلبًا على الأشواقِ مجبولًا؟
صِفِيهِ، صِفِيهِ، فرحانًا، ومخزونًا، ومخبولًا!
وكيفَ أحسَّ باللوع عِ عند النظرة الأولى؟

* * *

وَمَنْ أَدُمُّكَ الْمَحْبُوبُ	بُ؟ أَوْ مَا صُورَةُ الصَّبِّ؟
لَقَدْ أُلْهِمْتُ، وَالْإِلَهَاءُ	مُ، يَا حَوَاءُ، بِالْقَلْبِ
هُوَ الْقَلْبُ، هُوَ الْحُبُّ	وَمَا الدُّنْيَا لَدَى الْحُبِّ؟
سَوَى الْمَكْشُوفَةِ الْأَسْرَى	رِ وَالْمَهْتُوكَةِ الْحُجْبِ؟

* * *

سَلِيَ الْقِيثَارَ بَيْنَ يَدَيِّ	كَ أَيِّ مَلَا حِنْ غَنَّى
وَأَيِّ صَبَابَةٍ سَأَلْتُ	عَلَى أَوْتَارِهِ لَحْنًا
حَوَى الْأَمَالَ، وَالْآلَا	مَ، وَالْفَرَحَةَ، وَالْحُزْنَ
حَوَى الْأَبَادَ، وَالْأَكْوَا	نَ فِي لَفْظٍ وَفِي مَعْنَى!

* * *

تَعَالَى الْحَسَنُ، يَا حَسَنًا	ءُ، عَنْ إِطْرَاقٍ مُحْسُورٍ!
أَيْشَكُو اللَّيْلَ فِي كَوْنٍ	مِنَ الْأَنْوَارِ مَغْمُورٍ!
وَمَا جَلَّاهُ مِنْ سَوَا	هُ إِلَّا تَوَامَ النُّورِ؟
وَمَا سَمَّاهُ إِذْ نَادَا	هُ غَيْرَ الْأَعْيُنِ الْحُورِ؟

النَّهْرُ الظَّامِيُّ

الموكب التاريخي السائر برُفَات الزعيم الخالد سعد زغلول إلى ضريحه الجديد.

يا كعبةَ المجد، حَيِّي موكبَ البطلِ
وَعُرْبَةً عن ثَرَاكَ الطُّهْرِ لم تَطُلِ
وجدِّدوا العهدَ من أيامهِ الأوَّلِ؟
لهفانَ يسبقُ لمعَ البارقِ العَجَلِ
أَيُّ الأساطيرِ من ماضيٍّ، خِيَلُ لي؟
فيه الملايينُ من ساعٍ ومحتفلٍ
لا يبلغُ الوَهْمُ منه مفرقَ السُّبُلِ؟
ضَنُّوا عليه بقبرِ الهانئِ الجَدَلِ!
فيه على صَعَقَاتِ الحادثِ الجَلَلِ
لواؤُهُ عن ركازِ المجدِ لم يَمِلِ
رفاتٌ مستشهدٍ في الحقِّ مقتَبَلِ
معاهدَ الغارِ من فوديه، واقتبلي
وما ادَّخَرَتْ من الأشواقِ والقَبَلِ؟
هذا بشيرُ الهدى والحبِّ والأملِ

طالَ انتظارُك بين اليأسِ والأملِ
هذا المآبُ المُرَجَّى شُقَّةٌ قَصُرَتْ
يا لهفَةً القومِ، هلْ ضَجُّوا لرؤيتهِ
تَدَفَّقَ النهرُ من أقصى منابعِهِ
يثور تَيَّارُهُ العاتي فيسأَلُهُ:
وَأَيَّ مضطربٍ في ضِفْتي مَشَتْ
أعوذةَ الثائرِ المنفيِّ من سفرِ
بل الشهيدُ المُسجَى في لفائفِهِ
ما أشَبَهَ اليومَ بالأمسِ الذي نَسَلُوا
هذا الرفاتُ تراثُ المجدِ في وطنِ
أغلى الذخائرِ من ميراثِ نهضتِهِ
مشى إليك به التاريخُ فاستلمي
حان اللقاءُ فما أعددتِ من كَلِمِ
فاستشرفي النصرَ واستدني مطالعَهُ

* * *

عواهلُ النيلِ أم أشباحُهم عبروا
من ضِفَّةِ النهرِ ملءَ السَّهْلِ والجبلِ

مَرُّوا خِفَافًا عَلَى الْوَادِي كَأَنَّهُمْ
وَفِي أَسَارِيرِهِمْ ذِكْرَى، وَأَعْيَنَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ لِيَوْمٍ مَرٍّ، مَا لَهُمْ
مَا كَانَ مِنْ يَسْلُبِ الْمَوْتَى مُضَاجِعَهُمْ
حَيًّا بِأَرْوَاحِهِمْ سَعْدًا وَلَوْ مَلَكُوا
مَوَاكِبُ السُّحْبِ الْبِيضَاءِ فِي الطَّفْلِ
أَسْرَارُ مَا ضَى عَلَى الْأَحْقَابِ مِنْ سَدِلِ
يَدِّ بِهِ، جَلَّ فَرَعُونَ عَنِ الْغِيَلِ
رَبُّ الصَّوَالِجِ وَالتَّيْجَانِ وَالِدُولِ
نَبَضَ الْوَتِينَ مَشُوا فِي الْمَشْهَدِ الْحَفْلِ

يَا صَاحِبَ الْخُلْدِ كَمْ لِلرُّوحِ مَعْجَزَةٌ
لَمْ يَنْتِهِ الْوَحْيُ وَالسَّحَرُ الْحَلَالُ، وَلَمْ
وَمِنْ دَمِ الشَّهَدَاءِ الْبَاعِثِينَ بِهِ
وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَوْتُ كَلِمَا شَرَعُوا
وَطَافَ بِالْمَدْفَعِ الدَّائِي فَأَخْرَسَهُ
لِوَاؤُكَ الضَّخْمُ مَا زَالَتْ مَوَاكِبُهُ
يَمْشِي عَلَى قَدَمِ جَبَّارَةٍ هَزَأَتْ
هَذَا طَرِيقُكَ لِلْبَيْتِ الَّذِي أَلْفَتْ
انْظُرْ إِلَيْهِ، فَمَا حَالَتْ مَعَالِمُهُ
أَسْأَلُهُ الْيَوْمَ جَرَحًا لَوْ مَضَتْ جِقَبُ
فَلْيُلِقْ أَرْوَغَ مَا أَبْدَعْتَ مِنْ خُطْبِ
وَكَمْ تَمَثَّلَ رُوحُ الْخُلْدِ فِي رَجُلٍ
تَخُلُّ الْحَيَاةُ مِنَ الرُّوَادِ وَالرُّسُلِ
جِيلًا مِنَ الْحَقِّ أَوْ دُنْيَا مِنَ الْأَمَلِ
لَهَازِمَ الْبَغْيِ تَنَاهَا عَلَى خَجَلِ
وَالنَّارُ فِي صَدْرِهِ تَصْطَكُ مِنْ وَجَلِ
تَنْتَرَى، وَرَايَاتُهُ حُمْرَاءَ كَالشُّعْلِ
بِالصَّخْرِ وَالْمَوْجِ، وَالنِّيرَانِ، وَالْأَسَلِ
خُطَاكَ بِالْأَمْسِ، فَاسْلُكُهُ عَلَى مَهَلٍ
مَا لِلزَّمَانِ بِمَا خَلَدَتْ مِنْ قَبْلِ!!
لِظِلٍّ فِي جَنْبِ مِصْرٍ غَيْرِ مُنْدَمِلٍ
جَلَالِكَ الْأَبَدِيِّ، الْمَفْرَدُ الْمَثَلِ

وَعَشْ، كَمَا أَنْتَ مَعْنَى فِي ضَمَائِرِنَا
وَصُورَةً سَمَحَةً الْإِشْرَاقِ مِلْهَمَةً
ذِكْرَاكَ فِي الدَّهْرِ أَعْمَارُ مَخْلُودَةٌ
يَطَالُعُ النَّاسُ مِنْهَا، أَيْنَمَا اتَّجَّهُوا
لَا يَنْتَهِي وَحْيُهُ يَوْمًا إِلَى أَجَلٍ
أَرْقُ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّاعِرِ الْغَزَلِ
حَيَاةٌ مُحْتَشِدِ الْأَمْجَادِ مَتَّصِلِ
شِعَاعُ كَوَكِبِكَ الْوَقَادِ فِي الْأَزَلِ

مَأْسَاةُ رَجُلٍ

وَأَخَذَتْ مِنْ حَبٍّ وَمِنْ بَغْضَاءٍ
جَوَابَهُ الْأَشْبَاحِ وَالْأَصْدَاءِ
هَتَكَتْ غِشَاءَ الْمَقْلَةِ الْعَمِيَاءِ
فِي صُورَةٍ مِنْ رَقَّةٍ وَحِيَاءٍ
نَفَازَةً لِمَكَامِنِ الْأَهْوَاءِ
لَمْ يَخُلْ مِنْ حَذَرٍ وَفَرَطٍ دِهَاءٍ
مَتَوَقِّدٌ كَالْجَمْرَةِ الْحَمْرَاءِ
وَأَقَامَ فَرْدًا فِي الْمَكَانِ النَّائِي
أَمَسَتْ غَرِيبَةً تَرْبَةً وَسَمَاءٍ
بِالصَّمْتِ عَنْ لَغْوٍ وَعَنْ ضَوْضَاءٍ
أَوْ تَبْنٍ عَشَاءٍ، أَوْ تَحُمٍّ بَغْنَاءٍ
مِنْ وَشْيِ تِلْكَ الْحُلَّةِ الْخَضْرَاءِ
لُغَّةِ الْهَوَى وَرِطَانَةِ الْغُرْبَاءِ
بِصَبَابَةِ الْقُمْرِيَّةِ الْبَيْضَاءِ
نَجْمُ الْمَسَاءِ وَرِعْشَةُ الْأَضْوَاءِ
ثَمَلًا بِسَحْرِ اللَّيْلِ الْقَمْرَاءِ
فَشْرِيقُ دَمْعٍ، أَوْ غَرِيقُ دِمَاءٍ
وَتَأَثَّرَتْهُ مَخَاوِفُ الطُّرْدَاءِ

مَاذَا تَرَكْتَ بِعَالَمِ الْأَحْيَاءِ
لَكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرِيَّاتُ حَيَّةٍ
هَتَكَتْ حِجَابَ الصَّمْتِ عَنْكَ وَرَبَّمَا
فَرَأْتَ مَخَايِلَ وَادِعٍ مُتَوَاضِعٍ
مُتَطَامِنِ النَّظَرَاتِ إِلَّا أَنَّهَا
مُتَفَرِّسَاتٍ فِي سَكِينَةٍ قَانِصِ
شَيْخٍ أَطْلَلَ عَلَى الشِّتَاءِ وَقَلْبُهُ
مَرَّ الرِّفَاقُ بِهِ، فَشَيَّعَ رُكْبَهُمْ
وَطَوَى الْحَيَاةَ كَدُوحَةٍ شَرْقِيَّةٍ
لَبَسَتْ جَلَالَ وَحَادِيهَا وَتَرَفَّعَتْ
لَمْ تَنْزِلِ الْأَطْيَارُ فِيَّ ظِلَالِهَا،
حَتَّى إِذَا عَرَى الْخَرِيفُ غُصُونَهَا
عَبَّرَتْ بِهَا صَدَّاحَةً فِي سَجْعِهَا
وَإِذَا رَحِمَتَا لِلنَّسْرِ يَخْفِقُ قَلْبُهُ
هِيَ لِمَعَةِ الْقَبَسِ الْأَخِيرِ وَقَدْ خَبَا
وَتَوَثَّبُ الرُّوحُ الْحَبِيسُ وَقَدْ شَدَا
وَجَنَابَةُ الْحَسَنِ الْغَرِيرِ إِذَا رَمَى
وَمَهَاجِرٍ ضَاقَتْ بِهِ أَوْطَانُهُ

دون السِّفَارِ ولا صقيعُ شتاءٍ
أَمْسى مهِيضَ كرامةٍ وإِبَاءٍ
ضَمُّوا عليه بفرحة الطُّلُوعِ
ضَمُّوا لمصرَ مصادِرَ الإِثراءِ
مفغورة، منهومة الأحشاءِ
بحصادِ حنطتِه، وجلدِ الشَّاءِ
مَقَّةُ السياسةِ وهي شرُّ بلاءِ
رَأْيِ اللبیبِ، ومنطقِ الحكماءِ
كانت سبيلَ هدايةٍ ورجاءِ
حَمَلَتْ لها البشرى طيورُ الماءِ
كانوا طليعةَ موكبِ الشهداءِ؟
بيدَيَّ حوارِيٍّ، وصدرِ فدايِي؟
خرساءً ماثلةٌ لعينِ الرائي!
تمثالَ حبٍّ، أو مثالَ وفاءِ
وتريدُ غيرَ طبائعِ الأشياءِ
وَدَّ الحميمِ وموثقِ القُرْناءِ
أوفى الدعاةِ وأكرمَ الحلفاءِ
نأبى رعايتَهُم على الضَّرَّاءِ
نمَّ الرجالِ مآخذُ الآراءِ
عن ردِّ عاديةٍ ودفعِ بلاءِ
والصمتُ بعضُ خلائقِ الكُرماءِ
ويُري البنينَ عداوةَ الآباءِ
متنافراتِ طبيعةٍ ورواءِ
وتَكَلَّفُ في القولِ والإصغاءِ
فكأنَّما خُلِقَتْ بغيرِ لُحاءِ

لم تَتَّنِه شِيخوخَةً مكدودةً
متطلبٍ حقَّ الحياةِ لخافقِ
من كان في أَمْسِ يسوسُ أمورَهُم
يقضونَ باسمِ المالِ فيه كأنَّما
هَلَّا قضاوا لمقاصفٍ ومصارفِ
أَكَلْتُ دَمَ الفلاحِ ثم تَكَفَّلْتُ
حبُّ بلوتٍ به العذابِ، ومثلُهُ
عَصَفْتُ بأحلامِ الرجالِ وسَفَهْتُ
كم فوق ساجِلها خطأَ مَطْموسَةٍ
وسفينَةٍ مهجورةٍ، محطومةٍ
أَيْنَ اللواءِ؟ ورُبُّهُ؟ وجماعةُ
وأخو يراعِ في الصفوفِ مدافعُ
لم يُنْصَفُوا حتى ببعضِ حجارةِ
ومضوا، فما وجدوا كفاءَ صَنِيعِهِم
تأبى السياسةُ غيرَ لونِ طباعِها
قالوا: أَحَبُّ الإنكليزِ وزادهم
ها قد أتى اليومُ الذي صاروا به
بتنا نغاضِبُ من يغاضِبُهُم ولا
رَأْيٍ أَخَذْتُ به وليس بعائبِ
لكن سَكْتُ، فقليل: إِنَّكَ عاجِزُ
صَمْتُ تَحْيَرٍ فيه كُلُّ مُحَدَّثِ
في عالمِ يُنْسِي الحليمَ وقارَهُ
وتَرى التوائِمَ فيه بين عَشِيَّةٍ
جهدُ الكرامِ به افتراءُ مباسِمِ
صُورَ عرفتُ لُبَّابِها ولُحاءِها

قد كنتَ تُخْلِصُ لي الودادَ فهاكُهُ شعراً يصونُ مَوَدَّةَ الخُلصاءِ

مَأْسَاةُ رَجُلٍ

يَجِدُ الرِّجَالُ بِهِ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ مَدَحِي، وَعَنْ هَنَوَاتِهِمْ إِغْضَائِي
فَاصْعِدْ لِرَبِّكَ فَهُوَ أَعْدَلُ حَاكِمٍ وَهُوَ الْكَفِيلُ بِرَحْمَةٍ وَجَزَاءٍ
وَتَلَقَّ مِنْ حَكَمِ الزَّمَانِ وَعَدْلِهِ مَا شَاءَ مَنْ نَقَدِ وَمِنْ إِطْرَاءِ

صَدَى الْوَحْيِ

بيانك من نبع الجمال المخلد
سرى لحنه في كل قلب كأنما
غريباً على الأسماع وهو كعهده
إلى جبل النور انتهى سرّ وحيه
فغنّ به الأجيال، واهتف بأيه،
وأرسله سمحاً من قريحة شاعر

صدى الوحي في أسلوبه المتجدد
شدا الحب في ناي الربيع المغرد
قديم على ثغر الزمان المردد
وما هو إلا ملهم اليوم والغد
ترنم شاد، أو تراتيل منشد
يعيش بروح الصيحي المجدد

* * *

عوالم شتّى من جلال، وروعة
ذكرت، وللذكرى حديث محبوب
ولليل إصغاء، وللريح حوله
وقد هدأ المصباح، إلا مجاعة
ترامى وراء الأفق حيناً، وتنثني

حواها فؤاد الكاتب المتعبّد
وقد زرتة ليلاً، على غير موعد
رفيف، كهمس الروح في ظل معبد
من النور، في عيني أديب مُسَهّد
ببارقة من ذهنه المتوقّد

* * *

فحيّته همساً، فحيّاً، وصافحت
وشاع جلال الصمت بيني وبينه
وأُسميت أرحاه، فلاحت لخاطري
تسرّ إليه القول في غير منطق

يداه يدي في رقة وتودّد
فأمعن إمعان الخيال المشرّد
ملائك بالنجوى تروح وتغتدي
بأجنحة تهفو على غير مشهد

على صُحُفٍ غُرِّ الحواشي كريمةٍ
 نبيلُ مرامي القول في كفِّ كاتبٍ
 يخطُّ لروحانيّة الشرقِ سيرةً
 تمثّلها في صورة قرشيّة
 يبتُّ سناها الأرضَ حبًّا، ورحمتهُ
 حياةً نمتْ مجدّ الحياةِ وغيّرتْ
 تنادى بها الرءاونَ، فاعجب لما رأوا
 تسامى عن الدنيا وفيها لواؤه
 فما ضفّر الأكليلَ يومًا بمفرقٍ
 أحب إليه حين يفتersh الثرى
 ويخصفُ نعليه، وطوعُ يمينه
 ويمضي إلى الهيجاءِ غرثانَ صاديًا
 ولكنّه دينٌ أفاءَ ظلاله
 عفاةً، كأن لم يملكو قوتَ يومهم
 مَحَوْا لفظةَ الأربابِ من كلماتهم
 هو المثل الأعلى ومبعوثُ أمةٍ

جَرى قَلَمٌ عَفُ السريرةِ واليدِ
 دعاهُ فَلبَّاهُ لَأَنْبِلَ مَقْصِدِ
 هي الحقُّ في دنيا الجمالِ المجرّدِ
 يشيعُ الرضا في طيفها المتجسّدِ
 ويطوي هداها سطوة المتتمرّدِ
 وجوه الليالي من وضيءٍ وأربدِ
 جلالُ نبِيٍّ، في تواضع مُرشدِ
 يطوفُ بسلطانِ العزيزِ المؤيّدِ
 ولا حلَّ منه التاجُ يومًا بمعقدِ
 ويأوي لجذع النخلة المتأوّدِ
 مصايرُ هذا العالمِ المترعّدِ
 فللّه دنيا ذلك الساعِبِ الصّدي
 على ملاٍّ من شيعةِ الله سَجْدِ
 وهم جبهةُ الملِكِ العريضِ الموطّدِ
 فما عرفوا معنى مَسودٍ وسيّدِ
 بناها بناءَ المعجزِ المتفردِ

* * *

مُحَمَّدُ، ما شعري إليك وما يدي؟
 ولكنّه حوضُ الشفاعةِ ضَمَنًا
 نَمَانِي إقْلِيمُ نَمَاكَ، وأطلعتُ
 فإن أشدُّ بالمجد الذي شدّت ركنه
 محمد: ما أرضيك بالشعرِ مدحًا

وما الشعر من إبداعك المتعدّدِ؟
 على خيرٍ ميعادٍ وأعذبٍ مورِدِ
 سماءك شمسٌ أطلعتُ فجرَ مولدي
 فما هو إلّا ركنٌ قومي وسؤدي
 فحسبك مرضاةُ النبيّ محمّدِ

العُشَّاقُ الثَّلَاثَةُ

«إلى أدعياء الحكمة والمعرفة.»

يُفَكِّرُ فيما تحته من غِيَاهِبِ
بصوتِ محبٍّ في الحياةِ مُقَارِبِ
وأجملَ أحلامِ الليالي الكوَاعِبِ
وراعيكَ بين النِّيَّراتِ الثَّواقِبِ
عوالِمَ المَلَأَى بِشَتَّى العِجَابِ
تُبَعَثُهَا في الكونِ من غيرِ حَاسِبِ!

سَرَى القَمَرُ الوضَّاحُ بين الكواكبِ
فناداهُ من وادي الخَلِيَّينَ هَاتِفُ
يقولُ لَهُ: يا روعةَ الحَسَنِ والصُّبَا
أنا العاشِقُ الوافي إذا جَنَنِي الدُّجَى
ألا ليتني حُرُّ كضوءِكَ أرتقي
ويا ليت لي كنزُ ابتساماتِكَ التي

وأضفى على الوادي شعاعَ حنانِ
فلم يَرِ في أنحائها وجهَ إنسانِ
فأين تُرى أَلَقَاكَ أم كيف تَلْقَانِي؟
وراءَ زجاجيها أخذتُ مكانِي
وأن أنزلَ الوادي بحيثُ تراني
نَزَوْدُ عيني من سَنَا ضوءِكَ الحَانِي!

فأصغى إليه الضوءُ في صَفْوِ جِذْلَانِ
وجاسَ خلالَ السُّحُبِ والماءِ والثرى
فصاحَ بِهِ: يا صاحبي ضلَّ ناظري
فأوما له إني هنا تحت شُرْفَتِي
أبى البردُ أن أَسْتَقْبَلَ اللَّيْلَ قائِماً
وحسبُ الهوى من عاشقٍ لك وامقٍ

وأعرضَ عنه بابتسامةٍ ساخِرِ
ويا رَبُّ شِعْرِ ساقِهِ غيرُ شاعِرِ

فألقي عليه الضوءُ نظرةً حائرَ
وقال له: يا صاحبي قد جهلتني

أنا الموثقُ المكدودُ طالْتَ طريقُهُ
تجاذبُنِي طاحونَةُ الشمسِ كلما
وما بسمتي إلا دموعٌ من اللَّطَى
فدعْ عنكَ يا أعجوبةَ الحبِّ عالمي
طريقُ أسيرٍ في رعايةِ أسِرِ
وقفتُ، وتمضي بي سياطُ المقادِرِ
قد التّمتعتُ في وجهِ سَهْمَانِ حاسِرِ
فقبلَكَ لم يَلَقَ الأعاجيبَ ناظِرِي!

وأمعنَ في تفكيرِهِ القمرُ الزاهي
يناجيه منها عاشقُ ذو ضراعةٍ
يقول له: يا مُشْهَدِي كُلِّ لَيْلَةٍ
شبيهةً بهذا الضوءِ نورُ جبينِهِ
وترسّمُ لي الأشباحَ طيفَ خياله
تَمَنَّيْتُ لو وَسَدْتُ خَدَّكَ راحتي
فمرَّ بأرضِ ذاتِ عُشْبٍ وأمواه
مناجاةً صوفيٍّ لِطَيِّفٍ إِلَه
جمالَ مُحَيَّا رائعِ الحسَنِ تَيَّاه
على أَنَّهُ في الناسِ من غيرِ أشباهِ
فأدنو لضمٍّ أو للثمِّ شَفَاهِ
وصدرُكَ خَفَّاقٌ، وجفْنُكَ ساهي

فرفَّ على الوادي الشعاعُ طروباً
أزحَ هذه الأغصانَ عنكَ لعلّني
فجأوبُهُ: يا قُرَّةَ العينِ إنني
إذا أتعبتُ عيني السماءَ تَطَلُّعاً
ففي صفحاتِ الماءِ نهضةً عاشق
خلوتُ بِهِ، أَرعَاكَ أَوْفَى قسامَةٍ
وناداهُ من بينِ الظلالِ مُجيباً
أصافحُ وجهًا، من هواك حبيباً
قد اخترتُ من شطِّ الغديرِ كثيباً
وخالستُ لحظاً للنجومِ مُريباً
يَراك على بُعْدِ المزارِ قريباً
وأوفرَ من سحرِ الجمالِ نصيباً!

فغاضَ ابتسامُ الضوءِ من فرطِ حيرةٍ
هو الكونُ مرآتي، ومجلَى مفاتني
وما نَظَرَ العشاقُ إلا لعالمٍ
أعيذُ الذي شبّهتني بجماله
أنا الفحمةُ البيضاءُ إن جنّني الدُّجَى
فَدَعُ عالمَ الأفلاكِ واقنعْ بلَجَّةٍ
وصاح: نجِيَّي أنتَ حَقَّرْتَ سيرتي
وما لغديرٍ أن يُمَثِّلَ صورتي
يُعْظَمُ في المعشوقِ كُلِّ صغيرةٍ
أديمٌ مُحَيَّا مثلَ صمَاءِ صخرتي
أنا الحمةُ السَّوداءُ، رأدَ الظهيرةِ
وغازلُ من الأسماكِ كُلِّ غريرةٍ!

وبينا يهيمُ الضوءُ في سُبحَاتِهِ وقد غطَّ هذا الكونُ في سُخرياتِهِ
رأى شبحاً في قربِ نارٍ كأنما يودُّعُ طيفاً غابَ عن نظراتِهِ
يمدُّ ذراعِيه، ويُرسِلُ صَوْتَهُ بلوعةَ قلبٍ ذابَ في نبراتِهِ
إلى القمرِ الساري مُحيّاهُ شاخصُ كصاحبِ نُسكِ غارقٍ في صَلَاتِهِ
فحامَ عليه الضوءُ واستمهلَ الخطأ وأجرى سناه الطلُقَ في قَسَمَاتِهِ
وصاحَ به: يا شَيْخُ ما أنت قائلُ تكلمْ! فإنَّ الليلَ في أخرياتِهِ

فقالَ له: يا باعثِ الحبَّ والمنى سِلِمَتَ وحيَّتَكَ العوالمُ والدُّنى
شفيتَ جوى شيخٍ أحبكُ يافعاً وعاش بهذا الحبِّ جِذلانَ مُؤمناً
وأفنيْتُ عمري أرتقي عالي الذُّرا إلى أنْ بلغتَ اليومَ مثوأي ها هنا
وأوقدُ ناري كي تَراني وأنثني لأطلقَ ألحاني، وأدعوكَ مَوْهناً
وقيلَ: ضنينٌ لا وجودُ بوصله فهأنذا ألقاك يا ضوءَ محسناً
تساوتُ كلابُ تنبحُ البدرَ ساريًا ونوأمُ ليلٍ أنكروا آيةَ السَّنَا!

فحدَّقَ فيه الضوءُ وارتدَّ مُغضَبًا
وقالَ له: أفنيْتُ في سُخْفِكَ الصُّبا
ولمَّا تُرِخْ جفنًا من السهدِ مُتَعَبًا
وسُخريَّةً بالنارِ، أن تتقَرَّبَا
كأنَّ شعاعي في جفونك قد حَبَا
ومن عَبَثِ مثواكَ في هذه الرُّبَا
على حينٍ لم تبلغْ من النورِ مَرَقبًا
وما كنتَ إلَّا الواهمَ المترقِّبًا
وثالثَ عُشَّاقٍ بهم ضِقتُ مذهبًا
وكانوا لأمثالِ الخليئين مَضْرِبًا

فوا أسفاه، ما كنتُ في الدهر مذبَّبا
 فأجْزَى بنجوى من تعشَّق أو صبا
 وساق على حبي الدليلَ المكذبا
 سلِّ العاصي الهاوي من الخلد هل نبا
 به الليلُ لمَّا آثر الأرض واجتبي؟
 أبصرَ قبلي في الدُّجْنَةِ كوكبا
 أضاء له الدربُ السحيقَ المشعبا
 وهل في سنا غيري تملَّى وشبَّبا
 بحواءِ واهتاجِ اليراعِ المثقبا
 حويتُهما روحًا طريداً مُعذِّبا
 فذابَ حيائي منهما، وتَصَبَّبا
 وأورثني هذا الشحوبَ، وأعقبَا
 رأيتُ فما يدنو، ووجهاً تخضَّبَا
 وصدرًا خفوقًا فوق صدر تَوَثَّبَا
 غرائزُ فيها الغيُّ والنقصُ رُكِّبَا
 تَلَمَّسُ في ضوئي الأثامَ المحبَّبَا
 فيا شيخُ دَع هذا الوشاحَ المذهَّبَا
 ترَ الحمأَ المسنونَ في الكأسِ دُوبَا
 طفا الراحُ فيه، والترابُ ترسَّبَا
 وإنَّ كلابَ الأرضِ أشرفُ مَأْرَبَا
 ينيرُ لها ضوئي الظلامَ لتجنبا
 حُطَّى اللصُّ يستارُ الطريقَ المحبَّبَا
 فإن نَبَحَتْ ضوئي، تسمَّعتُ معجبا
 بأرخمَ لحن، رنَّ في الليلِ مطربا
 تحيَّةَ مُثنٍ بي أهلاً مُرَحَّبَا
 بني آدم، إنَّ لم يكن آدمُ الأبَا
 رجوتُ لكم من عالمِ الرجسِ مَهْرَبَا

الْعُشَّاقُ الثَّلَاثَةُ

وَأَثَرْتُكُمْ بِالْكَلبِ جَدًّا مَهْذَبًا
وَأَجْمَلُ بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَلَّبَا

* * *

وَمَالَ عَنِ الْأَرْضِ الشَّعَاعُ وَغَرَّبَا
وَوَسَّوَسَ فِي صَدْرِ الدُّجَى فَتَالَبَا

زَهْرٌ وَخَمْرٌ

١٩٤٣

الإهداء

إلى صاحب القلم الشاعر، والبيان الساحر صديقي الكاتب الجليل الأستاذ
أحمد حسن الزيـات.
ذكرى أول لقاء على ضفاف المنصورة، منذ عشرين عامًا في مستهل ربيع
باسم.

علي محمود طه

ليالي كليوبترا

كليوبترا! أيُّ حُلْمٍ مِنْ لياليكِ الحسانِ
طافَ بالموجِ فغَنَّى وتغَنَّى الشاطئانِ
وهفَا كُلُّ فؤادٍ وشدا كُلُّ لسانِ
هذه فاتنةُ الدُّنيا وحسناؤُ الزَّمانِ
بُعِثْتُ فِي زورقٍ مُسْتَلْهِمٍ مِنْ كُلِّ فَنٍّ
مَرِحِ المجدافِ يَختالُ بحوراءِ تُغَنِّي
يا حبيبِي، هذه ليلَةٌ حُبِّي
أهْ لو شاركتَنِي أفراحَ قَلْبِي!

نبأَةُ كالكأُسِ دارَتْ بينَ عُشَّاقِ سُكاري
سَبَقَتْ كُلَّ جناحٍ فِي سماءِ النيلِ طارا
تَحْمِلُ الفتنَةَ والفرحةَ والوجدَ المثارا
حُلوةً صافيةً اللحنِ كأحلامِ العذارى
حُلْمُ عذراءٍ دعاها حُبُّها ذاتِ مساءٍ
فَتَغَنَّتْ بِشِراعٍ مِنْ خَيالِ الشِّعْراءِ
يا حبيبِي، هذه ليلَةٌ حُبِّي
أهْ لو شاركتَنِي أفراحَ قَلْبِي!

وتجلى الزورق الصاعدُ نشوانَ يَمِيدُ
يتَهَدَّاهُ على الموجِ نَوَاتِي عَبِيدُ
المجاديفُ بأيديهم هتافٌ ونشيدُ
ومُصَلُّونَ لهم في النهرِ محرابٌ عَتِيدُ
سَحَرَتْهُمُ رَوْعَةُ اللَّيْلِ فَهُمْ خَلَقَ جَدِيدُ
كلهم ربُّ يُغْنِي وإلهُ يستعيدُ
يا حبيبي، هذه ليلةٌ حُبِّي
أه لو شاركتني أفراحَ قلبي!

إصْدَحِي، أيتها الأرواحُ، باللحنِ البديعِ
إمْرَحِي، يا راقصاتِ الضوءِ، بالموجِ الخليعِ
قَبِّلِي، تحتِ شراعي، حُلْمَ الفنِّ الرفيعِ
زورقًا بين ضفافِ النيلِ في ليلِ الرَّبيعِ
رَنَحَتْهُ موجةٌ تلعبُ في ضوءِ النجومِ
وتُنَادِي بشعاعِ راقصٍ فوقِ الغيومِ
يا حبيبي، هذه ليلةٌ حُبِّي
أه لو شاركتني أفراحَ قلبي!

لِيلُنَا خمرٌ وأشواقٌ تُغْنِي حولنا
وشرائعُ سابحٍ في النُّورِ يَرْعَى ظِلَّنَا
كان في الليلِ سُكَارَى، وأفاقوا قبلنا
ليتهم قد عرفوا الحبَّ فباتوا مثلنا
كلُّما غَرَّدَ كأسُ شربوا الخمرةَ لحنا
يا حبيبي، كلُّ ما في الليلِ روحٌ يتغنَّى

هات كأسِي، إِنَّهَا لَيْلَةُ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي!

* * *

يَا ضِفَافَ النِّيلِ بِاللَّهِ وَيَا خُضَرَ الرِّوَابِي
هَلْ رَأَيْتَنِي عَلَى النِّهَرِ فَتَى غَضِّ الإِهَابِ
أَسْمَرَ الْجَبْهَةِ كَالْخَمْرَةِ فِي النُّورِ الْمَذَابِ
سَابِحًا فِي زُورْقٍ مِنْ صُنْعِ أَحْلَامِ الشَّبَابِ؟
إِنْ يَكُنْ مَرًّا وَحَيًّا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبِ
فَصَفِيهِ، وَأَعِيدِي وَصْفَهُ، فَهُوَ حَبِيبِي!
يَا حَبِيبِي، هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي!

* * *

أَنْتِ يَا مَنْ عُدَّتِ بِالذِّكْرِ وَأَحْلَامَ اللَّيَالِي
يَا ابْنَةَ النَّهْرِ الَّذِي غَنَّاهُ أَرْبَابُ الْخِيَالِ
وَتَمَنَّتْ فِيهِ لَوْ تَسْبِحُ رَبَّاتُ الْجَمَالِ
مَوْجُهُ الشَّادِي عَشِيقُ النُّورِ، مَعْبُودُ الظَّلَالِ
لَمْ يَزَلْ يَرْوِي، وَتُصْغِي لِلرِّوَايَاتِ الدَّهْوَرُ
وَالضِّفَافُ الْخَضِرُ سَكْرَى، وَالسَّنَا كَأْسُ تَدَوُّرِ
حُلْمٍ لَمْ تَرَوْهُ لَيْلَةَ حُبِّ
فَاذْكُرِيهِ، واسمعي أَفْرَاحَ قَلْبِي!

مِيلَادُ زَهْرَةٍ

إلى الطيور النائمة في أعشاشها قبيل فجر شتاء.

يا شعراء الروض أين البيان؟
قد وُلِدَتْ في روضكم زهرةٌ
حُلُمُ الفراشات، وحبُّ الندى
قد بَشَرَ الأرضَ بها مُرْسَلٌ
والنورُ سِرٌّ في ضَمِيرِ الدُّجَى
أبصرتها تهفو على غصنها
بَيضاء، أو حمراء، تَزْهَى بها
تَظَلُّ تُصغى، وتَظَلُّ الرُّبَى،
وَلَيْسَ منكم حولها هاتِفٌ
هل مَلَّتِ الخمرةُ أقداحَكُم؟
قُومُوا انظروا الظِّلَّ على مهدها
لو تقدَّرَ الأنسامُ زَفَّتْ لها
وأسمعت من خفق أنفاسها

أَيْنَ أغاريدُ الهَوَى والحنان؟
يا حُسْنَهَا بين الزُّهورِ الحَسَنان!
وخمرةُ النحل، وسحرُ الأوانِ
مُجَنِّحٌ من نَسَمَاتِ الجِنَانِ
والفجرُ طيفٌ لم يَبْينَ للعيانِ
في وحشةِ الليلِ وصَمَتِ المكانِ
عرائسُ النرجس، والأقحوانِ
والعشبُ، والجدولُ، والشاطئانِ
تسكبُ موسيقاهُ سِحْرَ البيانِ
أَمْ نَضَبَتْ من خمرهنَّ الدَّنانِ
يرقصُ فيه القمرُ الأضحيانِ
أرْبعةَ الفردوسِ في مهرجانِ
صوتَ البشيرات، وشدو القيانِ

* * *

يا شعراء الروض كم زهرة
حسبي من الدنيا على شذوكم
مِيلَادُهَا من حَسَنَاتِ الزمانِ
زَهْرٌ، وخمرٌ، ووجوهُ حِسانِ

حَانَةُ الشُّعْرَاءِ

هِيَ حَانَةٌ شَتَّى عَجَائِبُهَا
فِي ظِلَّةٍ بَاتَتْ تُدَاعِبُهَا
وَزَهَتْ بِمِصْبَاحِ جَوَانِبُهَا
«بَاخُوسُ» فِيهَا وَهُوَ صَاحِبُهَا
قَدْ ظَنَّهَا، وَالسَّحَرُ قَالِبُهَا،
مَعْرُوشَةٌ بِالزَّهْرِ وَالْقَصَبِ
أَنْفَاسُ لَيْلٍ مُقَمِّرِ السُّحُبِ
صَافِي الرُّجَاجَةِ رَاقِصِ اللَّهَبِ
لَمْ يَخُلْ حِينَ أَفَاقَ مِنْ عَجَبِ
شِيدَتْ مِنْضُ الْيَاقُوتِ وَالذَّهَبِ

إِبْرِيْقُهُ حَلِيٌّ مِنَ الدُّرِّ
وَكَأَنَّ مَا حَوْلِيهِ مِنْ صُورِ
تَرَكْتُ مَوَاضِعَهَا مِنَ الْأَطْرِ
مَنْهَنٌ عَازِفَةٌ عَلَى وَتَرِ
وَعَرِيرَةٌ حَوَاءُ كَالْقَمَرِ
يُزْهِى بِهِ قَدَحٌ مِنَ الْمَاسِ
مَتَحَرَّكَاتٌ ذَاتُ أَنْفَاسِ
وَمَشَتْ لَهُ فِي شَبِّهِ أَعْرَاسِ
مُتَفَجِّرٍ بِأَرْقٍ إِحْسَاسِ
تَحْنُو عَلَى شَفَتَيْهِ بِالكَاسِ

أَوْتَلَكَ حَانَتُهُ؟ فَوَا عَجَبًا!
وَمِنْ الْخِيَالِ أَهْلٌ وَاقْتَرَبَا
فِي مَوْكَبٍ يَتِمَثَّلُ الطَّرْبَا
وَبِكُلِّ نَاحِيَةٍ فَتَى وَثَبَا
يَتَوَهَّجُونَ صَبَابَةً وَصَبَا
أَمْ صُنْعُ أَحْلَامٍ وَأَهْوَاءِ؟
«فَيْنُوسُ» خَارِجَةٌ مِنَ الْمَاءِ!
وَيَمِيلُ مِنْ سَحَرٍ وَإِغْرَاءِ
مَتَعَلِّقًا بِذِرَاعِ حَسَنَاءِ
يَتِمَثَّلُونَ غَرِيبَ أَزْيَاءِ

* * *

يَفْدُونَ مِنْ حَانُوتِ قَصَابٍ!	حُمْرُ الثِّيَابِ تَخَالُ أَنَّهُمْو
يَتَرَقَّبُونَ مَنَافِذَ الْبَابِ	جَلَسُوا نَشَاوَى مِثْلَمَا قَدِمُوا
يَسْرِي عَلَى رَنَاتِ أَكْوَابِ	يَتَهَاْمَسُونَ، وَهَمْسُهُمْ نَغْمٌ
عُشَّاقُ فَنٍّ، أَهْلُ آدَابِ	إِنْ تَسْأَلِ الْخَمَّارَ، قَالَ: هُمُو
أَنْصَافُ آلِهَةٍ وَأَرْبَابِ	لَوْلَا دُخَانُ التَّبَعِ خَلَّتَهُمُو

* * *

وَكَأَنَّهَا قَطَعُ مَنْ الْحَلَكِ	مِنْ كُلِّ مُرْسَلِ شَعْرِهِ جَلَقَا
وَيَكَادُ يُحْرِقُ قُبَّةَ الْفَلَكَ	غُلْيُونُهُ يَسْتَشْرِفُ الْأَفُقَا
فَكَأَنَّهُ فِي وَسْطِ مُعْتَرِكِ	أَمْسَى يُبْعَثِرُ حَوْلَهُ وَرَقَا
يُجْرِي الْيَرَاعَ بِكَفٍّ مُرْتَبِكِ	فَإِذَا أَتَاهُ وَحْيُهُ انْطَلَقَا
يُغْرِى ذَوَاتِ الثُّكُلِ بِالضُّحِكِ	وَيَقُولُ شَعْرًا كَيْفَمَا اتَّفَقَا

* * *

شَتَّى أَحَادِيثٍ وَأَنْبَاءِ	«بَاخُوسُ» يَزُوي عَنْ غَرَائِبِهِمْ
وَعَنِ الصَّبَايَا فِتْنَةِ الرَّائِي	قِصَصٌ تَدَاوَلُ عَنْ صَوَاحِبِهِمْ
بَدَأَتْ بِآدَمَ أَمْ بِحَوَّاءِ	وَعَنِ الْخَطِيئَةِ فِي مَذَاهِبِهِمْ
يُكْثِرْنَ مِنْ غَمَزٍ وَإِيْمَاءِ	وَالْمُلْهِمَاتِ إِلَى جَوَانِبِهِمْ
وَيَلْدُنَ مِنْ سَامٍ بِإِغْفَاءِ	يَعْجَبْنَ مِنْ فِعْلِ الشَّرَابِ بِهِمْ

* * *

فَنَّانَةٌ دَلَقَتْ مِنَ الْبَابِ	وَتَلَفَّتُوا لَمَّا بَدَا شَبَحُ!
أَلَقَتْ غُلَالَتَهَا بِإِعْجَابِ	سَمِرَاءُ بِالْأَزْهَارِ تَتَشَحُّ
إِلَّا خُطَى رُوحٍ وَأَعْصَابِ	وَمَشَتْ تَرَاقِصَهُمْ فَمَا لَمْحُوا
فِي صَوْتِ شَاجِي اللَّحْنِ مِطْرَابِ	وَسَرَى بِسَرٍّ رَحِيقَهُ الْقَدَحُ
لِإِلَهَةٍ فَرَّتْ مِنَ الْغَابِ	وَشَدَا بِجَوِّ الْحَانَةِ الْفَرَحُ

* * *

وإذا «بفينوس» تمدُّ يدا	هي رَقْصَةٌ وَكَأَنَّهَا حُلْمٌ
قلبٌ يهزُّ نداؤه الأبداء:	الكأسُ فيها وهي تضطرمُّ
قد ضاع فنُّ الخالدين سدى!	زَنْجِيَّةٌ في الفنِّ تحتكمُّ؟
الفنُّ روحًا كان؟ أم جَسَدًا؟	فأجابت السمرءُ تبتسمُ:
الليلُ ولَّى والنهارُ بدا!	يا أيها الشعراءُ ويحكُّمُ

سَارِيَّةُ الْفَجْرِ

عَبَرْتُ بي في صباحٍ باكرٍ
شعرُها الأشقرُ فيه وردةٌ
ورشيقاتُ الخطى في وقعها
وبعينيهما رُؤى حائرةٌ
صَوَّرَتْ من حاضر العيش، ومن

فتنة العَيْنِ وشُغلِ الخاطرِ
لونها من شهواتِ الشاعرِ
مُنْبِئَاتِي بشبابٍ ساحرٍ
بين أسرارِ مساءٍ غابرٍ
أَمْسِها، قِصَّةَ حُبٍّ عاثرٍ

قلتُ، والفجرُ سَنَا ياقوتة
هذه الساعةُ تسعى امرأةً
مَنْ تُراها؟ وإلى أين؟ وَمِنْ
تقطع الإفريزَ من ناحيتي
تَنَقِّي الأعينَ أَنْ تبصرها
لا تبالِي بِلَلِ الثوبِ، ولا
أو تبالِي قدماها خاضتا

لَأَلَتْ خَلْفَ السحابِ الماطرِ:
حين لم يخفقُ جناحُ الطائرِ!
أَيَّ خدرٍ طلعتُ أو سامرٍ؟
كأسيرِ هارِبٍ من أسرٍ
وهي لا تَأَلُو التفاتِ الحائرِ
لفحةَ البردِ الشفيفِ الثائرِ
مسربَ الماءِ الدفوقِ الهامرِ

أَنْتِ، يا ساريةَ الفجرِ، اسمعي
مرَّ بي مثلكِ لم يُشْعِرْنِي
وأنا الشاعرُ، قلبي رحمةٌ

دعوةَ الروحِ البريءِ الطاهرِ
غيرَ إشفاقِ الحَفِيِّ الناصرِ
لفريساتِ القضاءِ الجائرِ

إِنْ نَأَتْ دَارُكَ، يَا أَخْتُ، فَمَا بَعُدَتْ دَارُ الْغَرِيبِ الْعَابِرِ
شَاطِرِينِي ذَلِكَ الْمَأْوَى، فَمَا أَتَقَاضَاكَ وَفَاءَ الشَّاكِرِ
غَرْفَةً، أَلْهَةُ الْفَنِّ بِهَا تَتَلَقَّاكَ لِقَاءَ الظَّافِرِ
وَتُغَنِّيكَ نَشِيدًا مِثْلَهُ مَا تَغَنَّنْتَ لِحَبِيبٍ زَائِرِ

* * *

هَاتِ كَفِّكَ وَلَا تَضْطَرِّبِي! لَا تَخَالِي رَيْبَةً فِي نَاضِرِي!
سَوْفَ يَتَّوِيكَ جِدَارٌ سَاخِرٌ مِنْ أَبَاطِيلِ الزَّمَانِ السَّاحِرِ
سَوْفَ يَحْوِيكَ فِرَاشٌ صَامِتٌ لَكَ فِيهِ هَمْسَاتُ الذَّاكِرِ
سَوْفَ يَطْوِيكَ سَكُونٌ لَمْ يَشُبْ صَفْوَهُ لَغْوُ مُحِبٍّ غَادِرِ
وَأُنَادِيكَ، وَأَسْتَدْنِي يَدًا لَمَسْتُ رُوحِي، وَهَزَّتْ خَاطِرِي
وَأَحْيِيكَ، وَأَسْتَحْيِي فَمَا حَقُّهُ قُبْلَهُ رَبِّ غَافِرِ!!

أُغْنِيَةُ الْحُبِّ

قال الشاعر الألماني هنريخ هايني:

أيها الصَّحب هذا زمن الحب، فلنرفع الكؤوس، فالربيع المرح يجعلنا جميعًا
إخوانًا، ها هو ذا الحب البهيج، وأنتِ أيتها الشمس، أتصوّبين شعاعك؟
فلنذهب لنقطف فرحين الأعناب الناضرة.

وقلت في هذا المعنى:

يا رفاقي، هذه السَّاءة من حُلُم الزَّمانِ	عَةً من حُلُم الزَّمانِ
إنَّ هذا زَمَنُ الحُبِّ	بِّ، فَضِجُّوا بالأغاني
ارفعوا الأقداحَ مَلَأَى	واشربوا نَخْبَ الحسانِ
فالربيعُ السَّمْحُ يدعو	كم إلى أَقْرَبِ حانٍ!

الربيعُ المَرِحُ الجذَّ	لأنَّ يَخْتالُ فخورا
إنَّه الحَسَنُ الذي يَمُ	لأُ بِالْحُبِّ الصِّدورا
كيف لا نَقْطِفُ منه الـ	ثَمَرَ الحلو النضيرا!
أنتِ، يا أيتها الشمـ	سُ، املئي الآفاق نورا!

يا رفاقي، قد دعانا زمن الحبِّ، فهيَّا

ديوان علي محمود طه

أَطْلَعِ الرُّوحُ جَنَى الْكَرْمِ مَةِ وَالزَّهْرَ النَّدِيًّا
اقطفوا الأزهارَ منه واعصروا الكرمَ الجنيًّا
يا رفاقي، قد دعانا زَمَنُ الْحَبِّ، فَهَيَّا!!

حَدِيثُ قُبْلَةٍ

تسائلني حلوةً المبسم:
تحدّثت عَنِّي، وعن قُبْلَةٍ
فقلتُ أعابُثُها: بل نسيتُ،
فإنْ تُنكريها فما حيلتي؟
سَلِي شفتيكِ بما حَسَّتهُ
أَلَمْ تُغْمِضِي عندها ناظريكِ؟
هَبِي أَنَّها نعمةٌ نِلْتُها
فإنْ شئتِ أرجعتها ثانياً

مَتَى أَنْتَ قَبَّلْتَنِي في فمي؟
فيا لكَ من كاذِبٍ مُلْهِمٍ!
وفي الثغرِ كانتُ، وَفي المعصمِ
وها هي ذي شعلَةٌ في دمي
من شَفَتَيَّ شاعرٍ مُغْرَمٍ
وبالْراحَتَيْنِ، أَلَمْ تَحْتَمِي؟
ومن غيرِ قَصْدٍ، فلا تندمي!
مضاعفةً للغمِ المنعمِ

فقالَتْ، وَغَضَّتْ بأهدابها:
سأغْمِضُ عينيَّ كَيَّ لا أراكَ
كَأَنَّكَ في الحلمِ قَبَّلْتَنِي

إذا كانَ حَقًّا، فلا تُحْجِمِ
وما في صنيعِكَ من مأْثَمٍ
فقلتُ: وأُفديكَ أنْ تَحْلُمِي!!

خَمْرَةُ الشَّاعِرِ

رَبَّتِي، رَبَّةُ أَشْعَا
هي حوريَّةٌ غَابِ
وعروسٌ من بنات الـ
مثلها لم يَرَ صَيًّا
فَتَنَّةُ الشَّاعِرِ فِي وَحْدِ
غَنَّتِ الْأَحْلَامُ فِي غِرِ
وَسَرَتْ تَرْقُصُ حَوْلِي
ورَفِيفِ السُّحْبِ وَالْأَنْدِ
ولغيري لم تَكُنْ تَخِ
لا، ولم تَرَوْ كَهَذَا الـ
ولِيَالِي الصَّيْفِ مِنْهَا
بِتُ أُسْقِيهَا وَتَسْقِي
خَمْرَةً مَا قَبَّلْتُ غِي
خَمْرَةً فِي الْغَيْبِ كَانَتْ
خُتِمْتُ بِالشَّفَقِ الْوَرِ
جُبِلْتُ فَخَارَتَاهُ

رِي، وَحُبِّي، وَغَنَائِي
لَمْ تَبْنِ لِلشَّعْرَاءِ
جَنَّ لَمْ تَبْدُ لِرَائِي
دُ عَلَى صَفْحَةِ مَاءِ
سَدْتِهِ كُلَّ مَسَاءِ
فَتِيهِ لَحْنُ اللَّقَاءِ
لَهُ عَلَى خَفَقِ الْهَوَاءِ
جَمِ وَالشَّهْبِ الْوَضَاءِ
طَرُ فِي هَذَا الرِّوَاءِ
لَحْنِ فِي هَذَا الصَّفَاءِ
كَأَمَاسِي الشِّتَاءِ
نِي عَلَى مُحْضِ الْوَفَاءِ
رَ شَفَاهِ الْأَنْبِيَاءِ
قَطَرَاتٍ مِنْ ضِيَاءِ
دِي فِي أَصْفَى إِنَاءِ
مِنْ صَفَاءِ وَنِقَاءِ

حَدَّثُوا عَنْهَا، وَمَا أَحَدٌ
قَالَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ فِي
هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَانَتْ
عَصْرُهَا مِنْ جَنَى الرَّ
لَى حَدِيثَ النَّدْمَاءِ
غَيْرَ زَهْوٍ وَادِّعَاءِ:
لِمَلُوكٍ أَتَقِيَاءِ
بَّاتٍ فِي فَجْرِ شَتَاءِ

* * *

ثُمَّ آلَتْ لَغْلَامٍ
شَرِيهِ النَّظَرَةِ، عَرَبِيَّةٍ
عَشَقَ الْبَحْرَ وَعَافَ الْ
وَمَضَى يَضْرِبُ فِي الْكُو
عَاشَ كَالْقَرِصَانِ يَطْوِي
بِشِرَاعٍ صُنْعُهُ إِحْدَى
عَزَلًا يَمْلِكُ بِالشَّعْرِ
كَلِمَا هَامَ بِأُنْثَى
وَشَكَا الْكَأْسُ إِلَيْهِ
هَمٌّ أَنْ يَشْرَبَ فَارْتَدَّ،
ضَنَّ بِالْقَطْرَةِ مِنْهَا،
وَمَضَى جِيلٌ وَجِيلٌ،
ضَارِبًا فِي الْعَاصِفِ الثَّأ
وَأَتَاهُ الْقَدَرُ السَّأ
فَدَعَا الرِّبَابَ وَاسْتَص
فَأَتَتْهُ رَبَّةُ الشَّعْرِ
قَالَ إِنَّ مَتًّا فَمَا أَجْدُ
وَرِثَاءُ مِنْكَ يُحْيِيهِ
وَحَبَاهَا سِرَّهُ الْخَا
هَامِسًا، وَالنُّورُ فِي نَا
لِكَ مَا اسْتَوْدِعْتُ أَوْ مَا
لَا تَزُودِي عَنْهُ مَعِشُو

رَائِحِ جَمِّ الذِّكَا
دٍ، شَدِيدِ الْغُلَؤِ
قَصَرَ مَرْفُوعَ الْبِنَاءِ
نَ عَلَى غَيْرِ اهْتِدَاءِ
كُلَّ بَحْرٍ وَفَضَاءِ
دَى أَعَاجِيبِ الْخَفَاءِ
رَ مَقَالِيدَ النِّسَاءِ
أَوْ صَبَاً بَعْدَ اشْتِهَاءِ
طَوَّلَ هَجْرٍ وَجَفَاءِ
فَأَغْضَى فِي حَيَاءِ
وَكَذَا شَرَعُ الْوَلَاءِ
وَهُوَ مَشْبُوبُ الدَّمَاءِ
ئِرٍ وَالرَّيْحِ الرُّخَاءِ
خَرُّ أَوْ حَكْمُ الْقَضَاءِ
رَخٍّ، مِنْ فَرَطِ عِيَاءِ
رَ عَلَى رَغَمِ التَّنَائِي
دَرُ مِثْلِي بِالرِّثَاءِ
نِي عَلَيَّ رَغَمِ الْفَنَاءِ
لَدَا أَوْ سِرَّ الْبَقَاءِ
ظَرَهُ وَشَكَّ انْطِفَاءِ:
صُنْتُ فِي هَذَا الْإِنَاءِ
قَكَ، يَا بِنْتَ السَّمَاءِ

خَمْرَةُ الشَّاعِرِ

إِنَّهُ مَلَّاحٌ بِحَرٍّ مَا لَهُ مِنْ نُظَرَاءِ
فِيهِ أَحْيَاءٌ، وَبِهِ أَنْ شَرُّ فِي الْبَحْرِ لَوَائِي

* * *

هَذِهِ خَمْرَةُ أَشْعَا رِي، وَحُبِّي، وَغَنَائِي
فِي قَصِيدٍ مُحَدَّثٍ، أَوْ فِي حَدِيثِ الْقَدَمَاءِ

زَهْرَاتِي

طَالَ انتظاري ومضى مَوْعدي وأنت مثلي ترقبينَ المساءَ
كم لك عندي في الهوى من يد يا زَهْرَاتِي، أنتِ رمزُ الوفاءِ

* * *

يا زهراتي، ويك لا تسأمي ولا يرُعكِ الزَّمنُ الدائرُ
لا تطرقي، وابتهجي، وابسمي عمّا قليل يُقبلُ الزائرُ

* * *

عما قليل سوف تلقينه أجمل ما تصبو إليه العيونُ
يَطْرُقُ بابي مُغْلِنًا أَنَّهُ كل اصطبارٍ في هواه يهونُ

* * *

أقول: هل أبطأ في خطوه أم هل تُرى أخطأ ميعاده؟
أم ضللتُه، وهو في لهوه أَرْجَاءُ حَيٍّ قَبْلُ ما ارتاده؟

* * *

تَعَلَّلِي مثلي، وقولي: لعل! أم أنت لا تدرين سِرَّ الغرام؟
ما أنتِ إلَّا بِسَمَاتِ الأملِ إن خيمَ الصمتُ وسادَ الظلامُ

* * *

كم أَخَوَاتٍ لِكَ شَاطِرُنَنِي فَجَرَ لِقَاءِ رَائِعِ الْمَطْلَعِ
وكم مَسَاءٍ فِيهِ سَامِرُنَنِي وَبِتُّنَ فِيهِ سَاهِرَاتٍ مَعِي!

* * *

يا حَسَنَهَا فِيهِنَّ مِنْ زَهْرَةٍ ظَنَنْتُ جَفَوْنِي بِالكَرَى مَثْقَلَاتٍ
مَسَّتْ جَبِينِي، وَهِيَ فِي حِيرَةٍ كَأَنَّمَا تُوقِظُنِي مِنْ سُبَاتٍ

* * *

سَاهِرَةً تَخْفُقُ أَوْرَاقُهَا عَلَى فَمِي أَنَا، وَأَنَا يَدِي
كَأَنَّ أَشْوَاقِي أَشْوَاقُهَا أَوْ أَنَّهَا صَاحِبَةُ الْمَوْعِدِ!

* * *

خَلَا بِنَا، يَا زَهْرَاتِي، الْمَكَانُ وَزَايِلَ الشَّرْفَةِ ضَوْءُ الْقَمَرِ
أَلَيْلَةٌ مَا مَرَّ؟ أَمْ لَيْلَتَانِ؟ أَبْقَى مَعِي حَتَّى يُلُوحَ السَّحَرُ

* * *

سَأَلْتُكَ الْحَبَّ وَعَهْدَ الْوَفَاءِ يَا زَهْرَاتِي لَا تَمْلِي الْبَقَاءَ
مَا زَالَ عِنْدِي أَمَلٌ فِي اللَّقَاءِ وَإِنْ مَضَى الْيَوْمُ، وَحَلَّ الْمَسَاءُ

* * *

خَلَفَ زَجَاجَ الْبَابِ طَيْفٌ سَرَى يَدْنُو إِلَى بَابِي مِنَ السُّلَمِ
خَفَّ لَهُ قَلْبِي وَمَا صَوَّرَا غَيْرَ ذِرَاعِي شَبَحٍ مُبْهَمِ

* * *

أَظَلُّ أَرْنُو نَحْوَهُ مُرْهِفًا سَمْعِي، وَمَا يَكْذِبُنِي نَاطِرِي
يَا حَسْرَتَا، مَا لَاحَ حَتَّى اخْتَفَى وَزَالَ مِثْلَ الْحُلُمِ الْعَابِرِ

زَهْرَاتِي

* * *

وكم خُطِي أَحْسَسْتُهَا فِي دَمِي أَقُولُ: قَدْ جَاءَ وَهَذِي خَطَاهُ
أُصْغِي وَأُحْصِي دَرَجَ السَّلَامِ لَكِنَّهُ يَمْضِي، وَيَنَائِي صَدَاهُ

* * *

يا زهراتي كم حديثٍ لنا عن موعدٍ في ليلةٍ أو نهارٍ
يَعْجَبُ مِنَّا كُلُّ مَا حَوْلَنَا أَمَا سَيِّئْنَا بَعْدَ طَوَّلِ انْتِظَارٍ؟

* * *

ناشدْتُكَ الحُبَّ فَإِنْ تَوَثَّرِي جَدَّدْتُ أَسْمَارِكِ فِي مَخْدَعِي
فَانْسِيْ مَوَاعِيدَ الْهَوَى، وَانْكَرِي أَيَّ فَنٍّ، فِي الحُبِّ، لَمْ يُخْدَعْ!

مِنْ قَارَّةٍ إِلَى قَارَّةٍ

طارق بن زياد في طريقه إلى الأندلس

ذاع حديث موانئ الغزو في بدء هذه الحرب، ولعل أعظم وأروع هذه الغزوات في الحروب القديمة بدأت من «طنجة» الميناء الأفريقي الذي خرج منه القائد العربي العظيم «طارق بن زياد» في أسطول يُقَلُّ اثني عشر ألف محارب منذ أكثر من ألف ومائتي عام، وسار به إلى الصخرة الشَّماء التي نزل بها جيشه الفاتح، وسُمِّيت باسم ذلك القائد العظيم الذي أتاحت له عبقريته الحربية في هذه الغزوة نصرًا منقطع النظير في أجمل وأغنى وأقوى بقاع القارة الأوروبية وهي الأندلس.

تَهْفُو بِأَجْنَحَةٍ مِنَ الظُّلُمَاءِ؟
قُنِّنِ الْجِبَالِ عَلَى الْخَضَمِ النَّائِي؟
لَمَنِ السَّفِينُ تُرَى، وَأَيُّ لَوَاءِ؟
مَتَرَبِّصًا بِالْمَوْجِ، وَالْأَنْوَاءِ
وَيَضُمُّ، تَحْتَ اللَّيْلِ، فَضْلَ رِءَاءِ
مِنْ وَسْمِ «إَفْرِيقِيَّةِ» السَّمَرَاءِ
مَسَحَتْ مُحَيَّاهُ يَدَ الصَّحْرَاءِ
تَحْتَ النُّجُومِ الْغُرِّ وَالْأَنْدَاءِ
مِنْ قَبْلِ لَابِنِ الْوَاحَةِ الْعِذْرَاءِ

أَشْبَاحُ جَنِّ فَوْقَ صَدْرِ الْمَاءِ
أَمْ تِلْكَ عُقْبَانُ السَّمَاءِ وَتَبَنَ مِنْ
لَا، بَلْ سَفِينُ لُحْنٍ تَحْتَ لَوَائِهِ
وَمِنْ الْفَتَى الْجَبَّارُ تَحْتَ شِرَاعِهَا
يُعْلِي بِقَبْضَتِهِ حَمَائِلَ سَيْفِهِ
وَيُنِيلُ ضَوْءَ النُّجْمِ عَالِي جَبْهَةِ
نَهَبٍ بِبُوتَقَةِ السَّنَا مِنْ ذُوْبِهِ
لَوْ جَلَّتْ فِيهِ الصَّحَارَى سَحَرَهَا
وَسَمَاءُ بَحْرِ مَا تَطَامَنُ مَوْجُهُ

بحرٌ، أساطيرُ الخيالِ شطوطُهُ
ومدائنُ سحريَّةٍ شارِفَنهُ
ومعابدُ شَمٍّ، وآلهةٌ على
أبطالٍ «يونانٍ» على أمواجهِ
يتجاذبون الغارَ تحت سماءِهِ
ما زال يرمي «الرُّومَ» وهو سليلهم
حتى طَلَعَتْ بِهِ فكنَتَ حديثُهُ
ويسائلونَ بِكَ البروقَ لوامِعًا
من عِلْمٍ البدويِّ نَشَرَ شرعِها!
أين القفارُ من البحارِ، وأين من

ومسابحُ الإلهامِ، والإيحاءِ
بنَخيلها، وضافها الخضراءِ
سُفُنُ ذواهبٍ بينهمُ جوائي
يطوون كل مفازةٍ وفضاءِ
يتناشدونَ ملاحمَ الشعراءِ
ويُديلُّ من «قرطاجة» العصماءِ
عجبًا! وأيُّ عجائبِ الأنبياءِ
والموجِ في الإزبادِ والإرغاءِ
وهَداهُ للإبحارِ والإرساءِ!
جنُّ الجبالِ عرائسُ الدُماءِ؟

يا ابن القبابِ الحُمُرِ ويحك! من رَمَى
تغزو بعينيك الفضاءَ وخَلَفَهُ
جُزُرٌ مُنَوَّرَةٌ الثغورَ كأنَّها
والشرقُ، من بُعِدِ حقيقَةُ عالمِ
ضَجِكَتْ بصَفْحَتِهِ المُنَى وتراقصَتْ
وَوَثَبَتْ فوق صخورها وتَلَمَّسَتْ
فكأنما لَكَ في ذُرَاهَا مَوْعِدُ
ووقفتِ والفتيانُ حولك، وأنْبَرَتْ
هذي الجزيرةُ، إنْ جهلتم أمرها
البحرُ خلفي، والعدوُّ إزائي
... وتَلَفَّتُوا فإذا الخضمُّ سحابةٌ
قد أحرَقَ الرُّبانُ كلَّ سفينةٍ
ألقى عليه الفجرُ حَيْطًا أَشْعَى

بِكَ فوق هذي اللَّجَّةِ الزُرْقَاءِ؟
أَفُقٌ من الأحلامِ والأضواءِ
قطراتُ ضوءٍ في حفافِ إناءِ
والغربُ، من قُرْبِ خياله رائي
أطيافُ هذي الجنَّةِ الخضراءِ
كَغَفَاكَ قلبًا ثائِرَ الأهواءِ
ضَرَبَتْهُ أندلسيَّةٌ للقاءِ!
لك صيحةٌ مرهوبةُ الأصداءِ:
أنتم بها رهطٌ من الغُرباءِ
ضاعَ الطريقُ إلى السفينِ ورائي!!
حمراءُ مُطْبِقَةٌ على الأرجاءِ
من خلفهِ إلا شرعَ رجاءِ
بيضاءَ فوق الصخرةِ الشَّمَاءِ

وأتى النهارُ وسار فيه طارقُ
يبني لِمُلْكِ الشرقِ أيَّ بناءِ

مِنْ قَارَّةٍ إِلَى قَارَّةٍ

حتى إذا عَبَرْتُ لِيَالٍ طَوَّقَتْ أَحْلَامُهُ بِالْبَحْرِ ذَاتَ مَسَاءٍ
يرعى على الأفقِ المُرْصَعِ قَرْيَةً أعْظَمُ بِهَا لِلْغَزْوِ مِنْ مِينَاءٍ
مَدَّ الْمَسَاءُ لَهَا عَلَى خُلْجَانِهَا ظِلًّا، فَنَامَتْ فَوْقَ صَدْرِ الْمَاءِ!

رَاقِصَةُ الْحَانَةِ

سَرَتْ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ كَالْخِيَالِ تَعَانَقُ آلِهَةً فِي الْخِيَالِ
مُجَرَّدَةً حَسِبَتْ أَنَّهَا مِنَ الْفَنِّ فِي حَرَمٍ لَا يُنَالُ
فَلَيْسَتْ تُحْسُ اشْتِهَاءَ النُّفُوسِ وَلَيْسَتْ تُحْسُ عَيُونَ الرِّجَالِ
وَلَيْسَتْ تَرَى غَيْرَ مَعْبُودِهَا عَلَى عَرْشِهِ الْعَبْقَرِيُّ الْجَلَالُ
دَعَاها الْهُوَى عِنْدَهُ لِلْمُنُولِ وَمَا الْفَنُّ إِلَّا هَوًى وَامْتِنَالُ
فَخَفَّتْ لَهُ شِبْهَ مَسْحُورَةٍ عَلَتْ وَجْهَهَا مَسْحَةٌ مِنْ خَبَالُ
وَفِي رُوحِهَا نَشْوَةٌ حُلُوهٌ كَمَهْجُورَةٍ مُنِّيَتْ بِالْوَصَالِ
تَرَاهَا وَقَدْ طَوَّفَتْ حَوْلَهُ جَلَالُهَا الصَّبَا، وَزَهَاها الدَّلَالُ

* * *

نَضُمُ الْوَشَاحِ وَتُلْقِي بِهِ وَفِي خَطْوِهَا عِزَّةٌ وَاخْتِيَالُ
كَفَارِسَةٍ حَضَنْتْ سَيْفَهَا وَأَلَقَتْ بِهِ بَعْدَ طَوْلِ النُّضَالِ
تَمُدُّ يَدَيْهَا وَتَثْنِيهِمَا وَتَرْتَدُّ فِي عَوَجٍ وَاعْتِدَالِ
كَحُورِيَّةِ النَّبْعِ تَطْوِي الرِّشَاءَ وَتَجْذِبُ مِمْتَلِئَاتِ السَّجَالِ
مُحَيَّرَةً الطِّيفِ فِي مَائِجٍ مِنَ النُّورِ يَغْمُرُهَا حَيْثُ جَالُ
تُخَيِّلُ لِلْعَيْنِ فِيمَا تَرَى فَرَاشَةً رَوْضَ جَفَّتْهَا الظَّلَالُ
وَزَنْبَقَةً وَسَطَ بِلُورَةٍ عَلَى رَفْرِفِ الشَّمْسِ عِنْدَ الزَّوَالِ
تَنْقُلُ كَالْحُلُمِ بَيْنَ الْجَفُونِ وَكَالْبَرْقِ بَيْنَ رُءُوسِ الْجِبَالِ

على إصْبَعِي قَدَمِ الْأَهْمَتِ	هبوبَ الصَّبَا ووَثوبَ الغَزَالِ
وتُجْرِي ذِرَاعَيْنِ مَنْسَابَتَيْنِ	كفرعينِ من جدولٍ في انثيالِ
كأنَّهما حولها تَرْسُمانِ	تقاطيعَ جسمٍ فريدِ المثالِ
أَبَتْ أَنْ تَمَسَّاهُ بالراحتَيْنِ	ويرضَى الهوى، ويريدُ الجمالِ!
ومن عَجَبٍ، وهي مفتونةٌ	تُرِيكَ الهدى، وتُرِيكَ الضلالِ
تَلَوَّى وتسهُو كُلُّهَا بِهَـ	تَراقصُ، قبلَ فناءِ الذُّبَالِ

* * *

وتعلو وتهبطُ مثلَ الشراعِ	تَرامَى الجنوبُ بهِ والشمالُ
وتعدو كأنَّ يَدًا خَلْفَهَا	تُعَذِّبُهَا بَسِياطِ طَوَالِ
وتزحفُ رافعةٌ وَجْهَهَا	ضِراعةٌ مستغفرٌ في ابتهاجِ
وتسقطُ عانيَّةٌ لِلجَبِينِ	كقُمْرِيَّةٍ وَقَعَتْ في الحبالِ
تَبِضُّ ترائِبُها لوعةً	وتخفقُ لا عن ضنَى أو كلالِ
ولكنَّه بعضُ أشواقها	وبعضُ الذي استودَعَتْها الليالِ!!

الشَّاعِرُ

عَبَقْرِيٍّ مِنَ النَّعْمِ	رَجَعُهُ الْحُبُّ وَالْأَلَمُ
نَبَعُهُ قَلْبُ شَاعِرٍ	شَارَفَ النُّورَ فِي الْقَمَمِ
وَرَأَى مَوْلَدَ الْحَيَا	ةٍ عَلَى شَاطِئِ الْعَدَمِ
فِي رَفِيفٍ مِنَ النَّدَى	وَحَفِيفٍ مِنَ النَّسَمِ
وَإِطَارٍ مِنَ السَّنَا	جَمَعَ الْكَوْنَ وَانْتَضَمَ
وَرَأَاهَا وَقَدْ بَدَتْ	مِثْلَ حَوْرِيَّةِ الْحُلُمِ
هِيَ سَكْرَى تَجَرَّدَتْ	مِنْ ثِيَابٍ وَمِنْ عِصَمِ
وَهُوَ لَاهٍ بِخَدْرِهَا	ثَمِلٌ بِالَّذِي غَنِمَ
تَعَصَرَ الْكَرَمَ رَاحَتَا	هُ لَهَا، وَهِيَ تَبْتَسِمُ
فَشَدَا أَوَّلَ الرَّعَا	ةِ بِشَبَابَةِ الْقِدَمِ
قَبْلَ أَنْ يُسْعِدَ الْغِنَا	ءُ بِهَا رَاعِيَ الْغَنَمِ
خَطَرُهُ مِنْ شَبَابِهِ	وَمَضَتْ، فَاشْتَكَى السَّأَمِ

وَإِذَا الشَّاعِرُ الْمَدْلُ	هُ يَقْظَانُ لَمْ يَنْمِ
أَرْقَتْهُ صَبَابَةٌ	بَيْنَ جَنْبِيهِ تَضْطَرُّمُ
يَقْطَعُ الدَّهْرَ وَحْدَهُ	ذَاهِلًا تَائِبَةً الْقَدَمِ
يَسْأَلُ اللَّيْلَ، وَالْكُوَا	كَبَ، وَالسُّحْبَ، وَالذِّبَّ

ناح قيثارُهُ الشَّجَر	يُّ بما رَقَّ وانسجَم
وعلى خدِّه جَرَتْ	عَبَرَاتُ من النَّدَم
ذوبَ الحبُّ قلبه	وبَرَى جسمه السَّقَم
وجلا الغيبُ سرَّهُ	بين عينيهِ وارتسم
فجرى في نشيده	أروغُ الشعر والنَّغم

فانظروا أيَّ شاعرٍ	هو في الحفل بينكم
ذلك المبدعُ الروا	ئع في صورة الكَلِم
ربُّة الحكمة اشتكتـ	ه إلى ربِّة القَلَم
نازعتُها غرامه	وهو الخضمُّ والحكم
فاسمعوا الآن شعره	وتَمَلَّوه عن أَمَم
ضامرُ الجسم واسمُّه	يَسَّعُ الكونَ بالعِظَم
وقصيرٌ، ومجده	بازخُ كالضحى أَشَم
ذلك الشاعر الذي	فاز بالحبِّ واتَّسم
خالدٌ بالذي شدا	خالدٌ بالذي نظم

ذلك «ناجي» وحسبُهُ أنَّه الشاعرُ العَلَم!

عَاشِقَةٌ

«قيلت على لسان فتاة تُناجي معشوقها الذي يجهل أنها تهواه..»

يا حبيبي أَقْبَلَ اللَّيْلُ وِنَادَانِي الْغَرَامُ
أَيُّ سِرٍّ لِمَحَبٍّ لَمْ يُصَوِّرْهُ الظَّلَامُ
كُلُّ نَجْمٍ مَهْجَةٌ تَهْفُو وَعَيْنٌ لَا تَنَامُ
وَشِعَاعُ الْبَدْرِ مَعشُوقٌ بِهِ جُنَّ الْغَمَامُ
يا حبيبي كُلُّ عَيْشٍ مَا خِلا الْحَبِّ حَرَامُ
وَحَرَامٌ، يَا حَبِيبِي

* * *

يا حبيبي غَنَّتِ الْفَرَحَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
فَهُنَا الْبُلْبُلُ يَشُدُّ، وَهَنَاكَ الْعَاشِقَانِ
غَيْرَ أَنِّي أَشْتَكِي الْوَحْشَةَ فِي ظِلِّ التَّدَانِي
إِنَّمَا رَوْحُكَ فِي الْكُونِ وَرَوْحِي تَوَاطَانِ
لَا تَدْعُنِي أَقْطَعِ الْأَيَّامَ وَحْدِي، وَأَعَانِي
فَحَرَامٌ، يَا حَبِيبِي!

* * *

يَا حَبِيبِي سَيِّمَ اللَّيْلُ سَكُوتِي وَاكْتِنَابِي
أَنَا أَهْوَاكَ، وَلَكِنْ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ مَا بِي

لحظةٌ بين ذراعيك فقد طالَ عذابِي
لحظةٌ أمزجُ أنفاسَكَ بالقلبِ المُذابِ
وأُغْنِي، ويُغْنِي لَكَ حُبِّي، وشبابِي
وسَلامٌ، يا حبيبِي

الْكَرَمَةُ الْأُولَى

بالله من أنبأك باللون والطعم
وما جَنَّتْ كَفَّاكَ يا غارسَ الكرمِ؟

* * *

آدمُ أم حوَّاءَ أغراك بالغرسِ
يا شاربَ الصُّهْبَاءِ علَّا بلا كأسِ؟

* * *

لو شربا منها ما نَسِيا العهدَا
أو حُدَّتَا عنها ما هجرا الخُلْدَا

* * *

صهْبَاءُ ما كانتُ من غرسِ إبليسِ
بل كرمَةٌ زانتُ خَلَقَ الفراديسِ

* * *

تسمو بها الأرواحُ عَنْ عالمِ الإثمِ
شفَّافَةٌ الأقداحُ في رِقَّةِ الحُلُمِ

* * *

الكأس والقيثار يا ربّة الحسن
يا ربّة الأشعار غني بها غني

* * *

غني بها روحاً علوية الومض
لو أدركت نوحاً عشنا بلا أرض

* * *

عشنا كأحلام في خاطر الأكوان
في عالم سام لا يعرف الأحران

* * *

هاتي اسقني هاتي من دنّها المختوم
أنسى بها الآتي من عمري المحتوم

الْمَدِينَةُ الْبَاسِلَةُ

وَوَقَفْتَ أَنْتِ، وَرُوحُكَ الْجَبَّارُ
إِلَّا جَهَنَّمَ هَاجَهَا الْإِعْصَارُ
شَابَ الْحَدِيدُ، لِهُولِهَا، وَالنَّارُ
لِحِمَاتِكَ الْإِعْظَامُ وَالْإِكْبَارُ
وَرَأَى مَلَا حِمَمَهُمْ وَكَيْفَ تَثَارُ
نُكَّتْ عَلَى حُرَاسِهَا الْأَسْوَارُ
وَشَدَا بِهِمْ، وَتَرَنَمَ الْقِيثَارُ
رَدَّ الْمُغِيرُ بِهِ، وَفَكَ حِصَارُ
لَكِنْ جَرَتْ بِدِمَائِهِ الْأَنْهَارُ
هُوَ عَنْ جَمَاهَا الذَّائِدُ الْمَغْوَارُ
لَمْ يَخْلُ مِنْ وَثْبَاتِهِ مِضْمَارُ
إِمِضَاؤُهُ فِيهَا عُلَا وَفَخَارُ
فِيمَا يُظِلُّ الْعُشْبُ وَالْأَزْهَارُ
فِيمَا تُعَرِّي الرِّيحُ وَالْأَمْطَارُ
لِيَتَمَّ غَرْسُ أَوْ يَطْيِبَ ثِمَارُ
كَيْمَا يَثُورَ بِرُوحِهَا التِّيَّارُ
يَبْغِي الْعُبُورَ وَدُونَهُ أَشْبَارُ
حَتَّى تَلَاشَى الْجَحْفَلُ الْجَرَّارُ

طَلَعُوا جَبَابِرَةً عَلَيْكَ، وَثَارُوا
عَصَفُوا بِبَابِكَ، فَاسْتَبِيحَ، فَلَمْ يَكُنْ
حَرْبُ إِذَا ذُكِرَتْ وَقَائِعُ يَوْمِهَا
لَوْ قِيلَ: أَبْطَالُ الْعَصُورِ فَمَنْهُمْ
أَوْ عَادَ «هُومِيرُ» وَسَحَرُ غِنَائِهِ
وَهُمُ حُمَاةُ مَدِينَةٍ مَحْصُورَةٍ
نَسِيَ الَّذِي غَنَّاهُ فِي «طُرُودَةٍ»
كَمْ مِنْ «أَخِيلٍ» فِيهِمْ لَكِنَّهُ
لَمْ تَجِرْ مَلْحَمَةٌ بَوَصَفِ كِفَاجِهِ
نَادَتْهُ مِنْ خَلْفِ الشَّوَاطِي أُمَّةٌ
إِنْ يَسْأَلُوا عَنْهُ، فَفَارِسُ حَلَبَةٍ
أَوْ يَقْرَأُوا تَارِيخَهُ، فَصَحِيفَةٌ
أَوْ يَبْحَثُوا عَنْ قَبْرِهِ، فَمَكَانُهُ
فِيمَا يُغْطِي الثَّلْجُ تَحْتَ رُكَامِهِ
هُوَ مُهْجَةٌ فَنِيَتْ بَارِضَ مَعَادِهَا
هُوَ مَوْجَةٌ ذَابَتْ بِبَحْرِ وُجُودِهَا
فِي شَاطِئِ وَقَفَ الْعَدُوُّ إِزَاءَهُ
مَا زَالَ يَذْفَعُ عَنْهُ كُلَّ كَتِيبَةٍ

وَهَوَىٰ فِي شَفَتَيْهِ بِسَمَةِ ظَاوِرٍ أَوْدَىٰ، وَتَمَّ عَلَى يَدَيْهِ النَّارُ
يُزْهِى بِهِ تَحْتَ الْحَدِيدِ وَبِأَسِهِ رَأْسٌ يَكْلُلُ مِفْرَقِيهِ الْغَارُ

* * *

يَا رَبَّةَ الْأَبْطَالِ، لَا هَانَ الْجَمَى
أَقُولُ: أَبْنَاءُ الْوَعَى أَمْ جِنَّةٌ؟
يَسْتَنْقِذُونَكَ مِنْ بَرَائِنِ كَاسِرٍ
مُتَرَبِّصِ السَّطَوَاتِ تَحْتَبِي الرُّبَا
قَهَرِ الطَّبِيعَةِ صَيْفَهَا وَشَتَاءَهَا
مَجْدَ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى! إِنَّ الَّذِي
وَسَلِمْتَ أَنْتِ، وَقَوْمُكَ الْأَحْرَارُ
وَأَقُولُ: إِلَهَةٌ، أَمْ الْأَقْدَارُ؟!
مَا جِئْتُ بِهِ الْأَجَامُ وَالْأَغْوَارُ
وَتَفَرُّ مِنْ طُرُقَاتِهِ الْأَشْجَارُ
حَتَّى أَتَاهُ شَتَاؤُكَ الْقَهَّارُ
أُبَدِّعْتِهِ، فِيهِ الْعُقُولُ تَحَارُ

* * *

عَجَبًا أَأَنْتِ مَدِينَةٌ مَسْحُورَةٌ
طُرُقٌ مُحِيرَةٌ يَضِلُّ وَيَهْتَدِي
عَزَّتْ عَلَى قَدَمِ الْعَدُوِّ كَأَنَّمَا
وَمَنَازِلُ مَشْبُوبَةٌ، وَكَأَنَّهَا
وَتَرَى زَبَانِيَةَ الْجَحِيمِ بَبَابِهَا
يَتَصَارِعُونَ بِأَذْرُعِ مَخْضُوبَةٍ
يَتَنَازَعُونَ بِهَا الطَّبَاقَ خَرَائِبًا
مَا زِلْتِ صَامِدَةً لَهُمْ حَتَّى إِذَا
وَتَقَبَّضَ الْمُسْتَقْتَلُونَ، وَعَزَبَدَتْ
وَتَقَوَّضَ الْحِصْنُ الْمَنِيعُ، وَلَمْ يَكُنْ
وَقَسَا عَلَيْكَ الْمُرْجِفُونَ وَحَدَّثُوا:
أَطْبَقْتَ كَالنَّسْرِ الْمُحَلَّقِ، مَا لَهُمْ
وَتَفَرَّسَتْكَ قُلُوبُهُمْ فَتَرَنُّوْا
وَحَبَبْتَ مَدَافِعُهُمْ وَذَابَ حَدِيدُهُمْ

أَمْ عَالَمٌ حَاطَتْ بِهِ الْأَسْرَارُ؟!
فِيهَا الْكُمَاةُ، وَلَيْسَ ثَمَّ قَرَارُ
مِنْ زُبُقٍ صِيغَتْ بِهَا الْأَحْجَارُ
لِلْجِنِّ فِي وَادِي اللَّظَى أَوْكَارُ
ضَاقَتْ بِهِمْ غُرْفٌ، وَنَاءَ جِدَارُ
وَالسَّقْفُ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ يَنْهَارُ
دَمِيَتْ عَلَى أَنْقَاضِهَا الْأَطْفَارُ
سَهَتِ الْعُقُولُ، وَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ
أَيْدِي الرُّمَاهِ، وَعَرَدَ الْبَتَّارُ
إِلَّا جِدَارٌ يَحْتَوِيهِ دِمَارُ
أَنْ لَيْسَ تَمْضِي لَيْلَةٌ وَنَهَارُ
مِنْهُ، وَلَا مِنْ مِخْلَبِيهِ فِرَارُ
رُعْبًا، وَأَنْتِ الْخَمْرُ وَالْخَمَارُ
وَالثَّلْجُ يَعْجَبُ وَاللَّظَى الْمَوَّارُ

* * *

يا فِثْيَةَ «الْفُولَجَا» تحيَّةَ شاعرٍ
مَلَّاحٍ وادي النِّيلِ إلَّا أَنَّهُ
أَبَدًا يُطَوَّفُ حائِراً بِشِراعيهِ
إِنِّي رَفَعْتُ بِكُمْ مِثْلاً رَائِعاً
لشبابِ مِصرَ وهم بُناةُ حَيَاتِها
رَقَّتْ لَهُ فِي شَدْوهِ الْأَشْعَارِ
أَغْرَتُهُ بِالتَّبِيهِ السَّحِيقِ بِحَارِ
يَرْمِي بِهِ أَفُقٌ، وَتَقْذِفُ دَارُ
يَوْمًا إِلَيْهِ فِي الْعُلا، وَيُشارُ
وَحُمَاتُهَا إِنْ حَاقَتْ الْأَخْطَارُ

وَبِمِثْلِ مَا قَدَّمْتُمْ وَبَذَلْتُمْو
هَذي مَدِينَتُكُمْ، وَذاك صِراعُها
جِئْتُمْ بِكُلِّ عَجِيبَةٍ لَمْ تَحْتَفِلْ
تَتَحَدَّثُ الدُّنْيَا بِهَا وَبِصُنْعِكُمْ
أَحْقِيقَةُ فِي الْكَوْنِ أَمْ أُسْطُورَةٌ
تَغْلُو الدِّيَارُ وَتَرْخُصُ الْأَعْمَارُ
رَمَزٌ لِكُلِّ بُطُولَةٍ وَشِعَارُ
يَوْمًا بِمِثْلِ حَدِيثِهَا الْأَمْصَارُ
وَتُحَدِّثُ الْأَجْيَالُ وَالْأَدْهَارُ
هَذا الصِّراعُ الْخَالِدُ الْجَبَّارُ؟!

بَعْدَ مِئَةِ عَامٍ

ذكرى مرور مئة عام على وفاة محمد علي الكبير

من هذه الرُّوحِ وهذا الجبينِ
أشْعَّةُ من بَسَمَاتِ المُنَى
ومن قُوَى مشبوبةٍ كاللظى
خَطَّتْ بناءَ الملكِ ثم ارتقتْ
أَوَّلُ بَانَ أَنْتَ بعد الذي
قَدَّ من الصخرِ تماثيله
وَأَنْتَ أطلعتِ منارَ الحجا
بناءً دنيا وحياءٍ معًا
بعثته خلقًا جديدًا إلى
قالوا: الحضاراتُ، فقلت: انظروا
من قُطنه يلبس هذا الورى
والمدفعُ الصخَابُ من صنعِهِ
قد ماجتِ الأرضُ براياته
وجيشُهُ مُنْقِذُ إفريقيَا
بهؤلاءِ السُّمَرِ جُبَّتِ الثرى

يُضيءُ في مصرَ منارُ السنينِ
ومن رجاءٍ كالصَّبَاحِ المبينِ
عارمةٍ، لا تنثنى، لا تلينِ
تبني له المجدَ الرفيعَ المكينِ
شَيِّدَهُ فرعونُ في الأولينِ
حِجَارَةً خرساءَ ليستُ تُبينِ
وَشُعْلَةَ العلمِ وفَجَرَ الفنونِ
عَزَّ به الشعبُ الغبينِ المهينِ
منزلةَ عَزَّتْ على الطامحينِ
أين كهذا الشعبُ في المحسنينِ
ومن يديه مِغْزَلُ الناسجينِ
وَالْحُمَمُ الحُمْرُ كُرَاتُ المَنُونِ
وَحَوْضَتُ ملءَ البحارِ السفينِ
وحارسُ الشرقِ القويُّ الأمينِ
وَدُنْتُ في سلطانك العالمينِ

ومن بَنِيكَ الصَّيْدَ أَبْطَالُهُ وَمَنْ كِبْرَاهِيمَ فِي الْفَاتِحِينَ؟
تَاجُ الْبَطُولَاتِ عَلَى رَأْسِهِ مُؤْتَلَقُ وَالْغَارِ فَوْقَ الْجَبِينِ

* * *

مَنْ زَخَرَفَ الْوَادِي وَأَجْرَى بِهِ جَدَاوِلَ التَّبَرِ كَمَاءٍ مَعِين؟
وَأَخْضَعَ النَّهَرَ لِسُلْطَانِهِ وَهُوَ إِلَهُ سَادَ فِي الْأَقْدَمِينَ
وَمَنْ بَنَى تِلْكَ السَّدُودَ الَّتِي تَخْتَزِنُ السُّحْبَ وَلَا يَمْتَلِينَ؟
غَوَائِثُ الْأَرْضِ إِذَا أَقْلَعَتْ حَوَامِلُ الْغَيْثِ الدَّفُوقِ الْهَتُونِ
وَمَنْ أَتَى الصَّحْرَاءَ فِي دَوَاهَا بِهِذِهِ الْأَسْوَارِ شُمِّ الْحَصُونِ؟
يَا عِبْقَرِيَّ الدَّهْرِ إِنَّ الَّذِي صَنَعْتَهُ مَعْجَزَةُ الصَّانَعِينَ
مُهَنْدِسُ أَنْتَ سَمَا فَنُّهُ وَعَالِمٌ أُوتِيَ عِلْمَ السَّنِينَ
أَدْرَكَتْ مَا لِلْفَنِّ مِنْ قُوَّةٍ فَدِنْتُ بِالْقُوَّةِ فِيمَا تَدِينُ
أَبْيَاتٌ شَعِرَ أَنَا بِنَاؤُهَا أَجَرُهَا اللَّفْظِ السَّرِيِّ الثَّمِينِ
رَسَمْتُهَا بَعْضَ خُطُوطِ كَمَا يُرْسَمُ أَفُقُ الْكَوْنِ لِلنَّاضِرِينَ
يَبْدَأُ فِيهَا الْفِكْرُ لَا يَنْتَهِي وَتَسْبَحُ الْأَعْيُنُ لَا يَلْتَقِينَ
لِسَيِّدِ النِّيلِ وَفَارُوقِهِ رَفَعْتُهَا فِي مُوَكَّبِ الْخَالِدِينَ
مَوْلَايَ، مَنْ جَدُّكَ أَنْشُودُهُ مَزْهَرُهَا التَّارِيخُ عَذْبُ الرَّنِينِ
أَلْهَمَهَا وَالذَّكَ الْمَجْتَبَى وَأَنْتَ مِنْ رُوحِيهِمَا آيَةٌ
وَصُورَةٌ مَشْرِقَةٌ سَمْحَةٌ كَأَيَّةِ اللَّهِ إِلَى الْمُرْسَلِينَ
إِطَارُهَا الْحُبُّ وَنُورُ الْيَقِينِ

حُلْمُ لَيْلَةِ الْهَجْرَةِ

يا شرقُ، ملءْ خاطري
أَوْحِيْ ليلك القديـ
يا شرقُ، أَيُّ لَيْلَةٍ
نجومُها خلفَ الغما
ترنو على جوانبِ الـ
تَمُدُّ من شعاعها
رُغْيَا المحبِّ للحبيب
تقول: ههنا السُّرَى،

سِحْرٌ وملءْ ناظري
مِ أمْ رُؤَى الزَّوَاهِرِ؟
رائعةِ الدياجِرِ
مِ أَعْيُنُ المقادِرِ
سَمَاءِ للمُهاجِرِ
مِثْلَ جَنَاحِ طَائِرِ
بِ حُفٍّ بالمخاطرِ
ومن هنا فحاذِرِ

* * *

يا شرقُ، أَيُّ لَيْلَةٍ
حقيقةٌ تلوح لي،
أرى على صحيفة الز
تكمنُ في فِرْنْدِهِ
ومن بريقهِ تُطـ
مُلَقَى وراءَ صخرةٍ
أوى إليها مُفْرَدًا
والبادياتُ حوله:

بَعَثَتْهَا من غابِرِ
أَمْ ذاك حُلْمُ شاعِرِ؟
مَنْ حَدٌّ باتِرِ
جريمةٌ لغادِرِ
لُ أَلْفُ عَيْنِ فَاجِرِ
كانت ملاذَّ عابِرِ
غيرَ أَخٍ مناصرِ
رَوْعٌ وهمسٌ حائرِ

كَأَنَّمَا أَنْسَامُهُ	نَّ تَمْتَمَاتُ سَاحِرِ
هُوَ انْتِقَالَةُ الْحَيَا	ة، وَثَبَةُ الْأَدَاهِرِ
شَدَا الرِّعَاةُ بِاسْمِهِ	فِي الْأَعْصِرِ الْغَوَابِرِ
وَأَوْدَعُوهُ فَرْحَةً	صَوَادِحَ الْمَزَاهِرِ
زَفُّوا بِهِ إِلَى الْحَيَا	ة أَجْمَلَ الْبَشَائِرِ
لَحْنٌ وَفِيهِ قَسْوَةُ الـ	عَوَاصِفِ الثَّوَابِرِ
وَفِيهِ ثَوْرَةٌ عَلَى الـ	عَقَائِدِ الدَّوَابِرِ
يَقْتَحِمُ الذُّرَا الْمَنِيـ	عَةَ اقْتِحَامِ سَاخِرِ
يَهْزَأُ بِالْجِيُوشِ فِي	أَلْوِيَةِ الْقِيَاصِرِ
يَهْدُمُ كُلَّ فَاسِدٍ،	يَهْزُمُ كُلَّ جَائِرِ
وَمَنْ عَجِيبُ أَمْرِهِ	يَبْنِي بِنَاءَ قَادِرِ!

* * *

يَا شَرْقُ، سَحْرُكَ الْقَدِيدِ	مُ مَالِكُ مَشَاعِرِي
هَذَا الطَّوَالُغُ الْحَسَا	نُ فِي الْحُلَى النَّوَاضِرِ
الْمَطْلُوقَاتُ بِالنَّشِيدِ	عَدَّ أَرْخَمَ الْحَنَاجِرِ
كَأَنَّهُنَّ جَوْقَةُ الـ	هَوَاتِفِ الطَّوَابِرِ
حَيَّيْنِ مَوْلِدِ الرَّبِيبِ	ع، وَالسَّنَا الْمُبَاكِرِ
عِرَائِسُ الْخِيَالِ، هُنَّ،	أَوْ بَنَاتُ خَاطِرِي
يَنْثَرْنَ مِنْ أَكْفِهِنَّ	أَنْضَرَ الْأَزَاهِرِ
عَلَى طَرِيقِ مُلْهِمِ	مُخَلِّدِ الْمَآثِرِ
شَرْقُ، أَيُّ رَوْعَةٍ	جَلَّوَتْهَا لِنَاضِرِي
حَقِيقَةُ تَلَوُّحِ لِي،	أَمْ ذَاكَ حُلْمُ شَاعِرِي؟

لَيْلَةُ عِيدِ الْمِيلَادِ

إِسمعي أَيَّتُها الرو
وانظري! هل في نواحي الـ
لا تُرَاعِي إِنْ يَكُنْ قَدْ
فالنواقيس التي حيـ
الشَّجَى رَجُعُ صداها
والتراتيلُ من البيـ
رَدَدَتِهِنَّ التُّكَالِي
والمصابيحُ التي كا
خنقَتْها قبضةُ الشرِّ
صبغوها بسوادٍ
مَأْتَمٌ للنور قام الـ
تَحْتَ ليلٍ ما لَهُ بد
أيها المبعوث، لا ضنـ
انظرِ الأرضَ ... فهل في الـ
نَسِي القومُ وصايا
وكما باعوك، يا منـ

حُ! أَفي الكونِ غِناءُ؟
أرض بالليل ضياءُ؟
صَرَ عَنْكَ البَشَاءُ
تُك، أَشْجَاهَا القضاءُ
والأَسَى، والبُرْحَاءُ
سَعَةِ نَوُحٍ وبكاءِ
واليتامى الشهداءِ
ن بها يُزْهِى المساءُ
فما فيها دَماءُ
فهِيَ والليلُ سواءُ
ويلٌ فيه والشقاءُ
ء، ولا منه انتهاءُ
تَ بِرُجْعَاكَ السماءُ
أرض حُبٍّ وإخاءُ؟
ك، أَوْ ضَلُّوا، وأساءوا!
قَدْ، بَيْعَ الأبرياءِ!!

ليلة الميلاد، والدنـ
في ربوع كانَ فيها
باسمه يشدو المغنُّو
أين ولَّتْ هذه الفر
لم تصافحكِ من الأطـ
رقدوا، غيرَ عيون
ترقب الآباء، هلْ عا
بين أيدي أمهاتٍ،
في طوايا النفس يبكيـ
ويحهم، أين تُراهم،
هم وراء الليل، أجسا
ووجوه رَسَمَ الرعـ
خندقوا في مأزقِ المو
بين موجٍ من سعيـ
وجبالٍ من رُكامِ الـ
وحديدٍ طائرٍ يحـ
وعجيبٌ! فيمَ للمو
في سَبيلِ الخبزِ؟ والخبـ
في سَبيلِ الحقِّ؟ والحد
في سَبيلِ المجد؟ والمجـ
أو في المجزرة الكبـ
كذبِ الباغي، وللسيـ
وخداعُ كلِّ ما قا

يا دموعُ ودماءُ
لكِ بالسلمِ ازدهاءُ
ن، ويشدو الشعراءُ
حّة؟ أم أين الصِّفاءُ؟
فقال أحلامٌ وضاءُ
ريغٍ منهنَّ الفضاءُ
دوا؟ وهل حان اللقاءُ؟
بِتَنَ، والليل جفاءُ
ن، وقد عزَّ الرجاءُ!
هؤلاء الأشقياءُ؟
دُ، وأرواحُ هباءُ
بُ عليها ما يشاءُ
ت، وما منه نجا
يتوقَّاهُ الفنَّاءُ
خُلجٍ يُرسيها الشتاءُ
ذر مسراه الهواءُ
ت يُساق التعساءُ؟
ز اكتسابُ ورضاءُ!
قُ لدى القوم طلاءُ
دُ من البغي براءُ!
رى، تنالُ المجدَ شاءُ؟
ف بكفِّهِ مضاءُ
ل، وزورُ، وافتراءُ!!

أيها الشرق الذي خـ
هذه الروح التي شيـ
والتي من نورها العا

صَّته بالروح السماءُ
دَ بكفِّها البناءُ
لم يُجلى ويضاءُ

يا أبا الحكمة، لا ها	نَ عَلَيْكَ الْحُكْمَاءُ!
نادِ «أوروبا» فقد يند	ففعها منك النداء:
حانت الساعة، يا أخ	تاه، أَمْ حَقَّ الْجَزَاءُ؟
يدنت بالقوة حتى	صَرَعَتْكَ الْكِبْرِيَاءُ
ارقصي في النار، أنتِ الـ	يوم للنار غذاءُ
واشربي في حانة الشـ	طان ما فاض الإناءُ
حانة للموت فيها	من دم القتل انتشاءُ
نادمي من شئت فيها،	فالمنايا الندماءُ
وارفعي الكأس، وغني،	وعلى الدنيا العفاء؟

يا قويا لم يهن يو	ما عليه الضعفاءُ
وضعيفا واسمه، يفـ	زغ منه الأقوياءُ
وأنا المسلم، لا يجـ	حدٌ عندي الأنبياءُ
أنت في القرآن: حُبُّ،	وجمال، ونقاءُ
عَجَبٌ فديتك المـثـ	لى! وفي القول عزاءُ!
ألهذا العالم الشرـيـ	ر؟ قد ضاع الفداءُ!

عامٌ جَدِيدٌ

وَادْعُ لِلْحَقِّ، وَبَشِّرْ بِالسَّلَامِ
وَتَنَقَّلْ بَيْنَ مَوْجٍ وَغَمَامِ
فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مِنْ بَغْيٍ وَذَامِ
مُهَجِّ كَلَمَى، وَأَكْبَادِ دَوَامِي
فِي مِثَالِيٍّ مِنَ الْمَبْدَأِ سَامِ
وَأَبَتْ ذُلَّ الضَّمِيرِ الْمُسْتَضَامِ
تُشْعِلُ الرُّوحَ بِمَشْبُوبِ الضَّرَامِ
وَصِرَاعِ الْخَيْرِ، وَالشَّرِّ الْعُقَامِ
بِيرَاعِ، وَتَحْدَى بِحُسَامِ
خَطُوهَا، مَوْلِدُ أَحْدَاثِ جِسَامِ
ضَلَّةَ الشَّيْطَانِ فِي تِلْكَ الْمَوَامي
وَهُوَ فَوْقَ الْأَرْضِ مَلْعُونُ الْمَقَامِ
ضُمْنَتْ كُلَّ فَخَارٍ وَوَسَامِ
أَوْ لِبَاغٍ فَاتِكِ السَّيْفِ عُرَامِ
مُسْتَبَاحِ الدِّمِ مَهْدُورِ الدِّمَامِ
بِقُوَى الرُّوحِ عَلَى الْقَوْمِ الطَّغَامِ
بَرِئْتُ مِنْ كُلِّ ظَلَمٍ وَأَثَامِ
لَمْ تَفَرِّقْ بَيْنَ أَرِيٍّ وَسَامِي

غَنِّ بِالْهَجْرَةِ: عَامًا بَعْدَ عَامٍ
وَتَرْسَلْ، يَا قَصِيدِي، نَغْمًا
صَوْتُكَ الْحَقُّ، فَلَا يَأْخُذُكَ مَا
كُنْ بِشِيرِ الْحَبِّ وَالنُّورِ إِلَى
هَجَرْتُ أَوْطَانَهَا وَاعْتَرَبْتُ
أَنْفَتَ عَيْشِ الرَّقِيقِ الْمَجْتَبَى
يَا دُعَاةَ الْحَقِّ: هَذِي مُحَنَّةُ
هَذِهِ حَرْبُ حَيَاةٍ، أَوْ حِمَامِ
خَاضَهَا الْإِسْلَامُ فَرْدًا، وَهَدَى
هَجْرَةً كَانَتْ إِلَى اللَّهِ، وَفِي
أَخْطَأَ الشَّيْطَانُ مَسْرَاهَا، فَيَا
أَبَ بِالْخَيْبَةِ مِنْ غَايَتِهِ
صَفْحَاتُ مِنْ صِرَاعِ خَالِدِ
لَمْ تُنَحَّ يَوْمًا لَجَبَّارٍ طَغَى
بَلْ لِدَاعِ أَعَزَلٍ فِي قَوْمِهِ
زَلَزَلَ الْعَالَمَ مِنْ أَقْطَارِهِ
وَبَنَى أَوَّلَ دُنْيَا حُرَّةٍ
تَسْعُ النَّاسَ عَلَى أَلْوَانِهِم

حاطم الأصنام: هل منك يدٌ
لم تُطِقْهَا حَجَرًا أو خَشَبًا
وعجيبٌ صُنْعُهُمْ في زمن
أدميُّون قَزَامَى انتحلوا
وتراهم مثلما تسمعهم
بشروا الناس بدنيا، ويحهم!
تسلُب الناس جِاههم، وترى
قيل: للحق، وَمَا أعَجَبَهُ
قيل: للخبز، فَهَلْ أطعمهم
أنت، يا أَيُّهَا الشَّمْسُ، اطلعي
سددي بالنار قوسًا، واصرعي
ضَلَّت الأرض بليل داهم
دَمِيتْ أَعْيُنُنَا في جُنْجِه

تذُر الظلم صديقًا من حُطام؟
ويُطاق اليوم أصنامُ الأنام!!
أَبْصَرَ الأعمى به والمتعامي!
منطق الآلهة الشَّمَّ العظام
صَوَّر الوهم، وأحلام النيام
أَيُّ دنيا من دمارٍ وجمام؟
أمم الأرض قطيعًا من سوام
في ادَّعاءٍ لَفَقُوهُ واتَّهام!
حاتمُ الحرب سوى الموتِ الزَّوام؟
من وراء الليل والغيم الرُّكام
مارد الشرِّ بمشبوب السَّهام
يحذر النَجْمُ دُجَاه المترامي
واشتكت حتى خفافيش الظلام

يا قُلُوبًا ضَمَّهَا الشرقُ على
وشعوبًا جَمَعَتْهَا أُمَّةٌ
وبطونًا من بَقايا طارق
ما شدا شعري بها إِلَّا هَفَّتْ
كلُّ روح بهْدَى من حُبِّهَا
تذكرُ القُرْبَى وتُسْتَدْنِي بها
وترجِّي عودةَ المجد الذي
من بيوتِ هاشميَّاتِ البنى
ونتاج من نُهى جَبَّارَةٍ
قلُّ لها يا عامٌ لا هُنْتُ، ولا
ذاك مجدٌ لم يَنْلُهُ أهْلُهُ

مَورِد للحقِّ والحبِّ التَّوَام
بيْنَ مصرٍ، وعراقٍ، وشَام
في البَقاعِ الجُرْدِ، والخُضِرِ النَّوَامِي
بالقَبَابِ البِيضِ، أو حُمِرِ الخِيَامِ
كلُّ قلبٍ بشعاعٍ من غرامٍ
مَشْرِقُ الآمالِ في مطلعِ عامٍ
أعَجَزَ البَّانِي، وأعيَا المتسامي
وعُروِشُ أُمُويَّاتِ الدِّعَامِ
وتراثٍ من حَضَارَاتِ ضَخَامٍ
كنتِ إِلَّا مَهْدَ أحرارٍ كرامٍ
بالتمني، والتغني، والكلام

عَامٌ جَدِيدٌ

بل بآلام، وصبر، وضننى ودموع، ودم حُرٍّ سجامِ
قُلْ لَهَا: إِنَّ الرِّحَى دائِرةٌ واللَّيَالِي بَيْنَ كَرٍّ وصدامِ

* * *

فاستعِدِّي لغدٍ إِنَّ غَدًا نُهْزَةُ السَّبَّاقِ فِي هَذَا الزَّحَامِ!
واجمعي أمرك لليَوْمِ الذي يَحْمِلُ الْبَشْرَى لِعُشَّاقِ السَّلَامِ!

سَمَرٌ

بين كاتب وشاعر وخطيب

يا وحي شعري، أين أنتُ
هل رُحْتَ في إغماءٍ
أم نِمْتَ، أم نام الزما
أم خِفْتَ من قلم الرقيـ
أم هل سُقِيتَ (كزوزة)
أم قد شربتَ زجاجةً
أم في خزانة (صالح)
أم في البنوكِ لأزمةٍ
أم ذاك جندولُ الحبيبِ
وإلى عروس البحر همـ
أم زُغْتَ يوم الانتخابِ
لم تَدْرِ ما نال الرئيـ
أنكرتَ ضجَّةَ معشرٍ
أم طُرْتَ في جوِّ الحليـ
يا وحيُّ كم من غارةٍ
أم ثُرْتَ للحقِّ الطريـ

في أيِّ زاويةٍ رَكَنْتُ؟
أم بالمخدَّرِ قد حُقِنْتَ؟
نُ، أم اعتَقَلْتَ أم انسَجَنْتُ؟
ب فما أشرتَ وما أبْنَيْتُ؟
أم هل حَسَوْتَ (البرمننتُ)
من صنع بار (الكوتنتنتُ)؟
تركوكِ سهوًا فاختُزِنْتَ؟
حَلَلْتُ بأهلكِ قد رُهِنْتَ؟
بِ إلى لياليهِ حَنَنْتُ؟
ت وفي شواطئها كمنُتُ
ب ولستَ عضو «البرلمنتُ»
سُ أزادَ صوتًا أم (كُرِنْتَ)
لم ينصفوكِ وقد غُيِبْتَ
ففةً مُنجدًا أبطال (كِنْتَ)
شعواءَ فيها قد شَنَنْتُ
بِ، وبالبطولة قد فُتِنْتَ

فسللت سيفَ مُدافعٍ عن (كالماس) أو (كُرنت)؟

* * *

يا وحي شعري ما سكو	تك في الخطوب؟ ألا حزنْتُ!
أفقدتَ رُشدك أم شعو	رك بالحياة؟ إذن جُننتُ!
عشرون يومًا جاوز الـ	تقديرُ فيها ما ظننْتُ
يا وحي شعري مُذْ نأىـ	تَ وهى بياني أو وهنتَ
بعد القصائد كالقلا	ع مشيّداتٍ (بالسمنّت)
من كلِّ بيتٍ مشرقٍ	يُزري بقصر (اللابرنّت)
أمسيّتُ بعدك كلّ قا	فيّةٍ نطقْتُ بها لحنْتُ
يا وحي شعري هل أُسرُ	تَ وأنتَ تهجم أم طُعنتُ؟
أم غُصّتُ في لُجج البحـ	ر وفي مجاهلها دُفِنْتُ؟
أبكي عليك بكاءً (لا	مرتين) قبرًا في (سُرنت)
يا وحي شعري أين أنتُ؟	في أيّ زاويةٍ ركنْتُ؟

الشَّوْقُ الْعَائِدُ

١٩٤٥

إِلَيْهَا

من لياليّ التي لم يهدأ الشوق عليها
من أمانيّ التي كانت رُؤى في ناظريها
من أغانيّ التي استلهمتها من شفّتيها
من دموع مازجت أدمعها بين يديها
كلُّ ما قد رَقَّ من شعري وما راقَ لديها
وهو ما ضمّ كتابٌ، هو منها وإليها

علي محمود طه

سؤال وجواب

تُساألني: وهل أحببت مثلي؟
فقلتُ لها وقد هَمَّتُ بكأسي
نسيتُ، وما أرى أحببتُ يوماً
فقلتُ لي: جوابك لم يدع لي
وفي عينيك أسرارٌ حَيَارَى

وكم معشوقة لك أو خليله؟
إلى شَفَتَي رَاحتها النحيله:
كحبك، لا، ولم أعرف مثيله!
إلى إظهار ما تُخفيه حيله
تُكذِّبُ ما تحاول أن تقولَه

فقلتُ: أَجَلْ، عرفتُ هوى الغواني
خبرتُ غرامهنَّ قَلَى ووصلًا
قلوبٌ قاسياتُ قَنَعَتِها
إذا طالعنني أنسيتُ جُرحي
وجاذبني إلى اللذاتِ قلبٌ
وعُدْتُ، كما ترين، صريعٌ كَأْسِ
فقلتُ: كيف تَضَعُفُ؟ قلتُ: ويحي

لكلِّ غايةٍ، ولها وسيله
كثيرَ الوعد لم يدرك قليله
وجوهُ شاعرياتٍ نبيله
وأنَّ الحبَّ لم يرحم قتيله
شقيَّ ضلَّ في الدنيا سبيله
أنا الظمآنُ لم يُطْفِئْ غليله
وكيف أطاع «شمشون» «دليله»؟

فقلتُ: ما حياتك؟ قلتُ: حُلْمٌ
حياتي قصَّةٌ بدأتُ بكأسِ

من الأشواقِ أوثُرُ أن أطيله
لها غنَّيتُ، وامرأةً جميله!!

الشَّوْقُ الْعَائِدُ

اهدئي، يا نوازِعَ الشَّوْقِ، في قلـ
آه، هيهاتَ أن يعود، ولو أفـ
آه، هيهاتَ أن يعود، ولو ذو
فاهدئي الآن، يا لثورتكِ الهو
بي فلنَ تَمَلِكِي لماضٍ رُجُوعًا
نيتُ عمري، تَحَرُّقًا وولوعًا
بتُ قلبي صبا بةً ودموعًا
جاءَ جَبَّارَةً تدكُّ الضلوعًا

رحمةً، يا نوازِعَ الشَّوْقِ، لو نا
أسدلَ القلبُ دونه أَلْفَ سِتِرِ
رحمةً، يا نوازِعَ الشَّوْقِ لو حا
كيف يحيا زهرٌ ذوى إناءٍ
ديتُ ماضيٍّ ما وجدتُ سميعةً
عبراتٍ ومثلهنَّ نجيعًا
ولتُ بعثَ الهوى فلنَ أستطيعًا
باتَ في قبضة الحياة صديعًا

رحمةً، يا نوازِعَ الشَّوْقِ، بالقلـ
إنْ تكوني أَحَبَّ بَتِهِ فدعيه
نَسِيَّ الأَمْسِ أو سلا فتعالِي
أو فكوني في حُلْمِهِ الزَّهَرِ والأند
ب فما يستطيع بَعْدُ نزوعًا
ناعمًا بالكرى رضىً قنوعًا
نَجْتُ صمًّا من حوله وخشوعًا
غامَ والخمرَ والعروسَ الشُّمُوعًا

أيُّها الزائرُ المعاودُ ما أَلـ
فكأك أحسنتَ بالمزار صنيعةً

ما أرى في سمات وجهك إلا شَبَحًا رائِعًا وحُلَمًا وَجِيَعًا
يتوقَّاهُ ناظرًا يَ كَأَنِّي فيه أَلْقَى أَلَمَ عمري جميعًا
طالَ ليلي فما طويْتُ هزيْعًا منه إلا نَشَرْتُ منه هزيْعًا

أَيُّهَا الشَّوْقُ، خَلِّ عَنْكَ ودعني، وامض لا خادِعًا ولا مخدوعًا
أَيْنَ هَذَا الجمالُ أَرعاهُ كالبرقِ خلوبًا وأَجْتَلِيهِ لموعًا
أَيْنَ هَذَا الخيالُ أَسْقاهُ كأسًا بيْدٍ منه فَجَّرْتُ ينبوعًا
أين، لا أين! ما غِنائي بالذِّكْرِ رى وقد أَصْبَحَ الوهوبُ منوعًا!

عُدْتُ، يا شوقُ، لي وعادتُ لِياليكِ عُدْتُ من بعد لوعةٍ أحرقتُهُ
ولِيالٍ من الفراغِ عواتٍ هَرَّأَتْهُ ثُلُوجُهُنَّ صقيعًا
عُدْتُ، يا شوقُ! فيمَ عُدْتُ؟ ربيعُ الـ عَمْرٍ وَلَّى! فهل تُعيدُ الربيعًا؟

جَزِيرَةُ الْعُشَّاقِ

«ذكريات رحلة في سبتمبر عام ١٩٣٨ بين بركان الفيزوف وجزيرة كبرى والجرونا المشهورة بها.»

لِيَالِي الصَّيْفِ فِي كَثْرِي	أَمْ الْفِتْنَةُ فِي الْبَحْرِ
وَجَنِّيَّاتُ بَحْرِ الرُّومِ	أَمْ دُنْيَا مِنَ السَّحْرِ
عَلَى شَطِّ مِنَ الْأَحْلَا	مِ وَالْأَنْغَامِ وَالزَّهْرِ
تَنْفَسَ جَوْهُ عَطْرًا	يُقَضِّضُهُ سَنَا الْبَدْرِ
أَرِيحُ الْبَرْتِقَالَ بِهِ	وَنَفْحُ الْعَنْبِ النَّضْرِ
أَمْ الْأَلْهَةُ الْعُشَّاقُ بِيَدِ	مِنَ الْمَوْجِ وَالصَّخْرِ
أَهْلُوا تَحْتَ أَشْرَعَةٍ	تُقَلُّ عَرَائِسُ الشُّعْرِ
نَشَاوَى الْحَسَنِ وَالنُّورِ	وَبَعْضُ النُّورِ كَالْخَمْرِ
تَنْهَدَ حِينَ أَبْصَرَهُمْ	مُجِبُّ مَوْعَرِ الصَّدْرِ
أَقَامَ الدَّهْرَ مَوْثُورًا	مِنَ الْحِرْمَانِ وَالْهَجْرِ
بِأَنْفَاسِ تَضِيءُ الْأَفْ	قَ بَرَكَانِيَّةِ الْجَمْرِ
فَصَدْنَاهُ عَلَى اللَّيْلِ	وَجَزْنَاهُ مَعَ الْفَجْرِ
فَلَمْ تَغْمُضْ لَهُ عَيْنٌ	تُصِيبُ النَّجْمَ بِالذُّعْرِ
وَبَاتَ الْمَوْجُ فِي فَرْ	حَوَالِيهِ، وَفِي كَرِّ
فَقَالُوا: قَدْ دَنَا الْمَوْعِ	دُ أَوْ آذَنَ بِالثَّارِ
فَعُدْنَا مِثْلَمَا جِئْنَا	مِنَ الْعِبْرِ إِلَى الْعِبْرِ

وَيَمَّمْنَا بِجَوْفِ الصَّخْرِ	دهليزًا مِّنَ التَّبْرِ
سَرَى زورُقْنَا فِي مَا	ئِهِ الْغَافِي سُرَى السَّرِّ
تَرَامَى حَوْلَنَا الْأَضْوَا	ءٌ أَطْوَأًا مِّنَ الدُّرِّ
فَمِنْ زُرُقٍ، إِلَى صُفْرِ،	إِلَى خُضْرٍ، إِلَى حُمْرٍ
كَأَنَّ الشَّمْسَ حِينَ رَأَتْ	صَبَاَهَا أَوَّلَ الدَّهْرِ
زَهَاهَا الْعُرْيُ فَاسْتَحْيَتْ	عَيُونَ النَّاسِ فِي الْبَرِّ
فَجَاءَتْهُ مُحَجَّبَةً	عَلَى تَيَّارِهِ تَسْرِي
وَنَضَّتْ مِنْ غَلَائِلِهَا	وَأَلْقَتْهَا عَلَى الصَّخْرِ
وَخَانَتْ عَيْنَهَا سِنَّةً	فَنَامَتْ، وَهِيَ لَا تَدْرِي!

طَاقَةُ زَهْرٍ

إلى المودعة الجميلة

بِيَدَيِ مُودَّعَةٍ يَمِينِ مُودِّعٍ
كَالطُّفْلِ نَامَ عَلَى ذِرَاعِ الْمَرْضِعِ
أَمْشِي بِطَيْفٍ فِي الظَّلَامِ مُقَنَّعٍ
وُسَمْتُ بِطَابَعِ ذَوْكِ الْمَتَرَفِّعِ
فِي هُودَجٍ أَسْتَارُهُ لَمْ تُرْفَعِ
وَحَلَعْتُ عَنْهَا لِبْسَةَ الْمَتَمَنِّعِ
وَتَرَدَّدَتْ أَنْفَاسُهَا فِي مَضْجَعِي
لَا تَشْتَكِي سَهْرًا وَفَرَطَ تَطْلُعِ
وَتَصُبُّ حُلُوَ حَدِيثِهَا فِي مِسْمَعِي
وَتَفِرُّ حِينَ تُحَسُّ حُرْقَةَ أَضْلَعِي
مِنْ مُغْرِيَاتِكَ بِسْمَةَ لِتَوَلُّعِي

زَهْرَاتِكَ الْحَمْرُ الَّتِي أَسْلَمْتَهَا
لَمَّا وَصَلْتُ إِلَى الْمَصِيفِ حَمَلْتُهَا
أَمْشِي بِهَا فَوْقَ الرَّمَالِ كَأَنَّنِي
مَضْمُومَةُ الْوَرَقَاتِ طَيِّ غَلَالَةٍ
مَحْجُوبَةٌ كَأَمِيرَةٍ شَرْقِيَّةٍ
حَتَّى إِذَا أُوَيْتُهَا بَعْدَ السُّرَى
هَشَّتْ لَأَنِّي وَأَشْرَقَ لَوْنُهَا
وَمَضَتْ تُخَالِسُنِي حَيَّيْ لِحَاضِهَا
هِيَ أَنْتِ، أَحْلَامُ تَغَازِلُ نَاطِرِي
هِيَ أَنْتِ، أَطْيَافُ تَعَانِقُ مُهَجَّتِي
أَمْسَتْ تُعَابِثُنِي وَمِلْءُ شِفَاهِهَا

* * *

لِيلِي، وَأَنْتِ لَدَيَّ سَاهِرَةٌ مَعِي
تَأْتِيكِ بِالْخَبْرِ الْعَجِيبِ الْمَمْتَعِ
وَتَعْدُ خَطْوِي إِنْ رَجَعْتُ لِمَوْضِعِي

وَمَكْرَتِ مَكْرِكِ يَا حَبِيبَةَ وَانْقَضَى
أَرْسَلَتْهَا عَيْنًا عَلَيَّ رَقِيبَةَ
تُحْصِي حَرَائِكِي إِنْ مَشِيتَ لَشَرْفَتِي

ديوان علي محمود طه

شَهِدْتُ بِأَنِّي مُذْ تَرَكْتُكَ حَائِرٌ مَتَفَرِّدٌ بِصَبَابَتِي فِي مَخْذَعِي!!

أَحْلَامُ عَاشِقَةٍ

يا للعذوبة، يا حبيب — حين أهبطُ للنَّهْرُ
كي أستحمَّ وأنتَ تم — عنُ في مفاتيحِ النظرِ

لو دِدْتُ لو أني أما — مكَّ قد جلوتُ محاسني
بغلالةٍ مُبتَلَّةٍ — كشفتُ جميعَ مفاتيحِ

أهوى إلى الماءِ الهبّو — طَ وأشتهي أن أتبعَكَ
وأشدُّ ما أهواه من — هُ صعودُنا، وأنا معَكَ

بيديّ من سمكاته — حمراءُ رائقةُ الجمالِ
فتعالَ لي أنظرُ إليكَ — لك! تعالَ وانظرُ لي تعال!

امْرَأَةٌ وَشَيْطَانٌ

لحاكِ الله يا دنيا خلوبًا فأنتِ الغادةُ البكرُ العجوزُ

المعري

أَقْسَمْتُ لَا يَعْصِي جَبَّارٌ هَوَاهَا
لَا وَلَا أَفْلَتَ مِنْهَا فَاتِنٌ
قِيلَ عَنْهَا: إِنَّهَا سَاحِرَةٌ
وَعَجُوزٌ بِالصَّبَا مَوْعِدَةٌ
حَذِيقَتْ عِلْمَ الْأَوَالِي وَوَعَتْ
قِيلَ: لَا يُذْهَبُ عَنْهَا كَيْدُهَا
وَرَوَوْا عَنْهَا أَحَادِيثَ هَوَى
وَأَسَاطِيرَ لَيَالٍ صُبِغَتْ
يَذْكُرُ الرِّكْبَانُ عَنْهَا أَنَّهَا
وَقَتِيلٌ بَيْنَ عَيْنَيْ زَوْجِهِ
كَلِمَا التَّدْتِ وَصَالًا مِنْ فَتَى
وَاحْتَوَتْهُ فِي أَصِيصِ زَهْرَةٍ
زَهْرَاتٍ مَثَلَتْ عِشَاقَهَا
فَإِذَا مَا اللَّيْلُ أَرخَى سِتْرَهُ

أَبَدَ الدَّهْرِ وَإِنْ كَانَ إِلَيْهَا
قَرَّبَتْهُ وَاحْتَوَتْهُ قَبِضَتَاهَا
تَتَحَدَّى سَطْوَةَ الْجَنِّ سَطَاهَا
وَبِعَمْرِ الدَّهْرِ مَوْعِدُ صَبَاهَا
قَصَصَ الْحَبِّ وَمَأْثُورَ لَغَاهَا
غَيْرُ شَيْطَانٍ وَلَا يَمْحُو رُقَاهَا
أَتَمَّ يُغْرِبُ فِيهَا مِنْ رَوَاهَا
بِدِمَاءٍ سَفَكَتَهُنَّ يَدَاهَا
سَرَقَتْ مِنْ كُلِّ حَسَنَاءٍ فَتَاهَا
كُلُّ مَعْشُوقٍ دَعَتْهُ فَعَصَاهَا
سَحَرَتْهُ وَهُوَ فِي حِضْنِ هَوَاهَا
يَسْرِقُ الْأَنْفَاسَ مِنْ طَيْبِ شَذَاهَا
بَعِيُونَ غَارِقَاتٍ فِي كَرَاهَا
أَطْلَقَتْ أَشْبَاحَهُمْ فِي مَنْتَدَاهَا

مُهَجَّبًا خَفَاقَةً مُلْتَاعَةً
تستعيد الأَمْسَ في لذَّاتها
تتلوَّى بينهم مشبوبةٌ
عبرَ الشيطانِ يومًا أَفْقَهَا
أَيُّ وادٍ رائِعٍ أَجَارُهُ
أَيُّ قَصْرِ بادِخٍ في قِمَّةِ
ودروپٍ حولها مُلتَفَّةِ
وبروجٍ لحمامٍ زاجِلِ
ظَنِّهَا من عِبْقَرٍ ناحِيَةٍ
فهوى من حالقٍ يرتادُها
ورنا حيث رنا فاهتاجُهُ
أَصْصٌ من ذَهَبٍ تحسبُها
كلما مَسَّتْ يدها زهرةٌ
فجنى ما شاء حتى لم يدعْ
وانتشى من عطرها فانتثرتْ
عجبًا ما لمستْ غيرَ الثرى!
نظرةً، أو خطرةً، واختلجتْ
واستحالتْ بين عينيه دُمى
فكَّ عنها السَّحَرُ فارتدتْ إلى
ورنا الشيطانُ في آثارها
يا لها! كيف استقرَّتْ ثم فرَّتْ!
ودنا الليلُ، ورنتْ صدحةٌ
فإذا مائدةٌ حافِلَةٌ
ملؤها الخمرةُ نورًا وشذاً
وصحافٍ كتهاولِ الرُّوى
وإذا مقصورةٌ من حوله
وقفتْ غانيةٌ في بابها

وعيونًا ظامِنَاتٍ، وشفاهَا
وليالِيها، وأشواقِ رُؤَاها
شهوةٌ، يلتهمُ الليلَ لظَاهَا
فرأى، ثم فنونا ما رآها
تحذرُ الرِّيحُ عليهنَّ سُرَاهَا
تحسبُ الأنجمَ من بعضِ ذُرَاهَا
كأفَاعٍ سُمِّرَتْ في منحناها
هو بالأقدارِ يهفو من كُوَاهَا
أخطأتْ عيناهُ بالأَمْسِ صُوَاهَا
طُرقاتِ زخرفِ الفنِّ حِصَاهَا
منظرُ الزَّهرِ الذي زانَ ربَاهَا
بَعَثَرَتْ فيها الدراري سِنَاهَا
عَطَفَتْهُ لقطافِ شفتَاهَا
في أصيصِ زهرةٍ إلَّا جناها
مثل حَبَّاتٍ من الماسِ يراها
أَيُّ نورٍ شاعَ فيها فزهاها؟
فعرتهُ هَزَّةٌ ممَّا عراها
حَيَّةٌ تستبقُ البابَ خطَاهَا
عالمِ الحسِّ وخَفَّتْ قدمَاهَا
سابقًا في دهشةٍ طال مداها
لحظةً مرَّتْ ولكنَّ ما وعاهَا!
نَبَّهَتْهُ، حين لا يبغي انتباهَا
بالأباريقِ ترامى طرفاهَا
نَسَمَتْ وَاثَلَقَتْ فَخَّارتَاهَا
تجد الأنفُسُ فيها مُشتهاها
خالها تَنْبِضُ بالروحِ دُمَاهَا
قد تعرَّتْ غيرَ فضلٍ من حُلَاهَا

يا لَهَا من فتنَةٍ قد صُوِّرَتْ
 طلعتُ في هَالَةٍ من خُضْرَةٍ
 ثم نادَتْ: «يا أَحْبَابِي انهضوا
 وتلاشى الصوتُ لا رجَعَ صدى
 فعرتها رِعْدَةٌ، فالتفتتُ،
 أبصرتُ وجهًا كوجه المَسْخِ لم
 وراثُ كَفِيهِ يَنْدَى منهما
 عرفتُ ما اجترحته يَدُهُ
 يا لهذا المسخ! دَوْتُ وَمَشْتُ
 فانثنى الشيطانُ عنها صارحًا
 فَبَدَتْ في شفّتها آيَةٌ
 فَدَنَتْ ترمقه فاختلجتُ
 بُدِّلْتُ تلك العصا جمجمةً
 هي من مَلَكَةٍ جِنٍّ من تُصِبُ
 فتنحى غاضياً مبتئساً
 وسجى بينهما الصمتُ الذي
 والتقت عيناها فاستروحا
 عرفتُ من هو فاستخذتُ لَهُ
 قال: أختاهُ، اغفري لي نظرةً
 واغفري لي شِرَّةً عارمةً
 يا لهذا الدم! ما عنصرُهُ؟
 فأجابت: زهراتي رُدّها
 قال: لا أذكر إلا حُلْمًا
 أهَي جِسْمٌ؟ أهَي رُوحٌ؟ إن تَكُنْ
 فأحسْتُ هول ما يجهلُهُ
 صَاح: غفرانك لا تبتئسي
 أَنَا من تَخَطَّى قَدَمِي

في قوامِ امْرَأَةٍ راع صباحها
 وعيونٌ يَتَرَقَّرْنَ مياهاً
 واغنموا الليلةَ حتى منتهاهَا»
 لا، ولا ثَمَّ مُجِيبٌ لنداها
 فرأتهُ، فتلقّاها وجاها
 يَتَقَنَّعُ، شاهَ هذا الوجهُ شاهَا
 أَرَجُ الزَّهْرِ فَأَجَبَتْ نظرتهاَا
 أَوَلَا يَعْرِفُ من داسِ حماها؟
 صيحةٌ ينذر بالويل صداها
 أتراها تتحدّى؟ من تُراها؟
 من مُبِينِ السَّحْرِ، أوْما فمحاها
 عينُهُ، حين أشارت بعصاها
 رِيحٌ لَمَّا شرَعَتْهَا فاتَّقاها
 يخترمُهُ بالمنايا محجراها
 وتنحّت والأسى يُلْجِمُ فاهَا
 يَتَغَشَّى الأرضَ إنْ حان رداها
 راحةٌ من قبلها ما عرفاها
 ورأى من هي فاستحيا قُواها
 اشتَهَتْ كُلَّ جمالٍ واشتهاها
 في دمي، لو أَتَأَبَّى ما أَبَاها
 كُلُّ ما في النار من وَقْدٍ لظاها
 إنْ تَقُلْ حقًا ولا تَبْغِ أذاها
 لحظةً ضلَّ بها عقلي، وتاها
 لا يَرُدُّ الرُوحَ إلا من براها
 فاستحت منه وأغضى ناظرها
 اطلبي ما شئتُ مِنِّي ما خلاها
 مَسِبحَ الشمسِ فيربدُ ضحاها

أَنَا مِنْ يَطْفِئُ النَّجْمَ فَمِي
وَتَمَسُّ الْقَمَمَ الشَّمَّ يَدِي
وَأَجِيءُ الْأَرْضَ مِنْ مَحْوَرِهَا
وَأَصْدُ الرِّيحَ عَنْ وَجْهِهَا
أَأْرَانِي عَاجِزًا عَنْ دَرْكِ مَا
أَهْ، مَا أضعَفَ سُلْطَانِي، وَمَا
قَالَتْ: الْآنَ سَلَامًا زَائِرِي
أَيُّهَا الشَّيْطَانُ، مَا أعْظَمَ مَا
زَهْرَاتِي تِلْكَ، مَا كَانَتْ سَوَى
قَهْرْتَنِي، وَاسْتَذَلَّتْنِي بِهَا
وَأُنَانِيَّةٌ أَنْثَى لَمْ تُطِقْ
قَدْ صَنَعْتَ الْحَقَّ، قَدْ عَاقَبْتَنِي
فَدَنَا مِنْهَا، فَأَلَفْتُ وَجْهَهُ
قَرَّبْتُ بَيْنَهُمَا رُوحَ الْأَسَى
وَاسْتَهَلْتُ دَمْعَةً مِنْ عَيْنِهَا
ضَمَمْتُ كُلَّ عَذَابٍ وَضْنِي
وَرَأَاهَا فَتَنَدَّتْ عَيْنُهُ
وَبَكَى الشَّيْطَانُ! يَا لَامِرَةً

وَأَرُدُّ الْأَرْضَ غَرْقَى فِي دُجَاهَا
فَيُزِي مَنْحَدَرًا لِي مُرْتَقَاهَا
فَإِذَا بِي يَتَدَانِي قُطْبَاهَا
فَتَجُوبُ الْكَوْنَ لَا تَدْرِي أَتَجَاهَا
تَتَمَنَّى امْرَأَةً؟! عَزَّتْ مُنَاهَا!
كَنْتُ إِلَّا بِغُرُورِي أَتْبَاهَى!!
وَرَضًا نَفْسِي إِنْ رُمْتُ رِضَاهَا
قُلْتُ، مَا قُلْتُ لَغْوًا أَوْ سَفَاهَا
شَهَوَاتٍ، جِسْمِي الطَّاعِي نَمَاهَا
غَيْرَةً، يَنْهَشُ قَلْبِي عَقْرِبَاهَا
فَاتِنًا تَمْلِكُهُ أَنْثَى سَوَاهَا
فَارْحَمِ الْمَرْأَةَ فِي ذُلِّ هَوَاهَا
غَيْرَ مَا كَانَ، لَقَدْ أَلَفْتُ أَخَاهَا!
فَاجْتَبَتْهُ بَعْدَ حَقْدٍ وَاجْتَبَاهَا
دَمْعَةً رَفَّتْ وَشَفَّتْ قَطْرَتَاهَا
كُلُّ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ بَثٍّ أَسَاهَا
رَحْمَةً، فَاحْتَالَ يُخْفِي مِنْ بُكَاهَا
أَبْكَتِ الشَّيْطَانُ لَمَّا أَنْ رَأَاهَا!!

هِيَ وَهُوَ

صفحات من حب

مِنْهَا

ما بين موج طاعيات قُواه
حَيْرَى بأقيانوس هَذِي الحياة
أَيْنَ حبيبي؟ أين سارت خُطاهُ؟
يَبْسُمُ لِي الحِظُّ فآلَقَى سَنَاهُ
تَحْمِلْنِي فِي إِثْرِهِ كَيْ أَرَاهُ
إِلَيْهِ أَفُقٌ لَا يُرَى مِنْتَهَا!
أَعَزُّ إِنْسَانٍ صَفَا لِي هَوَاهُ
تُشِيرُ بِالْأَمَالِ لِي رَاحَتَاهُ
وَأَيْنَ مِنْ عَصْفِ الرِّيحِ النِّجَاةُ؟
مَحْطَّمًا قَدْ مَالَ بِي جَانِبَاهُ
مَهْمَا تَنَاءَى وَارْتَمَتْ لُجَّتَاهُ
جَمِيعُ آلَامِي؟ أَيْكْفِي مَدَاهُ؟

وحيدة! وَيُنْجِي! بلا راحةٍ
تَجْرِي بِي الْفُلُكُ كَأَرْجُوحةٍ
أَبْحَثُ عَنْهُ، وَسُدَّى مَا أَرَى
لَمْ يَهْدِنِي نَجْمٌ إِلَيْهِ، وَلَمْ
وَلَيْسَ لِي مِنْ مَوْجَةٍ بَرَّةٍ
مَنْ شَاطِئُ الرَّاحَةِ لَمْ يَدْنُ بِي
هَنَّاكَ فِي الشَّاطِئِ وَافْرَحْتَا
مَنْتَظِرًا لِي، شَاخِصًا، بِاسْمًا
لَكِنَّمَا هِيَهَاتَ، كَيْفَ السَّرَى
أَصَارَ حَتْمًا أَنْ يُرَى زورَقِي
وَهَلْ فِضَاءُ الْبَحْرِ أَوْ غَوْرُهُ
يَكْفِي مَدَاهُ أَنْ تُوَارَى بِهِ

نَمَتْ زَهْرَةٌ فِي غُضُونِ الْخَرِيفِ كَزَنْبَقَةٍ فِي زُهَى حُلَّةٍ
كَبُتْ الْمِرَاعِي نَوْرًا يَشْفُ كَأَنِّي بِهَا قَدَحًا مُتَرَعًّا
لَهَا وَهَجُ الْحَبِّ فِي قُبْلَةٍ أَلَا إِنَّهَا هِيَ بُقْيَا الْهَوَى
أَلَا إِنَّهَا هِيَ صَهْبَاؤُهُ تُمِيتُ وَتُحْيِي فَيَا لِلْحَيَاةِ

كَخُلْمٍ مِنَ الْمَاءِ وَالْخَضِرَةِ رِبْعِيَّةِ الْوَشْيِ مُحْمَرَّةٍ
وَيَجْلُو الطَّهَارَةَ فِي النُّظْرَةِ بِهِ مُزَجَّ السَّمِّ بِالْخَمْرَةِ
عَلَى شَفَةِ شَبِّهِ مُفْتَرَّةٍ وَآخِرُ مَا فِيهِ مِنْ نَضْرَةِ
وَآخِرُ مَا فِيهِ مِنْ قَطْرَةِ وَلِلْمَوْتِ الْفَيْنِ فِي زَهْرَةِ!

إِن أَنَا قَاوَمْتُ هِيَاجَ الْعِبَابِ وَلَمْ تَدْعُ كَفِّي إِلَى زورقي
فَسَوْفَ يُلْقِيهِ خَفِيُّ الْقَضَا وَإِنَّ أَقْوَى سَاعِدٍ عَاجِزُ
إِن عَانَدَ الْأَمْوَاجَ فَهُوَ الَّذِي وَهُوَ الَّذِي يَسْعَى إِلَى حَتْفِهِ
فَلْيُلْقِ بِالْمَجْدَافِ مِنْ كَفِّهِ وَلْيَمِضْ بِالزُّورِقِ مَا يَشْتَهِي
وَلْيَبْلُغْهُ الْمَوْجُ فِي جَوْفِهِ طَالَ كِفَاحِي، وَيَخَ نَفْسِي فَمَا

مَصْطَرَعًا وَالْأَفُقُ دَاجِي السَّحَابِ زَمَامَهُ حُرًّا وَخَضَتْ الصَّعَابِ
مُحَطَّطًا فَوْقَ الصَّخُورِ الصَّلَابِ أَنْ يُمَسِكَ الْمَجْدَافَ دُونَ اضْطِرَابِ
يَحْفَرُ فِي الْيَمِّ حَفِيرَ التَّبَابِ فِي هُوَّةٍ مَفْعُورَةٍ فِي الْعِبَابِ
وَلِيَتْرِكِ الْمَوْجَ طَلِيقَ الرَّغَابِ إِلَى الْقَضَاءِ الْحَثْمِ دُونَ ارْتِيَابِ
فَلَا مَفَرَّ الْيَوْمَ مِمَّا أَصَابَ طَوْلُ كِفَاحِي غَيْرُ طَوْلِ الْعَذَابِ!

أَطَلَّ الْخَرِيفُ بِأَعْقَابِ لَيْلٍ وَآخِرُ مَا فِي الرُّبَا زَهْرَةٌ
غَدَتْ وَحْدَهَا فِي أَدِيمِ عَفَا كَحَارِسَةِ الْمَيْتِ لَيْسَتْ تَرِيْمُ
تُسَاقِطُ مِنْ حَوْلِهَا أَدْمَعَا جَرَى الْغَيْثُ، مِنْ وَرَقَاتِ بِهَا

دَجَى الظَّلَامِ بَكِي السُّحُبِ عَدَاهَا مِنَ الصَّيْفِ وَقَدْ اللَّهَبُ
مِنَ النُّورِ وَالْوَرَقَاتِ الْقُشْبِ مَكَانًا بِهِ وَقَفْتُ تَضْطَرِبُ
غُصُونُ تَطَالِعُهَا عَنْ كَثْبِ إِلَى آخِرِ شَاحِبَاتٍ، صَبَبُ

تَحَدَّرَ مَخْتَنِقًا فَوْقَهَا بَلَا نَبْأَةً قَطْرُهُ الْمُنْسَكِبُ

فِيَا مَنْ لَهَا زَهْرَةٌ «الْجُورَجِينَ» مَنِ الزَّائِرُ الْحَائِرُ الْمُقْتَرِبُ؟!
جَنَاحٌ لآخر ما في الْفَرَّاشِ وَمِنْ رَحْمَةٍ بَقِيَتْ أَوْ حَدْبُ
مَضَى الصَّيْفُ وَانْقَطَعَتْ إِثْرُهُ أَغَارِيدُ كَنْ مَثَارِ الطَّرَبِ
نَأَى طَيْرُهَا عَانِيًا وَاخْتَفَى غَرَامٌ أَتَى ... وَغَرَامٌ ذَهَبَ

إِلَيْهَا

لَا تَتْرَكِي زُورَقَنَا الْمُجْهَدًا يَجْرِي بِهِ الْيَأْسُ وَيَمْضِي الْعَذَابُ
لَا تُسَلِّمِي مَجْدَافَهُ لِلرَّدَى فَالْشَّاطِئُ الْمَوْعُودُ وَشَكُّ اقْتِرَابِ
سَيَّانٍ أَرْغَى الْمَوْجُ أَمْ أَزِيدًا لَنْ نَحْنِيَ الرَّأْسَ أَمَامَ الصَّعَابِ
هَذِي يَدِي! مُدِّي إِلَيْهَا يَدًا نَقْتَحِمُ النُّوْءَ وَنَطْوِي الْعُبَابَ!

نَادَى بِرُوحِي مِنْكَ رُوحٌ شَرُودٌ: لَبِيكُ، يَا رُبَّانَتِي الْهَاتِفَهُ
شَرَائِعُ النَّاسِ بِهَذَا الْوُجُودِ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ تَقْهَرَ الْعَاطِفَهُ
وَدِدْتُ لَوْ حَطَّمْتُ هَذِي الْقِيُودُ وَجِئْتُ أَلْقَاكَ عَلَى الْعَاصِفَهُ
يُضِيءُ وَجْهَيْنَا بِرَيْقِ الرُّعُودِ فَنَنْتَنِي بِالسَّمَةِ الْخَاطِفَهُ!

وَحَدَّكَ أَنْتِ الْآنَ؟ إِنَّا هُنَا رُوحَانِ شَبَّاءَ فِي ظِلَالِ الْكِفَاحِ
شَرَاعِنَا الْخَفَاقُ لَنْ يَسْكُنَا لِلْيَأْسِ مَهْمَا مَرَّقَتْهُ الرِّيحُ
وَنَجْمُنَا مَا زَالِ طَلَقَ السَّنَا يُطَالَعُ الْأَفَقُ وَيَلْقَى الْبَطَاحُ
إِذَا الْغَوَاشِي السُّودُ مَرَّتْ بِنَا أَلْقَى لَنَا الضَّوْءَ وَمَدَّ الْجَنَاحُ

حُبُّكَ رَبَّانُ الهدى والسلامُ ما لان للأخطار أو أذعنَا
لا تَنزِعِي من قبضَتِيهِ الزمامُ ولا يَرُعُ قلبك هذا الضَّنَى
كم ثار نَوءٌ وتَدَجَّى ظلامُ وهذه أنتِ، وهذا أنا
إنَّا بلونا الهولَ باسم الغرامِ جنبًا لجنبٍ، ورجونا المُنَى

* * *

ثِقِي بِمَلَأَحِكَ في المأزِقِ إني أنا ابنُ الموجِ والعاصفاتِ
الشَعَرَاتُ البيضُ في مفرقي تُنْبِيكِ عن أيامِي الخالياتِ
آثارُ عُمَرٍ مُرْعِدٍ مُبْرِقِ تعصف فيه أروعُ الحادثاتِ
ما كدَّرْتُ من رُوحِي المشرقِ تلك الليالي القُلُبُ المظلماتِ

* * *

حبيبتي من أيِّ قلبٍ حزينٍ وأيِّ روحٍ عبقرِيٍّ الأَلَمِ
وأيِّ وادٍ للأسى أو معينٍ فَجَرَّتْ لَحْنًا من أرقِّ النَعَمِ؟
وَصَفَّتْ فيه زهرة «الجُورجين» حارسة الميْتِ بوادي العَدَمِ
وخلَّتْهَا كالكَأْسِ ذات الرنينِ بَرَاقَةً فيها الردى يبتَسِمُ؟!

* * *

بكيتِ بالدمع السخين الذريفَ على غرامِ خِلَّتِهِ قد مَضَى
وَأَبْصَرْتُ عيناك ظلَّ الخريفِ يُجَلِّلُ الأرضَ وَيَغْشَى الفُضَا
تخضُبُ كَفَاهُ النضيرَ الوريْفَ وَرَسًا، وتُدْمِي الزنبقَ الأَبْيَضَا
وتُخْرِسُ الطيرَ بليلٍ شفيفَ يروعُ فيه القلبُ أن يَنْبِضَا!

* * *

هذا الخريفُ الجَهْمُ تمشي خُطَاهُ على الربيعِ الذَّابِلِ المحتَضِرِ
كَأَبَةٌ تحجبُ أَفَقَ الحياةِ سحابةٌ تخنُقُ ضوءَ القَمَرِ
أُخْتَاهُ! هذا الحبُّ غَضٌّ صَبَاهُ! أيُّ عذابٍ صاغَ هذي الصُورُ؟
لم يَبْرَحِ الشاطِئُ، إني أراه كعهديه في الموعدِ المُنتَظَرِ!

* * *

كان حديثُ القَدَرِ المِبهِمِ	مثارَ هذا الخاطرِ المِفرِجِ
برغمِ قلبي، صحتُ: لا تُقَدِّمي!	وكان ما كان، فلم تسمعي
أشفقتُ أن تَشْقِي وأن تَأْلَمِي	معي، فناشدتُك أن ترجِعي
لكنْ أبى الحبُّ فلم نأثم	وكان أن أبْقَى، وتَبَقَّى مَعِي!

* * *

أُكَّانَ حُلْمًا أم قضاءً دعا؟	ماذا يُفيدُ العاشقينَ الحذرُ؟
شئنا فلم نَقْدِرْ وعُدنا مَعًا	يا أختَ روجي ذاك حكمَ القدرِ!
لم ندْخِرْ جَهْدًا ولا أدْمَعًا	ولا دمًا، ما نحنُ إلَّا بَشَرُ!!
ما أَمَجَدَ الحبُّ وما أروعا	إذا تحدَّى العاشقانِ الخطرُ!

* * *

الْحُبُّ ما زالَ، وهذا سناءُ	يُلْهَبُ حتى الجدوةَ الخامدةَ
تذوي الأَراهيرُ وتذوي الشفاهُ	وهو ربيعُ الأنفسِ الواجدةَ
قلوبُنا منه تُصيبُ الحياةَ	وتستمدُّ النَّضْرَةَ الخالدةَ
إذا أضعناهُ فوا رحمتاهُ	لنا، وبُؤْسَى لليدِ الجاحدةَ!

ثَلَجٌ وَنَارٌ

أَيَّتُهَا النَّارُ هَذَا الْمَسَاءُ قَسَا بُرْدُهُ فَاذْهَبِي وَاسْتَفِيقِي
أَيَا نَارُ كَفَّاي أَثَلَجُ مِنْهُ فَهَلَّا بَعَثْتَ بَدْفَ الْحَرِيقِ!

* * *

أَمَا فِيكَ بَعْدُ حَيَاةٌ تُشَبُّ؟ أَمَا فِيكَ مِنْ جَذْوَةٍ تُلْهَبُ؟
أَمَقْرُورَةٌ؟ أَمْ غَفَا وَانْطَوَى عَلَى نَفْسِهِ اللَّهَبُ الْمُتَعَبُ؟

* * *

أَجْلِسْ، يَا نَارُ، وَحْدِي هُنَا أَرَاعِيكَ وَهَنَا وَأَسْتَطِلْعُ؟
خُذِي مَلَأَ شَدَقِيكَ هَذِي الرِّسَائِلَ إِنْ كَانَ فِيهِنَّ مَا يُشْبِعُ!

* * *

خُذِيهَا! كُلِّيَهَا! وَلَا تَمْهَلِي فَمِنْهَا الْوَقُودُ وَمِنْكَ الْأَجِيجُ
وَيَا مَنْ لَهَا كَلِمَاتٌ حَوَتْ مِنْ الْحَبِّ كُلِّ جَمِيلٍ بَهِيْجٍ!

* * *

أَتُبْقَيْنَ حَقًّا عَلَى مَا بَهَا؟ مَتَى أَنْتِ أَبْقَيْتِ شَيْئًا؟ مَتَى!
وَمَاذَا أَرْجِي بِهِذَا الدُّعَاءِ وَكَيْفَ تُلَبِّينَ! وَاحْسَرْتَا!

* * *

أَجَائِعُ أَنْتِ؟ يَا لِلشَّرَاهَةِ مَا عَفَتِ غَيْرَ بَلَى أَوْ رَمَادُ
تَشَهَّيْتُ كُلَّ طَعَامٍ، وَمَا تَذَوَّقْتُ شَيْئًا كَطَعْمِ الْمِدَادِ؟

* * *

وَمَنْ لِي بِزَادِكَ؟ لَمْ يَبْقَ مَا يَلُوكُ لِسَانُكَ أَوْ يَغْلُكُ
أَيَّتُهَا النَّارُ، وَيَكِ اصْبِرِي أَجْنُكَ بِكُلِّ الَّذِي أَمَلِكُ

* * *

بِقُرْبَانِي الْقُدْسِيِّ الْأَخِيرِ أَزَاهِيرَ كُنَّ رِقَاقًا لِطَافَا
أَزَاهِيرَ تَزْهَى بِهَا بَاقَةٌ نَوْتُ نَضْرَةً وَأَصَابْتُ جَفَافَا

* * *

أَلَا كُمْ تَأَلَّقْنَ فَوْقَ الْغُصُونِ زَوَاهِرَ فِي رُوعَةٍ وَاتَّقَادِ
بِكَفْيٍ هَاتَيْنِ جَمَعْتُهُنَّ مِنْ كُلِّ رَوْضٍ وَمِنْ كُلِّ وَادِ

* * *

فَوَا رَحْمَتَا أَيُّ عَمْرٍِ قَصِيرٍ لَهْنٌ، وَأَيُّ شَبَابٍ ذَوَى
وَأَيُّ حَيَاةٍ كَحُلْمٍ سَرَى سُرَى الْبَرْقِ لِأَلَّا تُمْ أَنْطَوَى!

* * *

أَحَقًّا فَرَعْتَ؟ إِنْ مَا سُعَارِكَ لَمْ يَبْقَ، يَا نَارُ، مَا يُنْهَسُ
أَهْذِي الْقُصَاصَةَ؟ لَا! إِنَّنِي أَضُمُّ عَلَيْهَا يَدًا تُرْعَشُ!

* * *

أَكَانَتْ سَوَى قِطْعَةٍ غُضِّنَتْ مِنْ الْوَرَقِ الْيَابِسِ الْأَصْفَرِ
مَهْلَهْلَةً غَيْرَ مَقْرُوءَةٍ حَوَتْ قِصَّةَ الْحُبِّ فِي أَسْطُرٍ!

تَلْجُ وَنَارُ

* * *

ضِنْتُ بِهَا ضَنْ مَعْتَرَّةٍ وَتَحْتَ الْوَسَادَةِ أودعْتُهَا
أَقْبَلَهَا مَتْنِي مَرَّةٍ إِذَا جُنَّ شَوْقِي فَأُطْلِعْتُهَا

* * *

فَيَا لِلشَّرَاهَةِ؟ مَاذَا أَرَى؟ لِسَانِكَ فِي ثَوْرَةٍ وَاهْتِيَاجٍ
يَكَادُ إِلَيَّ مِنَ الْمُصْطَلَى بَجَمْرِكَ أَنْ يَتَخَطَّى السِّيَاحُ!

* * *

خَسِئْتُ فَرْدِيهِ! مَاذَا يَرُومُ؟ أَلَمْ يَبْقَ، يَا نَارُ، مَا يُطْعَمُ؟
أَهْذِي الْقُصَاصَةَ؟ يَا لِلْحَرِيقِ وَيَا لِلْبَلَى! شَدَّ مَا يُؤْلَمُ!

نَارٌ وَنَارٌ

حَبِيبَةٌ قَلْبِي هِيَ النَّارُ لَا تَشْبِي لظَاهَا، وَلَا تَسْتَثِيرِي
دَعِيهَا وَلَا تَوْقِظِي جَمْرَهَا
فَدَى رَاحَتِكَ فُؤَادٌ يَلِدُ
فَمَا النَّارُ أَحْنَى مِنَ الزَّمْهَرِيرِ
أَنْيَلِيهِمَا دِفْءٌ تُغْرِي الْحَنُونَ
لَهُ، فِي هَوَاكِ، عَذَابُ السَّعِيرِ
وَصُونِيهِمَا رَحْمَةٌ مِنْ زَفِيرِي!

* * *

قَسَا الْبَرْدُ! كَيْفَ؟ أَيْقَسُو عَلَيْكَ؟
وَكَمْ جَنَّتِهِ بَارِقُ الْغَنَاءِ
أَأَخْتَاهُ أَيُّ عَذَابٍ طَغَى
وَوَا عَجَبًا كَيْفَ يَرْضَى الْمَسَاءُ؟
وَأَشْرَقَتْ فِيهِ بُوْحَى السَّمَاءِ؟
عَلَيْكَ، وَأَيُّ ضَنْئٍ أَوْ شَقَاءٍ
ضَرَعْتُ إِلَيْكَ فَلَا تُسْلِمِي
وَدَائِعُنَا لِلرَّدَى وَالْعَفَاءِ!

* * *

فَمَا هُنَّ بَعْضُ مَدَادٍ جَرَى
وَلَكِنَّهِنَّ شَغَافُ الْفُؤَادِ
وَأَحْلَامٌ دُنْيَا وَأَشْوَاقُهَا
وَلَا هُنَّ أَخْتَاهُ بَعْضُ الْوَرَقِ
وَدَوْبُ السَّوَادِ وَنُورُ الْحَدَقِ
لِرُوحَيْنِ بَعْدَ الضَّنَى وَالرَّهَقِ
أَفَاءَ إِلَى أَيْكَةٍ يَنْظُرَانِ
جَمَالَ الْمَسَاءِ وَسِحْرَ الشَّفَقِ!

* * *

أُحِسُّ بِقَلْبِكَ لَذْعَ الْأَسَى
وَفِي وَجْنَتَيْكَ لَهَيْبَ الدَّمُوعِ

وَأَسْمَعُ صِيحَةً مُسْتَقْتَلٍ يُصَارِعُهُ الْيَأْسُ بَيْنَ الضُّلُوعِ
وَالْمَحْ فِي جَانِبِ الْمُصْطَلَى وَجُوهًا زَوَاهَا الْأَسَى وَالْخُشُوعُ
مَحْدَقَةً فِيهِ، مَحْنِيَّةً عَلَيْهِ، وَيَا لِلْظَى كَمْ يَرُوعُ!

* * *

لَهْنٌ لِيَالِيكِ أَوْ ذَكْرِيَاتِي جِئْتُ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ ضِيَاءِ
تَسْمَعُنْ صَوْتِكَ تَحْتَ الظَّلَامِ فَجِئْتُ الثَّرَى وَطَوَيْنَ الْفَضَاءِ
تَمَسِّحُ كَفَّيْكَ رَاحَتُهُنَّ عَلَى قُبُلٍ مِنْ شَفَاهِ ظِمَاءِ
وَيَسْكَبْنَ فِي أُذُنِكَ الدُّعَاءِ وَفِي قَلْبِكَ الْغَضُّ نَوْرَ الرَّجَاءِ

* * *

أَلَا، يَا عِرَائِسَ وَادِي الْخِيَالِ، بِأَلْهَةِ الرَّحْمَةِ الْمُنْصِفَةِ
أَلَا ادْفَعْنَ هَذَا الرَّدَى الْمَشْرَبَّ وَأَمْسِكْنَ هَذَا الْبَدَ الْمُضْعِفَةَ
وَأَنْقِذْنَ هَذَا الْغَرَامَ الشَّهِيدَ فَقَدْ كَادَتِ النَّارُ أَنْ تَلْقِفَهُ
رِسَائِلُ، أَنْبُلُ مَا سَطَرَتْ يَدُ الْحَبِّ أَوْ رَدَدَتْهُ شَفَهُ!

* * *

وَصُنَّ أَزَاهِرَ مَا نَوَّرَتْ بِهِنَّ الْغُصُونُ لَغِيرِ الشِّفَاهِ
وَلَا نَسَمْتُ غَيْرَ رُوحِ الْهُوَى وَلَا غَيْرَ أَنْفَاسِهِ أَوْ شَذَاهِ
أَزَاهِرُ هُنَّ رُؤَى لَيْلَةٍ هِيَ الْعُمْرُ أَوْ هِيَ كُلُّ الْحَيَاةِ
تَمَثَّلُهَا الْحَبُّ فِي بَاقَةٍ إِلَهِيَّةٍ جَمَعَتْهَا يَدَاهِ

* * *

أَلَا يَا عِرَائِسَ وَادِي الْخِيَالِ أَلَا ابْعَثْنَ رُوحَ الرِّضَا وَالسَّلَامِ
أَلَا احْكُمْنَ بَيْنِي وَبَيْنَ الَّتِي تَتَوَّرُّ بِعَاشِقِهَا الْمُسْتَهَامِ
تُفَارِقُهُ وَتُطِيلُ الْفِرَاقَ وَتَسْأَلُهُ أَيْنَ عَهْدُ الْغَرَامِ
فَإِنْ قَالَ: ضَيَّعْتِهِ، أَسْرَعْتُ إِلَى النَّارِ تَوَقَّطُ فِيهَا الضَّرَامِ

* * *

نَارٌ وَنَارٌ

ألا، يا عرائسُ، هَلَّا استمعتِ
أَعَرَدَ رُوحٌ بهذا الصَّفَاءِ
يقول: أنا الحبُّ لا تُلقِ بي
وما أنا بعضُ رَمَادٍ لها
لأُختي رَبَّةَ هذا القصيدِ!
وردَّ قلبٌ كهذا النشيدِ!
إلى النارِ إنِّي قويٌّ شديدٌ
ولا أنا بعضُ حُطَامٍ بديدٌ

* * *

أنا الجوهرُ الفردُ لا ماستي
مُنَحْتُ الخلودَ وأعطيتُهُ
تَخَرُّ العروشُ وتهوي الشموسُ
هو القلبُ أعظمُ ما صَوَّرْتُ
تذوبُ، ولا نورُها يَنفَدُ
لمن يُلْهِمُ الشُّعْرَ أو يُنْشِدُ
ولي عرشي الخالدُ الأبدُ
يدُ اللهِ ما نازعتها يدُ

* * *

ألا، يا عرائسَ وادي الخيالِ،
حبيبةَ قلبي نسيْتُ النوى
وأنسيْتُ حتى كأنَّ لم يكنْ
حديثُ القصاصةِ ردَّ الهوى
ألا قرَّبي يَدَهَا قرَّبي
ودعوى البريئةِ والمذنبِ
على الأمسِ ما كانَ أو مرَّ بي!
لقلبي، فَشُبِّيهِ أو ألْهَبِي!!

يومُ الملتقى

غَنَّاكَ «داوُد»، أُم حَيَّاكَ «سيناء»
موعودةً، من ليالي النيل قمرأً
يشدو بهنَّ الثرى، والريحُ، والماءُ
أُم أَنْ كَهَانَهَا بالوحي قد جاءوا
به زبرجدةً في الشطِّ خضراءُ
فهنَّ فاكهةٌ تَنْدَى وصهباءُ

هذي سماؤُكَ أنغامٌ وأضواءُ
أُم النبيُّون قد أَرْجَتْ سفائِنَهم
أُم طالعَتِكَ من السَّحَر القديم رُؤَى
أُم جاء «طيبة» من أربابها نبأً
أُم سارَ «عمرو» بنور الفتح فائتَلَقَتْ
ماجَتْ خمائلُ بالبشرى وأوديةُ

صَبَّاحِهِ قَدِيمِ الرُّسُلِ الأَجَلَاءُ
وكم إِلَيْكَ بِسَرِّ الروحِ إِسْرَاءُ
كما يُلَبِّي هُتَافَ الأُمِّ أَبْنَاءُ
من أَمَرها الناسُ أُمُوتَ وأَحْيَاءُ
فقد تَبَدَّدَ، والأَيَّامُ أَنْوَاءُ
كما يَشَاءُ الأشْدَّاءُ الأَلْبَاءُ
ومن غَفُوا فهمو الموتى الأَرْقَاءُ

يا مصرُ، ذلكَ يومُ الملتقى، وعلى
أَسْرَتْ إِلَيْكَ بِهِم رُوحٌ وعاطفةُ
دعا، فَلَبَّوهُ، صَوْتُ من عروبتهم
لا بل أَهَابَ بِهِم يَوْمٌ صَنَائِعُهُ
إِنْ لم تَصُنْ فِيهِ أَيْدِيَهُم تُرَاثَهُمُو
طاحتْ بِنَاصِيَةِ الضَّعْفَى، وَسَخَّرَهَا
أَحْرَارُ دَهْرٍ هُمُ الْمُسْتَيْقِظُونَ لَهَا

عليكمو غَيْرَ شَتَّى وأَرْزَاءُ
أمامَ أَعْيُنِكُمْ لِلْمَجْدِ أَجْوَاءُ

بَنِي العروبةِ، دَارَ الدهرِ واخْتَلَفَتْ
مَضَى بَضَائِقُهَا الأَمْسُ، وانْفَسَحَتْ

اليوم شيدوا كما شادت أبوتكم
دستورهُ وَحدةٌ مُثلى، وشرعتهُ
لكم بحاضرکم من دهرکم نهزُ
شدُوا على العروة الوثقى سواعدكم
لم تنأ بغدادُ عن مصر، ولا بُعدتْ
أيُّ التخوم تناءتْ بين أربعها
أرضٌ عليها جرى تاريخنا، وجرى
مباركُ غرسه، منه بأندلس
خوالدُ النَفحِ لم يذهبَ بنُصرَتِها

شرقاً دعائمه كالطودِ شَمَاءُ
بالحق ناطقةً، بالحبِّ سَمَحَاءُ
فيها لغابركم بعثُ وإحياءُ
لا يصدَعَنَّكمُ بالخلفِ مشاءُ
لبنانُ، والمسجدُ الأقصى، وشهباءُ
لها من الروح تقريبٌ وإدناءُ
دمٌ به كُتِبَ التاريخُ آباءُ
والقادسيّة، واليزمُوكِ أجناءُ
حرٌّ، وقرٌّ، وإصباحٌ، وإمساءُ

إيه بني الشرق! فالأبصارُ شاخصةُ
يستطلعُ الشرقُ ما يجري به غَدُهُ
بصيحة السِّلْمِ لا يأخذُك إغراءُ
تَفَتَّحتْ صُحفُ الأيامِ وانبعثتْ
وطأطأتْ أُمَمٌ مَقْهُورَةٌ، ورنا
مَسَنَّهُمُ الحربُ مَسَّ المُرْمِضين بها
في عالم الغد ماذا قد أعدَّ لهم
خَطَّتْ موثيقَ للإنسان واشترعتْ
إني أخاف عليها أن تضيعَها
في ساعةٍ من خُمارِ النُصرِ سامرُها،
فَقَدْ شِراعَكَ لا تُسَلِّمَ أَرَمَتَهُ

لما تُعِدُّونَ، والآذانُ إصغاءُ
يا شرقُ إنَّ غداً هدمٌ وإنشاءُ
فَلِلْمَطامِعِ إغراءُ وإغواءُ
أقلامُها، وصَغَتْ كُتُبُ وأنباءُ
أنصارُ حَقٍّ على الجَلِّي أوداءُ
فما تَشْكُوا، ولا شَكُّوا، ولا راءوا
وما تَرى أُمَمٌ في الحربِ غلباءُ
بناءً دنيا لها الإحسانُ بناءُ
يدُ مُبرَّاةٍ لِلسِّلْمِ، بيضاءُ
لِما جرى من عهودِ الأُمسِ، نساءُ
لغيرِ كَفِّكَ إنَّ الرِّيحَ هوجاءُ

يا شرقُ، مجدُك إنَّ لم تُرسِ صخرتهُ
يا شرقُ، حقُّك إنَّ لم تَحْمِ حوزتهُ
والكونُ ملحمةٌ كبرى جوائِبُها
أكان عندك هذا الموتُ يصنعهُ

يداك أنتَ، فقد أخلتَهُ أهواءُ
صدورُ قومك، لم تُنْقِذْهُ آراءُ
دمٌ، ونارٌ، وإعصارٌ، وظلماءُ
بكفهِ آدمِ العاصي، وحواءُ

غولٌ، ونسرٌ، وتَيْنٌ، وعنقاءُ
والأرضُ من هولها سوداءُ حمراءُ
يكاد منها يُصيب النجمُ إعماءُ
من ثقلهنَّ لصدر الأرضِ أحناءُ
أو عريدتُ، فالصخورُ الصمُّ أشلاءُ
أو تَنجُ من غدرها غابٌ وصحراءُ
فليس تُغفرُ بعد اليومَ أخطاءُ

من ذاتِ أجنحةٍ يخشى مسابحها
شأتُ خطاها بساطَ الريحِ وانطلقت
تعلو وتنفّضُ وشكَّ اللَّمَحِ صاعقةُ
وزاحفاتُ من الفولاذِ قد هُصرتُ
إنَّ صَعَدْتُ، فالجبالُ الشَّمُّ هاويةُ
لم يخلُ من شرِّها ماءٌ ويابسةُ
يا شرقُ، يومُك لا تُخطِئُ سوانحهُ

جَنَاتِهِ لَقِيَ القربَ الأحباءُ
خصبًا لها فيه إنباتٌ وإزكاءُ
فهيا لكلِّ صنيعٍ منه لَأْلَاءُ
ملوكُهُ الصَّيْدُ، والشَّمُّ الأعزَّاءُ
هذي طوالعكم جلواءُ غراءُ
بها ربوعُ حبيباتٍ وأرجاءُ
إنَّ المناقبَ للفتيانِ أسماءُ
فالشرقُ منبَهَةٌ، والغربُ أصداءُ
مستقتلُ قرشيِّ الروحِ فدَاءُ

في عهد «فاروق» طاب الملتقى، وعلى
حمى العروبةِ أعرافًا، ومدًا لها
وباركتُها سماءُ من مآثرِهِ
عباقرُ الشرقِ هم أبأؤهُ، وهمو
يا عُصبةَ «الوحدة الكبرى» وعصمتُها
وددتُ لو شَدْتُ بالأسماءِ شاديةُ
وما أُسمِّي فتى شَتَّى مناقبُهُ
المصطفى وحواريُّوهُ إنَّ ذُكروا
وكلكم عن حمى أوطانه بطلُ

ثَراءُ، فهو أزهيرُ وأنداءُ
بالدمعِ عينٌ، وبالأشواقِ حوَّباءُ
أُخْتُ لكم في صراعِ الدهرِ عزلاءُ
ورِيَّها منه إيَّلامٌ وإشقاءُ
عَصْرُ به حُرَّرَ القومُ الأذلاءُ
تنزو بها مهجةٌ كَلَمَى وأحشاءُ
ماذا تقولون إنَّ لم يُحسمِ الدَّاءُ؟
على يديكم من العِلَّاتِ إِبْرَاءُ؟

باللهِ إن جئتم الوادي وناسمكم
وطاف بالذكرياتِ الأمسُ واستَبَقْتُ
فاقضوا حقوقَ إخاءٍ تستجير به
طعامُها من فُتاتِ العيشِ مَسْغَبَةٌ
أَحَلَّها ذَهَبُ الشَّاري، وحرَّمَهَا
حَرْبانِ أثخنَّها أدمعًا ودمًا
هذي «فلسطين» أو هذي روايتها
تَطَلَّعتْ لكم وَلَهَى أليس لها

ديوان علي محمود طه

حملتُمُ العهدَ فيها عن أبوتكم إِنَّ البنينَ لحملِ العهدِ أكفاءُ

الأيام

أَيَّتُهَا الْأَيَّامُ، مَا تَصْنَعِينَ
عُبْنَتِ، يَا أَيَّامُ، لَمْ يَلْتَمَسْ
يَلُومَكَ النَّاسُ عَلَى مَا بِهِ
وَقَالَ مَنْ قَالَ: لَقَدْ أُولَعْتُ
عِدْوَةً أَنْتِ لِمَنْ خَانَهُ
لِحَاكِ مِنْ أَخْطَأَ فِي رَأْيِهِ
وَمِنْ أَسَاءَ الصُّنْعَ فِي عَيْشِهِ
وَلَا مَكِ الضَّلِيلُ فِي دَهْرِهِ
حَتَّى أَخُو الْحَرَمَانِ فِي حُبِّهِ
وَأَنْتِ لَا شَكْوَى وَلَا آهَةٌ
لَمْسَتْ ضَعْفَ النَّاسِ فِي عَالَمٍ

بِذَلِكَ الْعَبءِ الَّذِي تَحْمِلِينَ
عَذْرِكَ حَتَّى الْمُسْتَضَامُ الْغَبِينُ
جَرَى يَرَاغُ الْغَيْبِ فَوْقَ الْجَبِينِ
بِالشَّرِّ، فَالطَّبَّعُ لئِيمٌ لَعِينُ
حَظٌّ، وَإِنْ كُنْتَ الصَّدِيقَ الْمَعِينُ
كَأَنَّمَا أَنْتِ الَّتِي تَفْكِرِينَ
كَيْفَ تُسَيِّئِينَ وَلَا تُحْسِنِينَ؟
فَمَنْكَ لَا مِنْهُ الضَّلَالُ الْمَبِينُ!
كَأَنَّمَا أَنْتِ الْحَبِيبُ الضَّنِينُ
مِمَّا تَرَى عَيْنَاكَ أَوْ تَسْمَعِينَ
قَوِيُّهُ لَا يَرْحَمُ الْمُضْعَفِينَ

أَخَذْتَ بِالْحَسَنِ أَرَا جِيفَهُمْ
وَأَنْتِ، يَا أَيَّامُ، مِنْ رَحْمَةٍ
وَأَنْتِ، يَا أَيَّامُ، كُلُّ الرِّضَا
فَمَنْ مَرِيرٍ عَلَقِمِ كَالْوَزِينِ
وَتُنْبِتِينَ الرِّفْقَ فِي أَنْفُسِ

وَالضَّعْفُ لَا يَشْفَعُ لِلْمَرْجِفِينَ
لَهُمْ تُصَلِّينَ، وَتَسْتَغْفِرِينَ
تَوَلِيْنَهُمْ مِنْ كَنْزِهِ كُلِّ حِينُ
حَلَاوَةٍ فِي عَيْشِهِمْ تَسْكِبِينَ
غَلِيظَةً قَاسِيَةً لَا تَلِينُ

أنا الذي أدري بما تصنعينُ	إن ضِقتُ بالعُمرِ الذي تَفْسحينُ
لديكِ ما يمحو عذابِي، وما	يرقأُ دمعِي، وهو هامٌ سخينُ
لديكِ ما يُغني همومي، وما	يبرئُ قلبي وهو دامٌ طعينُ
لديكِ ما يُشعرني راحةً	إن عَقَنِي الودُّ وخانَ اليمينُ
لديكِ ما يُنصفُني سُلوَةً	إن ظَلَمَ الحبُّ وجارَ الحنينُ
لولاكِ لم أنسَ فنائي، ولم	أحُلُمَ بأنِّي خالدٌ في السنينُ

بَيْنَ الْحُبِّ وَالْحَرْبِ

بعد خَمْسِ جُنُنِي، يا ذكرياتي
بعد خَمْسِ، يا لَهَا في السنواتِ
صَاحَ فِيهَا زُحَلٌ بِالظُّلُمَاتِ
وَرَمَتْ شَمَلِي بِبَيْنِ وَشَتَاتِ
فاحفظيها في المَآسِي الخَالِدَاتِ
أرجعي لي بعضَ أحلامي، وهاتي
والأُمَانِي بَيْنَ مَوْتِ وَحَيَاةِ
حَمَلْتُ كُلَّ ذُنُوبِ الكَائِنَاتِ
فَطَوْتُ نَجْمِي وَسَدْتُ طُرُقَاتِي
وَالصَّبَا نَشْوَانُ وَالْحُبُّ مَوَاتِي
أَوْ دَعِيهَا وَاذْكُرِي لِي خَطَرَاتِي
صَفَوْا أَنْغَامِي، وَرَدَّيْ صَدَحَاتِي

حدَّثني لَيْلَةُ خُضُنَا «الأَبْيَضَا»
وَدَجَّى كَالسُّخْطِ مِنْ بَعْدِ الرُّضَا
جِثْمَ الرُّعْبِ عَلَيْهِ فَنَضَا
كَلِمَا عَوْدُ ثِقَابٍ أَوْ مَضَا
يُنْذِرُ الرُّكْبَ فَمَا جَاؤَا رُكُضَا
أَنَّ نَجْمًا «هَتَلَرِيًّا» مُغْرِضَا
فِي سَكُونٍ خَفْتُهُ أَنْ يَنْبُضَا
قَدْ دَعَوْنَا نَجْمَهُ أَنْ يُغْمِضَا
لَجَجًا سَوْدَا وَظَلًّا مُقْبِضَا
دَفَعَ «النَّيْلَ» وَأَرغَى، وَمَضَى
وَادَّعَى مِنْهُمْ خَبِيثَ عَرَضَا
شَعَّ نَارًا وَتَوَارَى فِي الْفَضَا

ذكرياتي كَيْفَ أَقْبَلْتِ إِلَيَّ؟
كَيْفَ خُضَّتِ الْكُونُ لَجًّا دُمُيًّا
ذكرياتي جَدَّدِي هَذَا الرُّوْيَا
كَيْفَ جُزَّتِ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ الْقَصِيًّا؟
وَشَوَاطَا طَاغِي النَّارَ عَتِيًّا؟
وَابْعَثِيهِ نَغْمًا عَذْبًا شَجِيًّا

ما عجيبُ أن تردِّيه عليًّا بل عجيبُ أنني لا زلتُ حيًّا
أُلقَّاك، وكأسي في يدَيَّا ونشيدي ضارعٌ في شفتيَّا
طاف بي شاديك يدعوني مليًّا: أيها الملاحُ، حان الوقتُ، هيَّا؟

حان أن ننشر خفاق الشراع يا سفيني ويك! هيَّا! لا تُراعي
قد تداني البحرُ من بعد امتناع وغَدْتُ «فينيسيا» قيدَ ذراع
هذه الجنَّةُ، يا ويح الأفاعي! نفثتُ في زهرها سُمَّ الخداع!!
آه، دعني من أحاديث الصراع ضاع عمري! ويح للعمر المضاع
فالتمس نهْزةً حُبٍّ ومتاع تحت أفقٍ صاوحٍ صافي الشعاع
يا شراعي، طُفْ بهاتيكَ البقاع وتهيًّا للقاءٍ ووداع!

أيُّها البحر! سفيني ما عراها؟ رَنَحَتْها نبأَةٌ رَقَّ صداها
أَوْحَقَّا قَرَبْتُ من منتهائها هذه المحنةُ وانجاب دُجاها؟
أغداً تستقبل الدنيا مُناها حرَّةٌ تشدو بمكنون هواها؟
وأرى حُرِّيَّةً عَزَّ جِماها لم يُضِعْ عُقباهُ من مات فداها؟
أيُّها الشرق! تأمل!! أتراها؟ أنتِ مِنْ داراتِها أين سَناها؟
دُذْتُ عنها وتقدمتْ خُطاها يوم قالوا: خَسِرَ الحربَ فتاها!

أيُّ بشري زَفَّها أرخمُ لحن؟ من تُراه ذلك الطيف المغني؟
مسَّ قلبي صوتهُ إذ مسَّ أذني الحُبُّ، أم لسلْم، أم تمنِّي؟
يا بشير السِّلْم، لا يكذبك ظنِّي أنا ظمآنٌ إلى الشدو، فزِدني
عبرتُ بي الخمسُ في صمتٍ وحُزنٍ أيُّ خمسٍ بعدها تمتدُّ سَنِّي؟
صاح قلبي: إنْ تدعني لستَ منِّي افتح الباب ونحِّ القيدَ عَنِّي
آه، دعني أبصر العالمَ دعني قد سَمْتُ اليومَ في أرضي سجنِي!

ما ثوائي في مكان، ما ثوائي!
 افتحوا نافذتي عَبْرَ الفضاءِ
 في ظلالِ السَّلمِ أو نورِ الصفاءِ
 فانشدوني بين أمواج الضياءِ
 لا تقولوا: كيف يشكو من بقاءِ
 قد ظلمتم دعوتي، يا أصدقائي
 هو ذا الفجرُ فهبوا أصدقائي!
 افتحوها لأرى لونَ السماءِ
 حنَّ قيثاري لشعري وغنائِي
 وانشدوا فوق «البحيرات» لقائي
 شاعرٌ في موطنٍ حالي الرواءِ؟
 وجهلتم ما حياةُ الشعراءِ!!

يا ابنة «الإيزار» حُيَّيتِ، سلامًا
 هذه الحربُ التي راعتِ ضرامًا
 دُقَّتِ في الغربةِ وجدًا وسقامًا
 مصرُ كانت لمحبَّيها دوامًا
 فاذكري في الغدِ أحبابًا كرامًا
 واذكري بعض ليالِيتها القُدَامَى
 وغرامًا، لا عتابًا، لا ملامًا
 شَبَّها طاغِ بواديكِ أقمًا
 أتراها لم تَطْبُ مصرُ مُقامًا؟
 لم تُضِعْ عهدًا ولم تُخْفَرْ زمامًا
 إنَّ أَلَمَتْ بك ذكراها لِمَامًا
 في ضفافٍ حَمَلَتْ عنكِ الهَيَامَا

في ضفافٍ كلُّ ما فيها جميلُ
 يخطرُ الفجرُ عليها والأصيلُ
 يدُ «هاتور» على كل جميلُ
 و«أزوريس» على الشطِّ الظليلُ
 هذه مصرُ ديارًا وقبيلُ!
 عجبًا لي، وعجيبُ ما أقول!
 تُنَبِّتُ الحُبْدَ، وتُنْمِي وتُنِيلُ
 بين صفصافٍ، وحوَرٍ، ونخيلُ
 تنشرُ النُّوَّارَ في كلِّ سبيلُ
 يَعْصِرُ الخمرَ، وَيَسْقِي السلسبيلُ
 ألها في هذه الدُّنْيَا مثيلُ؟
 كيف يدعوني غداً عنها الرحيلُ؟!

إِلَى الطَّبِيعَةِ الْمِصْرِيَّةِ

خواطر حزينة

لِمَ أَنْتِ، أَيَّتُهَا الطَّبِيعُـ
لَوْلا أَغَارِيدُ تَرْسـ
وخيَالُ ثَوَرٍ حَوْلَ سَا
وقَطِيعُ ضَأْنٍ فِي المَرو
لَحَسِبْتُ أَنَّكَ جَنَّةُ
هَجْرٍ، لَا كُنْتَ العَقِيـ
عَجَبًا وَمَاؤُكَ دَافِقُ
حُسْنٌ يَرُوعُ طِرَازُهُ
أَرْنُو إِلَيْهِ وَلَا أَحْسُ
حَسَنَاءَ، سَازِجَةَ المَلا
يَمْنٌ يُقَالُ لَهَا: قُرَى
الطَّيْنُ فِيهَا وَالْيَرَا
يَأْوِي لَهَا قَوْمٌ يَقَا
وَهُمْ ضَعَافٌ أَوْثَرُوا
المَكْثَرُونَ الزَادَ لَمْ
لَهُم الغَرَاثُ وَرَعِيَّةُ،

عَةً، كَالْحَزِينَةِ فِي بِلَادِي؟
لَ بَيْنَ شَادِيَّةٍ وَشَادِي
قِيَّةٍ يُرَاوِحُ أَوْ يُغَادِي
جِ الخَضِرِ يَضْرِبُ بِالْهُوَادِي
مَهْجُورَةٌ مِنْ عَهْدِ عَادِ
مَ وَلَسْتُ مُنْجَبَةً الْقَتَادِ
وَنَجُومُ أَرْضِكَ فِي اتِّقَادِ
وَيُمَلُّ فِي نَسَقِ مُعَادِ
بِفَرَحَةٍ لَكَ فِي فَوَادِي
مَح، فِي إِطَارٍ مِنْ سَوَادِ
غَرَقَى أَبَاطِحَ أَوْ وَهَادِ
عُ أَسَاسُ رُكْنٍ أَوْ عِمَادِ
لَ لَهُمْ جَبَابِرَةُ الْجِلَادِ
بِشَقَائِهِمْ بَيْنَ الْعِبَادِ
يَتَمَتَّعُوا بِوَفِيرِ زَادِ
وَلِغَيْرِهِمْ ثَمَرُ الْحَصَادِ

* * *

لو كنت في الغرب الصَّنا	عِ لَكنْتَ قِبْلَةَ كُلِّ هادي
وافتنَّ فيكَ الفنُّ بالـ	رُوحَ المُحرِّكِ للجِماذِ
وتفجَّرَ المَرَحُ الحبيبـ	سُ بِكلِّ ناحِيَةٍ ووادي
ولقلتُ: أبتدر الشُّدا	ةَ غداةَ فخرٍ أو تنادي
هذي الروائعُ فيكَ لم	تُخلَقْ لغيرِكَ، يا بلادي!

خَمْرَةُ الْإِلَهِةِ

هَاتِهَا كَأْسًا مِّنَ الْخَمْرِ الَّتِي
سَكِرَتْ آلِهَةُ الْفَنِّ بِهَا
إِسْقِنِيهَا وَتَفِيًّا ظَلَّلْتِي
وَتَرْنَمٌ بِأَغَانِي حُبِّهَا
هَذِهِ النِّكْهَةُ مِنْ صَهْبَائِهَا
شَبَّعُ الرُّوحِ وَرِيَّ الْجَسَدِ
عَرَبِدِ الشَّاعِرُ مِنْ لَأَلَائِهَا
وَهِيَ كَنْزٌ فِي ضَمِيرِ الْأَبَدِ
هَاتِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ حَسَنِ
نَفْحَةِ الْوَحْيِ وَإِشْرَاقِ الْخَيَالِ
وَأَذْرَهَا نَغْمًا فِي أُذُنِي
فَاضٌ مِنْ بَيْنِ سَحَابٍ وَجِبَالِ
هَاتِهَا سِحْرَ الْوُجُوهِ النَّضْرَاتِ
هَاتِهَا حَمَرَ الشِّفَاهِ الْمُلْهَمَاتِ
وَالْعَيُونِ الشَّاعِرِيَّاتِ اللَّوَاتِي
شَعَّشَعَتْ بِالنُّورِ آفَاقَ حَيَاتِي
نُقْتُهَا كَالْحُلُمِ فِي رَيْقِ عُمْرِي
قُبْلَةَ عِذْرَاءٍ مِنْ ثَغْرِ حَيِّي

وَتَسَمَّعْتُ لَهَا فِي كُلِّ فَجْرِ
وَهِيَ تَنْهَلُ بِإِلْهَامِي الْوَضِيَّ
هَاتِهَا جَلَوَاءَ، يَا تَوْأَمَ رُوحِي
فَبِهَا أَبْصُرُ لِلْخُلْدِ الطَّرِيقَا
لَوْ خَلَا مِنْ كَرَمَتَيْهَا فُلُكُ نُوحٍ
أَخْطَأَ الْجُودِيَّ، أَوْ بَاتَ غَرِيقَا
مَا أَرَاهَا أَخْطَأْتُ فِي وَهْمِنَا
عَالَمَ الْغَابَةِ أَوْ مَهْدِ الْجُدُودِ
وَأَرَاهَا خِلْقَةً فِي دَمِنَا
يَوْمَ كُنَّا بَعْضَ أَحْلَامِ الْقُرُودِ
جَدُّنَا الْأَعْلَى عَلَى كُبْرَتِهِ
لَمْ تَشْنُهُ نَظْرَةُ الْمُنْتَقِصِ
هُوَ مَا زَالَ عَلَى فِطْرَتِهِ
ضَاحِكًا خَلْفَ حديدِ الْقَفْصِ
ذَاقَهَا مُذْ كَانَ فِي الْغَابِ لِعُوبَا
يَتَغَذَّى مِنْ ثَمَارِ الشَّجَرِ
فَمَضَى يَحْلُمُ نَشْوَانَ طُرُوبَا
بَحْفِيدٍ فِي مِرَاقِي الْبَشَرِ
يَا لَهَا مِنْ قَطْرَةٍ فَوْقَ شَفِهِ
غَيَّرَتْ مَجْرَى حَيَاةِ الْعَالَمِ
فِي خَيَالِ مَرِحٍ أَوْ فَلْسَفِهِ
أَبْصَرَ الدُّنْيَا بَعَيْنِي آدَمَ
فَلَسَفَتُهُ حِينَ مَسَّتْ قَلْبَهُ
فَاشْتَهَى الْفَنَّ وَعِلْمَ الْمُنْطِقِ
وَأَرْتَهُ وَأَنَارَتْ دَرْبَهُ
وَهُوَ فِي سُلْمِهِ لَمْ يَرْتَقِ
أَيُّهَا الْحَالِمُ، غَرَّرْتَ بِنَا

وكفى سُكْرَكَ ما جرَّ علينا
عُدُّ بنا للغابِ أو هاتِ لنا
عهدَهَا، أَحْبَبْ به اليوم إلينا
أَوْتَرْضَى بالذي ما كُنْتَ تَرْضَى
أَيُّ دنيا من عذابٍ وشقاءٍ
ورُقِّيْ أَهْلَكَ الْعَالَمِ بُغْضًا
بين نارٍ، وَحَدِيدٍ، ودماءٍ
شَوَّهَ الْعِلْمَ رُؤَى الكونِ القديمِ
ومحا كُلَّ مَسَرَّاتِ الدهورِ
أَو أرضٍ جوفها نارٌ جحيم؟
وفضاءٍ كُلُّ ما فيه أسير؟
أُسْرَةُ الشَّمْسِ اشْتَكَّتْ من أيديها
كيف لا يشكو الأسارى المرهقون؟
لو أطاقوا أَفْلَتُوا من قيدها
فإذا هم حيث شاءوا يشرقون
إِنْ يَكُنْ قد أَصْبَحَ البدرُ الوضيءُ
حَجَرًا، وَالنَّجْمُ غَازًا وحديدُ
فَسَلَامًا، أَيُّهَا الْجَهْلُ الْبَرِيءُ
وعزاءً، أَيُّهَا الكونُ الجديدُ
يا حبيبي، دَعْ حديثَ الفلاسِ
طاب يومي فتفياً ظَلَّتْني
أَثْرَعُ الكَأْسِ، وناولني، وهاتِ
قُبْلَةً تُنْقِذْنِي من ضَلَّتْني
أَوْ فَقْمٌ لِلْغَابِ من غَرِيدِهَا
نَسْمِعِ الرُّوحَ الطليقَ المَرِحَا
وَنَعْبُ الخمرَ من عُنْقُودِهَا
واتركِ الدنَّ، واخلِ القَدَحَا

الْغَرَامُ الذَّبِيحُ

من وحي الجسد

كم ليلة حمراء خِلْتُ ظِلَامَهَا
وَكأنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ فِي أَفْقِهَا
وَكأنَّ أَنْجَمَهَا نَوَافِدُ حَانَةٍ
وَكأنَّ أَنْوَارَ الْمَدِينَةِ تَحْتَهَا
هَمْدُ الْهَوَاءِ بِهَا فَجْهُدُ حَرَائِكِهِ
وَكأنما اخْتَنَقَ الْفَضَاءُ فَكُلُّ مَا
يَدَ مَارِدٍ سَلَّتْ خَضِيبَ حُسَامِ
شَبَحُ الْخَطِيئَةِ فَوْقَ عِرْضِ دَامِي
شَرِبَ الدُّخَانُ بِهَا بَرِيقَ الْجَامِ
سُرُجُ الْغَوَايَةِ فِي طَرِيقِ حَرَامِ
هَبَّوَاتُ نَارٍ فِي نَفِثِ قَتَامِ
فِيهِ صَرِيحٌ أَوْ وَشِيكَ جِمَامِ

أَلْفَيْتُنِي جَسَدًا تُسَارِقُ رُوحَهُ
أَجْتَاخُهَا وَأَضْجُ مِنْ لَذَعَاتِهَا
وَعَلَى يَدَيَّ مَسْمُورَةٌ مَخْمُورَةٌ
مِتَضَائِلُ الْأَفْكَارِ مَهْدُورَ الْقُوَى
قُبْلَ عَوَاصِفُ ضُرَجَّتْ بِأَثَامِ
فَكأنَّهَا بِدَمِي نَقِيعُ سُمَامِ
أَلْتَذُّ كَالْمَقْرُورِ حَرًّا ضَرَامِ
مِتَزَايِلَ الْأَهْوَاءِ وَالْأَحْلَامِ

هِيَ مَنْ تُرَى؟ هِيَ هُنَّ، هُنَّ جَوَازِبِي
الْشَارِدَاتُ الْعَائِدَاتُ مَعَ الضَّحَى
بَأَنْيَقِ ثَوْبٍ، أَوْ رَشِيقِ قَوَامِ
الطَّارِدَاتُ وَرَاءَ كُلِّ ظَلَامِ

ديوان علي محمود طه

هن اللواتي إنْ صحوْتُ فَإِنِّي مِنْهُنَّ طَالِبُ مَهْرٍ وَسَلَامٍ
أُخِدتُ فَوْقَ شَفَاهِهِنَّ شَبِيبَتِي وَذَبَحْتُ بَيْنَ عَيُونِهِنَّ غَرَامِي!

امْرَأَةٌ

إِنِّي بِحَبِّكَ، يَا جَمِيلَةً، رَاضِي
شَطَطَ الْهَوَى، وَسَمَوْتَ عَنْ أَغْرَاضِي
عُلُوِّيَّةَ الْإِشْرَاقِ وَالْإِيْمَاضِ
فَأَرَاهُ لَا يَقْوَى عَلَى الْإِغْمَاضِ
نَفْسِي زِمَامَ جَوَادِهَا الرِّكَاضِ
وَيَخْوَضُ بَرْدَ جَدَاوِلِ وَرِيَاضِ
لَمْ تَلَقْ غَيْرَ الْوَقْدِ وَالْإِرْمَاضِ
رُوحِي كُلِّذَةً حُلْمِكَ الْمَعْتَاضِ
بِيَدَيْكَ لَا عَنْ ذَلَّةٍ وَتَغَاضِي
دُنْيَاكَ تَسْعَى لِي بِأَرْوَعِ مَاضِي!

أَقْبَلْتِ أَمْ أَمَعْنَتِ فِي الْإِعْرَاضِ
وَاللَّهِ مَا أَعْرَضْتِ بَلْ جَنَّبْتِنِي
أَلْقَاكَ لَسْتُ أَرَاكَ إِلَّا فِتْنَةً
كَمْ رُحْتُ أُغْمِضُ نَاضِرِي مِنْ دُونِهَا
وَذَهَبْتُ أَلْتَمِسُ السَّلْوَ وَأُطْلِقْتُ
يَجْتَازُ نَارَ مَفَازَةِ مَشْبُوبَةٍ
وَلَقِيتُ غَيْرَكَ غَيْرَ أَنَّ حُشَاشَتِي
وَاَعْتَضْتُ بِاللِّذَاتِ عَنْكَ فَلَمْ تَجِدْ
وَأَطَعْتُ ثُمَّ عَصَيْتُ، ثُمَّ وَجَدْتِنِي
لَكِنْ لِأَنَّكَ إِنْ خَطَرْتَ تَمَثَّلْتُ

نِدَاءُ الْقَلْبِ

من المجموعة الأولى لأغاني الحب عند قدماء المصريين.

وَلَمْ تَنَأْ عَنِّي وَعَنْ نَاطِرِي	حَبِيبَةُ قَلْبِي نَأَتْ دَارُهَا
يُطِلُّ مِنَ الشَّاطِئِ الْآخِرِ	أَرَى وَجْهَهَا مُشْرِقًا بِالْجَمَالِ
مُدِلًّا بِتَمَسَاحِهِ الْغَادِرِ	هُوَ النَّهْرُ يَفْصِلُ مَا بَيْنَنَا
إِلَيَّ وَمَا كُنْتُ بِالْخَائِرِ	تَوَسَّدَ رَمَلَتُهُ شَاخِصًا
غَوَارِبَ تِيَّارِهِ الثَّائِرِ	إِلَيْهَا عَلَى رَغْمِهِ فَلَأَخْضُ
وَسَالَ عَلَيَّ بَدَنِي الضَّامِرِ	إِذَا مَا تَقَادَفَنِي مَوْجُهُ
أُنِيلُ الثَّرَى قَدَمَيَّ غَابِرِ	مَضَيْتُ كَأَنِّي عَلَى مَائِهِ
بِسُلْطَانِ هَذَا الْهَوَى السَّاجِرِ	لَقَدْ حَالَ يَابِسَةً مَأْوُهُ
وَبِي قُوَّةُ الْقَادِرِ الظَّافِرِ	وَصِيرَنِي سِحْرُ هَذَا الْهَوَى
لِيَعْنُو لِسُلْطَانِهَا الْقَاهِرِ	أَلَا إِنَّ سُلْطَانَ هَذِي الْمِيَاهِ

فَارُوسُ الثَّانِي

نَبَأٌ، فِي لَحْظَةٍ أَوْ لَحْظَتَيْنِ،
نَبَأٌ، لَوْ كَانَ هَمَسَ الشَّفَتَيْنِ
وَتَرَاهُ أُمَةً بِالضَّفَفَتَيْنِ
مَوْسُلِينِي! أَيْنَ أَنْتَ الْيَوْمَ؟ أَيْنَ؟
طَافَ بِالدُّنْيَا وَهَزَّ الْمَشْرِقَيْنِ
مِنْذُ عَامٍ، قِيلَ: إِرْجَافٌ وَمَيِّنُ!
أَنَّهُ كَانَ جَنِينٌ «الْعَلَمِينَ»
حَلُمٌ؟ أَمْ قِصَّةٌ؟ أَمْ بَيْنَ بَيْنَ؟

* * *

قَصْرُ «فِينِيسِيَا» إِلَيْكَ الْيَوْمَ يُهْدِي
عَجَبًا! يَا أَيُّهَا الْمُتَحَدِّي
إِمْبَرَاطُورُكَ فِي هَمٍّ وَسُهِدِ
أَيْنَ، يَا «فَارُوسُ»، وَلَيْتَ بَجَنْدِي؟
لَعْنَةُ «الشُّرْفَةِ» فِي قَرْبٍ وَبُعْدِ
كَيْفَ سَامُوكَ سَقُوطَ الْمُتَرَدِّي؟
صَائِحًا فِي لَيْلِهِ لَوْ كَانَ يُجَدِّي:
أَيْنَ وَلَّيْتَ بِسُلْطَانِي وَمَجْدِي؟

* * *

اعْتَزَلْتَ الْحَكَمَ؟ أَمْ كَانَ فِرَارًا
سُقَّتَ لِلْمَجْزَرَةِ الرُّغْبُ الصَّغَارَا
يَا لَهُمْ فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ حَيَارَى
يَمْلَأُونَ الْجَوَّ فِي الرِّكْضِ غَبَارَا
بَعْدَ أَنْ أَلْفَيْتَ حَوْلِيكَ الدَّمَارَا
بَعْدَ أَنْ أَفْنَيْتَ فِي الْحَرْبِ الْكِبَارَا
نَهَبُوا قَتْلَى، وَجَرَحَى، وَأَسَارَى
وَقُبُورًا مَلَأُوا وَجْهَ الصَّحَارَى

* * *

أَعْلَى «الصُّومَالِ» أَمْ «آدِيسَ أَبَا»
تَرْفَعُ الرِّوَايَةَ، أَمْ تَبْنِي الْقِبَابَا

أَمَ عَلَى «النيل» ضَفَافًا وَعُبابًا لَمَحَتْ عَيْنَاكَ لِلْمَجْدِ سَرَابًا
فَدَفَعْتَ الْجَيْشَ أَعْلَامًا عَجَابًا مَا لِهَذَا الْجَيْشِ، فِي الصَّحْرَاءِ، ذَابًا؟
بَخَّرْتُهُ الشَّمْسُ فَارْتَدَّتْ سَحَابًا حِينَ ظَنَّ النَّصْرَ مِنْ عَيْنِيهِ قَابًا

يَا أَبَا «الْقُمْصَانِ» جَمْعًا وَفُرَادَى أَحْمَتَ قُمْصَانِكَ السُّودُ الْبِلَادَا؟
لِمَ أَثَرْتَ مِنَ اللَّوْنِ السَّوَادَا؟ لَوْنُهَا كَانَ عَلَى الشَّعْبِ حَدَا
جِئْتُ بِالْأَزْيَاءِ تَمْثِيلًا مُعَادَا أَيُّ شَعْبٍ عَزَّ بِالزِّيِّ وَسَادَا
إِنَّهُ الرُّوحُ شُبُوبًا وَاتِّقَادَا لَا اصْطِنَاعًا بَلْ يَقِينًا وَاعْتِقَادَا

مُوسْلِينِي! قَفْ عَلَى أَبْوَابِ رُومَا وَتَأَمَّلْهَا طُلُوعًا وَرُسُومَا
قَفْ تَذَكَّرْهَا عَلَى الْأَمْسِ نَجُومَا وَتَنْظُرْهَا عَلَى الْيَوْمِ رُجُومَا
أَضْرَمْتُ حَوْلَكَ فِي الْأَرْضِ التُّخُومَا تَقْتَفِي شَيْطَانَكَ الْفَطَّ الْعُشُومَا
أَوَكَانَتْ تِلْكَ «رُومَا» أَمْ «سُدُومَا» يَوْمَ ذَاقَتْ بِخَطَايَاكَ الْجَحِيمَا؟

هِيَ ذَاقَتْ مِنْ يَدِ اللَّهِ انتِقَامًا لِأَثَامِ «خَالِدٍ» عَامًا فَعَامًا
يَوْمَ صَبَّتْ فَوْقَ بَيْرُوتِ الْجِمَامَا لَمْ تَذَرْ شَيْخًا وَلَمْ تَرْحَمْ غَلَامَا
مَنْ سَفِينٍ يَمَلَأُ الْبَحْرَ ضِرَامَا! ذَلِكَ الْأَسْطُولُ كَمْ ثَارَ احْتِدَامَا
أَيْنَ رَاحَ الْيَوْمَ؟ هَلْ رَامَ السَّلَامَا؟ أَمْ عَلَى الشَّاطِئِ أَغْفَى ثَمَّ نَامَا؟

أَيُّ عِدْوَانٍ زَرِيٍّ الْمَظْهَرِ بِدَمِ قَانٍ وَدَمْعٍ مُهْدَرِ
حِينَ طَافَتْ بِجَمَى (الإِسْكَندَرِ) أَجْنَحُ مِنْ طَيْرِكَ الْمُسْتَنْسَرِ
تَنْشُرُ الْمَوْتَ بَلِيلٍ مَقْمِرٍ! يَا لِمِصْرٍ! أَتَرَى لَمْ تَنْثَارِ
بِيدِ الْمَنْتَقِمِ الْمُسْتَكْبِرِ؟ أَتَرَى تَذْكُرُ؟ أَمْ لَمْ تَذْكُرِ؟!

فَارُوسُ الثَّانِي

موسُليني! لَسْتَ مِنْ أَمْسٍ بَعِيدًا
هُوَ رَوْحٌ يَمْلَأُ الشَّرْقَ نَشِيدًا
موسُليني! خُذْ بِكَفِّكَ الْحَدِيدَا
أَوْ فَضَعْ مِنْكَ عَلَى النَّصْلِ وَرِيدَا
فَاذْكِرِ «الْمُخْتَارَ» وَالشَّعْبَ الشَّهِيدَا
وَيُنَادِيكَ، وَلَا يَأْلُو وَعِيدَا:
وَصُغِ الْقَيْدَ لِسَاقَيْكَ عَتِيدَا
فَدَمِي يَخْنُقُكَ الْيَوْمَ طَرِيدَا!!

هَزِيمَةُ الشَّيْطَانِ

مِنْ وَحْيِ الْهَجْرَةِ

على شَفَقٍ دام تَلْظَى ذَوَائِبُهُ؟
يُطِلُّ فترتدُّ ارْتِياَعًا كواكِبُهُ؟
تَوَثَّبَ فِيكَ الشَّرُّ حُمْرًا مَخَالِبُهُ
دُخَانًا تُغَشِّي الكائِناتِ سَحَابُهُ
كَأَنَّ هَجِيرَ الصَّيْفِ يَلْفَحُ حاصِبُهُ
تَوَهَّجَ شَوْقًا لِلدَّمَاءِ مَضَارِبُهُ
لَقَدْ خُيِّبَ البَاغِي وَخَابَتْ مَأْرِبُهُ
فَمَاذَا تَوَقَّاهُ، وَمَاذَا تُجَانِبُهُ
إِلَى النُّورِ تَهْفُو فِي الظَّلَامِ تَرَائِبُهُ؟
وَأَنْتِ حَسِيرٌ ضائعُ اللَّبِّ ذَاهِبُهُ:
نُفَاتُهُ سِحْرٍ خَدَرْتَنَا غَرَائِبُهُ؟
على سَيْفِهِ لَمْ تَخْلُ مِنْهُ رَواجِبُهُ
وَأَيْنَ تُرَى يَمْضِي؟ وَتَمْضِي رَكائِبُهُ؟
لَقَدْ هَجَرَ الدَّارَ النَّبِيَّ وَصَاحِبَهُ!!
إِلَى جَبَلٍ يُئْوِي الحَقِيقَةَ جَانِبُهُ

أَلَا ما لِهَذَا اللَّيْلِ تَدْجَى جَوَانِبُهُ
وما ذلِكَ الظِّلُّ المَخَوْفُ بِأَفْقِهِ
أَأَيْتُهَا الْأَرْضُ انْظُرِي، وَيْكَ! واسْمَعِي!
أَرَى فِتْنَةً حُمْرَاءَ يَلْفِظُهَا الثَّرَى
وَأَشْتَمُ مِنْ أَنْفَاسِهَا حَرَ هَبْوَةٍ
أَرَى قَبْضَةَ الشَّيْطَانِ تَسْتَلُّ خِنْجَرًا
تَسْلَلُ يَبْغِي مَقْتَلًا مِنْ «مُحَمَّدٍ»
تَقْدَمُ سَلِيلَ النَّارِ! ما البابُ مَوْصَدًّا!
تَأْمَلْ! فَهَلْ إِلَّا فَتَى فِي فَرَاشِهِ
يُسَائِلُكَ الْأَشْيَاعُ زَاغَتْ عَيُونُهُمْ
تُرَانَا عَفْوْنَا أَمْ تُرَى عَبَرَتْ بَنَا
وما زالَ مِنْنا كُلُّ أَشْوَسٍ قَابِضًا
تُرَى كَيْفَ لَمْ تُبْصِرْ غَرِيمَكَ سَارِيًا
تَقْدَمُ، وَجُسْ فِي الدَّارِ وَهْنًا؟ فما تُرَى؟
يَحْتَنُ فِي الْبَيْدَاءِ راحِلَتَيْهِمَا

فَقِفْ، وَتَنْظُرْ حَائِرًا نُصَبَ غَارِهِ تَحَدَّكَ فِيهِ وَرْقُهُ وَعَنَاكِبُهُ

* * *

لَتَعْلَمَ أَنَّ الْحَقَّ رَوْحٌ وَفِكْرَةٌ يَذُلُّ لَهَا الطَّاعِي وَتَعْنُو قَوَاضِيُهُ
فَطِرٌ، أَيُّهَا الشَّيْطَانُ، نَارًا أَوْ انْطَلِقْ دُخَانًا، فَأَخْسِرْ بِالَّذِي أَنْتَ كَاسِبُهُ!
خَسِئْتَ! وَلَوْ لَمْ يَعْصِمِ الْحَقُّ رَبُّهُ طَوَى الْأَرْضَ لَيْلٌ مَا تَزُولُ غِيَاهِبُهُ

مَوَكِبُ الْوَدَاعِ

قد أوحشَ الأحبابَ ليلُ السَّامِرِ!
لِمَ تُؤْثِرِيهِ هَوَى الْمُحِبِّ الشَّاكِرِ!
من ذلك الأدبِ الرفيعِ الباهرِ
ما لا يُشَبِّهُ حُسْنُهُ بِنظَائِرِ
بأدقِّ مَثَالٍ وأَرْخَمِ طَائِرِ
وَتَحَطَّفَتْهُ يَدُ الزَّمانِ الجائِرِ
مأساةً مَيَّتَ في الشَّبَابِ الباكرِ
بجراحِهِ، مثلَ الشَّهيدِ الطَّاهرِ
لنَ تُطْفِئُوا بِالدَّمْعِ لوعةَ ذاكِرِ
وحيًا تَحْدَرُ من أَرْقِ مَشاعِرِ
والخَلَدِ غايَةً عُمَرِهِ المتقاصِرِ
أَشواقُهُ لَحْنَ الحَبيبِ الزائرِ
أَنفاسُهُ لَحْنَ الحَبيبِ الهاجرِ
ذابت على وَتَرِ الْمُغْنِيِّ السَّاحِرِ
للموتِ مُحْتَشِدِ الفَوَاجِعِ زاجرِ
خُرْسٍ، وأدواحِ هَناكَ حواسِرِ
كَفَنًا لَهُ، والنَّعَشِ غَضَّ أَزاهرِ
أَمَّا تَخَفُ إلى وداعِ الشَّاعِرِ

هذا الرحيقُ، فأينَ كأسُ الشَّاعِرِ
لِمَ، يا حياةً، وقد أَحَلَّكَ قَلْبُهُ
أَخْلَيْتَ مِنْهُ يَدَيْكَ حينَ حَلاهُمَا
لو عاشَ، زادَكَ من غرائبِ فَنِّهِ
وظَفِرْتَ من تمثيلِهِ وغنائِهِ
أَمَلُ مَحا المَقْدارُ طيفَ خيالِهِ
وأَصارَ فَرَحَتَنَا بِمُقبِلِ يومِهِ
متوسِّدًا شَوْكَ الطَّرِيقِ، مُلْتَمًّا
رُدُّوا المَرَاثِي، يا رفاقَ شِبابِهِ،
هذا فَتًى نَظَّمَ الشَّبَابَ وصاغَهُ
جَعَلَ الثَّلاثينَ القِصَارَ مَدًى لَهُ
غَنَوُهُ بالشَّعْرِ الَّذِي صَدَحَتْ بِهِ
غَنَوُهُ بالشَّعْرِ الَّذِي خَفَقَتْ بِهِ
تلك القوافي الشارداتُ حُشاشَةٌ
فَتَسَمَّعُوا أَصْداءَها في مَوَكِبِ
مَشَتْ الطَّبِيعَةُ فِيهِ بَيْنَ جَدَاوِلِ
ولو اسْتَطَاعَتْ نَضَّدَتْ أوراقِها
وَدَعَتْ سَواجِعَ طيرِها فَتَأَلَّقَتْ

* * *

يا ابنَ الخيالِ تَسَاءَلْتُ عَنْكَ الذُّرَى
وشواطئُ «محبوبة» شارفتها
أُبْرِى جَنَاحُكَ فِي السَّمَاءِ كَعَهْدِهِ
أُبْرِى شَرَاغِكَ فِي الْعُبابِ كَعَهْدِهِ
هَذَا الصَّرَاغُ وَكَفَّ عَنْ غَمَرَاتِهِ
وطوى البلى إلا قصيدة شاعرٍ
شعرٌ تَمَثَّلَ كُلُّ حِسٍّ مُرْهَفٍ
وَدُمَى مُفَضَّحَةِ الطَّلَاءِ كَأَنَّهَا
تَتَمَثَّلُ التَّارِيخَ فِي أَزْيَائِهِ
من صُنْعِ نَظَّامِينَ جَهْدَ خَيَالِهِمْ
مُتَخَلِّفِينَ عَنِ الزَّمَانِ كَأَنَّهُمْ

وَالشُّهْبُ بَيْنَ خَوَافِقِ زَوَاهِرِ
فَوْقَ الْعَوَاصِفِ وَالْخَضَمِ الْهَائِرِ
مُتَوَشِّحًا فَلَقَ الصَّبَاحِ السَّافِرِ
مُتَقَلِّدًا حَلَقَ السَّحَابِ الْمَاطِرِ
من عاشَ فِي الدُّنْيَا بِرُوحِ مَغَامِرِ
أَبْقَى مِنَ الْمَثَلِ الشَّرُودِ السَّائِرِ
لَا رَصْفَ أَلْفَاظٍ وَرَصَّ خَوَاطِرِ
خُشْبُ الْمَسَارِحِ مُوَهَّتْ بِسَائِرِ
بَيْنَ الْمَصْفِقِ وَابْتِسَامِ السَّاحِرِ
مَسَحَ الزَّجَاجَ مِنَ الْغَبَارِ الثَّائِرِ
أَشْبَاحُ كَهْفٍ أَوْ ظِلَالُ مَسَاجِرِ

* * *

يا قومُ، إِنَّ الشَّعْرَ رُوحَانِيَّةٌ
نَظَرَ «الضَّرِيرُ» بِهِ فَأَدْرَكَ فَوْقَ مَا
مُتَعَرِّفًا صُورَ الْخَلَائِقِ سَابِرًا
هَذِي عُرُوسُ الزَّنجِ لَيْلَتُهُ الَّتِي
وَالنَّجْمُ أَشْوَاقُ، فَمَهْجَةُ عَاشِقٍ،
الشَّعْرُ مُوسِيقَى الْحَيَاةِ مَوْقَعًا
عَشَاقُ بَابِلَ لَوْ سَقُّوا بِرَحِيقِهِ
وَتَنَصَّتَتْ أَقْدَاحُهُمْ لِمَغْرَدٍ
أَوْكَانَ كَلَّمَ بُرْجَهَا بِلِسَانِهِ
لَمْ نَشْكُ مِنْ عَوَجِ اللِّسَانِ وَوَحَّدَتْ

وَذَاكَ قَلْبٍ فِي تَوَقُّدِ خَاطِرِ
لَمَسَتْ يَدُ الْأَسَى وَعَيْنُ النَّاطِرِ
أَعْمَاقَ أَرْوَاحٍ وَغَوَرَ سَرَائِرِ
أَوَمَتْ بِكَفِّ حُلَيْتِ بَأْسَاوِرِ
وَذِرَاعُ مُعْتَنِقٍ، وَوَجْنَةُ عَاصِرِ
مُتَدَفِّقًا مِنْ كُلِّ عِرْقٍ فَائِرِ
لَمْ يَذْكُرْهَا بِالرَّحِيقِ السَّائِرِ
مَرَجَ يُصَفِّقُ بِالْبَيَانِ السَّاحِرِ
وَالْقَوْمُ شَتَّى السُّنَنِ وَحَنَاجِرِ
لَهَجَاتُ هَذَا الْعَالَمِ الْمُتَنَافِرِ!

صَاحِبُ الْأَهْرَامِ

إِلَّا حَيَاةَ مَآثِرٍ وَأَيَادِي؟
إِلَّا نَهَارَ ضُنًى، وَلَيْلَ سُهَادٍ؟
بِجَمِيلِ صَبْرٍ، أَوْ طَوِيلِ جِهَادٍ؟
فِي مِثْلِ صَمْتِ الْكُوكِبِ الْوَقَّادِ
وَيُضِيءُ فِي الْأَغْوَارِ وَالْأَنْجَادِ
خَلَّاقَةَ مَوْصُولَةِ الْإِمْدَادِ
رَحْبُ الْجَوَانِبِ، شَاسِعُ الْأَمَادِ
فِي شَاطِئِ الْوَادِي مَنَارَةُ هَادِي
يَتَنَظَّرُونَ خُطَاكَ فِي الْمِيعَادِ
هَذَا النَّدِيُّ! فَأَيْنَ صَدْرُ النَّادِي؟
سَفَرَ الْحَيَاةَ وَرَحَلَةَ الْأَبَادِ
عِنْدَ الْوَدَاعِ بِنَظَرَةٍ وَتَنَادِي
مُتَفَرِّدًا، وَالْمَوْتَ بِالْمَرْصَادِ
الْأَلَقَةُ، وَالرُّوحُ فِي إِيْقَادِ
رَمَقٍ يَصَارِعُ حَيْنَهُ وَيُرَادِي
مَضْبُوعَةً بِدَمِ النَّهَارِ الْفَادِي
وَالرُّوحُ رَكْبٌ، وَالْمَنِيَّةُ حَادِي
رَفَافَةٌ، وَالْعُمُرُ وَشَكُّ نَفَادِ

هَلْ كُنْتُ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْمِيلَادِ
وَهَلْ اسْتَطَبْتُ عَلَى الرَّفَافَةِ وَالصَّبَا
وَكِفَاحِ أَيَّامٍ، وَعَرَكَ شَدَائِدِ،
مُتَوَاضِعًا، مَتَرَفِّعًا، تَرَقَّى الذَّرَا
يُلْقِي أَشْعَتَهُ هُنَاكَ وَهَاهُنَا
أَهْرَامَكَ الْمُثَلَّى نَتَاجُ قَرَائِحِ
دُنْيَا مِنَ الْفِكْرِ الطَّلِيْقِ، وَعَالَمٍ
تَهْدِي الْحَيَارَى الْمُدْلَجِينَ كَأَنَّهَا
قَمٌ، يَا فَتَى الْأَهْرَامِ، وَانْظُرْ رَفَقَةً
وَيُسَائِلُونَ بِكَ الْعَشِيَّ كَدَّابِهِمْ
يَا لَهْفٍ، مَا عَلِمُوا بِأَنَّكَ مُزْمِعُ
يَا لَهْفٍ، مَا ظَفَرُوا كَمَا عَوَّدْتَهُمْ
دَخَلُوا عَلَيْكَ الْبَيْتَ جَسَمًا ضَارِعًا
وَالْفِكْرُ صَحْوٌ وَالْجَبِينُ شُعَاعَةٌ
وَالشَّمْسُ بَيْنَ سَحَابَتَيْنِ تَدَجَّتَا
فِي شَاطِئِ قَانِي الْمِيَاهِ كَأَنَّهَا
هِيَ صُورَةُ لَكَ، وَالْمَسَاءُ مُقَارِبُ،
وَالْقَلْبُ فِي كَفِّ الْقَضَاءِ فَرَّاشَةٌ

عجبًا أيشكو قلبه من قلبه
وتخونه الأنفاس وهو رحابة
وإذا أتى الأجل النفوس فلا تسَلْ
كنز الرضا، والخير، والإسعاد!
كم نفست عن أمّة وبلاد؟
عن صحّة الأرواح والأجساد

أبأ بشارة لا يرْعك بعاذه
أثرتّها بهواك، يا لغرامها!
حَفِظْتُ لَوَالِدِكَ الصَّنِيعَ المجتبي
ورأت نجيبك فاستفاض حنائها
ذَكَرْتَ بِئْتِمَكَ يُتِمُّهُ فتفجّرت
لُبنانُ نازعها هواك وما أرى
الأرز فيه والنخيل كلاهما
أرض العروبة لا تخوم ولا صوى
وأخوة بالمسجدَيْنِ وجيرة
مصرُ اجتَبَتْهُ فلا تَرْعُ ببعاد
هي مصرُ مَهْدُ الموتِ والميلادِ
ورَعَتْ فتاه البرّ في الأولادِ
لِسَمِيهِ المَرْجُوّ في الأحقادِ
حُبًّا، وَقَبَّلَتْ الرِّجاءَ البادي
لبنانَ إِلَّا من ضَفَافِ «الوادي»
أعشاشُ حُبٍّ أو خَمَائِلُ شادي
ما مصرُ غير الشّامِ أو بغدادِ
من آلِ «طارق» أو «بني عبّادِ»

قَسَمًا بأمساءِ النديّ، ومجلسِ
وجَمالِ أسحارٍ، وطيبِ أصائلِ
ومحبّةٍ للخيرِ صَفوٍ مزاجها
ألا استمعت إلى رفاقك ليلةً
جَمَدَ المدادُ على شبا أقلامهم
وا حسرتا! أيّ الرثاءِ أصوغه
أرثيك للأُمِّ التي شَاطَرَتْهَا
وأذعَت دَعوتَهَا وجُزَت بِصَوْتِهَا
وَوَصَلَتْ بَيْنَ قَرِيبِهَا وبعيدها
قم حَدِّثِ القراءَ عما شِغَتْهُ
وصفِ الممالكِ والشعوبِ كما ترى
تَطْوِي الغمائمَ والخضارِمَ والثرى
متألّقٍ بالرفقةِ الأمجادِ
بالذِّكْرِيَّاتِ رَوَائِحِ وَغَوَادِي
مرضاةٍ نفسٍ أو عَزاءٍ فؤادِ
والنارُ في مُهَجٍ وفي أكبادِ
فصريرها نوحٌ ولحنٌ حدادِ
لوفاءٍ حقٍّ محبتي وودادي؟
كُربَ الخطوبِ وفَرَحَةَ الأعيادِ
في المَغْرِبَيْنِ شَوامِخِ الأطوادِ
رَحِمَ العروبةِ أو عَهودَ الضّادِ
في العالَمِ المُتَنافِرِ المتعادي
بِبَرَاعَةِ الوَصَافَةِ النّقَادِ
وتَجُولُ بين حَوَاضِرِ وِوَادِي

صَاحِبُ الْأَهْرَامِ

بِفَطَانَةِ الصَّحْفِيِّ وَهِيَ بَصِيرَةٌ تَغْزُو وَتَفْتَحُ مُغْلَقَ الْأَسَدَادِ
يَا رَبِّمَا نَبَأُ أَثَارِ بَوَاقِعِهِ مَا لَا تُثِيرُ مَلَا حِمُّ الْأَجْنَادِ
وَهَدَى قَبِيلًا أَوْ أَضَلَّ جَمَاعَةً لِسَبِيلِ غِيٍّ أَوْ سَبِيلِ رَشَادِ
وَأَلْهَفَ نَفْسِي كَمْ تَمَنَّيْتُ الْمُنَى يَوْمَ السَّيُوفِ تَقَرُّ فِي الْأَعْمَادِ
هَلْ كُنْتَ تُبْصِرُ مِنْ حَضَارَةِ عَصْرِهَا إِلَّا نَثِيرَ حِجَارَةٍ وَرَمَادِ؟

* * *

إِنَّ السَّلَامَ الْحَقَّ مَا أَثَرَتْهُ وَالْأَرْضُ غَرَقَى فِي دَمٍ وَسَوَادِ
وَالنَّاسُ مَا زَالُوا كَمَا خَلَّفَتْهُمْ صَرَعَى الْهَوَى وَفَرَأْسَ الْأَحْقَادِ

شرق وغرب

١٩٤٧

أحانٌ وأشعار في منزل ريتشارد فاجنر

يا للطريق الضيق الصَّاعِدِ بين رُبُوتَيْنِ
كأنما خُطَّ على قَدَرٍ خُطَى لعاشِقَيْنِ
الشَّجَرَاتِ حوله كأنها أهدابُ عَيْنِ
كعهدهِ بِصاحبِ الدَّارِ ظليلِ الجانبَيْنِ
نَبَأَهُ الصَّدَى المَرْنُ عن قدومِ زائرَيْنِ
في فجرِ يومٍ ماطرٍ شَقَّ حجابَ ديمتَيْنِ
كأنما يَنْزِلُ منه الوحيُ حَبَّاتٍ لجَيْنِ
فانتبهتُ خميلةٌ تهزُّ عُشَّ طائرَيْنِ
وشاع في الغابةِ هَمْسٌ من شفاهِ زهرتَيْنِ
مَنِ الغريبانِ هنا؟ وما سَراهما، وأَيْنَ؟!

* * *

ماذا قُدمُوهُما والغيثُ مدرارُ
لا صاحبُ الدَّارِ طَلَعُ ولا الدَّارُ
هذي البحيرةُ وَسْنَى، حُلْمٌ ليلتها
لَمَّا تُفِيقُ منه شيطانٌ وأغوارُ
والأرضُ تحتِ سحابِ الماءِ أخيلةُ
مما يُصوِّره عُشْبٌ ونُوارُ

والصبحُ في مهده الشرقيِّ ما رُفِعَتْ
عن وَرْدِهِ من نسيج الغيم أَسْتَارُ
حَتَّى الجبالُ فما لاحَتْ لها قِمَمُ
ولا شدا لرُعاة الضأن مزمارُ
فمن هُما القادمانِ؟ الريحُ صاغيةٌ
لَوْقَع خطوهما والأرضُ أَبصارُ!
أَعاد من زَمَنِ الأشباح سامرُهُ
فالليلُ والغابُ أشباحُ وأسمارُ؟
أم البحيرةُ جَنِّيَّاتُها طلعتُ
فهبَّ موجٌ يناديها وتَيَّارُ!
أم راصدا كوكبٍ ضلَّ سبيلهما
لما حَبَّتْ من نجوم الليل أنوارُ
أم صاحباً سَفَرٍ مال الضنَى بهما
حَوَّثَهُمَا جَنَّةٌ للفنِّ معطارُ
أم عاشقان تُرَى؟ أم زائران هما؟
وهل مع الفجر عشاقٌ وزوارُ؟

وَأَمْسَكَ الغيثُ كما لو كان يُصغي مثلنا
واعتنقتُ حتى وَرَيْقاتُ الغصون حَوْلنا
كأنما تخشى النسيمَ أو تخاف الغُصْنَا
وانبعث اللحنُ الشجيُّ من هنا ومن هنا
يثور في إيقاعه قيثارَةٌ وأرْغُنَا
كَأَنَّ جَنًّا في السماء يُشْعَلُونَ الْفِتْنَا
كَأَنَّ أَرْبابًا بها يحاكمون الزَّمْنَا
يا صاحبَ الإيقاع ما تعرف ما هُجَّتْ بنا
الفجرُ؟ أم ثارتْ على الشمس بوارقُ السَّنا؟
ما لك قد غَنِّيَتْهُ هذا النشيدَ المحزنا

أَلْحَانٌ وَأَشْعَارٌ فِي مَنْزِلِ رَيْتَشَارْدِ فَاجْنِرْ

غَنِّيَتْهُ آلَهُةٌ أَمْ أَنْتَ غَنَّيْتَ لَنَا؟

ما ذلك الصوتُ شاجي اللحن سَحَّارُ
يُجْرِيهِ نَبْعٌ مِنَ الْإِلْهَامِ زَخَّارُ
فِيهِ تَنَفَّسُ فَوْقَ السَّحْبِ آلَهُةٌ
وَأَدْمِيُّونَ فَوْقَ الْأَرْضِ ثَوَّارُ
وَفِيهِ تَهْمِسُ أَرْوَاحٌ وَأَفْئِدَةٌ
مِنْهُمْ عَانٍ، وَرَحْمَنٌ، وَجَبَّارُ
لَهُ مَذَاقٌ، لَهُ لَوْنٌ، لَهُ أَرْجٌ
خَمَرٌ أَبَارِيقُهَا شَتَّى وَأَثْمَارُ
أَشْتَفُّهُ وَأُنَادِي كُلَّ نَاحِيَةٍ
مَنْ الْمُغَنِّيِّ وَرَاءَ الْغَابِ يَا دَارُ؟
السَّمْفُونِيَّةُ هَذِي! أَمْ صَدَى حُلُمٍ
كَمَا تَجَاوَبُ خَلْفَ اللَّيْلِ أَطْيَارُ!
أَعَادَ لِلْمِعْزَفِ الْمَجْهُورِ صَاحِبُهُ
فَعَرَبَدَتْ فِي يَدَيْهِ مِنْهُ أَوْتَارُ!
أَظَلُّ أَصْغِي وَمَا مِنْ شُرْفَةٍ فُتِحَتْ
وَلَا أَزَاحَ رِتَاجَ الْبَابِ دِيَّارُ
حَتَّى الْحَدِيقَةُ لَفَّتْ كَوْخَ حَارِسِهَا
بَصْمَتِهَا، فَهَمَّا نَبْتُ وَأَحْجَارُ
تَوَاضَعَتْ بِجَلَالِ الْفَنِّ مَا ارْتَفَعَتْ
مِثْلَ الْبُرُوجِ لَهَا فِي الْجَوِّ أَسْوَارُ
تُصْغِي إِلَى هَمَسَاتِ الرِّيحِ شَيْقَةَ
كَأَنَّمَا هَمَسَاتُ الرِّيحِ أَخْبَارُ!

هَنِيهَةٌ ثُمَّ سَمِعْنَا هَاتِفًا مَرَدَّدًا

يقول: قُمْ «يا سَجْفَرِيدُ» فالصَّبَاحُ قد بدا
عرائسُ الوادي أَلَمْ تضربْ لهنَّ موعداً؟
ماذا! قُمْ انفضِ الكرى، ونَمْ كما شئتَ غدا
واخطر على الغابةِ منصورُ الصِّبا مُخلِّداً
خُذْ سيفَكَ السحريَّ صِيغَ جوهرًا وعسجداً
قد لَقِيَ التَّنِينُ منه في العشيةِ الردى
صوتٌ مع الريحِ سَرَى ... وللسكونِ أخلداً
فأُمسكتُ صاحبتى يدي وحاطتُ بي يدا
تقول: لم أسمعْ كهذا اللحنِ أو هذا الصدى
قلت: ولا بمثلِه شادِ على الدهرِ شدا

* * *

قد باح بالنَّغمِ الموعودِ قيثارُ
فالفجرُ أحلامُ عُشَّاقٍ وأسرارُ
صحا يُفصِّلُ رؤياهُ وَيَغْبِرُها
موجٌ على الشاطئِ الصخريِّ ثرثارُ
وزحزحتْ وَرَقَ الصفصافِ حانيةً
على البحيرةِ أعشابُ وأزهارُ
تُسائلُ الماءَ: هل غَنَّتْهُ أو عَبَرَتْ
شُهبٌ به مستحَمَّاتٌ وأقمارُ؟
يا صاحبَ اللحنِ إِنَّ الغابَ مُصْغِيَةٌ
فأين من «سَجْفَرِيدَ»: السيفُ والغارُ
ما زال فوق نديِّ العشبِ مضجَعُهُ
ومن يديه على الأغصانِ آثارُ
هذا النشيدُ، نشيدُ الحبِّ، تَغَزَّفُهُ
له عرائسُ، مثلُ الوردِ، أبكارُ
بعثتهنَّ من الأنغامِ أجنحةً
هزیزهنَّ مع الأفلاكِ دَوَّارُ

أَلْحَانُ وَأَشْعَارُ فِي مَنْزِلِ رِيْتَشَارْدِ فَاجْنِرْ

فِي صَدْرِ قِيْثَارَةٍ أَوْدَعَتْهُ نَغْمًا
مِزَاجُهُ الْمَاءُ وَالْإِعْصَارُ وَالنَّارُ
تُفْضِي بِمَا شِئْتَ مِنْ أَسْرَارِ عَالَمِهَا
فِيهِ لَيَالٍ وَأَيَّامٌ وَأَقْدَارُ
حَتَّى الطَّبِيعَةُ مِنْ نَاسٍ وَأَلْهِيَّةِ
تَمَازَجَتْ فَهِيَ أَلْحَانُ وَأَشْعَارُ!

فلسفة وخيال

نُهَزَّةٌ أَهَدَتِ الْخِيَالَ إِلَيْنَا وَدَعَتُنَا لِمَوْعِدٍ فَالْتَقَيْنَا
هَـا هُنَا تَحْتَ ظِلَّةِ الْغَابَةِ الشَّجَرِ رَاءَ سُرْنَا، وَالْفَجْرِ يُحْنُو عَلَيْنَا
وَقَطَفْنَا مِنْ زَهْرَهَا، وَانْتَنَيْنَا فَجَنَيْنَا تُفَاحَهَا بِيَدَيْنَا
وَمَرَحْنَا بِهَا سَحَابَةً يَوْمٍ وَبِأَشْجَارِهَا نَقَشْنَا اسْمَيْنَا

* * *

هَـا هُنَا يَا ابْنَةَ الْبَحِيرَاتِ وَالْأَوَى دِيَةِ الْخَضِرِ وَالرُّبَى وَالْجِبَالِ
صَدَحَ الْحَبُّ بِالنَّشِيدِ فَلَبَّيْ نَا نَدَاءَ الْهَوَى وَصَوْتَ الْخِيَالِ
وَتَبِعْنَا عَلَى خُطَى الْفَجْرِ مُوسَى قَى مِنَ الْعُشْبِ وَالنَّدَى وَالظَّلَالِ
وَسَمِعْنَا حَفِيفَ أَجْنَحَةِ تَهـ فَو بِهَا الرِّيحُ مِنْ كَهَوفِ اللَّيَالِي

* * *

قُلْتُ لِي وَالْحَيَاءُ يَصْبُغُ خَدَّيْكَ: أَنَارُ تَمْشِي بِهَا أَمْ دِمَاءُ؟
مِلْءُ عَيْنَيْكَ يَا فَتَى الشَّرْقِ أَحْلَا مُمْ سَكَارَى وَصَبُوءَ وَاشْتِهَاءُ
وَعَلِي ثَغْرِكَ الْمَشُوقِ ابْتِسَامُ ضَرَجَتُهُ الْأَشْوَاقُ وَالْأَهْوَاءُ
أَوْحَقَا دَنِيَاكَ زَهْرٌ وَخَمْرُ وَغَوَانٍ فَوَاتِنُ وَغِنَاءُ؟

* * *

قُلْتُ: يَا فَتْنَةَ الصَّبَا حَفَلْتُ دَنـ يَاكَ بِالْحَبِّ وَالْمُنَى وَالْأَغَانِي

ما أثارت حرارة الجسد المش تتاقٍ إلا مرارة الحرمان
إنَّ أجسادنا معابرُ أروا حِ إلى كلِّ رائع فتَّانٍ
أنا أهوى رُوحِيَّةَ العالم المنـ ظورٍ لكنَّ بالجسم والوجدانِ

ما تكون الحياة لو أنكر الأحـ ياءُ فيها طبائع الأشياءِ!
أنا أهواك كالفراشة صاغتـ ها زهورُ الثرى وكفُّ الضياءِ
أنا أهواك فتنَّة صاغها المـ ثَّال من طينةٍ ومن إغراءِ
أنا أهواك بدعة الخلد صيغتـ من هوى آدمٍ ومن حواءِ

أنا أهواك من آثامٍ وطُهرِ حُلْمٍ إغفاءتي وصَحْوٍ غرامي
أنا أهواك تُبدعين يقيني من نسيج الظنون والأوهامِ
أنا أهواك دفء قلبي وينبوع اشـ تهائي، وشِرتي، وغرامي
وحنانا مُجسِّدًا إنَّ طواني الـ ليلُ وسدتُ صدره الألمي

عَجَبًا! ما حقائق الكون إلاَّ لمحاتُ الخيال والتفكير
قَبْلَ أنْ تشرقَ النجومُ على الأر ضِ أضاءتُ بِذهنِ ربِّ قدير
وَتَجَلَّتْ في حُلْمِهِ بنظامٍ من بديع التكوين والتصوير

أطْلِقني نفسك السجينة ملء الـ غابِ، ملء الفضاء، ملء العُبابِ
واخْلُمي بالحياة من نغم الخلد د وخمر الهوى وزهر الشبابِ
ها هنا عشنا على الشاطئ المسـ حور نَبْنِيهِ من غصون الغابِ
ونخطُ البستانَ أحلامَ طفلٍ صَقَلَتْهُ مواهبُ الأربابِ

خطرة، ثم أطرقتُ في حياءٍ وأدارتُ في جانب الغاب عينا

وانثنتُ بابتسامَةٍ فدعتني
وتلاقتُ عيونُنَا فتدانتُ لي،
فاعتنقنا في قُبْلَةٍ قد أذابتُ
ثم قامتُ تمشي هناك الهوينا
وَجَنَّ الحنَانُ في شفتينا
جَسَدَيْنَا، ومازجتُ روحينا

على حاجز السفينة

حَنَّتْ على حاجز السفينة
كأنها الفتنة السجينة
نَبَتْ بها ضَجَّةُ المكان
والبحر من حولها أغاني
ساهرة وحدها تُطِلُّ
لا تسأم الصَّمْتُ أو تَمَلُّ
تُصْغِي إلى الموج والرياح
كأنها نجمة الصباح
هفهافةً الثوب في بياض
لأَيِّ ذكري وأَيِّ ماضٍ
وما وراء العُبابِ تُبْغِي
وأَيِّ لحن إليه تُصْغِي
عجبت للبحر ما عراه
يتأخَّم النَجَمُ في علاه
وهائم في الفضاءِ صَبَّ
كم ودَّ لو من ضُنَى وَحُبِّ
كم بثَّ من أنَّةٍ وأَلْقَى
يا ويَحَهُ لا يَحِيرُ نَطْقًا

ترنو إلى الرغو والزبد
تمضي بها لُجَّةُ الأبد
يَزِينُهَا الصَّمْتُ والجلالُ
والسُّحْبُ والريحُ والجبالُ
بِمُلْتَقَى النور والظلامِ
تَهَامَسُ الشُّهُبُ والغمامِ
في مَعَزِلِ شاق كلَّ عَيْنٍ
مُطَلَّةٌ من سحابتين
يكاد عن روحها يشف
يَسْرِي بها خاطرٌ ويَهْفُو
وأَيُّ سرٍّ لها تَبْدَى
بروحها الحالم استبدًا
يوُدُّ لو مَسَّ ناظرِها
ويَنْتَنِي جاثيًا لديها
مُجَنِّحٌ لا يَبِينُ طيفا
هوى على صدرها وأَغْفَى
بهمسة ضائع صداها
فكيف تُلْقِي له انتباها

أنفاسُهُ عن جَواهُ تُغْنِي
 كآهَةً في فَمِ الْمُغْنِي
 يدنو، ويرتدُّ في حياءٍ
 وكلما كلَّ من عياءٍ
 يضمُّها راعشًا، ويمضي
 كأنَّه بالحنين يقضي
 والقمرُ الطالع الصغيرُ
 وقد جرى ضوءه الغريزُ
 المرحُ العابتُ الطروبُ
 نادَتْ به موجةٌ لعبوبُ
 طال على المنتأى طُروقي
 فنَمَّ على صدري الخفوقِ
 وأنسني وحشة الليالي
 لكنَّه مر لا يبالِي
 مذ أبصرته انتنى ومرًّا
 لأنت مثلُ الرجال طُرًّا
 وهبَتْكَ الغَضُّ من شبابي
 فأين تمضي على العُبابِ
 ومن هي الغادة التي
 أعندها مثلُ فتنتي
 إذهب إليها ودعْ ذمامي
 ادْبَحْ على صدرها غرامي
 وألِّه مع الغيد والعذارى
 وانقِعْ من الغُلَّةِ الأورا
 أبوك، والطبعُ لا يحولُ،
 يا أيها القلبُ الملولُ
 مُطارِدُ أنت باشتياقي

عليَّةٌ خَفَّقُها اضطرابُ
 جريحةٍ لَحْنُها العذابُ
 يُجاذب الثوبَ والشَّعرُ
 أثاره الوجدُ فاستعرُ
 مُباعداً، وهو ما ابتعدُ
 لُبانةَ الرُّوحِ والجَسَدُ
 أزاح عن وجهه السَّحابا
 يستشرف الأفقَ والعُبابا
 لما دعا باسمِهِ الشُّروقُ
 إليّ ... يا أيُّها المشوقُ
 وطال مسراكَ في السَّماءِ
 وإحْلُم بما شئتَ من هناءِ
 بقُبْلَةٍ منك يا حبيبي
 ولجَّ في صمته العجيبِ
 قالتُ، ومن دمعها مَسِيلُ:
 يا أيُّها الخائنُ الجميلُ
 سكرانَ من خمر أمسياتي
 من صوت حُبِّي وذكرياتِي
 تنسلُّ من مخدعي إليها
 أم أنني أَفتَرِي عليها
 فديتُكَ، واسلَمَ على التنايِ
 واملأ لها الكأسَ من شقائِي
 وعَنَّ بالكأسِ والوترُ
 واقطفْ من اللَذَّةِ الثَّمَرُ
 ورثتَهُ خِلَقَةً وخَلَقاً
 من قبضتي لن تنالَ عِتْقاً
 ما جُبْتُ أرضاً وجُزْتُ بحراً

مُقَيَّدُ أَنْتَ فِي وَثَاقِي
لَأَنْتَ مَهْمَا كَبُرَتْ طِفْلِي
خُطَاكَ مَسْبُوقَةٌ بِظُلِّي
سَاحِفُظُ الْعَهْدِ مِنْكَ دَوْمًا
وَسَوْفَ تَأْوِي إِلَيَّ يَوْمًا
ضِرَاعَةٌ مِنْ عَذَابِ أَنْثَى
صَغَا لَهَا اللَّيْلُ وَاسْتَحْتَا
وَحَدَّقْتُ فِي الدُّجَى نَجُومُ
وَعَمِغَمْتُ نَجْمَةً رَءُومُ
أَمَا يَرَى ذَلِكَ الصَّبِيَا
فِيَا لَهُ فَاتِنًا خَلِيَا
كَمْ لَيْلَةٍ بَعْدَ أَلْفِ لَيْلَةٍ
وَكَمْ عَنَاقَ لَهُ وَقُبْلَةٍ
فَاسْتَوْعَبَ الضَّوْءُ مِلءَ حِسِّهِ
مُرْدِدًا فِي قَرَارِ نَفْسِهِ
وَارْتَعَشَ الضَّوْءُ ثُمَّ أَضْفَى
وَابْتَسَمَتْ نَفْسُهُ فَأَلْفَى
فِرَاعَهُ ذَلِكَ الْجَمَالَ
فَشَاقَهُ الشُّعْرُ وَالْخِيَالُ

وَأِنْ رَأَيْتَكَ الْعَيُونَ حُرًّا
يَا ابْنَ الْهَوَى الْبِكْرَ وَالْأَلَمَ
وَأِنْ تَعَلَّقْتَ بِالْقَمَمِ
وَأَقْطَعَ الْعَمْرَ فِي انْتِظَارِكَ
تَبْكِي، وَأَبْكِي إِلَى جَوَارِكَ
مَسَّتْ عَلَى الْمَائِجِ الْغُضُوبِ
سَوَاكِنَ الرِّيحِ لِلْهُبُوبِ
غَيْرِي، تَغَامِزْنِ بِالْخَبْرِ
أَمَا يَرَى ضَوْءَهُ الْقَمَرَ؟!
يُؤَلِّبُ الْبَحْرَ وَالظَّلَامَا؟
يُزَوِّرُ الْعَشْقَ وَالْغَرَامَا!
لَمْ تَرَوْهَا عَنْهُ شَهْرَزَادُ
فِي كَذِبَةٍ لَفْظُهَا مُعَادُ
مِفَاتِنِ النَّاسِ وَالطَّبِيعَةِ
مَا أَبْشَعَ الْغَيْرَةِ الْوَضِيعَةِ
مِنْ حَوْلِهِ الصَّفَوِّ وَالسَّكِينَةِ
خَطَاهُ فِي جَانِبِ السَّفِينَةِ
جَمَالُهَا الصَّامِتُ الْحَزِينُ
وَهَزَّهُ الْوَجْدُ وَالْحَنِينُ

فَقَالَ: يَا رَوْعَةَ الْمَسَاءِ
قَدْ أَذَنَ اللَّيْلُ بِانْقِضَاءِ
أَيَّتُهَا الْمَلَكَةُ الْكَاسِيرَةُ
أَيَّتُهَا الطِّفْلَةُ الْكَبِيرَةُ
أَعْلَمُ مَا تَكْتُمِينَ عَنِّي
خَمْسُ لَيَالٍ وَأَنْتَ مِنِّي
قَدْ كُنْتُ أَزْهَى بِمَا عَرَفْتُ

وَفِتْنَةَ اللَّبِّ وَالْبَصْرِ
وَأَنْتِ مَوْصُولَةُ السَّهْرِ
أَيَّتُهَا الرَّبَّةُ الْخَجُولَةُ
لَنْ تَبْرَحِي عَالَمَ الطِّفْلَةِ!
وَأِنْ تَلْتُمِي بِالْخَفَاءِ
مَتَبَوِّعَةُ الظِّلِّ بِاشْتِهَائِي
مِنْ فِتْنِ الْحَسَنِ وَالْدَّلَالِ

لكنني الليلة اكتشفتُ	أروع ما شمتُ من جمالِ
عشقتُ فيك الهوى وذُلُّهُ	في زهوة الحسن والشبابِ
وذلك الصمتُ، ما أجلُّهُ	في عالم اللغو والكذابِ
هاربُهُ أنتِ يا فتاتي	من ثورة الشكِّ والريبِ
هربتِ من ضجة الحياةِ	فكيف من نفسك الهربُ!
بها ابدئي أولاً فسُلِّي	وردك من شوكة الأثيمِ
لا البُعْدُ يُجدي ولا التسلِّي	كطعنك الغدر في الصميمِ
هنيهة لم يطل مداها	تروع بالصمت والشحوبِ
لم يبلغ الليلُ منتهاها	إلا على روعة المغيبِ
والتفتَ الضوء للوداع	يهمسُ في رقةٍ ووجدِ
يا ربة الحسن لا تُراعي	فلترعك الكائناتُ بعدي

* * *

يا ليلُ، يا موجُ، يا رياحُ	أيُّتها السُّحبُ والظلالُ
أيُّتها الغورُ والبِطاحُ	أيُّتها الشهبُ والجبالُ
في الجوِّ، في الماءِ، في الثرى	صوني لها العهدَ والودادِ
رُدِّي على عينها الكرى	وأبعدي الفكرَ والسهادِ
وأنقذها من الجوى	يا عاشقاتي على الزمانِ
بكلِّ ما فيك من قوَى	وكلِّ ما فيَّ من حنانِ!!

اعتراف

إِنْ أَكُنْ قَدْ شَرِبْتُ نَحْبَ كَثِيرَا
وَتَوَلَّعْتُ بِالْحَسَانِ؛ لِأَنِّي
وَتَوَحَّدْتُ فِي الْهَوَى ثُمَّ أَشْرَكَ
وَتَبَدَّلْتُ فِي غَرَامِي فَلَمْ أَحَد
فَبِرُوحِي أَعِيشُ فِي عَالَمِ الْفَد
تَائِهًا فِي بَحَارِهِ لَسْتُ أَدْرِي،
لِي قَلْبٌ كَزَهْرَةِ الْحَقْلِ بِيضًا
هُوَ قَيْثَارَتِي عَلَيْهَا أُغْنِي
لِي إِلَيْهَا فِي خَلَوَاتِي هَمْسًا
تِ وَأَتَرَعْتُ بِالْمَدَامَةِ كَأْسِي
مُغْرَمٌ بِالْجَمَالِ مِنْ كُلِّ جَنْسِ
تُ عَلَى حَالَتِي رَجَاءٍ وَيَأْسِ
بِسْ عَلَى لَذَّةِ شَيَاطِينِ رَجْسِي
نَ طَلِيقًا وَالطَّهْرُ يَمْلَأُ جَسِّي
لِمَ أُزْجِي الشَّرَاعَ أَوْ فِيمَ أُرْسِي
ءَ نَمَتْهَا السَّمَاءُ مِنْ كُلِّ قَبْسِ
وَعَلَيْهَا وَخَدِي أُغْنِي لِنَفْسِي
تُ أَنْطَقْتُهَا بِكُلِّ رَائِعِ جَرَسِ

كَمْ شَفَاهِ بِهِنَّ مِنْ قُبَلَاتِي
وَوَسَادِ جَرَّتْ بِهِ عِبْرَاتِي
وَهَجُ النَّارِ فِي عَوَاصِفِ خُرْسِ
ضِحْكُ يَوْمِي مِنْهُ وَإِطْرَاقُ أَمْسِي

أُيْهِذِي الْخَدُورُ! أَنْوَارِكِ الْحَمْدَ
أَحْرَقْتَهُنَّ! أَهْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ
رَاءُ كَمْ أَشْعَلَتْ لِيَالِي أَنْسِي
نَ سَوَى ذَلِكَ الرَّمَادِ بِرَأْسِي!

الْبَحْرُ وَالْقَمَرُ

تَسْأَلُ الْمَاءُ فِيكَ وَالشَّجَرُ
الْبَحْرُ وَالْحَوْرُ فِيهِ سَابِحَةٌ
أُطْلُ وَالضَّوْءُ رَاقِصٌ غَزَلٌ
يَهْمِسُ فِيمَا يَرَاهُ مِنْ فِتْنٍ
يَقْفِزُ مِنْ لَجَةٍ إِلَى حَجَرٍ
مَعْرَبِدًا لَا يَرِيمُ سَابِحَةٌ
مِنْ كُلِّ حَوَاءٍ مِثْلَمَا خُلِقْتُ
أَلْقَيْتُهُ عَنْهَا رِقَائِقًا وَنَضْتُ
فِي حَانَةٍ مَا عَلَتْ بِهَا عَمْدٌ
جُدْرَانُهَا الْمَاءُ، وَالسَّمَاءُ لَهَا
خَمَارُهَا مُنْشَدٌ، وَسَامِرُهَا
لَمْ تَبْقَ فِي الشَّطِّ مِنْهُمْ قَدَمٌ
وَشَيَّعُوا الْعَقْلَ حِينَمَا شَرَبُوا
وَالسَّابِحَاتُ الْحَسَانُ حَوْلَهُمْ
يَزِيدُ سَيِّقَانَهُنَّ مِنْ بَهَجٍ
يُضِيءُ وَرْدًا وَخَمْرَةً وَسَنًا
تَغَايِرُ الْمَوْجُ إِذَا طَلَعْنَ بِهِ
بِهِنَّ يَلْتَفُّ مُرْتَقَى وَيُرَى

مَنْ أَيْنَ يَا «كَانُ» هَذِهِ الصُّوْرُ؟
رُؤَى بِهَا بَاتَ يَحْلُمُ الْقَمَرُ!
دَعَاهُ قَلْبٌ، وَشَاقَهُ بَصَرُ
أَلْهَةٌ هَوْلَاءِ أَمْ بِبَشَرُ؟
كَأَنَّمَا مَسَّ رُوحَهُ الضُّجَرُ
إِلَّا وَمِنْهُ بَثْغَرُهَا أَثَرُ
يَعْجَبُ مِنْهَا الْخَرِيرُ وَالْوَبْرُ
جَسْمًا تَحَامَى نِدَاءُهُ الْقَدَرُ
وَلَا اسْتَوَى فِي بِنَائِهَا حَجَرُ
سَقِيفَةٌ، وَالنِّسَائِمُ السُّتُرُ
حَوْرٌ تَلَوَّى، وَفَتْيَةٌ سَكُرُوا
قَدْ حَوَّضُوا فِي الْعِبَابِ وَانْتَشَرُوا
وَوَدَّعُوا الْقَلْبَ حَيْثَمَا نَظَرُوا
كَأَنَّهُنَّ النُّجُومُ وَالزَّهْرُ
لَوْ عَجِيبُ الرُّوَاءِ مَبْتَكَّرُ
نُوبٌ مِنَ الْمَغْرِيَّاتِ مُعْتَصِرُ
وِثَارٍ مِنْ حَوْلِهِنَّ يَشْتَجِرُ
يَنْشَقُّ عَنْهُنَّ فِيهِ مُنْحَدَرُ

ينفتل الغصنُ آده الثمرُ	منفتلات قدودهنَّ كما
تحذرهنَّ النهودُ والشَّعرُ	مُلوحات بأذرعٍ عَجَبٍ
والماءُ تحت الصدورِ مستعرُ	والضوءُ فوق الخُصُورِ منهمرُ
يُرغِي كما راعَ قلبهُ خطرُ	ما زلنَ والبحرُ في تَوَثُّبِهِ

* * *

تؤمُّ فيه أصدافها الدُّرُ	قد جاوز الليلُ نِصْفَه فمتى
رماله، وليثرثرِ الشجرُ	فليصخبِ البحرُ ولتئنَّ به
ولينبجسَ من غمامه المطرُ	ولتعصفِ الريحُ فوق مائجِهِ
وإن تَرامَى بمائه الشرُّ	أقسمنَ لا ينتحينَ شاطئَه
تمازجُ الليلُ فيه والسَّحرُ!	حتى يُرى وهو فضةٌ ذهبُ

تَحْتَ الشَّرَاعِ

بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

فاخفق شراعي، وطِرْ، يصدح لك الماء
تشدو به موجةً في البحر عذراءُ
في مَسْبَحِ ماؤه زهرٌ وصهباءُ
لكل حُبٍّ جديدٍ فيه أجواءُ؟
حوريَّةٌ في فجاجِ اليمِّ شقراءُ؟
في مُطَرَفِ أسودٍ وشَّاهُ لآلاءُ؟
لها التفاتٌ إلى الماضي وإصغاءُ
مرنِّحاتٌ تُغنِّيهن أنواءُ

مسراك نورٌ وأنسامٌ وأنداءُ
يا أيُّها القلق الحيرانُ كم أمل
يحدوك بالنغم السكران أرغنُها
أما ترى البحرَ يبدو في مفاتنه
وفجره صائدٌ طارت بمهجته
وليله مرقصٌ تغشاهُ غانيةُ
شتى مواكبٍ من حورٍ وآلهةٍ
تهزها بقديم الشوقِ أشرعةُ

مَلَّاحٌ وادٍ له بالتَّيِّه إغراءُ
واستضحكت قلبه مُزْنٌ وهوجاءُ
عليه من بعدها نُعْمَى وبأساءُ
بها الأحبةُ حُسادٌ وأعداءُ
بيضاء من شَعَرَاتِ الرأسِ غراءُ

يقودهنَّ على الأمواج في مَرَجٍ
ما بين عينيهِ سال البرقُ مبتسمًا
زَوَّتُهُ عنها السنون السبعُ واختلفتْ
مُغَرَّبًا في ديارٍ من عشيرته
وقيل: كَفَّتُهُ عن دنيا شواردهِ

بالنَّارِ والصَّبَوَاتِ الحمرِ مَشَاءُ
إِلَّا وَعَادَتْ إِلَيْهَا وَهِيَ سَمَحَاءُ
مَنْ ذَكْرِيَاكَ أَطْيَافُ وَأَصْدَاءُ
رَبَّاتُ وَحْيٍ، وَأَشْوَاقُ، وَأَهْوَاءُ
وَقَدْ تَعَاقَبَ إِصْبَاحُ وَإِمْسَاءُ
مَجْرُوحَةُ الصَّوْتِ، وَلَهَى اللِّحْنِ، سَجَوَاءُ
صَحَّتْ لَوَقْعَهُمَا دُوحٌ وَأَفْيَاءُ؛
عَيْنِيهِ سَهْدٌ وَتَعْذِيبٌ وَإِضْنَاءُ
أَمَّا لَهُ رَاحَةٌ مِنْهَا وَإِغْفَاءُ؟
وَالرَّيْحُ نَاعِمَةٌ، وَالْأَرْضُ قَمْرَاءُ
وَأَنَّهَا جَنَّةٌ لِلْحَبِّ غِنَاءُ
يُسْمِعُكَ أَشْجَى نَشِيدٍ زَقَّةُ الْمَاءُ

لَا يَا غَرَامِي، وَهَذَا الْفَنُّ مِلءٌ دَمِي
مَا أَفْلَتْتُ مِنْ يَدِي غِيدَاءُ عَاصِيَةٌ
وَذَاكَ شَاطِئُنَا الْمَسْحُورُ تَرْحُمُهُ
عَلَى الصَّخُورِ الْحَوَانِي مِنْ مَشَارِفِهِ
أَقْمَنْ مَنْتَظَرَاتٍ، مَا شَكُونَ ضَنْيَ
حَتَّى رَأْتَنِي عَلَى بُعْدٍ مَطْوَقَةٌ
هَمَّتْ تُغْنِي فَكَانَتْ نَبَاءً وَصْدَى
عَرَائِسُ الشَّعْرِ قَدْ عَادَ الْحَبِيبُ، وَفِي
أَبِ الْمَغَامَرُ مِنْ دُنْيَا مَتَاعِبِهِ
دَعِيهِ يَحْلُمُ بِأَنْ الْبَحْرُ فِي دَعَا
وَأَنَّهَا فِي ظِلَالِ السَّلْمِ نَائِمَةٌ
وَقَرَّبِي كَأَسُهُ وَاصْغِي لِمَزْهَرِهِ

سَفِينَةٌ وَهَفْتُ بِالشَّوْقِ دَأْمَاءُ
وَأَنَّنَا فِي الْهَوَى أَهْلُ أَوْدَاءُ
بِهِ قُرَى كَرْبُوعِ الْخُلْدِ شَجَرَاءُ
مَسْحُورَةُ النَّبْعِ، رِيًّا النَّبْتِ، جِلْوَاءُ
وَقَبَّلْتُ نَسَمَاتُ «الْأَرْنَ» حَوِيَاءُ
شَدُوْ، وَزَيْتُونَةٌ لِلشَّرْقِ خُضْرَاءُ
كَقَلْبِ آدَمَ إِذْ مَسَّتْهُ حَوَاءُ
بِهَنْ «لِبْنَانُ» رَوَّاحُ وَغَدَّاءُ
صَبِيَّةٌ، وَهِيَ مِثْلُ الدَّهْرِ شَمَطَاءُ
تَرَعَى سَفَائِنُ مِنْ رَاحُوا وَمَنْ جَاءُوا
مَعْلَقَاتُ، لَهَا بِالسَّحْرِ إِحْيَاءُ!
مَجْدِدِينَ لَهُمْ فِي الْمَجْدِ أَسْمَاءُ

وَقِيلَ: «لِبْنَانُ» سَحَرُ الشَّوْقِ، فَاَنْدَفَعْتُ
أَوْحَى لَهُ الشَّرْقُ أَنَا مِنْ أَحَبَّتِهِ
فَقَرَّبْتَنَا وَشَفَّتْ عَنْ بَشَاشَتِهِ
فِي كُلِّ مُنَحَدِرٍ مِنْهَا وَمَرْتَفَعٍ
فَعَلَّقْتُ بِمِغَانِيهِ نَوَاطِرُنَا
وَاسْتَقْبَلْتَنَا طَيُورٌ فِي مَنَاقِرِهَا
تُرْقِصُ الْمَوْجَ إِنْ مَسَّتْهُ أَجْنَحُهَا
فِي سَاحِلٍ مِنْ خَرَاوَاتٍ وَأَخْيَلَةٍ
لَاحَتْ عَلَى سَفْحِهِ بَيْرُوتُ فَاتِنَةٌ
تَوَسَّدَتْ صَخْرَةَ الْآبَادِ وَالتَّفَتَّتْ
أَتْلُكَ بَيْرُوتُ؟ أَمْ مِنْ بَابِلٍ صُورُ
شَغْلُ الْعِبَاقِرَةِ الشَّادِينَ مِنْ قَدَمٍ

تَحْتَ الشَّرَاعِ

وأومأت بالهوى «عالي» فاعتنقت
قامت تُنَسِّقُ من ماءٍ ومن شجر
كأنما نُبِئتُ من «عشتر» لِقَا
تقول: يا ربَّه الحسن انظري وصفي:
عالي، رفقا بأبصار مُدلِّهة
عالي، إننا نشاوي من هوَى وأسى
وحان بَعْدُ وداعٌ من فرادسها
فاغرورت بدموع الوجد أعيننا
وسار عنها شرعٌ حائرٌ قلقٌ

من حولنا ثمَّ أظلالٌ وأضواءُ
فكلُّ ناحيةٍ زهرٌ وأجناءُ
فازيَّنتُ فهي سيقانٌ وأثناءُ
أفوقَ واديكِ مثلي اليوم حسناء؟
لها إلى الحسن بالألباب إفضاءُ
إننا محبُّون، يا عالي، أنضاءُ
وقد جَرَتْ بِخَطَى الشمسِ المَلِيساءُ
وأشفقتُ من وجيبِ القلبِ أحناءُ
له إلى الغربِ بالأسفارِ إيماءُ

يا بحرُ ما بك؟ هل مَسَّتْكَ عاصفةٌ؟
أشاقك الغربُ، أم شَفَّتْكَ موجدةٌ
هذي السماءُ صفاءً، والدُّجى قَمَرٌ
يا بحرُ ما بك ما بي! مصرُ ما بَعُدَتْ
عَجِبْتُ والعصرُ حرٌّ كيف في يدها
أقسمتُ لا رجعتُ بي فيكَ جاريةٌ
وأنَّ مصرَ بحرِياتها ظَفِرت
أقسمتُ، إلَّا إذا نادَتْ بِفِتيتها

أَمْ اسْتَخَفَّكَ إِرْبَادٌ وَإِرْغَاءُ؟
لما حَبَّتْ من ربوع الشرق أسناء؟
للحسن فيه وللعشاق ما شاءوا
ولي إليها بهذا الشعرِ إسرائُ
هذا الحديدُ له حَزٌّ وإدْماءُ!
إنَّ لم تَجِئْ عن جلاءِ القومِ أنباءُ
فأهلها اليوم أحرارٌ أعزَّاءُ
فهبَّ مستقتلٌ عنها وفدَّاءُ

لحن من فينا

في اهتزاز العَصَبِ الثائر والروح المعنَى
طَالَعَتْهُ بالهناءِ الليلةُ الأولى فغنَى
ورأى من حوله الأرضَ سلامًا فتمنَى
ليس يَذْري، أشداً من فرح أم ناح حُزنا
قُلْتُ: من أيِّ بلادٍ؟ قِيلَ: لَحْنٌ من فينا!

* * *

يا فينًا سلسلي الأنعامِ سحرًا في حنايا النفس لا جوُّ المكانِ
أَوْحَقَّا أَنْتِ ذِي؟ أم أَنْتِ ذَكَرِي أم رُؤَى تَمْرَحُ في دنيا الأغاني
وبنانُ هَزَّتِ الأوتارَ سكرِي أم شِفاءُ لمَسَتْ روحَ الزمانِ؟

* * *

يا فينًا جددي الآنِ مسرَّاتِ الليالي
روحكِ الرَّاقصِ لم يَحْفَلْ بأرضٍ وقاتِلِ
طَرَبًا ما زال يَشْدُو بين موجٍ وجبالِ
بأساطيرٍ، وأحلامٍ، وفنٍّ، وخيالِ
هو روحُ النِّغمِ الهائمِ في دنيا الجمالِ

* * *

يا فينَّا هل على غابكِ للشَّمْلِ اجتماعُ
أم على فجركِ نايٍّ، فيه للراعي ابتداءُ
أم على أفقكِ من نور العشيَّاتِ التماعُ
أم على مائكِ تحت الليل للحُبِّ شرعُ
آه من أَمْسٍ! وما جرَّ على النفس الوداعُ!

يا فينَّا أسمعني الدنيا وهاتي
أين بالدانوب شدوُ الذكرياتِ
رَحَلوا عنكِ بأحلامِ الحياةِ
قصَّة الغابة والفلسِ الكبيرِ
وصدى العُشَّاق في الليل الأخيرِ
غَيَّرَ قلبٍ في يدِ الحبِّ أسيرِ!

أندلسية

حسنك النشوان والكأس الرويَّة جددا عهد شبابي فسكرتُ
حُلُمُ أيامٍ وليلاتٍ وضيَّة عبرتُ بي في حياتي وعبرتُ
أنا سكرانٌ وفي الكأس بقيَّة أيُّ خمرٍ من جنَى الخلد عصرتُ
آه، هاتي قربي الكأس إليَّ
واسقنيها أنت يا أندلسيَّة

لا تقولي أيُّ صوتٍ مُلهمٍ قَادَ روحينا، فجئنا، والتقينا
دُمك المشبوب فيه من دمي روحٌ ماضٍ بالهوى يهفو إلينا
أختٌ روحي! قربيها من فمي إن شربنا أو طربنا ما علينا
آه هاتيها من الحسن جنيَّة
واسقنيها أنت يا أندلسيَّة

كانت النظرة أولى نظرتين ثم صارت لفظة ما بيننا
والهوى يعجب من مغتربين لم يقل: أنت ... ولا قالت ... أنا
وسبحنا فوق وادٍ من لجين تحت أفقٍ من غمامٍ وسنا
أتملأها سماءٍ عربيَّة
وأناي أنت يا أندلسيَّة

* * *

صَحْتُ يَا لِلشَّمْسِ فِي ظِلِّ الْمَغِيبِ تَلُمُ الزُّهْرَ وَأَوْرَاقَ الشَّجَرِ
خَلَّتْهَا بَيْنَ مَحَبٍّ وَحَبِيبٍ قُبْلَةً عِنْدَ وَدَاعٍ وَسَفَرِ
فَانْتَنَتْ تَنْظُرُ لِلوَادِي الْعَجِيبِ صُورًا يَذْهَبْنَ فِي إِثْرِ صُورِ
وَبِسْمَعِي هَمْسَةً مِنْهَا شَجِيَّةٌ
وَبِرُوحِي أَنْتِ يَا أُنْدَلِسِيَّةُ

* * *

وَنَزَلْنَا عِنْدَ شَطْءٍ مِنْ نَضَارِ وَانْتَحِينَا خُلُوءًا بَعْدَ زَحَامِ
قُلْتُ وَاللَّيْلُ بِأَعْقَابِ النَّهَارِ: أَلِكِ اللَّيْلَةَ فِي لَحْنٍ وَجَامِ؟
مَا عَلَى مَغْتَرِبِي أَهْلٍ وَدَارِ إِنْ أَدَارَا هَا هُنَا كَأْسَ مُدَامِ
أَهْ هَاتِيهَا كَخَدِّكَ نَقِيَّةً
وَاسْقِنِيهَا أَنْتِ يَا أُنْدَلِسِيَّةُ

* * *

وَاحْتَوَتْنَا بَيْنَ لَحْنٍ مَطْرَبِ حَانَةٌ مِثْلُ أَسَاطِيرِ الزَّمَانِ
صُورَتْ جَدْرَانُهَا بِالذَّهَبِ فَتَنَ الْعِشْقُ وَأَهْوَاءَ الْحَسَانِ
قَالَتْ: اشْرَبْ قُلْتُ: لَبِيكَ اشْرَبِي مِلءَ كَأْسِينَ فَإِنَّا ظَامِئَانِ
خَمْرَةٌ رُومِيَّةٌ أَوْ بَابِلِيَّةٌ
اسْقِنِيهَا أَنْتِ يَا أُنْدَلِسِيَّةُ

* * *

هَتَفْتُ بِي وَيَدَاهَا فِي يَدِي تَدْفَعُ الْكَأْسَ بِإِغْرَاءٍ وَعُجْبِ
أَيُّ قَيْثَارٍ شَجِيٍّ غَرِدِ خَلَّتْهُ يَنْطِقُ عَنْ أَسْرَارِ قَلْبِي!
قُلْتُ: طِفْلٌ مِنْ قَدِيمِ الْأَبَدِ يَمْزُجُ الْأَلْحَانَ مِنْ خَمْرٍ وَحُبِّ
مِلءَ كَأْسٍ فِي يَدَيْهِ زَهْبِيَّةٌ
فَاسْقِنِيهَا أَنْتِ يَا أُنْدَلِسِيَّةُ

* * *

ومضى الليلُ ونادى بالروحِ كلُّ خالٍ وتعايا كلُّ صبٍّ
وخبا المصباحُ إلَّا كأسَ راحِ نورهُ ما بين إيماضٍ ووثبٍ
قد تحدَّى وهجُه ضوءَ الصباحِ فبقينا حوله جنبًا لجنبٍ
نتساقاها على الفجرِ نديَّة
وأغني أنتِ يا أندلسيَّة

* * *

يا عروسَ الغربِ يا أندلسيَّة بَعُدَتْ داركِ والصف دَنَا
أين أحلامُ الليالي القمرية والبحيراتُ مُطيفاتُ بنا
اذكري بين الكئوس الذهبية حانةً، يا ليتها دامت لنا
حين أدعوك صباحًا وعشيَّة
اسقنيها أنتِ يا أندلسيَّة

الوردة الصفراء

من قطفِ هذي الوردة الصفراءِ
وهتفتَ بالشقراءِ والصهباءِ
إنِّي أعيذُ الحسنَ من أهوائي
سَمَةِ الضُّنَى والغيرةِ الحمقاءِ
شابتُ، ونجمُ شاحبِ الأضواءِ
من زهرةٍ أو كوكبٍ وضَاءِ
في نظرةٍ لكِ وادِّكارٍ وفاءِ
من ذكرياتِ شبيبةٍ هوجاءِ
تَلْقَى بها المفضوحَ من إغوائي
حيرانَ بين قطيعةٍ ولقاءِ!

قالت تُعاتِبُنِي: أراكِ مَنَعْتَنِي
وبسحرِ هذا اللونِ كم غَنَّيْتَنِي
قلتُ: اغفري لي يا حبيبةَ نَظَرَتِي
أخشى ظنونَ الناسِ فيكِ، وأتَّقِي
وأذودُ عَنْ عِينِكَ ذُكْرَى لَيْلَةٍ
في لونِ خَدِّكَ اقْطِفي ما شِئْتِهِ
قالتُ: أتمنعي الذي أَحْبَبْتُهُ
في عَرَضِكَ الماضي وَنَبَشِكَ ما ذَوَى
وبسخریاتكِ بي، وبسَمَتِكَ التي
وشحوبِ وجهكِ إن أرقَّتْ صبابَةٌ

راكبة الدَّراجة

تَمَهَّلِي فراشة الصَّبَاحِ
ماذا ارتيادُ الطُّرُقِ الفِساخِ
بين الروابي الخُضِرِ والبَطَاحِ
كالموج تحت العاصفِ المجتاحِ
يخفقُ بين الصدر والوشاحِ
في حَلَقَةٍ طاغيةِ الجماحِ
تودُّ لو طارتُ مع الرياحِ
بلطفِ هذا الجسدِ الممرّاحِ
تَكَادُ تُغْنِي الطيرَ عن جَنَاحِ!
سكرانٌ، لا من خمرة الأقداحِ
يرفعُ طرف الثوبِ في مزاحِ
قد أَدْنُ الفخذينِ بافتضاحِ
فوق كثيبِ الوردِ والأقاحي!
عَيْنَ اشتِهَاءٍ وَيَدَ اجترَاحِ
في مثل هذا الحَرَمِ المُبَاحِ
صُنْتُهُمَا حَتَّى عن الصَّبَاحِ!

أُسْرِفَتِ في الغُدُوِّ والرَّوَاكِ
والوثْبُ فوق العُشْبِ والصُّفَاكِ
بالشَّعَرِ المهدِّلِ السَّبَّاحِ
والنهدِ وهو مُطْلَقُ السَّرَاحِ
والساقِ خَلْفَ الساقِ في كفاكِ
تدور مثل البارِقِ اللَّمَّاحِ
وحلَّقَتِ في كَبِدِ الصُّرَاحِ
وخَفَّةِ في روحِ الصَّدَّاحِ
يا لهوَاءِ عابِثٍ مفرَاحِ
بَلْ من صِبَاكِ، والصَّبَا كالرَّاحِ
لا يَسْتَجِي من لائِمٍ ولاحي
وَنَمَّ عن خميلة التَّفَاحِ
أخشى على حُسْنِهما الوضَاحِ
بل صرْتُ أخشى ثورة الأرواحِ
وَدِدْتُ لو بالروحِ أو بالرَّاحِ

إلى أبناء الشرق

دَعَوْهَا مُنَى وَاتْرَكَوْهُ خَيَالًا
بَنِي الشَّرْقِ! مَاذَا وَرَاءَ الْوَعْدِ
وَمَا حِكْمَةُ الصَّمْتِ فِي عَالَمٍ
زَمَانِكُمْ جَارِحٌ لَا يَعِفُّ
وَيَوْمَكُمْ نُهْزَةُ الْعَامِلِينَ
خَطَا الْعِلْمُ فِيهِ خُطَى صَائِدٍ
تَوَغَّلَ فِي مَلَكُوتِ الشَّعَاعِ
وَحَزَبَهَا فَهِيَ فِي بَعْضِهَا
رَمَى «دَوْلَةَ الشَّمْسِ» فِي أَوْجِهَا
مَدَائِنُ كَانَتْ وَرَاءَ الظُّنُونِ
كَأَنَّ «سَلِيمَانَ» أَخْلَى الْقِمَاقِدَ
وَأَوْمًا إِلَيْهَا فَطَارُوا بِهَا
فَمَا يَعْرِفُ الْحَقُّ إِلَّا النُّضَالَ
نَطْلُ يَمِينًا وَنَرْنُو شِمَالًا
تَضَجُّ الْمَطَامِعُ فِيهِ اقْتِتَالًا
رَأَيْتُ الضَّعِيفَ بِهِ لَا يُوَالِي
وَمُضِيعَةُ الْخَامِلِينَ الْكِسَالِي
تَوَقَّى الْمَقَادِرُ مِنْهُ الْجِبَالَا
وَصَادَ الْكَهَارِبُ فِيهِ اغْتِيَالَا
تُحَطَّمُ بَعْضًا وَتُلْقَى نَكَالَا
فَخَرَّتْ سَمَاءٌ وَدُكَّتْ جِبَالَا
تَرَى النَّجْمَ أَقْرَبَ مِنْهَا مَنَالَا
سَمَ أَوْ فَكَّ عَنْ جَنَهِنَّ اعْتِقَالَا
مَدَى اللَّحْمَ ثُمَّ تَلَاشَتْ خِيَالَا

فَفِيمَ وَقُوفِكُمْ تَنْظُرُونَ
وَحَتَّامَ نَشْكَو سِوَادَ الْحُظُوظِ
أَلَسْنَا بَنِي الشَّرْقِ مِنْ يَعْزُبِ
أَجْنُنَا نَسَائِلُ عَطْفِ الْحَلِيفِ
غُبَارَ الْمُجَلِّي يَشُقُّ الْمَجَالَا
وَمَنْ أَفَقْنَا كُلَّ فَجَرٍ تَلَالَا؟
أَصُولًا سَمَتْ وَجِبَاهَا تَعَالَى؟
وَنَرَقِبُ مِنْهُ النَّدَى وَالنَّوَالَا؟

نصرناه بالأمس في مَحْنَةٍ
سبحنا إليه على لُجَّةٍ
فكيف تَنَاسَى حَوَارِيَهُ
أردَّ الحقوقَ لأربابها
ورفَّت على الأرض حُرِيَّةٌ
نَبِيَّ الحقيقة، كم قُلْتَ لي
رَأَيْتُكَ أُنْدَى وأُحْنَى يَدًا
فما لك تقسو على أُمَّةٍ
وَعَدْتَ الشعوبَ بحقِّ المصير
أَتُغْصَبُ من أهلها أرضهم
أَلَيْسَتْ لهم أرضهم حُرَّةٌ

تَمَادَى الجبابِرُ فيها صِيَالًا
من النار لم نُذَكِّ منها ذُبَالًا
غَدَاةَ السَّلَامِ وأَغْضَى ومالًا؟
وأعفاهم من طلابِ سؤالا؟
تَأَلَّقُ نورًا وَتَنَدَّى ظلالًا؟
برَبِّكَ قُلْ لي وزدني مقالًا
على أُمِّ جَشْمَتِكَ النِّزَالًا
سَقَتَكَ الودادِ مُصَفَّى زُلَالًا
فما لك تَقْضِي وتُمْلِي ارتجالًا
وتُسَلِّمُ للغير نهبًا حلالًا؟
يسودون فيها الدُّهورَ الطوالًا؟

«فلسطين» ما لي أرى جُرْحَهَا
تَنَازَعُهَا حيرةُ الزَّاهِدِينَ
أَعَزَّتْ أَسَاتِكَ أدواؤها؟
هو الحقُّ إن رمت عالمًا
أَقِيمُوا عليه مودَّاتكم
فيا للبريئة ماذا جَنَنْتُ
هي الشرقُ، بل هي من قلبه
وتاريخُ دنيا وأمجادها
وعى الحقُّ «للمصطفى» دعوةً
تَبَارَى لها المسلمون احتشادًا
من الشام والأرز والرافدين

يسيلُ ويأبى الغداة اندمالًا
وتنهشها شَهَوَاتُ تَقَالَى
هو الحقُّ! ما كان داءٌ عُضَالًا!
يشفُ صفاءً ويزكو جمالًا
وإلا فقد رمتموهُ مُحَالًا
فتحملُ ما لا يُطَاقُ احتمالًا
وشائخُ ماضٍ تَأْبَى انفصالًا
بنى رُكْنَهَا «خالدٌ» ثُمَّ عَالَى
لنُصْرَتِهَا والعوادى نَوَالَى
وهبَّ النَّصَارَى إليها احتفالًا
وأَقْصَى الجزيرة صحبًا وآلا

و«إفريقيا» ما لإسلامها
على «تُونِس» وبمَرَاكِشِ

يُسَامُ عبوديةً واحتلالًا؟
تروح السيوفُ وتغدو اختيالًا

ألم تَخُبْ في الأرض نارَ الحروبِ ويُلْقِ الطغاةُ عليها وبالا؟
ألم يَتَغَيَّرْ بها الحاكِمونَ؟ ألم تَنَبَّأْ من الحال حالا
هُمُ العَرَبُ الصَّيْدُ لا تحسبَنَّ بهم ضِعَّةٌ أو ضنًى أو كلالا
نماهُم على البأسِ أبأوهم قساورةً وسيوفًا صِقالا

* * *

بُناةُ الحَضَارَةِ في المشرقينِ نُرَى يَخْشَعُ الغربُ منها جلالا
ألا أيها الشامخ المطمئنُّ رويدًا فإنَّ اللَّيالي حَبالي
وما لك تَنسَى على الأَمْسِ يومًا به كاد مُلْكُكَ يَلْقَى زوالا
فتَقْذِفُ بالنارِ «سورية» وتَرْمِي «بلبنان» حربًا سجالا
شباب «أُمِّيَّة» طوبى لكم أقمتُم لكلِّ فداءٍ مثالا
دعتكم «دمشق» فما استنفرتُ سوى عاصفٍ يتخطَّى الجبالا
وفي ذِمَّةِ المجد من شيبكم دَمٌ فوق أروقةِ الحقِّ سالًا!
بني الشرق كونوا لأوطانكم قُوى تتحدَّى الهوى والضَّلَالا
أقيموا صدوركم للخطوبِ فما شطَّ طالبُ حَقٍّ وغالى

* * *

فَزِعْتُ لكم من وراءِ السقامِ وقد جَلَّلَ الشَّيْبُ رأسي اشتعالا
وما إنْ بكيتُ الهوى والشبابَ ولكنْ ذكرتُ العُلا والرجالا!!

يوم فلسطين

سَلِمَتِ لأَجِيالٍ وَعِشَتِ لأَبْطالٍ
لِقَوْمِكَ نارٌ في ذَوائِبِ أَجْبالٍ
على خِلْجاتِ الرُّوحِ من تُرْبِكَ الغالي
دَمُ العربِ الفادين والسُّودِّ العالي
وكلُّ سماءٍ جَمْرَةٌ ذاتُ إشْعالٍ
رِقادًا على ليلِ رماكِ بزلْزالٍ
لكلِّ غريبٍ دائِمِ النَّيِّهِ جَوَّالٍ
مِواطنُها — ما بين حلٍّ وترحالٍ
على قلبه ذِكرُكَ من عهدِ إِسْرائِلِ
سوى حُلُمٍ من عالمِ الوهمِ خُتَّالٍ
فكانَ نذِيرًا من خُطوبٍ وأَهْوالٍ
تُطِلُّ بأحداثٍ وتُومي بأوجالٍ
أرادَ ليمحو اللَّيلُ نُورَ الضحى العالي
ويا شهبَ غُوري في دِياجيرِ آجالٍ
كما كُنْتَ قبلَ الرُّسُلِ في ليلِكَ الخالي
وما هو بالغافي، وما هو بالسَّالي
وطَهَّرَ دُنيا من طُغاةٍ وضُلالٍ
فحرَّرَهم من بعدِ رِقٍّ وإِذلالٍ

فلسطينُ لا راعتِكَ صِيحَةُ مُغتالٍ
ولا عَزَّكَ الجِيلُ المُفدَّى ولا خَبَتْ
صَحَتْ بادِياتُ الشرقِ تحتِ غبارهم
فِوارِسُ يَسْتَهْدِي أَعِنَّةَ خيلهم
بكلِّ طريقٍ منه صَخْرٌ مُنْضَرٌّ
هو الشرقُ لم يهدأُ بِصَبْحٍ ولم يَطْبُ
غداةٌ أذاعوا أَنَّكَ اليومَ قِسْمَةٌ
قَضَى عمره، جَمَّ المِواطن — واسمُهُ
وما حلَّ دارًا فيكَ يومًا، ولا هَفَتْ
مِحالُ الله وَعَدًا خَطَّه الظلمُ لم يَكُنْ
حَمَتُهُ القِنا كَيْما يَكُونُ حَقِيقَةً
وَفَتَّحَ بينَ القومِ أَبْوابَ فِتْنَةٍ
أرادَ ليمحو آيَةَ الله مِثْلَما
فيا شَمْسُ كُفِّي عن مدارِكَ واخْمدي
ويا أرضُ شَقِّي من أديمِكَ وارْجعي
ضلالًا رَأُوا أن يسلو الشرقَ مجدُهُ
أَلا يا ابْنَةَ الفَتْحِ الَّذي نُورَ الثرى
وأَكْرَمَ قَوْمًا فيكَ كانوا أَذْلَةً

لك الشرق، يا مهد القداسة والهدى،
لك الشرق، يا أرض العروبة والعلاء،
وما هو من مستعمر جاء بالهوى
هو الشرق ألقى عن يديه قيوده
سليه، تهج ما بين عينيك أرضه
سليه، يمج ما بين سمعك أفقه
سليه الدم المهرق يبذله غالياً
قلوباً تلبي في خشوع وإجلال
شعوباً تفدي فيك ميراث أجيال
ولا هو من مستثمر جاء بالمال
فلا تحسبيه في قيود وأغلال
مخالب نسر أو براثن رئبال
زئير أسود أو زماجر أشبال
ويضرب به في الحق أروع أمثال

* * *

ألا أيها الشادي الذي أطرب الورى
وقال لنا: في عالم الغد جنّة
سمعنا، خدعنا، وانتبهنا، فحسبنا
ويا أيها الغرب المواعد لا تزد
شبعنا وجعنا من خيال منمّق
فلا تندب الضعفى وتغصب حقوقهم
بحلو حديث عن حقوق وآمال
غزيرة أنهار وريفة أطلال
لقد ملّت الأسماع قيثارك البالي
كفى الشرق زادا من وعود وأقوال
ومنه اكتسينا، ثم غدنا بأسمال
فتلك إذا كانت، شريعة أدغال!!

من الأعماق

وَقَبَّلْتُكَ جِرَاحَاتٍ وَأَلَامُ
عُرُوبَةٍ وَثَبَّتْ فَرْحَى وَإِسْلَامُ
بِهَا لِيَالٍ مِنَ الذِّكْرِ وَأَيَّامُ
حِمَاهُ لِلْحَرِّ إِعْزَازٌ وَإِكْرَامُ
فَقَدْ حَمَتُهُ مِنَ الْأَحْدَاثِ آجَامُ
مِعَاشُهُ وَيَرْقُ الْمَاءُ وَالْجَامُ
أَصْفَادُهُ، وَيَفُكُّ الْقَيْدَ ضَرْغَامُ

حَيَّتْكَ فِي الشَّرْقِ آمَالٌ وَأَحْلَامُ
وَاسْتَقْبَلْتُكَ عَلَى الْوَادِي وَضَفَّتِهِ
وَحِقْبَةً مِنْ جِهَادٍ أَشْرَقَتْ وَهَفَّتْ
تَعَانِقُ الْعَائِدِ الْمَنْفِيِّ فِي بَلَدٍ
دِيَارُ «فَارُوقَ» مِنْ يَلْجَأُ لِسَاحَتِهَا
يَطِيبُ لِلْعَرَبِيِّ الْمُسْتَجِيرِ بِهَا
وَيَحْطِمُ الْقَلَمُ الْعَانِي بِحَوْمَتِهَا

تَحْدَثَتْ عَنْهُ أَدْهَارٌ وَأَقْوَامُ
بَرَقَ عَلَى جَنْبَاتِ اللَّيْلِ بَسَامُ
بِهَا صَحَائِفُ مِنْ نُورٍ وَأَقْلَامُ
صَوْتُ يَرْنُ بِهِ رَمْحٌ وَصَمْصَامُ
مِنْ صَوْتِكَ الْجَهْوَرِيِّ الْعَذْبِ أَنْغَامُ
حَتَّى وَإِنْ شَرِقَتْ بِالنَّارِ أَعْلَامُ
يَسِيلُ فِيهَا، وَجُرْحٌ لَيْسَ يَلْتَامُ
وَكَيْفَ! هَلْ فِي رُبُوعِ الْقُدْسِ نَوَامُ!
السَّيْفُ مِنْهُمْ فَوْقَ الْخَلْقِ قَوَامُ

يَا أَيُّهَا الْبَطْلُ الصَّنْدِيدُ جِئْتَ بِمَا
هَزَّتْ «فِلَسْطِينَ» أَنْبَاءُ يَطِيرُ بِهَا
عَادَتْ لَهَا ذِكْرِيَّاتُ الْأَمْسِ وَانْبَعَثَتْ
وَأَنْفُسُ قَرَشِيَّاتٍ يُطَرَّبُهَا
نَصَّتْ عَلَى اللَّيْلِ آذَانًا تُغَازِلُهَا
قَدْ أَقْسَمْتُ لَا يَنَالُ الدَّارَ مَغْتَصِبُ
فِي اللَّهِ، فِي الْحَقِّ، فِي الْإِسْلَامِ كُلُّ دَمٍ
ظَنُّوكَ أَقْصَيْتَ عَنْهَا فَهِيَ نَائِمَةٌ
وَتِلْكَ أَطْمَاعُهُمْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ

قالوا: غدرتَ ولم أفهمَ لمنطقهم
أفي دفاعك عن أهلٍ وعن وطنٍ
قالوا: هو الحقُّ ما نسعى لنُصْرَتِهِ
يا شرقُ يا شرقُ لا تخذَعْ دعوتهم
أكان غيرَ عيونِ الزَّيتِ دافقَةً
وكان غيرَ أنابيبٍ يحوط بها
قد قَسَموكَ مطاراتٍ وما عملوا
أَكُنْتَ غيرَ الفِدا في غيرِ تضحيةٍ
يا شرقُ سَلِّ «بالحسيني» الذي صنعوا
سلهم عن الشَّرَفِ الموعود كم غدروا
وأنت يا أيُّها الفادي عُرُوبَتُهُ
جهاذك الحقُّ مظلومًا ومغتربًا

حُكْمًا، ولكنما للقوم أحكامُ
غدر؟ إذنَ فجهادُ الظلمِ إجرامُ!
يا بُؤْسُهُ كم هوانُ أهْلُهُ ساموا
واقبض يدًا، فحديثُ الحقِّ أوْهامُ
من قلبك الغَضُّ يُجريهن سَجَّامُ
ضلوعَ صدركَ قَهَّارُ وظَلَّامُ
إلَّا لحربٍ لها في الكونِ إضرامُ
إن همَّ عليكِ بسِرِّ الرَّدَى حاموا
واسمِعْ لحَقِّكَ، لا يَخْدَعُكَ هَدَّامُ
به؟ كم اجْتَرَحَتْ في السلمِ آثامُ
إِسْلَمَ فديتكِ، لا غَبْنُ ولا ذامُ
وَحْيٍ لكلِّ فتًى حُرٍّ وإلهامُ

على النيل

من ابن الشمال إلى ابن الجنوب

فحيّ ذِمامي عنْدَه وعُهودي
ونُسْلِمُه لابنِ لنا وحفيدِ
سمعتَ لتكبيرِ ووقعِ سجودي
خَلا منطقي من لفظها وقصيدي
أفقتُ على يومٍ أغرَّ سعيدِ
نَبَا فيه جنبي واستحالَ رقودي
خَمائلُ جنّاتي وطابِ حصيدي
مشى الموتُ في زهري وقصّفَ عودي
شهيدك في هذا ... وأنتَ شهيدي!
وجُودك في هذي الحياة وجودي

أخي! إنْ وردتَ النّيلَ قبلَ ورودي
وقبّلْ ثرى فيه امتزجنا أبوّة
أخي! إنْ أذنَ الفجرُ لَبّيتَ صوته
وما صُغتَ قولاً أو هتفتَ بآية
أخي! إنْ حواكَ الصبحُ رِيانَ مشرقاً
أخي! إنْ طواكَ الليلُ سَهْمَانِ سادراً
أخي! إنْ شربتَ الماءَ صفواً فقد زكّتَ
أخي! إنْ جفاكَ النهرُ أو جفَّ نبعُه
فكيف تُلاحيني وألحاكَ؟ إنني
حياتك في الوادي حياتي، فإنما

* * *

مَتَى فصلا ما بيننا بحدودِ؟
فَجَلَلٌ بالأحزانِ ليلةَ عيدي
مَزهَرُ أحلامي وماتَ نشيدي
عَلَى أرضِ آبائِ لنا وجدودِ

أخي! إنْ نزلتَ الشاطِئَيْنِ فسَلهما
رَماني نَذيرُ السُّوءِ فيكَ بِنَبْأَةٍ
وغامتَ سماءِي بعدَ صفوٍ وأُخْرِستَ
غداةَ تَمَنّى المستبَدُّ فراقنا

لعلَّ بنا حُبَّ السيادة يُودي
وما بيننا من سيِّدٍ ومسودٍ
فخاخ «احتلال» كالدهور أبيدٍ
بحربين، من زرعي وضرع وليدي
فهم بنكراني ورام جُودي
أنجز من وعدٍ أفك قيودي؟
مدى الدهر فيها مُبدئي ومُعدي
نَجُرُّ على الأشواك ثَقْلَ حديدٍ
نَهَبْنَا بشملٍ في الحياة بديدٍ
مُوحَّدةً في غايةٍ وجهودٍ
جديدٍ، ولمَّا يأتنا بجديدٍ
فلما دنا اللَّفتِ سرابٌ وعودٍ
على عاصفٍ يرمي الدُّجى بجليدٍ
فلا تَرَجُ يفتًا من وميضِ رعودٍ
سَرَى رِيه سَمًّا بكلِّ وريدٍ
ويحبسُه ما شاء خَلْفَ سدودٍ
ظمَاءٍ نسورٍ أو جِيعٍ أسودٍ؟

وزفَّ لنا زَيْفَ الأمانِي عُلالةٌ
أخوُّنا فوق الذي مانِ وادَّعى
إذا قال: «الاستقلال» فاحذره ناصبًا
وكم قَبْلُ منَّاني، على وفَّر ما جَنَى
فلما أتاه النصرُ هاجتُه شَرَّةٌ
ألا سلَّه، ماذا بعد سبعين حِجَّةً
يُبَدِّلُنِي قَيِّدًا بَقِيدٍ كأنه
أخي! وكلانا في الإِسارِ مكبِّلُ
إذا لم تُحرِّزنا من الضيمِ وَحْدَةً
وما مصرُ والسودانُ إلَّا قَضِيَّةٌ
سَتَمُنَّا هُتَافَ الخادعين بِعالمٍ
وجَفَّتْ حشاشاتُ وَعْدَنَ بمائه
وطال ارتقَابُ الساعبين لناره
إذا يَدُنا لم تَذِكْ نارَ حياتنا
إذا يَدُنا لم تَحُمِ نَبْعَ حياتنا
سيُجرِيه ما شاءتْ مطامعُ قومِه
وكيف ينام المضعفون وحولهم

يَرُجُّ من الشيطانِ كلَّ مشيدٍ!
على نفثاتٍ من دمٍ وصديدٍ
وأَسْرابٍ طيرٍ في الفلاةِ شريدٍ
وضَجَّ لَهُ الموتى وراءَ لُحودٍ
لتَشْتِيتِ أهلٍ وانقسامٍ صعيدٍ
بها الحزنُ إلْفِي والهناءُ فقيدي
على الظالمِ الجَبَّارِ صَوْتٌ وعيدٍ
بهذمٍ إخاءٍ كالجبالِ مشيدٍ
كطيرٍ جريحٍ في الشباك جهيدٍ

أخي! هل شَهِدْتَ النيلَ غضبانَ ثائرًا
جَرى من مَصَبِّهِ شَواطِئًا لنبعه
وجنَّاتٍ نَحَلَ واجماتٍ كواسفٍ
لَدَى نِياٍ قد رِيعَ من حملةِ الصدى
جنوبك فيه والشمالُ تَفَرَّعا
أحال ضياءَ الصبحِ حَوْلِي ظُلْمَةً
وسَعَرَ أنفاسي فأطلقتُ نارها
أرادك مفصومَ العُرى وأرادني
ليأكلنا من بَعْدُ شِلْوا ممزَّقًا

تَحَايِلُ شَيْطَانِ الْأَسَالِيْبِ لَمْ يَدَعْ مَجَالًا لَشَيْطَانِ بَهْنٍ مَرِيدٍ

* * *

عَلَى النِّيلِ يَا ابْنَ النِّيلِ أَطْلِقْ شَرَاعَنَا
وَأَرْسِلْ عَلَى الْوَادِي حَمَائِمَ أَيْكِهِ
وَقُلْ: يَا عُرُوسَ النِّبْعِ هَاتِي مِنَ الْجَنَى
وَهُبِّي عِذَارِي النِّخْلِ فِرْعَاءَ وَارْقِصِي
أَلَا يَا أَخِي وَامِلًا كَثُوسَ مُحَبَّةٍ
إِذَا هِيَ هَانَتْ فَانْعَ لِلشَّمْسِ نَوْرَهَا
وَقُلْ: يَا سَمَاءَ النِّيلِ وَيْحَكَ أَقْلَعِي
وَعِضِي عِوْنَ الْمَاءِ! أَوْ فَتَفْجَرِي
وَقُلْ لِلْيَالِيَةِ الْهَنِيَّةِ: عَوْدِي
بِرَنَّةٍ وَلَهَى أَوْ شَكَاةٍ عَمِيدِ
وَدُورِي عَلَيْنَا بِالرَّحِيقِ وَجُودِي
بِخُضْرِ أَكَالِيلِ وَحُمْرِ عَقُودِ
مُقَدَّسَةٍ مَوْعُودَةٍ بِخُلُودِ
وَلِلْقَمَرِ السَّارِي بِرُوحِ سَعُودِ
وَيَا أَرْضَ بِالسُّمِّ الرَّوَاسِخِ مِيدِي
لِظَى، وَإِنْ اسْطَعَتِ الْمَزِيدَ فَزِيدِي!

مِصر

فديتك! هل وراء الموت حُبٌّ؟
إليك، وكلُّ شيخٍ فيك صَبٌّ
وكلُّ رضيعَةٍ في المهدِ تحبُّ
أرى مُهَجًّا لوجهك تَشْرِبُ
لها فوق الضَّفافِ خُطَى ووُثْبُ
له بيديك تَضْفِيرُ وَعَضْبُ
ووقتُك الليالي وهي حَرْبُ
فضاءك غيلةٌ ورمالك خُطْبُ
وبالنِّسماتِ فهي حَصَى وَحَصْبُ
وكلُّ غُصونِهِ ظُفْرٌ وَخُلْبُ
صواعقٌ ومُضْها رُجْمٌ وشُهْبُ
وفي عينيهِ إِيماضٌ وسُكْبُ
بها شرقٌ، ويلقي السَّمْعُ غَرْبُ
فراعنٌ أو حوارِيونٌ غَرْبُ
تموجٌ به الضَّفافُ وثَمَّ رُكْبُ
إليك بكلِّ جارحةٍ تدبُّ
أَجَلٌ بُعِثَتْ، وهبَّ اليوم شَعْبُ
وأفردَ بالأمانةِ فهو صُلْبُ!

هَوَى لَكَ فِيهِ كُلُّ رَدَى يُحَبُّ
فديتكِ مصرُ، كُلُّ فَتَى مَشُوقُ
ويحلمُ بالفِدَى طفلاً فطيمُ
أراك وأينما وَلَّيتُ وجهي
وأرواحاً عليكِ محوِّماتِ
عليها من دَمِ الفادين غارُ
حَمَتِكَ صدورها يومَ التَّنَادِي
إذا رامَتِكَ عاديةٌ وشَقَّتْ
دَعَتْ بالنَّهَرِ فَهُوَ لَطَى وَوَقْدُ
وبالشَّجَرِ المنورِ فهو غِيلُ
حقائقٌ عن يدِ الإيمانِ ترمي
لها في مهجة الجَبَّارِ فَتْكُ
صَنائِعُ كالغَنائِيَّاتِ يَشْدُو
ويُبْعَثُ في الحياةِ على صداها
أهلُّوا بالصباحِ فَثَمَّ رُكْبُ
بأرواحٍ مَجْنَحَةٍ نِشاوِي
لقد بُعِثَتْ من الأحقابِ مِصرُ
تَوَحَّدَ في الزَّعامَةِ فهو فَرْدُ

* * *

فيا لكِ مصرُ! ما لجلالِ أمسٍ
وأُبهمَ فهو رَجُوعُ صَدَى وطيفُ
ذوتَ رِيًّا ملامحِهِ وحالتُ
أكانَ دَمُ الفِداءِ يَبِينُ صِدْقًا
فيهدمُ ما بَنَى ويقالُ: شادوا
علامَ إذنَ أريقَ بكلِّ وادٍ
وجادَ به شبابُ عبقريِّ
أحقًا ما يُقالُ: شيوخُ جيلٍ
وكانوا الأَمَسِ أرسَخَ من جبالٍ
فما لهمُ وهَتْ منهم حُلُومُ
أأرحامُ مقطَّعةٌ وأرضُ
وأسواقُ تُباعُ بها وتُشْرَى
يطوفُ بها النِّفاقُ وفي يديه
يكادُ الليلُ أن يَنْسى دُجَاهُ
تعالوا يا بني قومي تعالوا
هو الدستورُ منه جَنَى قطفنا
فما للشَّرْبِ والجانينَ ثاروا
فأُهدِرَ مَرَّةً وأُبيحَ أُخرى
إذا ما الأكثريةُ فيه فازتْ
وإن هي حورِبَتْ عنه وذيدَتْ
عجائبُ لم تَقْعُ إلَّا بمصرِ
تعالوا يا بني قومي إِلَيْهِ
وما هو أسْطَرُّ كُتِبَتْ ولكنْ
تحررتِ الشعوبُ فكلُّ شعبٍ
وهبَتْ في نواحي الأرضِ دُنْيَا

عَلَّتْهُ غَبْرَةٌ وَطَوَّتْهُ حُجُبُ
بعيدٌ ليس يستجليهِ قُرْبُ
مناقِبُهُ فَهَنْ أَدَى وَثَلْبُ
وأَصْبَحَ وهو بعدَ الأَمَسِ كَذْبُ
وتُصدعُ وَحْدَةً ويُقالُ: رَأْبُ؟
فأورَقَ مُجِدِبٌ وأَنارَ خِصْبُ؟
وولدانُ كفرخِ الطَّيْرِ زُعْبُ؟
على أحقادهم فيه أَكْبُوا
إذا ما زُلْزِلَتْ قِمَمٌ وهَضْبُ
لها بِيَدِ الهوى دَفْعٌ وَجَذْبُ
تُعادي فوقها أَهلٌ وصَحْبُ
ضمايرُ هُنَّ للأَهْواءِ نَهْبُ
صحائفُ أَفَعَمَتْ زورًا وَكُتِبُ
إذا نُشِرَتْ ويأخذُ منه زُعْبُ
إلى حقٍّ وَحَسْبُ الشعبِ حَسْبُ
ونهرُ حياتنا ملأَنُ عَذْبُ
عليه بعد ما طَعَمُوا وَعَبُّوا
وعِيبٌ، وما لَهُ عِيبٌ وَذَنْبُ
تَحَرَّكَتِ الدسائِسُ وهي إلبُ
تَحَدَّثَ باسمِهِ فَرْدٌ وَجِرْبُ
وأحداثُ لهن يَطيشُ لُبُ
فما في حُكْمِهِ قَسْرٌ وَغَضْبُ
معانٍ في القلوبِ لهنَّ عَلْبُ
طليقٌ والمجالُ اليومَ رَحْبُ
لحقٍّ يُجْتَبَى وَمُنَى ثَلْبُ

أَنلَعِبُ والزمانُ يقول: جدُّوا
فلا تقفوا بحرِّيَّاتِ شَعْبٍ
فما تنني خُطى شَعْبٍ طموحٍ
إذا عصفتُ تلقَّاهَا بصدْرِ
ونرقُدُ والحياةُ تصيحُ هُبُّوا؟
وأمالٍ له للمجدِ تضبو
زعازعُ في ظلامِ الليلِ نُكْبُ
وراءَ ضُلوعِهِ نارٌ تُشَبُّ

* * *

سألتكمو اليمينَ وحُبَّ مصرٍ
إذا عَبَسَ الزمانُ لمصرَ أُوْمَتٍ
فقبَّلَها وظلَّلَها هواهُ
وباسمكَ أيها الملكُ المفدَّى
وباسمكَ لا يُضامُ لمصرَ حَقٌّ
وباسمكَ من عُضالِ الداءِ تُشْفَى
بحقِّ عُلاكَ وهو هُدًى ونُورٌ
إليكِ توجَّهَتُ بالروحِ مصرُ
ألم يخفقَ لكم بالحبِّ قلبُ؟!
إلى «الفاروقِ» وهى رضى وحُبُّ
وندى قلبَها والعيشُ جدُّ
تَقَشَّعُ غَمَّةٌ وَيَزُولُ كَرْبُ
وباسمكَ لا يُضارُ بمصرَ شَعْبُ
وباسمكَ كلُّ داءٍ يُسْتَطَبُّ
وحقُّ هَواكَ وهو عَلا وكَسْبُ
وأنتَ لمصرَ بعدَ الله ربُّ

لِقَاءَ وَدُّعَاءِ

وعهدُكُما للشرق فجرُ أُماني
لِقَلْبَيْنِ في كَفِّينِ يعتنقانِ
حبيبين سارا، أم هما أخوانِ
من الأحمر اللُّجِّي أَشْرَقَ داني
تَطَامُنُ في صفوٍ لَهُ وأمانِ
سرائِرُ مِنْ أرضِ الحجازِ حواني
شواخِصُ في الثغر المشوقِ رواني
وَفِيهِ مِنَ الوحي القديمِ مَعاني
وَكَيْفَ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ مِنَ الخفقانِ
وَتُنْطِقُ مِنِّي خاطري ولساني
وَفَجَّرَ شِعْري مِنْ سماءِ بياني
رُؤى يَقْظَةٌ؟ بَلْ ذَاكَ رَأْيُ عَيَانِ
تَسِيرُ إِلَيْهِ الفلكُ دونِ عَنانِ
وما هِيَ إِلَّا فرحةٌ وأغاني
هما جِصْنُهُ الواقِي مِنَ الحدثانِ
تَمَثَّلَ في آياتها ملكان!

لِقاؤُكُما قد كان حُلُمَ زمانِي
ولا عهدَ إِلَّا للعروبةِ والعُلا
تُحَدِّثُنِي عَيْنِي، وقد سِرْتُما مَعًا
وَيَسْأَلُنِي قَلْبِي، وقد لاح موكِبُ
على ملكيٍّ مِنْ شِراعٍ وَلُجَّةٍ
تناسمُهُ بَيْنَ العِشْيَاتِ والضُّحَى
وأفئدةٌ مِنْ أرضِ مصرٍ مَشُوقَةٌ
إِلَى أَفْقٍ فِيهِ مِنَ الرُّوحِ هِزَّةٌ
أَتَسْأَلُ يَا قَلْبِي وَأَنْتَ بجانِبِي؟
وأَنْتَ الَّذِي تُصْغِي، وَأَنْتَ الَّذِي تَرَى
ومَنْكَ الَّذِي أَوْحَى إِلَيَّ فَهَزَّنِي
أَنالَ جلالَ اليومِ مِنْكَ، فَخَلَّتُهُ
هو الملكُ الفاروقُ في موقفِ الهدى
يَوْمُ بِها رَبُّ الجزيرةِ مصرُهُ
هما عاهلا الشرقِ العريقِ وركنُهُ
هما الحبُّ والإيمانُ والمجدُ والنَّدَى

بأعذب ما رفّت به شَفَتَانِ
بأفراح دور فوقه ومَغانِي
رفارف خُضْرًا في ظلالِ جنانِ
وفيك يُحيي «القِبْلَةَ» الهرمانِ
مخاضرها من لؤلؤ وجُمانِ
يُضئَنَ بأقمارٍ بهنَّ حِسانِ
تَغَايِرَ في لألائِها القمرانِ
مطالعُ «فاروقية» اللّمعانِ
هنا وطنٌ أم ها هنا وطنانِ
أم أن قُطوفًا «للرياض» دواني
وما اختلفت في صورةٍ ومكانِ
على الرّحب، والدّاران تلتقيانِ
فما مصرٌ إلّا موطنٌ لك ثاني
مُوحَّدة في فكرةٍ ولسانِ

سلامًا «طويلَ العمر» مصرُ تَبْنُهُ
وللنَّيل أمواجٌ يثبن صبابه
تَجَلَّى طرازًا في لقاءك مُفردًا
يُحيي بك الشعبَ الحجازيَّ شعبه
تساءل فيها الصاحبان وقد بدت
وآفاقها «مَكِّيَّة» النور والشّذى
جلاها المساءُ القاهري صباحه
«سعودية» الإشراق تُزهي بنورها
أفي مصر؟ أم بطحاء مكة يومنا؟
وتلك قُطوفُ النّيل دانية الجنى
هوئى لك يا «عبد العزيز» أصارها
وأنت أخو «الفاروق» دارك داره
فإن تذكر الأوطان والأهل عندها
وما هي إلّا أُمَّةٌ عربيّةٌ

ويسمع لي الفاروق صوتَ جناني؟
فما لي أرى في الشرق سُحبَ دخانٍ!
برعدِ حسامٍ والتماعِ سنانِ
وفي القدس جمرٌ مُوشِكُ الثّورانِ
جريحًا إباءٍ في دم غرقانِ
وما سترت وجهًا لها ببنانِ
مخالِبَ ضارٍ أو برائنَ جاني
علام تضحُّ الأرض بالشّنانِ
على غير معنىٍ من رضى وأمانِ
وداؤَرَ حتى راغٍ في الدّورانِ
وإن حوّرت في صبغةٍ ودهانِ

أَينصتُ لي الضيفُ العظيم هنيهةً
يقولون: نارُ الحرب في الغرب أُخمدتْ
مَشَتْ بالشتاءِ الجهم فوق تخومه
بإيران صيحاتٍ، وفي الشام ضجّةٌ،
وفي الساحل الغربيّ من «آل طارق»
طماعيةٌ فيه أزالَتْ قناعها
رمت عن يدٍ قفازها وتحفّرتْ
فإن قيل: هذا «مجلسُ الأمن» فاسألوا
وفيم دعاة السّلم طال حديثهم
وأبهم حتى بان كالأظلم طامسًا
أرى اليوم مثل الأمس صورةً غاصبٍ

* * *

تثاني حيائي والوفاء دَعَانِي
يُفَاخِرُ جَيْلٌ بِالَّذِي هُوَ بَانِي
تُهَدِّدُهُ فِي حَوْزَةٍ وَكَيَانِ
بِكُلِّ فَتًى بِالطَّيِّبَاتِ مُعَانِ
وَمَا زَالَ مِنْ خُلْفِ الْوَعْدِ يُعَانِي
وَلَا فَازَ مَنْ حَرِيَّةٍ بِضِمَانِ
مَطَرَحَةٌ فِي ذَلَّةٍ وَهَوَانِ
بِجَمْعٍ يُدَبِّرُ الرَّأْيَ حَوْلَ خَوَانِ
وَأَقْلَامُ كُتَّابٍ وَسَحَرِ بَيَانِ
وَمَاذَا يُصِيبُ الْقَوْلُ يَوْمَ طَعَانِ
بِمُسْتَقْتَلٍ مِنْ حَوْلِهَا مُتَفَانِي
وَأَسْيَافُهُمْ مِنْ صُلْبَةٍ وَلَدَانِ
يُنَابِيعُهُ شَتَّى ذُرَى وَرِعَانِ
عَلَى كَرٍّ دَهْرٍ وَاخْتِلَافِ زَمَانِ

إِلَيْكُمْ مَلُوكَ الشَّرْقِ كَمْ عَنْ مَقَالَةٍ
أَشَدَّتْ بِمَا شَدْتُمْ فِرَادِي، وَكَلِكُمْ
أَنَاشِدُكُمْ وَالشَّرْقُ بَيْنَ مَطَامِعِ
فَهَلَّا جَمَعْتُمْ أَمْرَهُ وَاسْتَعْنَتُمْ
أَرَى حُلَفَاءَ الْأَمْسِ لَمْ يَحْفَلُوا بِهِ
وَمَا قَرَّ فِي ظِلِّ السَّلَامِ بِحَقِّهِ
وَتِلْكَ أَمَانِيهِ عَلَى عَتَبَاتِهِمْ
أُنْقِنِعْ مِنْ حَقٍّ وَ«جَامِعَةٍ» لَهُ
وَلَيْسَ لَهَا مِنْ قُوَّةٍ غَيْرَ أَلْسِنِ
وَمَاذَا يَفِيدُ الرَّأْيُ لَا سَيْفَ عِنْدَهُ
عَلَى الْبَاسِ فَابْنُوا رُكْنَهَا وَتَاهَبُوا
تَلَاقَى بِهِ رَايَاتُ كُلِّ شُعُوبِهِ
كَأَمْوَاجِ بَحْرِ زَاخِرٍ مُتَلَاظِمِ
ضَمِنْتُ بِكُمْ مَجْدَ الْعُرُوبَةِ خَالِدًا

عَوْدَةُ الْحَارِبِ

أَتَدْرِي الرِّيحُ مِنْ مَلَكْتُ زَمَامَهُ
هَفَّتْ لِلشَّرْقِ فَاخْتَلَجَتْ جَنَاحًا
وَقِيلَ: دَنَا وَحَوِّمْ، فَاشْرَأَبْتُ
وعانقه الصَّبَاحُ عَلَى رُبَاهَا
يُضِيءُ بِوَرْدِهِ الْأَزْلَى أَفْقًا
وَوَاكِبَهُ عَلَى «سِينَاءَ» بَرَقُ
تَمَثَّلَ إِذْ تَأَلَّقَ ذَكَرِياتِ
لِمَحْتَرَبٍ مِنَ الْأَبْطَالِ فَاذِ
حَوَارِيٍّ عَلَى كَفِّهِ قَلْبُ
نَحِيفٍ مِنْ شُرَاةِ الْخَلْدِ يَحْمِي
كَسْتَهُ خُشُونَةً غَيْرُ اللَّيَالِي
أَشَدَّ عَلَى قَوَاضِبِهَا مَرَاثَا
أَقَامَ عَلَى الْفَلَاةِ طَرِيدَ ظَلَمِ
وَبَايَعَ فِي شَبِيبَتِهِ الْمَنَايَا
أَحْلَوْا قَتْلَهُ وَتَطَلَّبُوهُ
تَنَسَّى الْحَرْبُ كُلَّ فَتَى هَوَاهُ
زَنِيرُ اللَّيْثِ يَطْرَبُ مِسْمَعِيهِ
وَوَثْبُ الْخَيْلِ أَفْرَاسُ الْأَمَانِي

تَشَقُّ الْغَرْبَ أَوْ تَطْوِي ظِلَامَهُ؟
بِهِ، وَاسْتَقْبَلْتُ لَثْمًا غَمَامَهُ!
ضَفَافُ النِّيلِ تَسْتَهْدِي حِيَامَهُ
غَضِيضُ الطَّرْفِ لَمْ يَنْفُضْ مَنَامَهُ
تُظَلِّلُهُ الرِّعَايَةُ وَالسَّلَامَهُ
بِعَيْنِ الْمَلْهَمِينَ رَنَا فَشَامَهُ
وَأَمَجَادًا مُشْهَرَةً مُسَامَهُ
يَخَافُ الدَّهْرُ أَنْ يَلْقَى عُرَامَهُ
أَبَى غَيْرَ الشَّهَامَةِ وَالْكَرَامَةِ
تُرَاثَ الشَّرْقِ أَوْ يَرَعَى ذَمَامَهُ
وَسَلَّتْ عِزَّمَهُ وَجَلَّتْ حُسَامَهُ
وَأَنْفَذَ مِنْ مِضَارِبِهَا هُمَامَهُ
وَذِيدَ، فَمَا أَطَاقَ بِهَا مَقَامَهُ
فَعَادَتْ مِنْهُ وَادَّرَأَتْ حِمَامَهُ!
دَمًا حَرًّا وَرَوْحًا مَسْتَهَامَهُ
وَلَا يَنْسَى الْكَمِيَّ بِهَا غَرَامَهُ
وَتُشْجِيهِ بِرَنَّتِهَا الْحَمَامَهُ
إِلَى خَطَرٍ تَعَشَّقُهُ وَرَامَهُ

يَصِفُ الْبَيْضَ وَالسُّمَرِ الْعَوَالِي وَيَفْرُكُ رَاحِيَتَهُ دَمًا وَنَارًا
كذلك رأى الحياة فما اجتواها مفازعُ للردى إن لاح فَرَّتْ
ويرقبُ من فم الصُّبحِ ابتسامَه يُغْنِي حُبَّه وَيُدِيرُ جَامَه
ولا عرفَ الملالة والسَّامَه وراءَ خطاهُ وارتدَّتْ أَمَامَه!

* * *

أخا الهجاء كيف شَهِدَتْ حَرْبًا وكيف رَأَيْتَ بعدَ الحربِ سَلَمًا
وقالوا: عَالَمٌ قد جَمَلُوهُ تناثرتِ الممالكُ فِيهِ حتَّى
متاهاتُ تَضِلُّ بِهَا اللَّيَالِي فَلَسْطِينُ الشَّهِيدَةِ فِي دِجَاهِ
أقامَ الْمُسْتَبَدُّ على حِمَاها وجاءَ بِأَبْقَى لَفْظَتُهُ دَارٌ
أباحَ له على كَيْدٍ جَنَاهَا وَعَلِمَهُ الرَّمَايَةَ وَاجْتَبَاهُ
نَدِيمُ الْأَمْسِ سَقَاهُ بِكَأْسٍ رَمَى الشَّيْطَانُ عَنْ فَخَّارَتِهَا
ألا لا يَمْرَحُ الْبَاغُونَ فِيهَا مُحَالٌ أَنْ تَطْيِبَ لَهُمْ حَيَاةٌ
عَرُوبَتُهَا على الْأَدْهَارِ أَبْقَى أَتَهْدَأُ وَهِيَ فِي الْغَمَرَاتِ تَأْسُو
ومفتيها الْأَمِينُ ومفتديها فتى أحرارها ما غَابَ عَنْهَا
كَأْمَسُ، كَعَهْدِهَا، لَمْ يَغْفُ عَيْنًا يُولِّفُهَا على الْأَحْدَاثِ صَفًّا
جَهَادٌ فِي الْعُرُوبَةِ وَاحْتِشَادٌ يُذَكِّرُ هَوْلَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
تَمَلُّ بِالضَّغِينَةِ وَاللَّامَةِ فَلَمْ يَعُدَّ الشَّنَاعَةَ وَالْدَمَامَةَ
لَتَعَجَزَ أَنْ تُبَيِّنَ لَهَا حَطَامَةَ وَلَا يَدْرِي بِهَا فَلَكُ نِظَامَةِ
مُفَرَّغَةُ الْخَوَاطِرِ مُسْتَضَامَةِ فَعَاثَ بِهَا وَأَفْرَدَهَا طَغَامَهُ
وَأَفْأَقَ يُحْمَلُهَا أَثَامَهُ وَشَاطِرُهُ على حُبْنٍ مَدَامَهُ
فَسَدَّدَ فِي مِقَاتِلِهِ سِهَامَهُ! أَحَسَّ لَهْيَبِهَا وَرَأَى ضَرَامَهُ
وَعَضَّ على نَوَاجِذِهِ نَدَامَهُ فَلَنْ يَنْسَى لَهَا الْحَقُّ انْتِقَامَهُ
عَلَيْهَا، أَوْ تَدُومُ لَهُمْ إِقَامَةُ وَأُثْبِتْ مِنْ رِوَاكِهَا دِعَامَهُ
جَرِيحًا؟ أَوْ تَشُدُّ لَهُ ضِمَامَهُ؟ وَرَاءَ تَخُومِهَا يَشْكُو هِيَامَهُ؟
وَلَا مَنَعَ الْخِيَالَ بِهَا لِمَامَهُ بَلِيلٌ أَقْسَمْتُ أَلَّا تَنَامَهُ
جَسُورَ النَّفْسِ جَبَّارَ الْعُرَامَةِ لَهُ التَّارِيخُ قَدْ أَلْقَى زَمَامَهُ

* * *

جراح القلب أو رَوْتُ أُوَامِهِ؟ وقد كاد الجلاء يُتِمَّ عامَهُ لمقتتلٍ أطال به صدامَهُ يَدُ الشَّهْداءِ لم تتركِ عِصامَهُ بأُصْهَبَ تُمِسُّ الدُّنْيا لجامَهُ ولم تَخْفِضْ لَجَبَّارينَ هامَهُ لأهْوالٍ لَقِيَتْ، وكم علامَهُ! يعزُّ الجنُّ أن تَرَقَى سنامَهُ فصان عِراقه وحمى شامَهُ تَرى نَسْراً به وترى أُسامَهُ «عُبَيْدَةَ» وهو في سيفٍ ولامَهُ على أسيافهم رفعوا خيامَهُ!	أخا الصَّبَواتِ هل شَفَتْ الليالي حَلَلَتْ بسوريا بعد اغترابٍ فقلتُ: تحيَّةُ الزَّمنِ المعادي وأشرقتِ الكُتائبُ عن لواءٍ لأُصْهَبَ من أُسودِ الحربِ يمشي حواكَ جلالَةً فحَنيتَ رأساً طريقُ المجد كم أثَّرَ عليه وكم جبلٍ هبطتَ برأسٍ وادٍ حميتَ الغاصبينَ خُطى إليه بجيشٍ من «بني عدنان» فادٍ يروعك «خالد» فيه وتلقى كأنَّ الفاتحينَ مِنَ الأوالي
--	--

* * *

عليه، أذاقَهُ بطشاً وسامَهُ مخالِبَ كاسِرٍ يبغي التهامَهُ كأنَّ بها إلى دمهِ نهامَهُ تَشقُّ بكلِّ مُعْتَرِكٍ زحامَهُ صغا متجبرٌ ووَعى كلامَهُ صريعُ الوهم من يرجو سلامَهُ!	حُماةَ الشرقِ، كم في الغربِ باغٍ وكم أَيْدٍ عليه مُجَرِّداتٍ ذئابٌ حولَ جَنَّتِهِ تعاوى فهزَّوه صوارمَ مُشرعاتٍ هو السيفُ الأصمُّ إذا تَغَنَّى أَعِدُّوا حدَّه لصراعِ دهرٍ
---	---

بطل الريف

وَيْحَ البشير! بأيِّ سَلَمٍ نادَى؟
تَجَنَّبِي العذابَ وتُنَبِّئُ الأحقادَا
شَمْسَ النهارِ — فخالطتُهُ سَوادَا
أُتْرَاهِمُو صَبَغُوا السماءَ جَدادَا؟
لو أَطْفَأُوهُ وَأَسْقَطُوهُ رَمَادَا
وَبُرُوقَ كُلِّ غمامَةٍ تتهادَى
ضَرَبُوا على آفاقها الأَسَدَادَا
تَغْرُزُو كُهوفاً أو تَوُمُّ وهادَا
وقضى الوجودُ ضلالَةً وفسادَا
مَنْ نَصَّ هذا الكوكِبَ الوَقَادَا؟
أَيَّامَ شَعِّ عدالةٍ ورغادَا
أو شَيَّدُوا لحضارةٍ أوتادَا
تبنِي الشعوبَ وتنسجُ الأبادَا
لا تعرفُ العُبدانَ والأسِيادَا
وعِدِيدِكُم تتخايلون عَتَادَا
ماءٌ به تجدُّ الحياةَ وزادَا
قَدَحَتْ به كَفُّ السماءِ زنادَا
وَيَزِيلُ عن أوطانِهِ استعبادَا

لا السيفُ قَرَّ ولا المحاربُ عادَا
الأرضُ من أجسادٍ من قُتِلُوا بها
فاض السحابُ لها دَمًا — مُذْ شَيَّعَتْ
رَأَتْ الجَدَادَ به على أحيائها
وَدَّ الطُّغَاةُ بكلِّ مَطْلَعِ كوكِبٍ
وتخوَّفُوا وَمَضَ الشَّهابُ إذا هَوَى
وَلَوْ أَنَّهُمْ وَصَلُوا السماءَ بعِلْمِهِمْ
لولا لَوامِعُ من نُهَى وَبِصائِرُ
لم يَزِقَّ عَقْلُ أو تَرِقَّ سريرةُ
راعِ الطُّغَاةِ شُعاعُهُ فتساءلوا
إِنْ تَجْهَلُوا فَسَلُّوا به آباءُكُمْ
هل أَبْصَرُوا حُرِّيَّةً إِلَّا به
حَمَلَتْ سَنَاهُ لَهم يَدُ عَرَبِيَّةٍ
هي أُمَّةٌ بالأَمْسِ شادتْ دَوْلَةً
جُرْتُمْ عليها ظالِمِينَ بَعْدَكُمْ
وَمَنَعْتُمُوهَا من مواهبِ أَرْضِها
في المغربِ الأَقْصى فَتَّى من نورِها
سَلَّتْهُ سَيْفًا كي يحرِّرَ قَوْمَهُ

ما بالكم ضقتُم به وحشَدْتُم
أشعلْتُموها ثورةً دَمَوِيَّةً
حتى إذا أوهى القتالُ جَلَدَكُم
جئْتُم إليه تُهادِنون سُيُوفُهُ
وكتبتمو عهدًا — بحدٍّ سيوفكم —
من دونه الأسياف والأجنادُ
لا تعرفون لنارها إخمادًا
ومضى أشدَّ بسالةً وجَلادًا
وسيُوفُهُ لم تسكُنِ الأغمادًا
مَزَقْتُمُوهُ ولم يَجِفَّ مِدادًا

الأهلُ أهْلُك، يا أميرُ، كما ترى
أنى نزلتُ بمصرَ أو جاراتِها
مدَّتْ يديها، واحتوتْكَ بصدرها
ولو استطاعت رَدَّ ما استودَعَتْها
وأَتَتْكَ بالذِّكرِ الخوالِدِ طاقَةً
ماذا لَقِيتَ من الزمانِ بصخرةٍ
وبَلَوْتَ من صَلَفِ الطُّغَاةِ وَعَسْفِهِم
جعلوا البحارَ، ومثلُهنَّ جبالُها،
دَعُوهُمْ! فأنتَ سَخِرْتَ من أحلامهم
عشرينَ عامًا، قد حَرَمْتَ عيونَهم
يَتَلَقَّوْنَ وراءَ كُلِّ جزيرةٍ
من أيِّ وادٍ ... موجةً هَتَفَتْ بِهِ
لو أنصفوا قَدَرُوا بطولَةَ فارسٍ
نادَى بأحرارِ الرجالِ فقَرَّبُوا
يدعو لحقٍّ أو لإنسانيَّةٍ
شيخُ الفوارِسِ حَسْبُ غَيْتِكَ أن ترى
«الرَّيْفُ» هَبَّ منازلًا وقبائلًا
حَنَ الحُسامَ لِقَبَضَتَيْكَ، وَحَمَحَمَتْ
وعلى الصَّحارى من صَدَاكَ مَلَجِمٌ
أَوْحَتْ إلى العُرَبِ الحُدَاءَ، وَالْهَمَمْتُ
عبدَ الكريمِ انْظُرْ حِيالَكَ هل ترى
والدَّارُ دارُكَ قُبَّةً وَعِمَادًا
جئْتَ العُروبةَ أُمَّةً وبِلادًا
أُمُّ يَضُمُّ حنانُها الأولادًا
رَدَّتْ عليك المَهْدَ والميلادًا
كَأَجَلٍ ما جمعَ المحبُّ وهادى
قاسَيْتَ فيها غُرْبَةً ووَحادًا
فيها الليالي والسنينَ شِدَادًا
سَدًا عليك وأوسعوك بِعادًا
وأَطَرْتُهُنَّ مع الرياحِ بِدادًا
غُمَضَ الجفونِ، فما عَرَفْنَ رُقَادًا
ويسائلون الموجَ والأطوادِ
ومضى، فحملَها السلامُ، وعادا
لبلادِهِ بَدَمَ الحُشاشَةِ جادا
مُهْجًا تموتُ وراءَهُ استَشهادًا
تأبى السجونَ وتَلَعُنُ الأصفادا
هذي الفتوحَ وهذه الأمجادِ
يدعو فتاهُ الباسِلِ الدَّوَادِ
خَيْلٌ تُقَرِّبُ من يديكَ قِيادا
تُشْجِي النُّسُورَ وتُطَرِّبُ الآسادا
فُرسانهم تحت الوغى الإنشادا
إِلَّا صراعًا قائمًا وجهادا

الشرق أَجْمَعُهُ لواءً واحدٌ
لم يتركِ السيفُ الجوابَ لسائلٍ
سالتِ حلوُ الهاتفينِ دماً، وما
فصُغِ البيانَ به، وأنطقُ حَدَّهُ
كَذَبَتْ مودَّاتُ الشِّفاهِ ولم أَجدُ
نَظَمَ الصفوفَ وهيَّ القُوَّادِ
أو يَنْسُ من مُتَرَقِّبِ ميعادِ
هَزُوا لطاغيةِ الشعوبِ وسادِ
يَسْمَعُ إليك، مَكْرَرًا ومُعَادِ
رغمِ العداوةِ كالسيوفِ ودادِ

لَهَجَتْ قلوبٌ بالذي صَنَعَتْ يَدُ
حَمَلَتْ نَدَى مَلِكٍ، وَنَخْوَةَ أُمِّ
وَحَمَتْ عَزِيزًا لا يَقَرُّ، وَأَمَنْتُ
فادٍ من الغُرِّ الكُماةِ مجاهدُ
جارتِ عليه الحربُ ثم تعقَّبَتْ
زُغْبُ صِغارٌ مثلُ أفراخِ القَطَا
هو من رواسي المجدِ إلَّا أَنَّهُ
رَجُلٌ رأى شَرًّا، ففادَى قَوْمَهُ
ظلموا هواهُ إذْ أَحَبَّ بِلادَهُ
شَدَّتْ لِحْزُحِ المسلمينِ ضِمادِ
صانتِ بها شرفًا أَشَمَّ تِلَادِ
حُرًّا يقاسي الجورَ والإبعادِ
تتنازعُ الآلامُ منه فؤادِ
في السِّلْمِ تحتِ جَنَاحِهِ أَكبادِ
وحرائرُ يَتَنَّ السنينِ سُهادِ
عَصَفَ الزمانُ بِجانِبَيْهِ فمادِ
وأَحَسَّ عادِيَّةً، فَهَبَّ، ورادى
ما كانَ ذَنْبًا أَنْ أَحَبَّ ففادى!

إندونيسيا

أم الشمس يجري فوق صفحتها الدّم؟
سيوفٌ تُغني أو حتوفٌ تُرنمُ
على جُثثٍ منهن يزوى ويَطعمُ
وهنّ لأهل الغرب نهبٌ مُقسّمُ
يُدارُ على الشرِبِ الرحيقُ ويُسجَمُ
كأنّ صداه الغيبُ، لو يتكلّمُ!
وتُشفقُ أنواءٌ، ويفرقُ عيَلُمُ
فلا تَمّ آفاقٌ، ولا تَمّ أنجمُ
إذا الأرضُ غشاها ضلالٌ ومأثمُ
من العيش ما يقضي القوي ويُبرمُ
يُباعُ ويُشرى فيهم ويُسومُ
لمغتصبٍ، أو من عذابٍ تألّموا!
وفيم أحلّوه لقومٍ وحرّموا؟
على الحقّ، بل روحٌ على الجور ينقُمُ
على الأمس كانت كالمزامير تُنغمُ
من النّارِ تُذكيها رياحٌ تهزّمُ
أُضيعَ، وحقٌّ يُستباح ويُهضمُ
إلى النورِ، يطويها ظلامٌ مُخيّمُ

سحائبٌ حمراءٌ؟ أم سماءٌ تَصرّمُ؟
على مَشْرِقِ الإصباح من «إندونيسيا»
فوق رُباها يزحفُ الموتُ ضاحكًا
فراديسُ شرقٍ ذيدٌ عنهن أهلهُ
يُدارُ بها ماءُ الجماجمِ مثلما
وفي أرضها أو أفقها صوتٌ مُحنقُ
تميد الصّحارى والجبالُ لوقعه
وترتدُّ حتّى الشهبُ عن سَبَحَاتِها
وفيم تُضيءُ الشمسُ أو يشرق السّنا
وأصبح فيها المضعفون وحظّهم
أذلاءٌ إن ناموا، أرقّاءٌ إن صحوا
يُسَمّونَ ثورًا إذ ما تجهّموا
لآيةٍ إنسانيةٍ ذلك الوغى؟
رويدًا بُناة الكون، ما تلك ثورةُ
وما هي إلّا منكمو رَجْعُ صيحةٍ
هو الشرقُ ثارت روحه فهو لُجّةُ
يُنادي بعهدٍ بين يومٍ وليلةٍ
وحريةٍ موءودةٍ، طال شوقها

نُدَّاسُ، وَيُؤْبَى أَنْ يَبُوحَ لَهَا فَمُ!
 جَلَّالُكَ مَوْفُورٌ، وَعَهْدُكَ مُكْرَمُ
 كَأَنَّكَ فِيهِمْ عَنْ «سَلِيمَانَ» تَحْكُمُ
 وَفِي رَاحَتِكَ السَّبْعَةُ الْخَضِرُ تُسَلِّمُ
 لَغَيْرِكَ، أَوْ يَبْعُدُ بِهِ عَنْكَ مَغْنَمُ
 عَلَى أُمَّةٍ عِزْلَاءَ بِالسَّلَامِ تَحْلُمُ؟
 بِأَجْنَحَةٍ تَغْزُو النُّجُومَ وَتَرْحُمُ
 عَلَى نَسَمَاتٍ فِي الْغُصُونِ تُهَيِّنُ؟
 تَنَازَعَهَا «الْمِيكَادُ» غَضَبًا وَ«وَلَهُمُ»
 يُرَادُ بِهِمْ أَنْ يُمَسَّخُوا أَوْ يُحَطَّمُوا!
 مِنَ الدَّهْرِ هَذَا الْبَارِقُ الْمَتَبَسِّمُ
 وَطِيفُ بَرُؤْيَاهِ نُسْرٌ وَنَزْعُمُ
 نَذِقُ مِنْ نَعِيمِ الْعَيْشِ مَا نَنْتَوِّهُمُ
 نُمَثِّلُ مِنْهُ بَعْضُ مَا كُنْتَ تَزْعُمُ!
 لَنَا فِي مَرَاقِي الْعِلْمِ وَالْفَنِّ سَلْمُ
 طَمُوحٌ، وَقَلْبٌ بِالْمَحَاسِنِ مُغْرَمُ
 مَاثِرٌ لَا تَبْلَى وَلَا تَتَهَدَّمُ
 أَوَائِلُنَا، لَسْنَا عَلَى الْبَذْلِ نَنْدَمُ!
 بِهِ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُونَ تَقْدَمُوا
 لَهُ أَثَرٌ فِي الْكُونِ أَسْمَى وَأَضْخَمُ
 أَيْدِيهِ شَتَّى، حُسْنِيَّاتٌ وَأَنْعَمُ
 فِي ضَوْئِهِ لِلْحَقِّ هَدْيٌ وَمَعْلَمُ
 يَلْنُ مِنْكَ قَلْبٌ بِالْحَدِيدِ مُلْتَمُّ
 مُقَامًا، وَأَنَا أُمَّةٌ لَيْسَ تُظْلَمُ
 فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ... فَالْشَّرُّ بِالْشَّرِّ يُحْسَمُ!

مُكَبَّلَةِ الْكَافِّينَ، مَغْلُولَةِ الْخُطَى
 سَلَامًا، سَلَامًا، سَيِّدَ السَّلَامِ وَالْوَعَى
 وَيَعْنُو إِلَيْكَ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ طَاعَةً
 وَبَيْنَ يَدَيْكَ الْأَرْضُ تُلْقِي زَمَامَهَا
 وَلَمْ تَبْقَ فِي الْكُونِ السَّحِيقِ رَحَابَةٌ
 فَمَا لَكَ بِالْأَسْطُولِ وَالْجَيْشِ وَاثْبًا
 وَتَنْقُضُ مِثْلَ النِّسْرِ فَوْقَ سَمَائِهَا
 أَلَا قِيَّتْ فِي أَجَوَائِهَا غَيْرَ طَيْرِهَا
 وَأُبْصَرَتْ إِلَّا أُمَّةً مِنْ «مُحَمَّدٍ»
 مَلَائِينَ مِنْ كَرَّمَ اللَّهُ خَلْقَهُمْ
 أَنْلَ هَذِهِ الدُّنْيَا رِضَاكَ، وَحَسَبْنَا
 سَرَابٌ مِنَ الْأَوْهَامِ نُسْقَى بِلَمْعِهِ
 وَدَعْنَا بِمَعْسُولِ الْمُنَى وَوَعُودِهَا
 وَنُبْدِعُ لِهَذَا الْكُونِ فِي الْوَهْمِ صُورَةً
 فَإِنَّا شُعُوبٌ مِنْ سُلَالَةِ «آدَمِ»
 لَنَا خَطَرَةٌ تَهْوَى الْخِيَالَ، وَنَظَرَةٌ
 عَلَى أَنَّنا نَبْنِي عَلَى الْحَقِّ وَالْهَدَى
 وَنَرْعَى مَوَاقِيقَ الْوَفَاءِ، كَمَا رَعَتْ
 مِنَ الصِّينِ حَتَّى سَاحِلِ الْغَرْبِ عَالَمُ
 بَنُوهُ حَضَارَاتٍ ضَخَامًا، وَلَمْ يَزَلْ
 نِظَامُ مِنَ الشُّورَى وَعَهْدٌ مِنَ الرِّضَا
 سَلِ الْعَامِ إِنْ أَوْفَى عَلَيْكَ هَلَالُهُ
 لَعَلَّكَ إِنْ يَمَسُّسَكَ مِنْ نُورِهِ سَنَا
 وَيُنْبِئُكَ أَنَّا لَا نَطِيقُ عَلَى الْأَدَى
 عَلَى الْحَقِّ نَجْزِي مِنْ جَزَانَا بِحَقِّنَا،

في صفوف المجاهدين

آب الزعيمُ اليوم من أسفاره
نَصَلَ الدُّجَى ألقى عصا تسياره
لِيُنْقِلَ التاريخ في أدواره
ورمى بأسره وذل إساره
ضرب الوجودُ بها وراء بحاره
في مائجٍ مُتَلَثِّمٍ بخطاره
ويروع وحش البحر صَمْتُ قراره
حتى أُتَحَنَ فكنَّ من أخباره
يطلعُ بها زمنٌ على حُضاره
يا مَنْ غدا التاريخُ من آثاره
حربَ الفدائيين من أنصاره
والكونُ كيف يضيق عن أحراره
يجري الدمُ القاني ومن أظفاره
«داودُ» لما يَشْدُ في مزماره
والبرقُ، بعضُ دخانه وشراره
أَنَّ المَآمنَ هن من أخطاره
ودمُ الجناية صارخٌ بيساره
كالليل بدَّه الضُّحَى بمناره

رُدُّوا على الوادي ربيعَ نهاره
جاء البحارَ إليكم حتى إذا
هذا الذي قدر الإله حياته
الأعزلُ المنفيُّ فارق قيده
عجباً يُخَافُ مطارِدُ بجزيرة
فَيُجَشِّمُ المنفى البعيد بصخرة
تخشى أساطيلُ الغزاة عبوره
سَيَرُ من الأمجاد لم يُسَمَعْ بها
تلك البطولة لم تكن يوماً ولم
قم حدثُ التاريخ غير مُكْذَّبٍ
أنت المصاولُ عن حماك فصِفْ لنا
والأرضُ كيف تَصُدُّ عن رحائها
والغاصبُ السِّفَاحُ من أنيابه
يا من شَدَوْتُمْ بالسلام رويدكم
تحت الرَّماد وميضُ نارٍ، فالدجى
رُدُّوا السلامَ إلى الحوادث تشهدوا
حمل البشير قميصَه بيمينه
هذا ضياءُ العدل بدَّد ظلمهم

* * *

سعدُ أهلٍ به وسعدُ جاءكم
فاستقبلوه كعهديكم وتخيروا
قالوا: نفيّت! فهل نفى عنك الهوى
لا تلح من كفروا بدعوتك التي
آثامهم فزعتُ بخالقهم فدع
والله لو لمسوا فؤادك لانتثنوا
ومحا سناه ظلام أنفسهم وما
الشعبُ مثل البحر إن يغضبُ فما
ورجاله الأبطال، ويح رجاله
خاضوا الحتوفَ فما انتثت عزماؤهم
طلعوا على حصن الظلام فزحزحوا
قذفوا به غضب السرائر فانظروا
أمسى ورايات الجهاد خوافقُ

بالحق أبلج في سماء دياره
لجبينه العالي مضفر غاره
ظلم سُقيتِ الأمس كأس عقاره
وضحت وخل أذى المسيء وداره
لله حكم الله في كفاره
جزعين مما لامسوا من ناره
حملن من ذل النكوص وعاره
تقف السدود الشم في تياره
لم يهدءوا والظلم في تهداره
عن قاهر الوادي وعن جباره
أحجاره ومشوا إلى أغواره
للحصن يسقط في يدي ثواره
حمر منشرة على أسواره

شهيد ميسلون

مهلاً! فديتُك، ما الصباحِ بواضحِ
فَجَاءَتْكَ بالشوقِ الملحِ البارِحِ
ووثبتَ في غَسَقِ الظلامِ الجانِحِ
حَمْرَاءُ تُرْعَشُ في وميضِ لامِحِ
هوجاءُ تُنذرُ بالقضاءِ الجائِحِ
هانَتْ على سيفِ المغيرِ الطامِحِ
نَرَعَى خُطَاكَ على رُبَى وأباطِحِ
بجوانِحِ مشبوبةِ وَجَوَارِحِ
أيقنْتَ أَنهمُ فريسةُ جارِحِ
السابحونَ على السَّعِيرِ اللافِحِ
شَتَّى جَمَاجِمِ في الترابِ طرائِحِ
مُهَجًّا تَضُرِّمُ في حُطَامِ صفائِحِ
أَلْفَيْتَ، ما أَلْفَيْتَ غيرَ جرائِحِ
دمويةٍ، ورأيتِ أَيَّ مَذابِحِ
ماجتُ بباغِ في دُمائِكِ سابِحِ
ذاتُ الجلالةِ تحتِ سيفِ الفاتِحِ!
شَمَاءَ من جَلَّادِها المتصايِحِ
في «ميسلون» دَمَ الشهيدِ النازِحِ

هَبَّ الكميُّ على النفيرِ الصَّادِحِ
أَيُّ الملاحمِ بينَ أبطالِ الوغى
فَقَضِيَتْ ليلُكَ لا هدوءَ ولا كَرَى
والشرقُ من خَلْفِ الجبالِ غمامَةٌ
سَلَّتْ حَرَابَ البرقِ فوقَ سَمَائِهِ
هي صيحةُ الوطنِ الجريحِ وأُمَةٌ
قَرَنْتُ بحظِّكَ حَظَّها فتماسكتُ
في مَوْكَبِ الفادينِ مجدُ «أُمِّيَّة»
لو قَسَّتْهم بعدوُّهم وسلاحه
الخائضونَ الفَجَرَ بحرِ مصارعِ
الناهضونَ على السيوفِ وتحتِها
الرابضونَ على الحصونِ خرائِبًا
صرعى ولو فَتَّشْتَ عن أجسادهم
يا «مَيْسَلُون» شَهِدْتَ أَيَّ رِوَايَةٍ
ووقفتِ مُنْخَنَةَ الجراحِ بحومةٍ
تتألمين «دمشق» يا لهوانها!
جَرَّتْ حَدِيدَ قيودِها وتقدَّمتُ
نَسَيْتُ أَلِيمَ عذابِها وتذَكَّرتُ

من هبَّ في غسق الظلام يحوطها
وتَسَمَّعتُ صوتًا فكان هتافُهُ
أُمَاهُ! خانتني المقادر فاغفري
بذراع مقتتلٍ وصدرٍ مُكَافِحٍ
يا للحبيب من المحبِّ البائح!
قَدْرِي، وإن قلَّ الفداء فسامحي!

«فيحاء» إن نصَّتِ حواليكِ القرى
وتواكب الفُرسان فيك وأقبلوا
وشدا الرعاة الملهمون وأغرقوا
أقبلتُ بين صفوفهم مُتَقَرِّبًا
حيث الشهيد رنا لمطلع فجره
وتَلَفَّتْ لِكَ رُوحُهُ فتمثَّلتُ
حيث الرُّبى في «ميلسون» كأنما
وكأنما غَسَلَتْهُ «بغدادية»
أسعى إليه بكلِّ ما جمعتُ يدي
وهو الجدير بأن أُحْيِيَ باسمه
من كلِّ حُرٍّ، نافضُ مما اقتني
أو كُلِّ فادٍ بالحياة عشيرُهُ

قُلْ للدعاة المحسنينَ ظنونهم
لا تُغرينَكم وعودُ محالفٍ
تمضي السنون وأنتم من وعده
والله لو حسر القناع لراكم
من كلِّ مصاص الدماءِ مُنَوِّمٍ

بالغرب: ماذا في السَّرابِ لماتح؟
يطأ الممالك بادِّعاءٍ مصالحٍ
تَنَقِّلبون على ظهور أراجيحٍ
قَبْرُ أَعْدَ لَكُمْ وَخِنْجَرُ ذابحٍ
يُدْعَى بمنقذِ أمةٍ ومُصالحِ!

يا «يوسف» العظمت غرسك لم يَضَعْ
قَمَّ لحظةً وانظر «دمشق» وقُلْ لها:
وجَنَاهُ أخلدُ من نتاج قرائحٍ
عاد الكميُّ مع النفير الصَّادِحِ

شَهِيدٌ مُسْلِمٌ

ودعاكِ يا بنتَ العروبةِ فانهضي واستقبلي الفجرَ الجديدَ وصافحي!

سُورِيا وعيد الجلاء

تحية واعتذار

يَنْدَى هَوَاكِ عَلَى هَامَاتِهِمْ غَارَا
لَمْ يَمْتَشِقْ فَيْكَ سَيْفًا أَوْ يَخْضُ نَارَا
لِلْمَجْدِ يَبْنِيهِ أَطَامًا وَأَسْوَارَا
دَمًا يُرَوِّي الثَّرَى أَوْ يَغْسِلُ الْعَارَا
يَوْمُ تَبَارَكَ أُنْدَاءُ وَأَسْحَارَا
عُرُوبَةٌ فَيْكَ تَلْقَى الْأَهْلَ وَالْدَارَا
نَارًا، وَهَاجَ النَّسِيمُ الْعَذْبُ إِعْصَارَا
شَدَّتْهُ قَوْسًا، وَسَلَّتْ مِنْهُ بَتَّارَا
مَدَّ النَّبُوغُ لَهُمْ فِي الْخَلْدِ أَعْمَارَا
سَمَّاهُمْ الْغَاصِبُ الظَّلَامُ ثُورَا
عَلَى الطَّوَاغِيتِ حِصْنُ الظُّلْمِ فَانْهَارَا

هَنَأْتُ بِاسْمِكَ تَحْتَ الشَّمْسِ أَحْرَارَا
دَمَشَقُ! يَا بِلَدَ الْأَحْرَارِ، أَيُّ فِتْنَى
ذَوْدًا عَنِ الْوَطَنِ الْمَعْبُودِ، مِنْ دِمِهِ
رَكَتْ «أُمِّيَّةٌ» فِي أَعْرَاقِهِ وَجَرَتْ
عِيدُ الْجَلَاءِ أَسْمِيهِ وَأَعْرِفُهُ
جَلَا عَنِ الشَّرْقِ لَيْلَ الْبَغْيِ حِينَ جَلَا
لَوْلَا مَصَابُ دَهَى الْوَادِي فَشَبَّ بِهِ
وَرَوَّعَ الْأَمَّةَ الْغُلَبَاءُ فِي رَجُلٍ
مِنَ النَّوَابِغِ أَعْمَارُ إِذَا قَصُرَتْ
أَحْرَارُ مَمْلَكَةٍ فِي الرَّأْيِ مَا أَثْمُوا
ثَارُوا عَلَى الْقَيْدِ حَتَّى انْهَلَّ، وَاقْتَحَمُوا

أَطْوَى بِهِ الْجَوَّ آفَاقًا وَأَقْطَارَا
تَحْتَ الصَّفَائِحِ مَقْدَامًا وَمَغْوَارَا
مَا يَنْظُمُ الْمَدْحَ أَلْحَانًا وَأَشْعَارَا!

لَوْلَاهُ كَانَ إِلَيْكَ الْبَرْقُ رَاحِلَتِي
وَجِئْتُ «فِيحَاءُ» أَزْجِي الشَّعْرَ مُفْتَقَشَدًا
وَالْمَفْتَدُونَ، شُرَاةُ الْخَلْدِ، قَلَّ لَهُمْ

في عالم الذكرى

محمد صبري أبو علم باشا

رغم الفراق بهذا العالم الفاني
عن صفحتي مَرَح في الخلد جَدَلَانِ
عينين حَدَّثَتَا عن رُوح فنَّانٍ
كعهده، وأراه مِلء وجداني
ما في طباعك من حُسْن وإحسانٍ
أُنْكِ بحكمتهم أحلام شُبَّانٍ
في منطق جهوري الصَّوت رَنَّانٍ
وفي الثَّرى منه زاهرٌ، فوق أفنانٍ
فلم تَرُعْهُ بأشكال وألوانٍ
لا خوف بطش ولا زُلْفَى لسلطانٍ
حرًّا، ويجري حبيسًا بين شطآنٍ
شَتَّى روائع في حقل وبستانٍ
عنه، ويُغرق فيه كلُّ بهتانٍ
لا يأمن العدلُ فيه سطوة الجاني
صُنْع السماء تَرَى؟ أم صُنْع إنسان؟

أَلْقَاكَ في عالم الذكرى وتلقاني
أرْنو إلى وجهك الضَّاحي فيشرق لي
وأجتلي لَمَحَاتِ العبقريَّة في
لَأَنْتَ حيٌّ برغم الموت، أَسْمَعُهُ
عذبُ البيان، سَرِيُّ اللفظ مَارَجُهُ
يُذْكِ الشيوخَ بأحلام الشبابِ وكم
أَصْغِي إليك، عميقَ الفكر، ملتَمِعًا
كالغيث يلمعُ في الأفاق بارقُهُ
عَفُّ الضمير حَوَى الدنيا بنظرته
مُقَيَّدٌ بعريقٍ من خلائقه
كالنهر يقتلع الأسداد، منطلقًا
يُعْطِي الحياةَ لأقوام وينشرها
تمثِّلُ الحقَّ يرمي كلَّ شائبةٍ
حامي القضاء وراعي العدل، في بلدٍ
ورافع الصَّرح لاستقلاله، عَجَبًا!

صبري! أحقَّ طواكَ الموتُ؟ كيف؟ وما
كالأمس ضَجَّتْ فهل أَسْمَعَتْ هاتِفها
هذي المواقِبُ من قاصٍّ ومن داني
صدى هُتافِكَ في جنَّاتِ رضوانٍ؟
يا صاحبَ الخلدِ هذا يومُكَ الثاني!
قُمْ بِبُشْرِ الحَقِّ واخْطُبْ في كتابِهِ

يا واهِبَ الثَّورَةِ الكُبرى يَفَاعَتَهُ
وصاحِبَ العَهْدِ لم يَطْرَحْ أمانَتَهُ
حينَ الشَّبابِ رُؤى غيْدٍ وألحانٍ
كهلاً يُصاوِلُ عن أهْلِ وأوطانٍ
بحبِّها، مَنْ لَهذا المَذْنَفِ العاني
عادي الرَّدَى، وهو لا واهٍ ولا واني
يا للشَّهيدِ صريعاً ملءَ حومتِهِ
سيفاً خُضيباً وجُرْحاً من دمِ قاني!

هذي الصَّحائفُ من مجدٍ ومن شرفٍ
نخائرُ الوطنِ الغالي يُرْتَلُّها
فيها أغانٍ لعشَّاقٍ قد افتقدوا
أحرارُ مملكةٍ أُرْسُوا دعائمها
لم يَزْهَبُوا سَوْطَ جَلَدٍ ولا حَفَلُوا
ولا أقاموا على ذُلٍّ وإنْ زهَبوا
همو البُناةُ وإنْ لم يذكروا يَدُهُمْ
لا تسألَنَّ الضحايا عن مآثرهم!
هيهاتَ يُسَلِّمها دهرٌ لنسيانٍ
على مسامعِ أَجْيالٍ وأزمانٍ
أوطانهم، وأنشيدُ لفرسانٍ
على أساسٍ من الشُّورى وأركانٍ
بسيفٍ باغٍ ولا أَصْفادِ سَجَانٍ
على دموعٍ وآلامٍ وأشجانٍ
فيما يَرى الجيلُ من مرفوعِ بنيانٍ
وسائلُ الأثرِ الباقي: مِنَ الباني؟

ذكراكَ ما سنحت للفكر، أو عَبَرْتُ
فَزَعْتُ منها إلى الأوهامِ أسألُها
قد أذهل الخطبُ شعري عن شواردهِ
فجئتُ أَجْريهِ دمعاً في يدي رَجُلٍ
هذا الذي باركتُ مصرَ زعامتَهُ
بالقلب، إلّا وهاجت نارَ أحزانٍ
أربِعونَ مَضَتْ؟ أم مَرَّ عامان؟
وأنسيَتُ كلماتي شَدَوَ أوزاني
قد صاغه الله من حقٍّ وإيمانٍ
وقَبَلْتُ جُرْحَها في قلبه الحاني!

الأمير المجاهد

رزءُ النُّهى وفجیعةُ الأَقلامِ
بصفوفهم مستقتلِ مقْدَامِ
في الشرقِ وحیَ یراعةٍ وحسامِ
أُصرِیعِ حربٍ أمْ شهیدِ سلامِ؟
خُضَّتْ الحیاةُ كثیرةَ الآلامِ
هُوجٌ وموجٌ مُزبدٍ مترامي
مُتَجَبِّرٌ، أو غاصبٍ ظلامِ
في مَوَكِبٍ من ذائدينِ كرامِ
متجمِّعينِ على هوىِ ووائِمِ
سیلُ الرُّبىِ وشوامخِ الأعلامِ
دَعَاَ النفوسِ وصحَّةَ الأجسامِ
قلماً یصاولُ دونه ویحامي
في الله عَن عربٍ وعن إسلامِ

رزءُ العروبةِ فیکَ والإسلامِ
هو مَأْتَمُ الأحرارِ في متوئِبِ
أبَا المثالیينِ صوتُكَ لم یزل
وَنَدَاءٌ فادٍ تسألُ الدنیا بهِ
لخلاصِ دارٍ أو فکاکِ عَشیرةِ
واجتزتْ جِسْرَ العمرِ بین عواصفِ
وشهرتها حرباً على مستعمرِ
تَلَقَّى ببسمتكِ العریضةِ نارها
متفرِّقینِ على البعادِ منازلًا
كالبحرِ ما جَ وفي غواربهِ التَّقَى
وقفوا الحیاةَ على الجهادِ وقَرَّبوا
إرثُ الجدودِ الصيدِ أنتَ وَهَبْتَهُ
وشبابٌ مهدورِ الدماءِ مجاهدٌ

* * *

مَسْحُورَةُ الأفنانِ والأکمامِ
أَعْلَامُ آلِهَةٍ على أَطامِ
مَسْرَى البیانِ ومسبحُ الإلهامِ

الشاعرُ الغریدُ نازحُ جَنَّةِ
أُفیاؤها ظِلُّ الدهورِ، وأرزها
قامت على جَبَلٍ أَشْمٌ، سماءُهُ

تَهْدِي إِلَيْهِ بِكُلِّ مَغْرَبٍ كَوَكَبٍ أَشْوَاقَ نِضْوَيِّ لَوْعَةٍ وَغَرَامٍ
أُمُّ تَحَنُّ إِلَى لِقَاءِ نَجِيبِهَا وَأَبُّ، هُوَ الْوَطْنُ الْمَشُوقُ الظَّامِي
يَتَسَاءَلَانِ مَتَى الْإِيَابُ؟ وَيَوْمُهُ يَوْمُ الرَّحِيلِ، وَلَاتِ حِينَ مَقَامِ

مَرَّتْ «جَنِيفُ» بِخَاطِرِي فَتَمَثَّلْتُ صُورَ الشَّهِيدِ كَأَنَّهُنَّ أُمَامِي
مَتَوَحِّدًا فِي غُرْبَةٍ، مَتَوَقِّدًا بِصَبَابَةٍ، مَتَفَرِّدًا بِسِقَامِ
شَيْخٌ يَدُبُّ عَلَى عَصَاهُ، وَقَلْبُهُ مَتَوَتِّبُ الْأَمَالِ وَالْأَحْلَامِ
يَطْوِي الثَّمَانِينَ الْوُضَاءَ مَلِيئَةً بِمَوَاكِبِ لِلذِّكْرِيَّاتِ ضَخَامِ
وَجَلَّائِلُ لِلْمَأْثَرَاتِ مَوَاتِلُ وَجَحَافِلُ لِلْحَادِثَاتِ جَسَامِ
هِيَهَاتَ مَا أَوْهَتْ قَوَاهِ وَلَا تَنَتْ مِنْ خَطْوِهِ عَنْ غَايَةِ وَمَرَامِ
هِيَهَاتَ مَا نَالَتْ عَلَى إِرْهَاقِهَا مِنْ قَلْبِهِ فِي نَضْرَةٍ وَوَسَامِ
هِيَهَاتَ مَا شَابَتْ بِمُرٍّ مَذَاقِهَا فِيهِ حِلَاوَةُ رُوحِهِ الْبَسَامِ
طَلُقَ الْجَبِينِ عَلَى نَدْيٍ شِمَائِلُ كَالْفَجْرِ بَيْنَ أَشْعَةٍ وَغَمَامِ

يَا ابْنَ الْإِمَارَةِ نَافِضًا مِنْ إِرْثِهَا يَدَهُ لِنَضْرَةٍ مَبْدَأٍ وَزِمَامِ
حَيْثُ الْغِنَى وَالْجَاهُ فَتَنَةٌ مَعِشَرِ عَنْ قَوْمِهِمْ مِتْخَلْفِينَ نِيَامِ
صَفٌّ كَيْفَ أَبْصَرْتَ الْحَيَاةَ وَأَنْتَ فِي عَزِّ الْمُلُوكِ وَهَيْبَةِ الْحُكَّامِ
وَرَأَيْتَ دُنْيَا الْمَالِكِينَ بِعَالِمِ مِتْخَوْنٍ، مِتْلُونٍ، هَدَّامِ
تُؤْمِي إِلَيْكَ قُصُورَهُمْ وَكَأَنَّهَا عَيْنٌ مَقْرَّحَةٌ وَقَلْبٌ دَامِي
وَمَشَيْتَ تُنْذِرُ وَالْوَعَى مُتَسَعَّرُ وَالْأَرْضُ غَرَقَى فِي دَمٍ وَضَرَامِ
فِي حَوْمَةٍ مِنْ قَاهِرِينَ تَرَبَّصُوا بِالْمُضْعَفِينَ مَنَافَذَ الْأَيَّامِ
عَنَتِ الشُّعُوبُ لِسَيْفِهِمْ فَتَأَلَّبُوا يَتَنَازِعُونَ مَصَايِرَ الْأَقْوَامِ
يَأْبَى يِرَاعُكَ أَنْ يُفَارِقَ رَاحَةً خُلِقْتَ لِرَدِّ تَحِيَّةٍ وَسَلَامِ
بِيضَاءَ مَلْهَمَةِ الْبَنَانِ مَزَاجُهَا فَيُضُّ مِنَ الْأَضْوَاءِ وَالْأَنْغَامِ
أَخَذَتْ خِنَاقَ الظُّلَمِ فَاسْتَخَذَى لَهَا وَارْتَدَّ يَسْتَرُ وَجْهَهُ بِلِثَامِ
وَتَعَقَّبَتْهُ تَهْزُ قَبْضَةُ ثَائِرٍ فَإِذَا الْحَدِيدُ بِهَا صَدِيعُ حَطَامِ

وإذا الحصون الشامخات حجارة	منثورة، والنار سُحِبَ قَتَامِ
وإذا المجاهد تحت غار جهاده	طُهِرَ اليدين مُخَضَّبُ الصمصامِ
روح يَهْزُ الشرق من أعماقه	وسنًا يمزق عنه كل ظلامِ
ويدُ تُعانقه برغم مَنِيَّةٍ	وقم يُقبِّله برغم حمامِ

مصرع سياسي

كم شهيدٍ فيك مهذور الدماء
كلُّ غَالٍ من متاعٍ ودمٍ
إيه يا مصرُ، خُذي ما شِئْتَه
قيل: أودى «بأمين» قاتلُ
كيف يُودَى بفتًى من خُلُقِه
كمنَ الغدر له، ثم رمى
صاعدًا يرقى على سُلّمِه
دُمُه المسفوك حُبٌّ وندى
ورحيقُ عَطِرٍ من نفحه
وهوى للوطن الحر الذي
لو أناه نبأ عن قتله

لا تُراعي! أنتِ أمُّ الشُّهداء
لكِ يا مصرُ، وما عزَّ الفداء
ولداي المجد منا ما يشاء
كيف يُودي ببنيك الأُمّناء
كلُّ معنًى من سماحٍ ووفاء
عن يدِ عسراءٍ شعواءِ الرّماء
درَجَ المجد ومرموقِ العلاء
ومزاجٌ من حياءٍ وإباء
يُثْمَلُ الأعداءُ قبل الأصدقاء
خرَّ في حومته بعضُ ذماء
قال: وهمُّ وأحاديثُ افتراء

* * *

فتنةٌ حمراءُ شَبَّتْ نارَها
عربدتُ هوجاءً واستشّرتُ قُوى
باطلٌ، إن مرّت الرِّيحُ بهِ
وإذا ما لمح النُّورَ جَرى
لا تقولوا: طائشٌ في رأيه

شهواتٌ ينتحينَ الأبرياءَ
واستبدّتْ بعقول الضعفاءِ
طارَ عن صاحبه وهو هباءُ
وتخفّى تحت جُنح من مساءٍ
إنما الرأيُ من الغدر براءُ

وهمو الأحرار فيها الطُّلقاءُ	إنما الناسُ لهمْ آراؤهمْ
لهمو فيها فراقٌ ولقاءُ	وعلى ودٍّ وبرٍّ وهدى
وتحدَّ الحاكمين الأقوياءُ	غير ما مسَّ دمًّا فاجهرْ به
يكتب الحقُّ ويُمليه العداءُ	واذكر الأوطانَ لا تأخذُ بما
مُزهقُ الأرواح أو مُجري الدماءُ	ليس منْ مصر ولا من أهلها

* * *

فوق ما يحمل طوقُ الزعماءُ	يا زعيمَ الشعب هذي محنةٌ
غرضًا، منه لك الرُّوحُ وقاءُ	ليست الأولى وقد كُنْتَ لها
ليس يُغْفَى منه سكانُ السماءُ	قدَّرَ الله، وما قدَّرَه
كيف أدعوه لصبرٍ أو عزاءُ	من يكن مثلكَ في إيمانه
مصرُ منا فيه أخرى بالرثاءُ!	إنني أرثي لمصرٍ رجلًا

أرواح وأشباح

١٩٤٢

الإهداء

إلى صاحب تاييس وسافو وأفروديت والزنبقة الحمراء صديقي الكاتب الكبير
أحمد الصاوي محمد.
تحية لأدبه وحبّه.

علي محمود طه

هذه الأرواح والأشباح

بقلم علي محمود طه

هذه الأرواح، تهيم أشباحها ويدور حوارها في صفحات هذا الكتاب، يعيش بعضها في عالم الحقيقة، ويضطرب البعض الآخر بين عالمي الأساطير والخرافات، لم أسع إليها عن عمد، ولم ألقها مصادفة، ولكني تبينتها صورًا يتمثلها خيالي، وحديثًا يتردد في خطرات نفسي، فوجدت مطابقة بينها وبين أشخاص قرأت لهم وسمعت عنهم، ورأيت اتفاقًا ومواءمة بين ما نزعوا إليه في عالم الروح وما صنعوه في عالم المادة؛ فعرضت للطبائع والغرائز والأهواء، واستعرضت الوقائع والآثار والأسماء، فأيقنت أن كلاً يكاد يكون المعنيّ بهذا الحوار، المتسقة طبائعه وغرائزه على هذا الغرار.

وحبب لي هذا الجو الإغريقي الساحر، وأساطيره الغادية الشادية، أني وأنا أتمثل هذه الأرواح صورًا، وأستلهمها إحساسًا وفكرًا، خيل لي أن روحي قد انسرقت من طيفها فيما يشبه أحلام اليقظة، أو لحظات الشرود الإلهي، مأخوذة بما ترى، مشفقة مما تسمع، وكأنني بها وراء سحابة في عالمها الذي سبق لها أن عاشت فيه عند بعثها الأول، ووجدت نفسي في طريق أفلاطون ومثله العليا، فتنفست في هذا الجو طليقًا حرًا لا تقيدني بيئة أو عقيدة، ولا يحد من حريتي حذر أو اتهام، وأرسلت بصري في هذا الطريق الصاعد البعيد فلم يصل إلى مداه، وبدأت البصيرة عملها من حيث انتهى البصر، فإذا أبواب سحرية موصدة، وراءها خفايا وأسرار، وقضايا وأقدار، وإذا بي عند ختام قصيدي لا أزال في ذات الطريق لم أصل إلى غاية، ولم أوف على نهاية.

وفي عالم الأسرار والأقدار سمعت حوارًا يجري بين حوريات، من صواحب الفن ورباته، هن: سافو، وبليتيس، وتاييس، ورأيت بينهن إلهًا عجيبًا فذاً يحكم بينهن، ويقضي فيهن، وجدت «هرميس» الذي لا مشبه له بين آلهة الإغريق، في تعدد صورته، وتنوع مذاهبه، وتنافر طبائعه، وتناقض وظائفه، إله عجيب شاذ، لائق حقًا بالمهمة الموكل بها في هذه القضية، ومن غيره إله له في الروحيات والماديات؟ له في التجارة والكسب، وله في الخداع والدهاء، له في الجد والعبث، وله في الشعر والغناء، يجمع بين النزعات العليا، والرغبات السفلى، يلهم الشعراء، ويرعى القطعان، ثم هو بعد ذلك وقبله، لص أو إله للصوص؟

من غيره إله متناقضات حقًا، يحكم بين صاحبات الفن ورباته؟ والحياة لا تلد لهن إلا بهذا التناقض، ولا يرين لها جمالًا إلا من خلال أمزجتهن الرقيقة المتقلبة.

لم يكن غير «هرميس» ليحكم بين هذه الأرواح العابثة، اللاهية، المرحية الغاوية، المتألمة المعذبة، اللطيفة المتكبرة، ولم يكن لهن غير هذا الإله القوي العجيب، الخبير بالمرأة حقًا، الذي يعرف جمالها ودلالها، ويدرك سرها الذي رآه ووعاه في «أفروديت» ربة العشق وإلهة الصباغة. ولم يكن لهن غير إله مرح، قادر، ماهر، يتعقب الحوريات ويلعب معهن، وتتحدى قوته العمالقة ويعبث مكره بالآلهة. وما رأيك في إله سرق ليلة مولده خمسين ثورًا من قطيع الأوليمب السماوي، وجد بينها في كهف «بيلوس» متلبسًا بإثمه؟ ثم هو بعد ذلك قاتل العملاق «أرجوس» وقائد «هيراكليس» إلى عالم الظلمات.

وهذه «سافو» ربة الشعر الغنائي والأماديج والأناشيد التي يراها «سوينبرن» أعظم شاعرة عرفها التاريخ، والتي اضطربت حياتها في محيط اللذات والآلام، أحبت الرجال ثم اجتوتهم، ووصمت بهذا اللون المريض من العشق، حتى قيل: إنها كانت تعد في «لسبوس» كاهنة الرذيلة، ثم هي هذه المحبة الوامقة التي انتحرت من أجل معشوقها الملاح الميثيليني «فاون» الذي كان يعطر «فينوس» أجمل الرجال!!

هذه المرأة الواقعية، ما سر شذوذها المزعوم؟ وما سر صاحبته «بليتيس» الخرافية؟ السر هو ما يعلل به العلماء هذا الانحراف الجنسي، هو الشعور العميق بالازدراء والامتهان من الجنس الآخر، هو الخيبة الشديدة في الحب، والإخفاق الأليم فيه، يصدم العصب الإنساني فيهزه هزًا عميقًا عنيفًا يختل له نظامه، وهذا ما يتجلى في حوار الشاعرتين، وما يعبران عنه بالذات في مقطع «دنيا النساء».

أما «تاييس» تلك الراقصة الفاتنة اللعوب، التي لا تستقيم حياتها الخاصة بغير الرجال وغير موداتهم، والتي لا ينمو فنهما ولا يتفتح ولا يزدهر، إلا في أجواء محبتهم

وإعجابهم وتحت أشعات أبصارهم وبين رفيف شفاههم وقلوبهم، هذه المرأة الذكية القلب لم يكن لها غير أن تدافع عن الرجال؛ لأن الحياة كما تعرفها وكما خبرتها لا معنى لها بدونهم، ولا بهجة فيها إلا بهم، وإن عطفت على بنات جنسها في بعض أقوالها، فذلك من البديهيّات التي لا خلاف عليها.

فإن كان ثمت فرق محسوس بين نزوع هذه الأرواح في السماء، وبين صنيع أصحابها في الأرض، فهو الذي تقضي به طبائع الأشياء، ويستقيم به المنطق، فكل روح قد سمعت بحديث الخير والشر، وتأثرت به وطبعت على ما هيئت له وهي في صحبة الآلهة قبل حلولها في أطيافها الأرضية، وهيئات أن ندرك في أقوالها مدى عنفها ولينها، وحبها وبغضها، وسخطها ورضاها، وسلامها وخسامها، وهي روح مجرد في العالم المعقول، كما نرى ذلك ونلمسه في أفعالها، وهي مزاج من روح وجسه في العالم المنظور، وهذه الأطياف الأرضية، سجون أرواحنا، مثار الأهواء الآثمة، ومستقر الغرائز الدنيا.

الشخصيات

هرميس: ابن الإله جوبيتر، وزوج أفروديت إلهة الصبابة، ووالد هرما أفروديت الفتاة العجيبة الشاذة المعروض تمثالها في متحف اللوفر بباريس، وهو رسول آلهة الإغريق، إله البلاغة والموسيقى والوحي، ومبتكر جميع الفنون، ومخترع القيثارة في طفولته، وتروي الأساطير حوادث كثيرة عن رجولته ومغامراته الغرامية، وقد أقام له الإغريق شتى المعابد في كثير من أنحاء اليونان وجزائرها كما نصب له الرومان أجمل التماثيل وقيل: إنه المكلف بقيادة الأرواح الآثمة إلى الجحيم.

سافو: شاعرة إغريقية، ولدت في القرن السادس قبل الميلاد، وأنشأت مدرسة لها في جزيرة «لسبوس»؛ لتعليم الفتيات الشعر والموسيقى وكانت لسبوس في ذلك العهد أشد جاذبية من أثينا لرجال الأدب والفن وأحفل منها بمباهج الحياة، ومرادًا فاتنًا للهو والقصف، وقد تغنّت سافو في شعرها بالحب والجمال والأهواء العنيفة المضطربة بين الفتون والمرح، واشتهرت بين بنات جنسها بالمذهب السافي في ملذات الحب.

تاييس: راقصة أثينية، غير القديسة التي وضع فيها أناطول فرانس قصته المشهورة، ولدت قبل الميلاد بأربعة قرون. وكانت فاتنة مرحة أكثر ما تكون المرأة فتنة ومرحًا حتى أسكرت بأنوثتها شبان أثينا، وكانت صاحبة فن في حياتها وغواية لكثير من أرباب الخيال وأفذاذ الرجال، ومن عشاقها الشاعر الأثيني «مناندر» وقد تسلطت على الإسكندر الأكبر. وصحبته في فتوحاته الآسيوية وقيل: إنها التي قدمت إليه المشعل الذي أحرق مدينة «برسبوليس»، وفي رواية أنها هبطت مصر وأغوت بطليموس بجمالها حتى تزوج منها.

بليتييس: هي الشاعرة الخرافية التي خلقها إبداع الشاعر الفرنسي «بيير لويس»، وأُفرد كتاباً لأشعارها المزعومة باسم «أغاني بليتييس»، وهي مجموعة من الشعر الغنائي الذي يتحدث بالغزل المكشوف، والحب الملتهب، ويرمز إلى رغبات الجنس المكبوتة، وهي صورة محرفة من الشاعرة سافو، وقد ولدت في القرن السادس قبل الميلاد على شاطئ «الملاس» بالقرب من «بانفلي»، ثم انتقلت في صباها إلى «لسبوس»، حيث قضت حياتها في الحب والبؤس والتهتك، وكانت معاصرة لسافو ومن صواحباتها الحبيبات.

الأرْفسي: نسبة إلى شاعر إغريقي كان يحرك الجماد والنبات بقوة شعره وسحر غنائه، ويُروى أنه أبرع من عزف على القيثارة، وكانت لألحانه خوارق المعجزات حتى قيل: إن مدينة «سبيا» بنيت بسحر إيقاعه، وقيل: إنه أخضع الوحوش الضارية لنغماته، فكانت تقبل من كهوفها على أصدائها وترقد تحت قدميه مصغية إليه، وفي الأساطير أنه أحب «يوريدس» وكانت فتاة بارعة الجمال فتزوجها، وفي ليلة العرس لدغتها أفعى في أثناء رقصها فماتت لساعتها، وجن «أرفيوس» حزناً عليها، فاقترح أرض الفناء وأخذ يوقع على قيثاره أمام «بلوتو» ملك الموت، أشجى أنغامه المتفجرة لوعة وحزناً، فتأثرت زوجته «برسيفون» من أنغامه وعطفت زوجها عليه، فوعدها بإعادة «يوريدس» إليه، على أن يخرج من أرض الموت دون أن يلتفت وراه، وخرج «أرفيوس» وقلبه يتنصت بين جنبيه لواقع أقدام حبيبته، فلما لم يسمعها نظر خلفه فرأها، ولكنها لم تلبث أن تلاشت من عينيه وتبددت بين ذراعيه الممتدتين للقائها!

الأليمب: مقر آلهة الإغريق وسماء وحي شعرائهم.

السامري: بعد خروج موسى ببني إسرائيل من مصر، واجتيازهم البحر في طريق الأرض المقدسة، واعد موسى ربه في طور سيناء، فذهب إلى مواعده وسبق قومه الذين تخلفوا عنه في البرية زهاء ثلاثين يوماً، ولما طال غيبته دب فيهم الحيرة وتولاهم القلق، فانبرى منهم السامري فصنع لهم عجلاً من الذهب يسمع له خوار عجب، وقد فتن بنو إسرائيل بهذا المعبود الجديد، فباتوا يغنون ويطربون، وقامت أجمل فتياتهم ترقص حوله على ضوء النيران، ونسي القوم مقالة موسى لهم عند وداعه.

مانا: أعظم آلهة الطابو وأشدهم انتقاماً، والطابو معناها المقدس، وهي عقيدة بعض قبائل السود المنتشرين على شاطئ العاج الإفريقي وبعض جزر الشرق النائية، ومن الإيمان بها حلول روح القدس في جسد فتاة بارعة الجمال، يسمونها «عذراء الطابو»

إذا مسها أحد بشر غضبت أرواح آلهم، فثارت البراكين وطغت البحار وعصفت الرياح ولعلعت البروق انتقاماً لهذه العذراء المقدسة.

هاواي: من جزائر المحيط الهادي، اشتهرت بجوها الشرقي الساحر وطبيعتها البدائية الفاتنة، وموسيقاها الفطرية المترجمة عن أرق العواطف وأحب خلجات الحياة.

موسوي: إشارة إلى قصة النبي موسى في أرض مدين، وقد مر بمورد للماء مغطى بحجر ثقل، تقف دونه فتاتان بأغنامهما على استحياء دون أن تستطيعا الورد من زحام الرجال، فخف موسى لنجدتهما وقدم فرفع غطاء البئر بيديه وقرب الماء لهما وسقى الغنم، وأعجبت به إحدى الفتاتين واسمها صفورة، فدعته لمرافقتها إلى والدها الشيخ، وكان ذلك وتزوج موسى منها.

الشاعر

إلى قَمَّةِ الزَّمنِ الغابرِ
سَمَتْ رَبَّةُ الشعرِ بالشاعرِ
يَشُقُّ الأثيرَ صَدَى عابِراً
وروحاً مُجَنَّحَةَ الخاطرِ
مَضَتْ حُرَّةً من وثاقِ الزَّمانِ
ومن قَبْضَةِ الجَسَدِ الأسيرِ
وأوفتْ على عالمٍ لم يَكُنْ
غريباً على أمسِّها الدَّابرِ
نَمَتْ فيه بين بناتِ السَّديمِ
وَشَبَّتْ مع الفَلَكِ الدَّائرِ
تُلَقِّنُ سِيرَتَهَا في الحياةِ
وتنطقُ بالمثلِ السَّائرِ
وتَرَسُّمُ أسماءٍ ما عُلِّمَتْ
من القَلَمِ المبدعِ القادرِ
مشاهدُ شَتَّى وَعَنْهَا العقولُ
وغابتْ صَوَاهِها عن الناظرِ
وجودُ حَوَى الرُّوحِ قبلَ الوجودِ
وماضٍ تَمَثَّلَ في حاضِرِ

تبدَّى لها، فانجلى شُكُّها
وثابتُ إلى وَعِيَّهَا الذَّاكِرِ
وأَصْغَت، فمَرَّتْ على سَمْعِها
روايةٌ ميلادِها الغايرِ
هو البعثُ، فاستمعوا واقْرءوا
حديثَ السَّماءِ عن الشَّاعِرِ!

فِي السَّمَاءِ

يمر روح جميل، هو فنان آذنته الكلمة بالبعث في عالم الأرض، وقد صحبه هرميس ملك الوحي، حتى يجوز به أقطار السماء، فيمران في طريقهما بحوريات انطلقن في سمرهن، في انتظار بعثهن، فيدور حديثهن الآتي:

سافو:

عَجِبْتُ! مَنْ الْمَلِكُ الْعَابِرُ؟
وَمَنْ ذَلِكَ الشَّبَّاحُ الطَّائِرُ؟
أَهْلًا عَلَيْنَا فَمَا سَلَمًا
وَلَا صَافَحَ النَّاضِرَ النَّاضِرُ
وَلِلرَّيْحِ حَوْلَهُمَا زَفَّةٌ
كَمَا صَدَحَ الْمِزْهَرُ السَّاحِرُ
أَفِي عَالَمِ الْأَرْضِ بَعَثُ جَدِيدُ؟
أَمْ الْوَهْمُ مَثَلُهُ الْخَاطِرُ؟

تاييس:

نَعَمْ هُوَ رُوحٌ جَمِيلٌ الْإِهَابِ
يُنْبِلُ الرِّيحَ جَنَاحَيْ مَلِكٍ
وَذَلِكَ هَرْمِيسُ يَسْرِي بِهِ

سُرَى النُّورِ فِي سُجَّاتِ الْفَلَكَ
عَرَفْنَاهُ ... لَا شَكَّ ... هَذَا فَتَى
سَيَسْأَلُكَ الْفَنُّ فَيَمْنُ سَلَكَ
غَدًا تَمْلَأُ الْأَرْضَ الْحَانَةَ
وَيَبْقَى صَدَاهَا إِذَا مَا هَلَكَ!

بليتييس:

إِلَى الْأَرْضِ؟ فليَمِضْ هَذَا الشَّقِي
أَلَا وَلْتَفِضْ كَأْسُهُ بِالشَّجْوِ
جَزَاءً لِمَا غَضَّ مِنْ أَمْرِنَا
وَمَرَّ كَأَنْ لَمْ تَلَقَ الْعَيُونَ
أَرَاهُ، وَلَمَّا يَزَلْ بَيْنَنَا
أَصَابَتْهُ لُوثَةُ أَهْلِ الْفَنُونِ
لَنْ صَحَّ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ
فِيَا شِقْوَةَ الْأَرْضِ مِمَّا يَكُونُ

تاييس:

حَنَانِكَ، يَا أُخْتِ، لَا تَغْضَبِي
فَمَا اخْتَالَ زَهْوًا وَلَا اسْتَكْبَرَا
لَقَدْ كَفَّ عَيْنِيهِ بَرَقُ الْحَيَاةِ
فَمَرَّ بِنَا دُونَ أَنْ يُبْصِرَا
لَنَا مِثْلُهُ فِي غَدٍ غَشِيَّةٍ
إِذَا مَا حَلَلْنَا رَحَابَ الثَّرَى
إِذَا كَانَ فِي الْأَرْضِ هَذَا الشَّقَاءُ
فَلَا كَانَ بَعْتُ وَلَا قُدْرًا

بليتييس:

أرى في حديثك معنى الرضا
وأسمع فيه هُتَافَ الحنانِ
فهلاً ذكرتَ له إخوةً
حديثهم ملءَ سَمْعِ الزَّمانِ
أصاروا الفنونَ رُمُوزَ الأثامِ
واستلهموا الشرَّ سِحْرَ البيانِ
وأغروا بحواءَ ما لُقِّنُوا
وما حَذَّقُوا من طَريدِ الجنانِ

* * *

ألمَ تسمعي بفتى شاعرٍ
يَحْمَلُهَا عِبءَ أوزارِهِ
ترشَّفَهَا خمرَةً فانتشى
فألقمها مِرَّ أثمارِهِ؟
أنالَتْهُ أجملَ أزهارِها
فأهدى لها شرَّ أزهارِهِ؟
إذا كنتِ يا أختِ لم تسمعي
خُذي فاقرأي بعضَ أشعارِهِ..

الحَيَّةُ الْخَالِدَةُ

(تاييس تفتح كتابًا وتقرأ من قصيدة الحية الخالدة.)

«وفي قصيدة تدور حوادثها حول الفن بين الرجل والمرأة وأثر الغريزة فيه، يتكلم شاعر فنان اتخذ فتاة حسناء نموذجًا حيًّا لفنه، فأغوته بمفاتن جسدها، ودفعته بحماسة في غمار ملذات لا يلبث أن يفيق منها، وقد رأى مدى انهيار روحه وفنه، والموقف كله شذوذ واضطراب، وكله عنف وضعف، وهو تصوير لهذه الحية الخالدة التي يشتهيها الفنانون والشعراء رغم لدغاتها...».

وَلَفَّتْ ذِرَاعَيْنِ كَالْحَيَّتَيْنِ
عَلَيَّ، وَبِي نَشْوَةٌ لَمْ تَطِرْ
وَقَدْ قَرَبْتُ فَمَهَا مِنْ فَمِي
كَشْقَقَيْنِ مِنْ قَبَسِ مُسْتَعِرِ
أَشْمُ بِأَنْفَاسِهَا رَغْبَةً
وَيَهْتَفُ بِي جَفْنُهَا الْمُنْكَسِرُ
تَبَيَّنْتُ فِي صَدْرِهَا مِصْرَعِي
وَأَخْرَجَ الْعَاشِقُ الْمُنْتَجِرُ!!

* * *

أفني حُلُمٌ أنا أم يقظة؟
ومن هذه المرأة الخاطئة؟

هو الحبُّ؟ ... لا ... بل نداءُ الحياة
تُلَبِّيهِ أجسادُنَا الزَّامِنَةُ
يَخْفُ دمي لصداهُ الحبيبِ
وتدفعني القدرةُ الهائلةُ
كأنِّي ببحرٍ بعيدٍ القرارُ
طَوَى أَفْقَهُ وَزَوَى شَاطِئَهُ

أرى ... ما أرى؟ جسداً عارياً
تَضُجُّ به الشهوةُ الجائعةُ
أرى ... ما أرى؟ حَدَقِي ساحرِ
تَوَجَّانِ بالنظرةِ الرائعةِ
أرى ... ما أرى؟ شَفَتِي غَادَةً
تَرَفَّانِ بِالْقُبْلَةِ الْخَادِعَةِ
تُسَاقِطُنِي ثَمراً! ما أرى؟
أرى حَيَّةَ الْجَنَّةِ الضَّائِعَةِ

بعينِكَ أَنْتِ، فلا تُنْكِرِي
صفاتِ أَنْوْثَتِكَ الشَّاهِدَةِ
تَمَثَّلْتِ شَتَّى جُسُومٍ وَكَمْ
تَجَدَّدْتِ فِي صُورٍ بَائِدَةٍ
نعم، أَنْتِ هُنَّ ... نعم ... ما أرى؟
أرى الْكُلَّ فِي امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ
لَقَدْ فَنَيْتِ فِيكَ أَرْوَاحَهُنَّ
وَهَا أَنْتِ أَيْتُهَا الْخَالِدَةِ

لقد كنتِ وحيَ رَحَامٍ يُصَاغُ
فأصبحتِ لحمًا يثيرُ الدماءَ
وكنتِ فتًى ساذجًا لا أرى
سوى دُمِيَّةٍ صُوِّرَتْ من نقاءِ
أنيلِ الثرى قَدَمَيَّ عابِرِ
يعيش بأحلامِهِ في السماءِ
فأصبحتُ شيئًا ككلِّ الرجالِ
وأصبحتُ شيئًا ككلِّ النساءِ!

وكنتِ أميرة هذي الدُّمَى
وصورة حُسنٍ عزيزِ المنالِ
وكنتِ نموذجَ فنِّ الجمالِ
أحبُّكِ للفنِّ لا للجمالِ
أرى فيكِ ما لا تحدُّ النُّهى
كأنَّكِ معنًى وراءَ الخيالِ
فجرَّدتني رجلًا أشتَهِي
وجرَّدتُ أنثى تَشَهَّى الرجالِ

دعيني حواءَ أو فابُعِدي
دعيني إلى غايَتي أنطلقِ
أخمرٌ ونازٌ؟ لقد ضاق بي
كَيَانِي، وأوشكُ أن أختنقِ
أرى ... ما أرى؟ لهبًا؟ بل أشمُ
رائحةَ الجسدِ المُحترقِ!
فيا لكِ أفعى تشهَّيْتُهَا
ويا لي من أفعوانٍ نَزِقَ ...

المرأة والفن

(بليتييس تضع يدها على صفحة الكتاب في غضب وتمنع تاييس من القراءة.)

بليتييس:

كفانا، فقد جُنَّ هذا الفتى
وجاوز حدَّ الكلام المباح
نكادُ نُجسُّ اختلاجَ النجوم
ونسَمعُ مُضطرباً في الرياح
مريضُ الغريزة، فتأْكُها
حَبَّتُهُ الطبيعةُ أَمْضَى سلاح
سَقَتُهُ الشياطينُ يحمومها
فمَجَّ الرحيقَ وذَمَّ الصباح

* * *

تَأْتَمُّ بالفنِّ حتى غوى
وما الفنُّ بالمرأةِ الخاطئةِ
هو الدَّمُ واللحمُ ما يشتهي ...
هو الخمرُ والمتعةُ الطارئةُ
وكم في الرجالِ سَعَارُ الوحوش

إذا لمسوا الجُثَّةَ الدافئة
فلا تذكرني فنَّ هذا الفتى
بل الحيوانية الخاسئة
رأى جسمَ حواءَ فاشتاقهُ
فهاجَتْ به النزوةُ المُسكرَةُ
سَبَى روحَهَا، فاشتَهَى جسمَهَا
فثارتْ بعِزَّةٍ مستكبرَةٍ
سَمَا جسمُها وتَأبَّى عليه
فجرَّدَ في وجهها خنجرَهُ
وهمَّ بها، فالتوى قصدُهُ
فأرسلَ صيحتَه المُنكَرَةَ

ألم يَنسِمِ الخُلدُ من عطرها؟
ألم يغبِ الحسَنُ في زهرها؟
ألم يقبِسِ النورَ من فجرها؟
ألم يسرقِ الفنُّ من سحرها؟
شَفَتْ غُلَّةُ الفنِّ حتى ارتوى
وإنْ دَنَسَ الفنُّ من طهرها
وهامَتْ على ظمأٍ روحها
وكم ملئوا الكأسَ من خمرها

على مَذْبَحِ الحبِّ من قلبها
سراجٌ يُسَبِّحُ مَنْ لآلَاءِ
منارٍ يجوبُ الدُّجَى لَمَحُهُ
فتَلْقَى السفينَ به مرفأهُ
يبثُّ الحرارةَ بَرَدَ الشتاءِ

وَيُلْهَبُ شُعَلَتُهُ الْمَطْفَأَةُ
وَتَمْشِي الْحَيَاةُ عَلَى نَوْرِهِ
وَمَا نَوْرُهُ غَيْرُ عَيْنِ امْرَأَةٍ!

خَطِيئَتُهَا قِصَّةُ الْمَلْهَمِينَ
وَإِغْرَاؤُهَا الْفَرْحُ الْمُفْتَقَدُ
بَأَرْوَاحِهِمْ يَرْتَقُونَ الْخُلُودَ
عَلَى سُلَمٍ مِنْ مَتَاعِ الْجَسَدِ
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ لَهْوَى فَتْنُهُمْ
صَرِيحَ الظَّلَامِ قَتِيلَ الْجَمَدِ
وَمَا الْفَنُّ إِلَّا سَعِيرُ الْحَيَاةِ
وَتَوَرُّنُهَا فِي مَحِيطِ الْأَبَدِ

لَهَيْبٌ إِذَا الرُّوحُ مَرَّتْ بِهِ
تَضَاعَفَتِ الرُّوحُ فِي نَارِهِ
يُطِيقُ الْقَوِيُّ لَظَى جَمْرِهِ
وَيَعِشُو الضَّعِيفُ بِأَنْوَارِهِ
رَمَتْ فِيهِ حَوَاءُ آثَامِهَا
فَذَابَتْ عَلَى صُمِّ أَحْجَارِهِ
لَقَدْ قَرَّبَتْ جَسَدًا عَارِيًّا
وَقَلْبًا يَضُنُّ بِأَسْرَارِهِ

الأَصْلُ وَالْمِثَالُ

أَمِنْ صَنْعَةِ اللَّهِ هَذَا الْجَمَالَ؟
نَعَمْ، وَمِنْ الْفَنِّ هَذَا الْمِثَالُ!
عَلَى مَعْرِضٍ مَرْمَرِيٍّ الدُّمَى
تَرَامَى أَشْعَتُهُ وَالظَّلَالُ
تَمَائِيلُ مِنْ جَسَدٍ فَاتِنٍ
تَأْبَى عَلَى شَهَوَاتِ الرِّجَالِ
حَبَّتُهُ الطَّبِيعَةُ أَسْرَارَهَا
وَلَاقَى الْحَقِيقَةَ فِيهِ الْخَيَالُ

ثَوْرَةٌ

سافو:

لقد أخذتُنا شجونُ الحديثِ
وكم في حديثِ الفتى من شجونِ
سَمَرْنَا به وجاهلنا اسمَهُ
وما حظُّه من رفيعِ الفنونِ؟
أمن ربةِ الشعرِ إلهامُهُ؟
أم الوترِ «الأرْفسِيّ» الحنونِ؟
أم المرمَرِ الغضِّ يجلو به
رفيفَ الشفاهِ ولمَحَ العيونِ؟

بليتيِس:

هبي وحيه من سماءِ الأولمبِ
والهةِ الحكمةِ الغابرينِ
فما هو بالملكِ المستعزِّ
ولكنَّه الأدميُّ المَهيِّنُ
وما الآدميةُ بنتُ السماءِ
ولكنَّها بنتُ ماءٍ وطِينِ
يريدُ لها الفنُّ أفقَ النُّجومِ

ديوان علي محمود طه

فَيُقْعِدُهَا جِسْمٌ عَبْدٌ سَجِينُ!

سافو:

وما فنُّه! ما أراه سوى
أداةٍ مطامعه الواسعة
غداً يستغلُّ غرامَ الحسانِ
سبيلاً إلى الشهرةِ الذائعةِ
يصيبُ بهنَّ خلودَ اسمه
وهنَّ قرابينه الضائعة
تمنيتُ لو أطلقنا السماءُ
ويا حبذا لو بُعِثْنَا معه ...

اِنْتِقَامٌ

بليتييس:

ألا حبذا الأرضُ مغدًى لنا
وإن بشرَّتها المنايا بنا
وما الأرضُ بالمنزلِ المستطابِ
ولكنَّه ثأرُ أترابِنَا
لنشربَ من دمِ هذا الفتى
مُصَفًّى الرحيقِ بأكوابِنَا
ونجعلَ من حشرجاتِ الرجالِ
تَحِيَّةَ شاذٍ لأُنخابِنَا

سافو:

ونسلبُ ما رُزِقُوا من ججى
ونهدمُ ما رفعوا من قبابِ
ونبني لهم نُصبًا خالداً
يكون على الدهرِ رَمَزَ العقابِ
تطوف به لَعَنَاتُ السماءِ
وترصدهُ مُثَلَّاتُ العذابِ

تاييس:

ولكنْ أَرَى غيرَ ما قلتَما
وما الغدْرُ في الرأْيِ كُلِّ الصوابِ
إذا خَلَّتِ الأَرْضُ من طيرِهِمْ
فمن ذا يُحْيِي الجمالَ القسيمَ
ومن يُطْلِقُ الحبَّ من وكرِهِ
على خَطَرَاتِ الغناءِ الرَّخيمِ؟
وفيمَ نُرَقِّشُ هذا الجناحَ
ونصقلُه ببنانِ النعيمِ؟
طيورَ السماءِ! حَذَارِ الوقوعِ
على حَطَبٍ في الثَّرَى أو هشيمِ؟

دُنْيَا النِّسَاءِ

(بليتييس تخاطب تاييس في ألم وغضب.)

بليتييس:

أَيُّغْرِيكَ بِالْحَبِّ سَوْدُ اللَّحَى
غِلَاطُ الشَّفَاهِ، الْعَرَاضُ الطَّوَالُ؟
كَأَنَّ الْهَوَى صُنْعُ أَيْدِيهِمْ
فَمَنْ غَيْرُهُمْ كُلُّ عَيْشٍ مُحَالُ؟
إِذَا شِئْتَ كَانَ لَنَا عَالَمُ
يَحُوطُ الْأُنُوثَةَ فِيهِ الْجَلَالُ
حَمَتُ رِقَّةِ الْجِنْسِ رَبَّاتُهُ
فَلَيْسَ بِهَا حَاجَةٌ لِلرِّجَالِ!
لِكُلِّ اثْنَتَيْنِ هَوًى وَاحِدُ
تَلَاقَى عَلَى سِرِّهِ مَهْجَتَانُ
وَعُشٌّ يَضُمُهُمَا فِي الْمَسَاءِ
وَرَوْضٌ بِهِ فِي الضُّحَى يَعْثُرَانُ
وَفِي رَكْنٍ خَذَرُهُمَا مَغْزَلُ
وَفَوْقَ الْأَرِيكِ قَيْثَارَتَانُ
وَتَحْتَ الْوَسَادَةِ أَقْصُوصَةٌ

لقلبين لم يروها عاشقان

تاييس:

وماذا تُرى صَنَعَ العاشقان؟
وما ذكريات الليالي الحسان؟
حديثك، إن لم يكن بدْعَةً
فَحُلْمٌ جَرَى في قديم الزمان
وصيحةٌ مُخَفِّقَةٌ في الهوى
مُعْرِبَةٌ الرُّوح، سَكَّرَى اللسان
أَعْيَذُ الأَنْوثةَ هذا الهوان
وفيها الدهاءُ القويُّ الجَنان!

الْكَيْدُ الْعَظِيمُ

(تاييس مسترسلة في كلامها.)

تاييس:

لنا الكيدُ إن خَذَلْتُنَا الْقُوَى
أَحَابِيلُ شَتَّى وَفَنُّ عَجَابُ
نُلْقَاهُ عَنْ مَلِكَاتِ الزَّمَانِ
أَقَاصِيصَ لَمْ يَرَوْ عَنْهَا كِتَابُ
وَقَدْ نَسْتَعِيرُ صَفَاءَ النَّمِيرِ
وَقَدْ نَسْتَمُدُّ صِرَاعَ الْعِبَابِ
وَقَدْ نَسْحَبُ اللَّيْلَ فَوْقَ الْقُلُوبِ
وَنُغْرِى الْعَيُونَ بِقَوْسِ السَّحَابِ
نَسَاقِطُهُمْ مِنْ غَوَايَاتِنَا
أَزَاهِرَ تَنْدَى بِمَاءِ الشَّبَابِ
إِذَا لَأَلَّتْ فَوْقَ مَوْجِ الشُّعُورِ
أَثَارَتْ بِهِمْ ظَمَأً لِلْسَّرَابِ
بِأَلْوَانِهَا الْحُمْرَ جَمْرُ الْغَضَا
وَفِي نَفْجِهَا لَفَحَاتُ الْعَذَابِ
هُوَ الْفَنُّ لَا تَرْتَوِي رَوْحُهُ

بأشهى من الأرجوان المذاب

هو الحسن فتأنا العبقري
هو الحب سلطاننا القاهر
ممثلهم ... لُعبَة في يديه
ومثّالهم إصْبِعُ فاجر
والحائهم من فحيح العروقي
يُصْعِدُهَا الْوَتْرُ السَّاخِرُ
ورسائمهم صنم مُبْصِرُ
فإن جُمِعُوا فَهُمْ الشَّاعِرُ!

قلوبٌ مُدَلَّهَةٌ بِالْجَمَالِ
تَرَى فِيهِ مَعْبُودَهَا الْمُلهَمَا
هو الرجل القلب، لا غيره
فأودعنه القَبَسَ المَضْرَمَا
أَنْمَنَ بِهِ الشَّرْسُ الْمُسْتَخَفَّ
وَأَيَّقَظَنَ فِيهِ الْفَتَى الْمُغْرَمَا
إذا ما اقتحمتن هذا السياج
فقد خَضَعَ الْكُونُ وَاسْتَسْلَمَا!

سافو:

ولكن حذارٍ ففي طبعنا
ليانٌ يسمونه بالوداعه
وفيهم جراءة مستأسد
تحدى المنية باسم الشجاعه

تاييس:

وَهَمَّتْ، فَذَلِكَ هَزْلُ الرِّجَالِ
وَفَنُّ أَجْزَانَا عَلَيْهِمْ خَدَاعُهُ
نُذِيبُ بِهِ صُلْبَ أَعْصَابِهِمْ
وَفِي رِقَّةِ الْعُودِ سِرُّ الْمَنَاعَةِ

شَيْطَانُ الشَّاعِرِ!

سافو:

أَطْلُنَا الْأَحَادِيثَ عَنْ عَالَمٍ
مُلْتَمَّةٍ أَرْضُهُ بِالْخُفَاءِ
جَعَلْنَاهُ مَطْمَحَ أَحْلَامِنَا
كَأَنَّا شَقِينَا بِسُكْنَى السَّمَاءِ
طَوَانَا عَلَى حُبِّهِ شَاعِرٌ
كَثِيرُ الْمَجَانَةِ نَزَرُ الْحَيَاءِ
أَثَارَ الْمَلَائِكِ فِي قُدْسِهَا
وَأَوْقَعَ فِي سِحْرِهِ الْأَبْرِيَاءِ

بليتييس:

عَجِبْتُ لَهُ كَيْفَ جَازَ السَّمَاءَ
وَعَرَّرَ بِالْمَلَأِ الطَّاهِرِ
أَيْمَرُحُ فِي الْكَوْنِ شَيْطَانُهُ
بَلَا وَازِعٍ وَبَلَا زَاجِرٍ؟
دَعِيَ الْوَهْمَ «سافو» وَلَا تَحْقِرِي
«بليتييس» مَعْجَزَةَ الشَّاعِرِ
فَمَا نَتَّقِيهِ بِحَيَاتِنَا

ديوان علي محمود طه

إِذَا هُوَ أَلْقَى عَصَا السَّاحِرِ

(وكانت تسمع ضجة كلما ارتفعت روح الشاعر في معارك السماء.)

تاييس:

«بليتيس» هَلْ هُوَ ذَاكَ الْخِيَالُ
الْمُجَنِّحُ بَيْنَ حَوَاشِي الْغَيُومِ؟
عَشِيَّةَ صَاحٍ بِأَتْرَابِنَا
وَقَدْ أَخْطَأَتْهُ قِسْيُ الرُّجُومِ؟
وَقِيلَ: لَنَا مَلَكٌ عَاشِقُ
يُسْرِِّي الْهَمُومَ بِبَنَاتِ الْكُرُومِ،
يَجُوبُ السَّمَاءَ إِذَا مَا انْتَشَى
يُعْرِيدُ بَيْنَ خُدُورِ النُّجُومِ؟

بليتيس:

أَعَاجِيبُ شَتَّى لِهَذَا الْفَتَى
وَأَعْجَبُ مِنْهَا الَّذِي تَذَكِّرُنِ
كَأَنَّ أَحَادِيثَهُ بَيْنَنَا
أَسَاطِيرُ آلِهَةٍ غَابِرِينَ
إِذَا كَانَ لِلْفَنِّ هَذَا الصِّیَالُ
فَوَا رَحْمَةً لِلْجَمَالِ الْغَبِيْنِ
وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي فِي إِثْرِهِ
دَرَجْتُ عَلَى الْأَرْضِ فِي الدَّارِجِينَ

تاييس:

أَتُغْوِينِ بِالشَّعْرِ شَيْطَانَهُ؟
خَيَالِيَّةٌ أَنْتِ، أَمْ شَاعِرَةٌ؟

شَيْطَانُ الشَّاعِرِ!

بليتييس:

بل الشعرُ أسرُهُ المستبَدُّ
فيا ليتَ لي روحَه الأسرَةُ
ويا ليتَ لي وثباتَ الخيالِ
وقوَّةَ أربابِهِ القَاهِرَةِ
لصَيَّرَتْهُ مُثَلَّةً فِي الحَيَاةِ
وَسُخْرِيَّةَ البَعَثِ فِي الآخِرَةِ!

الْفَنُّ الشَّهِيدُ

تاييس:

صفي لي «بليتيس» هذا الأملُ
وماذا ابتدعتِ له من حيل!

بليتيس:

أدُلُّه هذا الفتى بالجمالِ
وأُسمِعه من رقيق الغزلِ
وأورثه جُنةً بالرحيقِ
وأحرّمه رَشَفَاتِ القُبُلِ
إلى أن تُحَرِّقَ أعصابُهُ
ويصرعه طائفٌ من حَبَلِ

وأحفرُ بعد الردى قبرَهُ
هناك على قِمَّةِ الهاويةِ
وأغرس في قلبه زهرةً
من الشرِّ روايةً ناميةً
سَقَتَهَا سمومُ شرايينِهِ

ديوان علي محمود طه

ورفئتُ بها روحهُ العاتيةُ
تخفُّ إليها قلوبُ الرجالِ
وترجع بالشوكة الداميةُ

* * *

إذا جنَّها الليلُ لاحتْ به
كعينٍ من اللهبِ المضطرمِّ
تثور الشياطينُ من عطرها
كمجمره السَّاحر الملتئمِ
إذا استأفها الرَّجُلُ العبريُّ
تحوَّل كالحيوانِ الوحِمِ
تضجُّ البلاهةُ من حوله
وينظر كالصَّنمِ المبتسمِ!

تاييس:

هَبِي الشعرَ أولاكِ من مُلكِه
سماءَ الألوهةِ ذاتِ البروجِ
ونصَّ المعانيَ عن جانبِكِ
فمنها السُّرى، وإليكِ العروجِ
فما تصنعينَ إذا ما بُعِثتِ
واحدةً من بناتِ الزُّنوجِ
ألم تقرِّي قصَّةَ «السامريِّ»
وما صنَّعَ القومُ بعدَ الخروجِ؟

جُنُونُ الْحَيَاةِ!

نَبَاً مَنْطِقُ الْوَحْيِ فِي سَمْعِهِمْ
وَخَفَّ عَلَيْهِ رَنِينُ الطَّرْبِ
وَمَدُّوا الْعَيُونَ إِلَى فِتْنَةٍ
تَجَسَّدُ فِي حَيَوَانٍ عَجَبٍ
تَرَامَى بِأَحْضَانِهِ غَادَةٌ
أَفَادَ صِبَاهَا شَبُوبَ اللَّهَبِ
جُنُونُ الْحَيَاةِ وَأَهْوَاؤُهَا
أَنُوَّثَتْهَا وَبَرِيقُ الذَّهَبِ!

* * *

فَأَيْنَ مِنَ الْقَوْمِ سَحَرُ الْبَيَانِ
وَصَيْحَةُ «مُوسَى» قُبَيْلِ الْوَدَاعِ؟
هُمُ النَّاسُ لَا يَعْشُقُونَ الْخِيَالَ
إِذَا لَمْ يَكُنْ حَافِزًا لِلطَّمَاعِ
هُمُ النَّاسُ لَا يَعْبُدُونَ الْجَمَالَ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نُهْزَةً لِلْمَتَاعِ
هُمُ النَّاسُ لَا يَأْلِفُونَ الْحَيَاةَ
إِذَا لَمْ تَكُنْ مَعْرِضًا لِلْخَدَاعِ

مَعْرِضُ الْحَيَاةِ!

تماثيلُهُ بعضُ أجسامِنَا
وقد صاغَهَا العَبْقَرِيُّ الصَّنَاعُ
وَلَوْحَاتُهُ صُورُ العَارِيَاتِ
إِذَا مَزَّقَ الفَنُّ عَنْهَا القِنَاعُ
أَبَالِشَّعِرٍ تُغْوِينَ هَذَا الفَتَى؟
وَهِمَّتْ إِذْنُ وَجَهْلَتِ الطَّبَاعُ!
أَلَيْسَتْ لَهُ صَبُوءُ الآدَمِيِّ
وشهوةُ تلكِ الذَّنَابِ الجِيَاعُ؟

فَزَعٌ وَعِتَابٌ

بليتيِس (في فزع من حديث صاحبتها عن بعثها زنجية):

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَلَا تَغْضَبَا
وَكُفَّا الْعِتَابَ وَلَا تُسْهِبَا
لَقَدْ رُعْتُمَانِي بِهَذَا الْمَزَاحِ
وَأَبْدَعْتُمَا نَبَأً مُغْرِبًا
سَرْتُ بِي مِنْ ذِكْرِهِ رِعْدَةٌ
كَأَنِّي لِبِسْتُهُ بِهَ الْغِيْهَبَا
«أَتَايِسُ» لَا كُنْتُ بِنْتُ الزَّوْجِ
وَلَا شِمْتُ أُمَّا بِهِمْ أَوْ أَبَا!

السَّحَرُ الْأَسْوَدُ

بليتييس (ضاحكة من فزع بليتييس قائلة لها في معاينة):

وَصَمَّتِ الْخَلِيقَةَ فِي بَعَثِهِمْ
كَأَنَّهُمُ الْحَدَثُ الْمُنْكَرُ
وَمَا أَخْطَأَ الطَّيْفُ أَلْوَانَهُ
وَلَكِنَّهُ اللَّهَبُ الْأَحْمَرُ
أَبُوهُمْ، كَمَا زَعَمُوا، آدَمُ
وَحَوَاءُ أُمُّهُمْ الْمُعْصِرُ
لَهُمْ أَعْيُنٌ تَتَمَلَّى الْجَمَالَ
وَأَفئِدَةٌ بِالْهَوَى تَشْعُرُ

* * *

لَهُمْ نَارُهُمْ فِي أَقْصَى الدُّجَى
وَأَبْيَانُهُمْ فِي أَعَالِي الْكَهْفِ
وَسَحَرُ الطَّبِيعَةِ فِي عُرْيِهَا
إِذَا هَتَكَ الْفَجْرُ عَنْهَا الشُّقُوفَ
وَنَائِي يُقَسِّمُ فِيهِ الرَّبِيعُ
وَيَسْكُبُ شَجْوَ الْمَسَاءِ الْهَتُوفَ
وَرَقْصُ يُمَثِّلُ قَلْبَ الْحَيَاةِ

إِذَا مَا اسْتَحْفَ بِنَقْرِ الدَفُوفِ

تَفَرَّدَ فَتَنُّهُمْ بِالْخَفَاءِ
وَصَيَغَ بِفِطْرَتِهِمْ وَاتَّسَمَ
يَعِيشُ جَدِيدًا بِأَرْوَاحِهِمْ
وإنْ عَاشَ فِيهِمْ بَرُوحُ الْقَدَمِ
لَهُ بَأْسٌ «مَانَا» وَإِحَاوُهُ
إِذَا اضْطَرَبَتْ رُوحُهُ بِالْأَلَمِ
وَرَقَّةٌ «هَآوَايَ» فِي شَذْوَهَا
إِذَا جَاشَ خَاطِرُهَا بِالنَّغَمِ

رُقِيَّةُ!

(سافو وتاييس تشيران إلى بليتييس إشارات السحرة وتنطقان بصوت واحد):

أَلَا فَلْيَكُنْ لِكَ مِنْ فَئِهِمْ
سَمُو اللَّظَى وَعَتُو الْجِبَالُ
أَلَا فَلْيَكُنْ لِكَ مِنْ سَحَرِهِمْ
فَنُونَ تُعْطَلُ سَحَرَ الْخِيَالُ
أَلَا فَلْيَكُنْ لِكَ مِنْ نَارِهِمْ
وَشَاخُ مَوْلَاهُ بِالْجَمَالُ
إِلَى الْأَرْضِ فَاَنْتَقِمِي لِلنِّسَاءِ
وَكُونِي بِهَا مَحَنَةً لِلرِّجَالِ ...

عَوْدَةٌ

(الملك وقد عاد في طريقه إلى حيث الحوريات بعد أن ودع الفنان على أفق الأرض.)

هرميس:

سلامٌ لكنَّ عذارى السماء

الحوريات:

سلامٌ لهرميس روحِ الإله

هرميس:

أرى وَمَضَّةَ الشَّرِّ في جَوْكَنَ
وَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنِّي أَرَاهُ
يلاحقني في رحابِ السماءِ
ويرتجُّ في مسمعي صداهُ:
«لقد فارقَ البَشْرُ غُرَّ الوجوهِ
وشاعَ الذبولُ بورِدِ الشِّفَاةِ!»

الحوريات:

أَجَلْ، أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَجْتَبَى
صَدَقْنَاكَ فَاغْفِرْ عَذَابَ الضَّمِيرِ
لَقَدْ مَرَّ كَالطَّيْرِ مِنْ قَرِينَا
فَتَّى فِي رِعَايَةِ رَبِّ خَطِيرِ
رَأْنَا فَأَعْرَضَ عَنَّا، وَلَمْ
يُحَيِّ السَّمَاءَ بِرُوحِ قَرِيرِ
تَخَايَلَ عُجْبًا بِأَوْهَامِهِ
وَأَمَعْنَ فِي شَرِّهِ الْمُسْتَطِيرِ

هرميس:

ظَلَمْتَنَ هَذَا الْغَلَامَ الْبَرِيَّ
وَقَدْ غَضَّ مِنْ نَاضِرِيهِ الْحَذَرُ
أَهْلًا بِقَلْبٍ كَفَرِخِ الْقَطَا
يَرْفَرُ تَحْتَ جَنَاحِ الْقَدَرِ
رَأَكُنَّ فِيهِ وَحِيًّا بِهِ
فَلَمْ أَدْرِ حَاجَتَهُ لِلنَّظَرِ!

الحوريات:

وَكَيْفَ تَكَلَّمَ قَلْبُ الْفَتَى
وَمَا هُوَ إِلَّا سَلِيلُ الْبَشْرِ؟

ابنُ السَّمَاءِ

هرميس:

هُوَ ابْنُ السَّمَاءِ وَلَكِنَّهُ
مِنَ النِّقْصِ تَرْكِيبُهُ وَالتَّمَامُ
صَنَاعُ الطَّبِيعَةِ، بَلْ صُنْعُهَا،
فَمِنْهَا دَمَامَتُهُ وَالْوَسَامُ
يُسْفُ إِلَى حَيْثُ لَا يَنْتَهِي
وَيَسْمُو إِلَى قِمَةٍ لَا تُرَامُ
وَيُسْقَى بِكَأْسِ إِلَهِيَّةٍ
مُرْنَقَةٍ بِالْهَوَى وَالْأَتَامُ

* * *

نَقِيزَانِ شَتَّى فَمَا يَسْتَقِرُّ
عَلَى غَضَبٍ مِنْهُمَا أَوْ رِضَاءٍ
تَحْدَى الْحَيَاةَ وَالْأَمَهَا
بِبَاسِ الْجَبَابِرَةِ الْأَعْلِيَاءِ
يَزِيدُ عُتُوءًا عَلَى نَارِهَا
وَيَلْمَعُ جَوْهَرُهُ مِنْ صَفَاءِ
وَيَنْشَقُّ عَنْ نَضْرَةِ قَلْبِهِ

وإِنْ طَمَرَتْهُ ثُلُوجُ الشِّتَاءِ
هُوَ الْمَرْحُ الشَّارِدُ الْمُسْتَهَامُ
شُرُودَ الْفَرَّاشَةِ عِنْدَ الْمَسَاءِ
حَبَبَتُهُ الْأُلُوهَةُ رَوْحًا يَرَى
وَيَنْطِقُ عَنْهَا بِوَحْيِ السَّمَاءِ
يُحَسُّ الْخِيَالَ إِذَا مَا سَرَى
وَيَلْمَسُ مَا فِي ضَمِيرِ الْخَفَاءِ
وَيَبْتَدِرُ النُّجُومَ فِي أَفْقِهِ
فَيَرشُفُهُ قَطْرَةً مِنْ ضِيَاءِ

* * *

أَرَتْهُ السَّمَاءُ أَعَاجِيبَهَا
وَرَوَتْهُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ بَدِيعُ
فَضْنٍ بِلَاءٍ هَذَا الْجَمَالِ
وَخَافَ عَلَى كَنْزِهِ أَنْ يَضِيعَ
أَبَى أَنْ يُبَدِّدَهُ نَاطِرَاهُ
فَأَطْبَقَ جَفْنَيْهِ مَا يَسْتَطِيعُ
فَإِنْ شَارَفَ الْأَرْضَ نَادَتْ بِهِ
فَفَتَّحَ عَيْنًا كَعَيْنِ الرَّبِّيعِ

الفَنَانُ الْأَوَّلُ

هَنَالِكَ حَيْثُ تَشَبَّ الحَيَاةُ
وَحَيْثُ الوجودُ جَنِينُ العَدَمِ
وَحَيْثُ الطَّبِيعَةُ جَبَّارَةٌ
تَشْقُ الوَهَادَ وَتَبْنِي القَمَمَ
وَحَيْثُ السَّعَادَةُ بَنَتْ الخِيَالَ
وَلَذَّتْهَا مِنْ معَانِي الْأَلَمِ
وَحَيْثُ الطَّرِيدَانِ شَجَا الكُتُوسَ
وَمَجَا صُبَابَتَهَا مِنْ قَدَمِ
رَنَّا، والطَّبِيعَةُ فِي حَلِيهَا
وَحَوَاءٌ عَارِيَةٌ كَالصَّنَمِ
فَمَنْ أَيْنَ سَارَ وَأَنْى سَرَى
تَصَدَّتْهُ مُقْبِلَةٌ مِنْ أُمَمٍ
هَنَالِكَ أَوَّلُ قَلْبٍ هَفَا
وَأَوَّلُ صَوْتٍ شَدَا بِالنَّغَمِ
وَأَوَّلُ أَنْمَلَةٍ صَوَّرَتْ
وَحَطَّتْ عَلَى اللُّوحِ قَبْلَ القَلَمِ
فَمَا لَكَ حَوَاءٌ أَغْوَيْتَهُ
وَأَعْقَبَتْهُ حَسَرَاتِ النَّدَمِ

لقد كان راعيكِ المجتَبَى
فأصبحَ راميكَ المتَّهَمُ
ولولاكِ ما ذرفتُ عينُهُ
ولا شامَ بارقَةٌ فابتَسَمَ
وعاشَ كما كانَ أبَاؤُهُ
يُغْنِي النجومَ ويرعى الغنمَ!

الفنانُ الأعمى

لأجلك يشقى بلمح العيون
ويُصرَعُ بالنظرةِ العابرةِ
لَوَدَّ إلى الأرضِ لو لم يُصَحَّ
أو ارتدَّ بالمقلةِ الحاسرةِ
وكم من فتى عزَّها سمعُه
وغضَّ على حذرٍ ناظره
عصاها، فنادتْ، فلم يَسْتَمِعْ،
فحلَّتْ به لعنةُ الفاجرةِ

له مُقلتان على ما وعى
من الألقِ الطُّهرِ مختومتان
ففي عقله حركاتُ الزَّمانِ
مُصَوَّرة، وحدودُ المكانِ
وفي قلبه أعينُ ثرَّةٍ
بها النارُ طاغيةُ العنفوانِ
وفي كلِّ خاطرةٍ نَيْرُكُ
يشقُّ سناه حجابَ الزَّمانِ

إذا ما هَوَتْ وَرَقَاتُ الْخَرِيفِ
أَحْسَ لَهَا وَخَزَاتِ السَّنَانِ
وإن سَكَبَتْ زَهْرَةً دَمْعَةً
فمن قَلْبِهِ انْحَدَرَتْ دَمْعَتَانِ
ومن عَجَبِ شَدْوِهِ لِلرَّبِيعِ
وقد يُخْطِئُ الطَّيْرُ شَدْوَ الْأَوَانِ!
وقيثَارَةُ الرِّيحِ ما لَحْنُهَا
سوى الرِّيحِ فِي جَفْوَةٍ أَوْ حَنَانِ

* * *

عَوَالِمُ جَيَّاشَةٍ بِالْمُنَى
ودنيا بأهوائِهَا تَضْطَرِبُ
من اللَّأِ نَهَايَةِ الْوَانِهَا
مشْعَشَعَةٌ بِالنَّدَى الْمُنْسَكِبِ
ففيها الصَّبَاحُ، وفيها الْمَسَاءُ،
وبينهما الشَّفَقُ الْمَلْتَهَبُ
تَطُوفُ بِهَا صَدَحَاتُ الطُّرُوبِ
وتسهو بها أَنَّةُ الْمَكْتَبِ!

حَنَانُ

الحوريات (يخاطبن هرميس):

لَكَ الْحُبُّ فِيمَا أَتَاخَتْ لَنَا
سِرِيرُكَ السَّمْحَةُ الطَّاهِرَةُ
وَمَنْ مَلَكَ مِثْلُ هَذَا الْحَدِيثِ
طُمَأْنِينَةً الْمُهْجِ الْحَائِرَةِ
عَطَفْتَ عَلَى قَلْبِ هَذَا الْفَتَى
قُلُوبًا عَلَى فَنِّهِ ثَائِرَةٍ
وَصَوَّرْتَهُ مَلَكًا نَاقِمًا
عَلَى أَدَمِيَّتِهِ الْجَائِرَةِ!!

هرميس:

أَجَلْ هُوَ ذَاكَ وَلَوْ زِدْتُكَ
لَزِدْتَنِي عَطْفًا عَلَى فَنِّهِ
وَمَا ذَنْبُ رُوحِ نَمْتِهِ السَّمَاءِ
إِذَا ضَجَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ سِجْنِهِ
تَعَلَّقَ مَهْوَاهُ فَوْقَ النُّجُومِ
وَحَوِّمَ وَهْنًا عَلَى كُنْهِهِ
لَيَنْعَمَ فِي ظِلِّهِ لَحْظَةً

ديوان علي محمود طه

وَيْمَلَأُ عَيْنَيْهِ مِنْ حُسْنِهِ
لَهُ وَلَعٌ بِخَدُورِ النُّجُومِ
إِذَا مَا تَخَلَّصَ مِنْ طَيْفِهِ
وَيَا رَبَّ لَيْلٍ كَوَادِي الْخِيَالِ
دَعَتْهُ الْحَقِيقَةُ مِنْ جَوْفِهِ
فَسَارَ يَضُمُّ صُدُورَ الْغَمَامِ
وَيَسْتَضْحِكُ النُّورَ فِي سُدُفِهِ
وِغَابَ كَأَعْجُوبَةٍ فِي الدُّجَى
تَحَارُّ الْأَسَاطِيرُ فِي وَصْفِهِ!

(هرميس ينظر إلى غمام بيضاء قريبة وكأنما يترقب شيئاً عندها.)

عَلَى الْأَرْضِ شَيْطَانُهُ الْحَائِمُ
وَفِي الْكَوْنِ وَجْدَانُهُ الْحَالِمُ
مَضَى سَابِقًا فِي عُبَابِ الْأَثِيرِ
كَمَا يَسْبَحُ النَّظْرُ السَّاهِمُ
يَدُورُ فَلَا أَفْقَ يَنْتَهِي
إِلَيْهِ، وَلَا كَوْكَبٌ هَائِمُ
وَحَيْثُ هُوَ الْآنَ فَيَمَنْ أَرَى
هَنَّاكَ عَلَى سِرِّهِ جَائِمُ

سافو:

هُنَّاكَ!

بليتيس:

هناك! كأنني أراه!

حَنَانُ

هرميس (مشيرًا بيده):

نعم خَلَفَ هذا الغمامِ الرقيقُ
إذا ما عطفتنَّ ناديتُهُ
عسى الآن من رَوْعِهِ أَنْ يُفِيقَ
ألا أَيُّهَا الروحُ مني السلامُ
وأنتَ بحبِّ العذارَى خَلِيقُ
عرائِسُ أحلامِكَ الماثلاتُ
وما أنا إلا مَلَكٌ صديقُ!

(صمت ... الحوريات يبدو عليهن القلق، ويتربعن في لهفة حديث هرميس.)

هرميس:

لقد طَلَعَ الفجرُ، يا شاعري
وكادتْ تَزُولُ نجومُ الصبَاحِ
وحان الرواحُ فودَّعْ خبَاءَكَ
وادنُ أَحَدْتُكَ قبلَ الرواحِ

الشاعر:

أَتَهْتَفُ بِـي أَنْتَ؟ أَمْ هُنَّ؟ أَمْ
نَذِيرُ الردى والقضاءِ المتأخُّ؟

بليتييس:

تُراكَ سمعتَ أحاديثَنَا؟

الشاعر:

لقد نَقَلْتُهَا إِلَيَّ الرِّيحُ!
عَجِبْتُ لِحُورِيَّةٍ فِي السَّمَاءِ
وَيَأْخُذُ أَهْلَ السَّمَاءِ الْعَجَبُ
أَتَحْلُمُ بِالْأَرْضِ مَخْمُورَةً
مِنَ الدَّمِ، رَاقِصَةً فِي اللَّهَبِ!؟
وَتُغْرِئِي بِي الْمَوْتَ، لَا جَانِيًا،
وَلَكِنِّهَا ثُورَةً مِنْ غَضَبٍ
بَرِئْتُ مِنَ الْإِثْمِ حُورِيَّتِي
فَرَدَّيَ الظُّنُونَ وَخَلَّى الرَّيْبُ!

حَوَاءُ

أَبْغَضُ حَوَاءَ وَهِيَ الَّتِي
عَرَفْتُ الْحَنَانَ لَهَا وَالرِّضَا؟
وَبَاعَ بِهَا آدَمُ خُلْدَهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَتَمَنَّى الْقَضَا؟
وَرِثْتُ هَوَاهَا، فَرُمْتُ الْحَيَاةَ
وَحَبَّبَ لِي الْعَالَمَ الْمُبْغَضَا
أَرَاهَا عَلَى الْأَرْضِ طَيْفَ النِّعَمِ
وَحُلُمَ الْفَرَادِيسِ فِيمَا مَضَى!
وَكَانَتْ حَيَاتِي مَحْضَ اتِّبَاعٍ
فَصَارَتْ طَرَائِفَ مِنْ فَنِّهَا
وَكَانَ شَبَابِي صَمْتِ الْقِفَارِ
وَرَجَعَ الْهَوَاتِفُ مِنْ جَنْهَا
فَعَادَتْ لِيَالِي الصُّبَا وَالْهَوَى
أَرَقَّ الْمَقَاطِعِ فِي لَحْنِهَا
وَأَفْرَغْتُ بَوْسِي فِي حُضْنِهَا
وَأَتْرَعْتُ كَأْسِي مِنْ دَنْهَا
وَكَمْ ذَكْرِيَّاتٍ لَهَا عَذْبَةً
أَعِيشُ عَلَيْهَا وَأُحْيَا بِهَا

لها في دمي خَلَجَاتُ الحياةِ
كأنِّي خُلِقْتُ بِأَعْصَابِهَا
مُسَامِرَتِي حِينَ يَمُضِي الشَّبَابُ
وتَهْتَفُ رُوحِي بِأَحْبَابِهَا
وتَخْلُو بِي الدَّارُ عِنْدَ الْغُرُوبِ
وأَجْلِسُ وَحِيدِي عَلَى بَابِهَا!
بَدَتْ شَبَهَ عَابِسَةٍ فَانْتَنَيْتُ
وقد زَايَلَ الشَّمْسُ لَأَلَاؤُهَا
وَخِلْتُ الحَيَاةَ وَضُوضَاءَهَا
تَمَوْتُ عَلَى الْأَرْضِ أَصْدَاؤُهَا
وكَفَّ عَنِ الْهَمِّسِ حَتَّى النِّسِيمِ
وَأَمْسَكَ عَنِ لَعِبِ مَأْوُهَا
وَنَادَيْتُ، فَالْتَفَتْتُ لَا تُجِيبُ
ولَكِنْ دَعَانِي إِغْرَاؤُهَا
وَمَرَّتْ إِزَائِي فَتَابَعْتُهَا
بِقَلْبِي، وَعَيْنِي إِلَى أُمِّهَا
رَأَيْتُ مَفَاتِنَهَا غَيْرَ تِلْكَ
وإنْ لَمْ يُخَلِّذَنْ فِي جَسَمِهَا
وَأَبْصَرْتُ مِنْ حَوْلِهَا الْكَائِنَاتِ
جَوَانِحَ تَهْفُو إِلَى ضَمِّهَا
وَيَخْنُو الصَّبَاحُ عَلَى ثَغْرِهَا
وقد جَنَّ شَوْقًا إِلَى لَثَمِهَا
يُسَائِلُنِي الْقَلْبُ عَنْ أَمْرِهَا
وَأَسْأَلُهُ أَنَا عَنْ سِرِّهَا
وَيُعْطِفُنِي فِي الْهَوَى ضِعْفُهَا
وَأَنْسَى بَأَنِّي فِي أَسْرِهَا
وَتُبْدِي لِي الْأَنْجُمُ الْوَامِقَاتُ

رَفِيفَ الْأَمَانِي عَلَى ثَغْرِهَا
فَأَحْسَبُ أَنْ اهْتَزَّازَ الْحَيَاةِ
صَدَى حُبِّهَا وَرُؤَى سَحْرِهَا
لِكِذْبَتِهَا تُسْتَحَبُّ الْحَيَاةُ
وَيَصْفُو الزَّمَانُ بِتَغْيِيرِهَا
وَيَأْخُذْنِي الشَّكُّ فِي قَوْلِهَا
فَتُقْنِعْنِي بِأَسَارِيرِهَا
وَتَعْصِفُ بِي شَهْوَةً لِلْجِدَالِ
فَتُسَكِّتُنِي بِمَعَاذِيرِهَا
غَفَرْتُ لَهَا كُلَّ أَخْطَائِهَا
سِوَى دَمْعَتَيْنِ لِتَبْرِيرِهَا!
أَحَاوَلُ أَفْهَمَهَا مَرَّةً
فَأَعْيَا بِهَا وَبِتَفْكِيرِهَا
أَمْخْلُوقَةٌ هِيَ؟ أَمْ رَبَّةٌ
تَسِيرُ الْخَلَائِقُ فِي نِيرِهَا؟
وَمَا سِحْرُهَا؟ أَلْتَكْوِينُهَا؟
وَمَا حُسْنُهَا؟ أَلْتَصْوِيرُهَا؟
تَقُولُ الطَّبِيعَةُ: بِنْتِي! وَمَا
أُحِسُّ لَهَا بَعْضَ تَأْثِيرِهَا!

أَعِنْدَ الطَّبِيعَةِ هَذَا الدَّلَالُ؟
وَفِي دِفْئِهَا مِثْلُ هَذَا الْحَنَانِ؟
إِذَا قِيلَ لِي: هَاكَ مُلْكُ النَّرَى
وَدُنْيَا الشَّبَابِ، وَعُمُرُ الزَّمَانِ
فَمَا لِدَّتِي بِالَّذِي نِلْتُهُ،
وَمَا نَشَوْتِي بِرَحِيقِ الْجِنَانِ،
كَرْعَشَةٍ رُوحِي وَهَزَاتِهَا

وصدري على صدرها واليدان!

وَعَنَّتْ فَأَسْمَعَنِي صَوْتُهَا
صَدَى الرُّوحِ فِي خَلَجَاتِ الْبَدَنِ
عَمِيقًا كَأَنْفَذَ مَا فِي الْحَيَاةِ
وَأَبْعَدَ مَا فِي قَرَارِ الزَّمَنِ
فَأَحْسَسْتُ كَيْفَ تَطْيِشُ الْعُقُولُ
وَتَسْهُو الْقُلُوبُ وَتَصْحُو الْفِتَنُ
وَقَالَ لَهَا الْحَسَنُ: يَا رَبَّتِي!
فَقَالَتْ لَهُ: «كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٌ»!!

رَأَاهَا عَلَى النِّعِ بَعْضُ الرُّعَاةِ
مَصُورَةً فِي إِطَارِ الْغُصُونِ
فَقَالُوا: أَحُلُمُ تَرَاهُ الْعَيُونُ؟
أَفِي الْغَابِ حَوْرِيَّةٌ؟ مَنْ تَكُونُ؟
وَمَسَّ مَزَاهِرَهُمْ حُبُّهَا
فَرَفَّتْ بِهَا خَالَدَاتُ اللَّحُونِ
وَبَاتَتْ تَعَانِقُ أَحْلَامَهُمْ
وَقَدْ كَادَ يَرْقُصُ حَتَّى السَّكُونِ

ولاحت بمرأى لعيني فتى
طوى البحرَ ليسَ له من قرارٍ
تَفَتَّحَ عَنْ صَدْرِهَا مَوْجَتَانِ
وينشق في الفجر عنها المحارُ
رأها فَجَنَّ غَرَامًا بِهَا

حَوَاءُ

وَعْنَى بِهَا اللَّيْلَ بَعْدَ النَّهَارِ
وَقَالُوا: تَعَشَّقُ جَنِّيَّةً
فَتَى شَاعِرٌ تَائِهٌ فِي الْبَحَارِ!

قَضَى اللَّهُ أَنْ تُغْوِيَ الْخَالِدِينَ
وَتُغْرِيَ بِالْمَجْدِ عُشَّاقَهَا
لَقِيتُ عَلَى بَابِهَا الْفَاتِحِينَ
وَعَارَ الْفَتْوحِ وَأَبْوَاقَهَا
وَكُلَّ مُدِلٍّ عَصِيٍّ الْقِيَادِ
دَعْتُهُ الصَّبَابَةَ فَاشْتَاقَهَا
سَلَا مَجْدَهُ الضُّخْمَ فِي قُبْلَةٍ
تُذِلُّ وَتُسْعِدُ مَنْ ذَاقَهَا!
أَمَانِي شَتَّى تَمَثَّلْنَ لِي
بِكُلِّ وَضِيءٍ الصَّبَا نَاعِمٍ
مُبْعَثَرَةً، حَوْلَهَا فِي التَّرَابِ،
بَقَايَا الدُّمَى فِي يَدِ الْحَاظِمِ
تَمَرُّ بِهَا وَهِيَ فِي ضَحْكِهَا
وَمَا ذَرَفَتْ دَمْعَةَ النَّائِمِ
فِيَا لَكَ مِنْ طِفْلَةٍ فَذَّةٍ
وَرُحْمَاكِ سَيِّدَةِ الْعَالَمِ!

بليتييس (مخاطبة سافو):

يحاولُ بالشعرِ إغراءَنَا

ديوان علي محمود طه

سافو:

لنؤمِّنَ واحدةً واحدةً!

بليتيس:

هو الموقفُ الضَّنْكَ ما يَتَّقِيهِ

تايبس:

كما يَتَّقِي باشقُ صائِدُهُ

سافو:

متى كان صَبًّا عطوفَ الفؤاد
وهذي قصائدهُ الجاحِدةُ؟
ألا نَكْزِرِيهِ بِمَثَالِهِ
ونادي بِحَيَّتِهِ الخالِدةُ

قُلُوبُ الشُّعْرَاءِ

الشاعر (محدثاً سافو):

ظَلَمْتُ الفنونَ وأربابَها
وما كنتِ حُورِيَّتِي ظالِمَةً
قلوبٌ تَلِدُ بتعذيبِها
غرائزُ عاتِيَةٍ عارِمَةٍ
تُرَنِّحُهَا سَكَرَاتُ الهوى
وتُوقِظُهَا الفِتْنُ النَّائِمَةَ
صَحَّتْ من خُمارِ مَلَذَّاتِها
تُعَنِّفُ أهواءَها الأثِمَةَ

* * *

ألا ما لأختيكِ؟ ما تبغيان؟
أقلبي والخنجرَ المُنتَضَى؟
خذاهُ! اقتلاه! ولا ترحماه!
فليسَ له بَعْدُ أن يَنْبِضَا
أذيقاهُ ما شِئْتُما واغْرِسَا
به الشرَّ ملتهباً مُرْمِضَا
فلن تُنَبِّتَا فيه إلَّا السَّلامَ

ديوان علي محمود طه

والحُبَّ والزَّهْرَ الأبيضَا!

إناءٌ من النُّورِ طَافَتْ بِهِ
يَدُ الحُبِّ غَارِسَةُ الزَّنْبَقِ
تُغَادِيهِ هَاتِفَةٌ فِي الدُّجَى
وَرَاقِصَةٌ فِي الضُّحَى المَشْرِقِ
بَأَجْنَحَةٍ كَرُؤَى الخَالِدِينَ
لغَيْرِ الصَّبَابَةِ لَمْ تَخْفِقِ
وَقَلْبِي مِنْ قَدَحِ فِي السَّمَاءِ
وَمَنْ نَبْعِ آلِهَةٍ يَسْتَقِي!!

الطِّيفُ الْآدَمِيُّ

سافو (في تهكم):

أَتَخْشَى لِقَانَا سَلِيلَ السَّمَاءِ
أَتَحْذَرُنَا أَمْ تَخَافُ الضِّيَاءَ؟

الشاعر (يهم بالظهور فيحسن أن له جسداً وأنه لم يعد روحاً مجرداً):

مُحَدَّثَتِي مَا أَحَبَّ اللِّقَاءَ
لَقَدْ حَالَ جَسْمِي دُونَ اللِّقَاءِ
وَكُنْتُ تَخَلَّصْتُ مِنْ طَيْفِهِ
فَلَقْتُهُ حَوْلِي يَدٌ فِي الْخَفَاءِ
كَأَنِّي أَهْذِي بِأَضْغَاثِ حُلُمٍ
أَوْ إِنِّي ضَلَلْتُ طَرِيقَ السَّمَاءِ!!

تايبس:

بليتيس ... سافو ... الفرار!! الفرار!
فقد لبسَ الروحُ طيفَ البشرِ
أَتُبْصِرُهُ جَسْداً عَارِيّاً؟
ونقربُهِ؟ تلك إحدى الكُبر!

هرميس:

على رَسْلِكُنَّ فقد عاقَبْتُهُ
بأقوالِكنَّ بناتُ القدرِ

تايبس:

لقد عاقبتُهُ بأشعارِهِ
فيا ليتَهُ ما هَدَى أو شَعَرَ

(الحوريات يلتفتن إلى الملك وقد سمعن الشاعر يصرخ في مخبئه).

هرميس:

أَتَصْرَخُ؟ وَيَحَكَ إِنَّ السَّمَاءَ
لِتَأْخُذَهَا صَرَخَاتُ الْأَلَمِ
من الغيمِ، يا شاعِرِي، فالتَّمَسْ
دِثَارَكَ وَاخْصِفْ بِهِ مِنْ أَمَمٍ
وَحُذْ مِنْ جَنَاحِيَّ مَا تَتَّقِي
به في السَّمَاءِ عَثَارَ الْقَدَمِ
وَأَقْسَمُ مَا رُمْتُ غَيْرَ الْحَنَانِ
وإِنِّي زَعِيمٌ بِهَذَا الْقَسَمِ

الرجُل!

(يسمع صوت من وراء غمامة قريبة تنشق عن الشاعر في موقف اضطراب!)
(سافو تنظر إليه في دهشة بينما تاييس وبليتيس متجهتان إلى هرميس.)

سافو:

بليتيس! تاييس!

الحوريتان:

ماذا؟

سافو:

انظروا ...
فتمَّتْ أعجوبةٌ تظهرُ

هرميس:

تعالِ فتى الشُّعرِ ...

تاييس:

يا لسماء!
أبالشعر أم بالفتى تسخر؟

سافو:

أهذا هو الآدمي العظيم؟

بليتيس:

ألا شد ما يخدع المنظر

تاييس:

تصوّرتُه من أحاديثه
فتى لوسامته يُؤثّر

هرميس:

تريدينه صورة أم فتى
تهلّل فيه الحجيّ وابتسم؟

سافو:

رأيتُ الرجولة كلّ الجمال
هو الرّجلُ الفردُ في المزدحم
تراهُ على النبع يُعلي الغطاء
ويُدلي الدلاء ويسقي الغنم
ويحدو العذارى إلى دارهنّ

الرَّجُلُ!

حَيَّيْ الْخَطَى «مُوسَوِي» الْقَدَمُ

هرميس:

لشَدِّ الذي قُلَّتِيهِ، يا ابنتي
كَلَامًا تَوَهَّجَ مِنْهُ الْحَنِينُ
تَعَالِي هُنَا وَالثَّمِي جِبْهَةً
هَزَأَتْ بِهَا وَهِيَ حُلْمُ السَّنِينِ

بليتييس (تدنو من الشاعر وتلمس بيدها صدره وتمر بها على وجهه):

أَمِنْ حَمَلِ السُّحْبِ هَذَا الدَّثَارُ؟
وَمِنْ حَمَا الْأَرْضِ هَذَا الْجَبِينُ؟

هرميس:

دَعِي طَيْفَهُ وَانْظُرِي رَوْحَهُ
فَفِيهَا الصَّبَا وَالْجَمَالُ الْمَبِينُ

بليتييس:

هل الرجلُ الروحُ؟

تاييس:

لا، إِنَّهُ
مُحَيًّا تَرَقَّرَقَ فِيهِ الْوَسَامُ
وَعَيْنَانِ بِالسَّحْرِ تَسْتَأْثِرَانِ ...

سافو:

خيالٌ لَعَمْرُكَ هذا الكلامُ!
مُحَيًّا وعينانِ؟ ما في الرجالِ
سوى كلِّ أصيدٍ سَبَطَ القوامُ
ذراعاهُ تستدرجانِ الخصورَ
وفي شفتيه حديثُ الغرامِ!

الملك (محدثاً نفسه في قلق وزهول):

تنزَّهْتَ عن شُبْهَةِ عالمي
ولا رابني فيكَ ما أسمعُ
عهدتُ البراءةَ فيمن تُظِلُّ
فما لي من ريبةٍ أفزعُ
وأبدعتَ خَلْقًا وَلِكنَّني
أراهُ إلى عَبيثٍ ينزعُ
سَبَى السَّحَرُ أجملَ أرواحه
فأنطقهنَّ بما يخذعُ

* * *

أفي عالم الرُّوح تفسو الظنونُ
وينطق روحٌ بهذا الكلمِ؟
أسأيلُ نفسي ... أسيطانةُ
توسوسُ لي؟ أم مَلاكٌ أَثمُ؟
أم الشكُّ أذَنَني بالصِّراعِ؟
أم حلَّ بي غضبُ المنتقمِ؟

الرَّجُلُ!

صوت السماء (في موج من الأنغام الشجية):

بل البعثُ آذَنَهُنَّ الغدَاةَ
فلا تَلْحَهُنَّ لا تَتَّهَمُ

الْبَعْثُ الْأَوَّلُ

هي الآدمية طافتُ بهنَّ
وتلك غرائزُها والطباعُ
غداً تدرجُ الرُّوحُ في طَيْفِها
وما الطيفُ للرُّوحِ إِلَّا قِنَاعُ
سترقدُ في غورها الذِّكْرِيَّاتُ
وتوقظهنَّ السنون السَّرَاعُ
وتمشي لحاضِرِها في الحياة
بمصباحِ ماضٍ خَفِيَ الشُّعَاعُ
وكم نبأةٌ كالحديثِ الجديدِ
وما هو إِلَّا القديمُ السَّمَاعُ
من الخيرِ والشرِّ إلهاُمها
مقادِرُ تجري بهنَّ اليراعُ
فدعُ للسماءِ تصاريقَها
فقد أذنَ البعثُ بَعْدَ انْقِطَاعِ

الملك (مخاطبًا الشاعر وقد أخذ طريقه في السماء):

وداعًا، صديقي ...

ديوان علي محمود طه

الشاعر (في حيرة وذهول):

إلى أين تمضي؟

الملك (ملوحًا بيده):

إلى الملتقى، فالوداع!

الشاعر (ملوحًا بيده والهوريات ينظرن إليه في عطف وابتسام):

الوداع!

أُغْنِيَهُ الرِّيحَ الْأَرْبَعُ

١٩٤٣

أغنية الرياح الأربع

بقلم علي محمود طه

نظمها شاعر مصري عاش قبل الميلاد بما يقرب من ألفي عام، ونوّه بكشفها ونقلها إلى الفرنسية العلامة الجليل الأب دريتون عام ١٩٤٢، وأتمّها وقَدّم لها شاعر مصري محدث بعد الميلاد بما يقرب من ألفي عام، محاولاً أن يتخيّل قصّتها وأن يهيئ لها جواً مسرحياً يترسّل فيه الحوار التمثيلي بروح ذلك العهد البعيد الذي نظمت فيه.

القاهرة، ١٩٤٣

تمهيد

- **زمن الرواية:** في عهد الأسرة التاسعة المصرية، أي: منذ أكثر من أربعة آلاف عام.
- **مكانها:** بدأت وقائعها في ميناء بيبيلوس من أعمال فينيقيا (بيروت الآن)، وكانت آشور العظيمة تبسط سلطانها السياسي إذاك على فينيقيا والكلدان وميزوبوتاميا وأرض كنعان. ولبيبيلوس حديث ذائع في التاريخ المصري سواء السياسي أو الديني أو الأدبي ... تقرأه في رسائل تل العمارنة التي وجدت من عهد الملك أخناتون. وفيما أشار إليه «برستد» من نصوص قصيدة «ملاح السفينة المحطمة»، وفي النصوص الدينية لقصة الإله أوزيريس إله الخصب والخير عندما قتله أخوه «ست» إله الجذب والشر، وأودع جثته صندوقاً ألقاه في اليم فحمله التيار إلى ميناء بيبيلوس، حيث استقر في جذع شجرة تعرفت عليها إيزيس بسحرها، وتوصلت بفتنتها إلى اقتلاعها والإبحار بها إلى مصر.
- وتنتهي وقائع القصة في شاطئ مصر غربي ميناء «رافيا» أول الثغور المصرية من جهة الشرق (رفح الآن).
- **الأشخاص:**

- **باتوزيس:** المغني المتجول. شاعر مصري. صاحب فن ورب خيال، يعيش ليومه قبل غده.
- **أزمردا:** القرصان الفاتن. رجل فينيقي. أنيق البزة. رياضي الجسم. خلاب الحديث.
- **حروازا:** سوداء الشعر. تمثل جمال الشرق.

- **مريتّا:** سوداء الشعر والعينين. تميل إلى الرقص والغناء والمرح، تمثل طابع الغرب.
- **ويشافا:** شقراء أوروبية في صورتها وتكوينها وزیها. تمثل الشمال.
- **أسميتّا:** زنجية هيفاء. تمثل الجنوب.
- **أرسطفان:** صاحب الحانة. رجل يوناني مادي النزعة بين الكهولة والشيخوخة.
- **أنتجونّا:** زوجة أرسطفان. شابة يونانية جذابة الطلعة، خيالية.
- **ماتوكّا:** عبد أسود رئيس خدم سفينة القرصان أزمردا.
- **حرشاف:** بحار فينيقي.
- **داريوس:** بحار يوناني.
- **سرنبال:** بحار إسباني.
- **إمرا:** امرأة أشورية صديقة حرشاف.
- **نفراي:** امرأة أشورية صديقة داريوس.
- **أزيرو:** عملاق فينيقي من الشذاذ الأفاقين.
- **شيلّا:** خلیلة أزيرو.
- **سمارا:** خلیلة قديمة لأزيرو.
- **النكرات المسرحية:** جماعة من البحارة الإغريقين والشمالين والشرقيين غانيات وبنات هوى، جوقة من الفتيات الراقصات مختلفات الأعمار يمثلن عرائس الأمواج، جماعة من العبيد السود يعملون في سفينة القرصان أزمردا.

الفصل الأول

حانة «الملاح التائه» حانة صغيرة أنيقة، مزدانة بالقناديل الزجاجية الملونة، رفعت على جدرانها صور تمثل مغامرات العشاق في العصور الأولى. ذات باب عريض مواجه لرصفة البحر بميناء «بيبلوس». أرسطفان الخمار وزوجته أنتجونا في صدر الحانة منهماكان في تجفيف الأقداح وصفها بعناية، وقد أخذ ظل المساء يمتد على الشاطئ.

أنتجونا:

يا للمساء الجميل

أرسطفان:

لأنت أجمل منه

أنتجونا:

أرسطفانُ النبيلُ
لسانُهُ لم يَخُنْهُ
قَوْلُ بَغِيرِ دَلِيلِ
لا يَصْفَحُ الْقَلْبُ عَنْهُ

أرسطفان:

فَمُ عَنِ التَّقْبِيلِ
إِنْ صُنَّتِهِ لَمْ أَصْنُهُ!

(وقد مال عليها يقبلها ثم يربت على خدها وهو يقول):

أسرعي، يا أنتجونا، أسرعي
قد طوى المغربُ أطرافَ النهارِ
سوف لا يبقي هنا من موضعِ
قادةِ السفنِ وروادِ البحارِ
وهمو في كُلِّ زِيٍّ مُبدعِ
قد خَلَّتْ منه حوانيتُ التجارِ

أنتجونا:

دَعْ حَدِيثَ الزِّيِّ باللهِ دَعْ
أنتُ تُذَكِّي، في دمي، شُعْلَةَ نارِ
أوترضى أن أرى في المرفعِ
بإزاري ذاك أو ثوابِ مُعارِ؟

أرسطفان:

أقصري، يا أنتجونا، واسمعي
لكِ مني، في غدٍ، أغلى إزارِ؟

أنتجونا (وقد زَمَّتْ شفيتها):

في غَدٍ تَنْسَى وَعُسْرًا تَدَّعِي

وَسَرَاوِيكَ مَلَأَىٰ بِالنُّضَارِ!

أرسطوفان:

تَبَا لَهَا شَرَاهَةُ النِّسَاءِ
تُغْرِي بِهِنَّ أَقْبَحَ الْأَشْيَاءِ
يَحْلُمْنَ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ
بِالْحُلِيِّ وَالْجَوْهَرِ وَالْأَزْيَاءِ

(يمر في هذه اللحظة باتوزيس وهو يتأمل ما حوله فيسترعي انتباهه منظر الحانة، فيقف ببابها ويعتمد قيثاره ويسترسل في الإنشاد):

باتوزيس:

هَيْمَانُ هَيْمَانُ، يَا غَرَامِي
ظِمَانٌ ظِمَانٌ لِلْمُدَامِ
مُشَرَّدُ اللَّبِّ لَيْسَ يَذْرِي
تَعَاقُبَ النُّورِ وَالظَّلَامِ
هَيْمَانُ مِنْ حَانَةِ لَأُخْرَى
بَلَا قَرَارٍ وَلَا زِمَامِ
يَشُدُّ قَيْثَارَهُ وَيَشْدُو
لِلنَّجْمِ، لِلرَّيْحِ، لِلْغَمَامِ!
يَخْطُبُ وَدَّ الْكُؤُسِ حِينَا
وَوَدَّ شَرَابُهَا الْكِزَامِ
يُلْقِي أَغَانِيَهُ وَيُلْقَى
مَبَاذِلَ الْقَوْمِ بِابْتِسَامِ
أُذْنَاهُ لَا تَسْمَعَانِ إِلَّا
تَصْفِيقَ رَاحٍ وَضُحْكَ جَامِ
عَيْنَاهُ لَا تُبْصِرَانِ إِلَّا

ديوان علي محمود طه

مطالِعَ الحَسَنِ وَالْوَسَامِ
هِيْمَانُ ظَمَانٌ، يَا غِرَامِي

أرسطوفان (إلى باتوزيس):

كَثِيرُونَ مِثْلَكَ مَرُّوا بِنَا
فَرَدُّوا الزَّبَائِنَ عَنْ بَابِنَا
وَبَثُّوا السَّامَةَ فِي شَرْبِنَا
فَفَرَّجْ بِبُعْدِكَ عَنْ كَرْبِنَا!

باتوزيس:

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ لَا تُقْصِنِي
وَلَا تَكُنْ مِنْ رَحْمَةِ مُؤَيَّسِي
إِنْ صَفَرْتُ كَفَّايَ مِنْ دِرْهَمٍ
فَمَا أَنَا بِالرَّجُلِ الْمُفْلِسِ

أرسطوفان:

وَمَا يَكُونُ لَوْ هَذَا الْغِنَى؟
غِنَى الْخِيَالِ؟

باتوزيس:

بَلْ غِنَى الْأَنْفُسِ!
غَنِيْتُ بِالنَّفْسِ فَلَمْ أَحْتَفِلْ
بِالزَّائِلَيْنِ: الزَّادِ وَالْمَلْبَسِ
عِنْدِي كُنُورُ الْفَنِّ وَهَاجَةٌ
فَهَاتِ لِي كَأْسًا، وَخُذْ، وَأَقْبِسِ
لَوْ كُنْتُ فِي «طَبِيبَةٍ» يَوْمًا مَعِي

الفصل الأول

رَأَيْتَ بِاتُوزَيْسَ فِي الْمَجْلِسِ
يَسْقِيكَ مِنْ خَمْرَةٍ كُفَّانَهَا
مَصْرِيَّةً عَذْرَاءَ لَمْ تُمَسِّسْ
عَلَى رَحِيمِ الشَّدْوِ فِي رُفْقَةٍ
مِنَ الْكَرَامِ الطَّيِّبِ الْمَغْرِبِ

أنتجونا:

من طيبة أنت؟

باتوزيس:

أجل

أنتجونا:

حَبِّ ذَا
مَغْدَايَ فِي شَتَائِهَا الْمَشْمِسِ!

باتوزيس (بعاطفة):

لَكُنْتُ، يَا سَيِّدَتِي، أَغْتَدِي
إِلَيْكَ فِي خُمَائِلِ السُّنْدُسِ
بِكُلِّ مَا اخْتَارْتُ وَمَا جَمَعْتُ
إِلَهْتِي مِنْ زَهْرِ اللُّوتِسِ
وَقَلَّ أَنْ يُهْدَى لِهَذَا الصَّبَا
وَالْحَسَنِ كَنْزُ النَّهْرِ الْأَقْدَسِ!

أنتجونا:

أيها المنشدُ الغريبُ فتَيَّ أنتَ مُعْجَبٌ
منكَ عَن طَيِّبَةِ الغناءِ جميلٌ مُحَبَّبٌ

باتوزيس (غناء):

حَبَّذا النهرُ وَالشَّرَاعُ به الرِّيحُ تَلْعَبُ
بين شَطَّيْنِ كالزَّبَرْجَدِ، وَالْمَاءُ مُذْهَبُ
رَاحٍ مَلَّاحُهُ الشَّجِي يُغْنِي فَيُطْرَبُ
وَعَلَى الأفقِ والحقولِ نَشِيدٌ وَمَوْكِبُ
أيها الزَّارِعُونَ، ما تُنْبِتُ الأرضُ طيِّبُ
اقطفوا زَهْرَ أوزريسَ وَمِنْ خَمْرِهِ اشربوا!

(أنتجونا في شبه حلم لذيذ، تنظر إلى زوجها وقد كفت يدها عن الأقداح، وهي تقول):

أنتجونا:

هذا النشيدُ الجميلُ
يَشْدُو بِنَجْوَانَا
مَلَّاحُ وادي النيلِ
بالأَمْسِ غَنَّاْنَا
وَهَزَّ بالترتيلِ
مَوْجًا وَشُطَّانَا

باتوزيس:

أَيُّ صَدَى هَزَّنِي
وَأَيُّ حُلْمٍ عَجَابُ

الفصل الأول

هَلْ لِي إِلَى مَوْطِنِي
يَا رَبِّي مِنْ إِيَابٍ؟
يَا رَبِّي رَدِّي
هَذَا النِّدَاءَ الْجَمِيلُ
الْيَوْمَ أَمْ فِي غَدٍ
أَرَى ضِفَافَ النَّيْلِ؟!

أنتجونا:

يَا لَلْفَتَى دَمْعُهُ
يَجْرِي عَلَى الْقَيْثَارِ
أَرْسُطَفَانُ ادْعُهُ
فَاللَّيْلُ عَيْدُ الْبَحَارِ
وَشَدْوُهُ وَقْعُهُ
تَحْلُو بِهِ الْأَسْمَارُ

أرسطفان:

ذَكَرْتُ مَرَاخِنًا، يَا أَنْتَجُونَا
وَأَيَّامَ الصَّبَابَةِ وَالتَّمَنِّي
وَلَيْلَاتِ «بَطِييْبَةَ» سَاحِرَاتِ
رُؤَاهَا لَمْ تَغِبْ، فِي الدَّهْرِ، عَنِّي

أنتجونا:

وَضَلَّلْتَنَا عَلَى خُضِرِ الرِّوَابِي
وَزَوْرَقْنَا عَلَى الْمَوْجِ الْمَغْنِي

أرسطفان:

وَشَدَوَ رِعَاتِهَا فِي كُلِّ فَجْرٍ
عَلَى جَرَسِ الْقَطِيعِ الْمَطْمِنِّ

أنتجونا:

وَتَرْجِيعَ الحمامِ وَهِيَ تَهْفُو
حَوَائِمَ بِالنَّخِيلِ الْمَرْجَحِنِّ

أرسطفان:

دِيَارٌ مِنْ بَنِي فِرْعَوْنَ طَالَتْ
بِأَسٍّ مِنْ حَضَارَتِهَا وَرُكْنٍ
إِذَا أَبْوَابُهَا فُتِحَتْ أَطْلَلَتْ
عَجَائِبُ لَمْ تَجُلْ يَوْمًا بَظُنٍّ
تُنْسِي صُنْعَ أَشُورٍ وَتَجْلُو
رَوَائِعَ مُلْهَمَاتٍ كُلُّ فَنٍّ

(أرسطفان يملأ قدحًا ويضعه على المائدة، أنتجونا ترفعه وتقدمه إلى
باتوزيس، وهي تقول):

أنتجونا:

إِشْرَبْ، وَغَنِّ الْآنَ، يَا شَاعِرِي
وَأَقْضِ هُنَا اللَّيْلَ مَعَ السَّامِرِ
وَهَاتِ لَحْنَ الْبَلَدِ السَّاجِرِ
مِصْرَ الَّتِي مَا بَرَحَتْ خَاطِرِي

باتوزيس (يشرب القدح دفعة واحدة، وينحني شكرًا وهو يغني):

خَمْرٌ طَبِيبَةٌ أَمْ بِابِلِيَّةٍ
هذه نفحةٌ روح قُدْسِيَّةٌ
منحةُ الحُسْنِ بكفِّي أريحيةً
تمنحُ الرحمةَ قَلْبَ البشريَّةِ
لَكَ، يا أجملَ ربَّاتِ البرِّيَّةِ،
دَعْوَةٌ صادِرَةٌ مِنْ أَصْغَرِيَّةٍ!

(تسمع ضجة من بعيد تقترب، فيقف باتوزيس بباب الحانة متطلعًا وهو يقول):

أَرَى ساحةَ الميناءِ شَتَّى مشاعِلِ
تَبْتُ سَمَاءَ البحرِ شَتَّى مفاتِنِ
رَبَابِنَةُ السُّفُنِ المَواخِرِ أَقْبَلُوا
يُحْيُونَ عيدَ الماءِ، عيدَ السفائِنِ
يَلُوحُونَ مِنْ أَقْصَى الطريقِ بموكِبِ
تصايحٍ فيه كُلُّ نشوانٍ ماجِنِ
أَلَا حَبَّذَا عيدُ البحارِ وَحَبَّذَا
شرايِي فيه أو شجِي ملاحِنِي!

أنتجونا:

أرسطفانُ انظرْ جَمَالَ الموكِبِ
واسمَعْ لذيَّاكَ النشيدِ المطربِ
أَراهُمْ مِنْ بُعْدٍ كَأَنَّهُمْ
في مرقِصٍ يلهونَ أو في مَلْعَبِ
كُلُّ فَتَى ضَمَّ فَتَاةً وَمَشَى

ديوان علي محمود طه

يُخَطِّرُ فِي زَهْوِ الْمَحَبِّ الْمَعْجِبِ
أَنْظُرْ إِلَيْهِمْ ...

أرسطوفان:

أَنْتَجُونَا، مَا أَرَى
غَيْرَ خَلِيطِ هَائِجٍ مُؤَلَّبٍ
مَنْ الرِّجَالِ الْعَابَثِينَ، بَيْنَهُمْ
أَخُ الْأَثَامِ وَالْغَرَامِ الْقُلُوبِ
وَبَائِعَاتِ الْحَبِّ فِي أَسْوَاقِهِمْ
مَنْ النِّسَاءِ جَامِعَاتِ الذَّهَبِ!
حَبِيبَتِي، أَخْشَى عَلَيْكَ سُكْرَهُمْ
فِي حَانَتِي، فَاجْتَنِبِيهِمْ وَادْهَبِي

أنتجونا:

مِمَّ تَخَافُ؟ فَتْنَةً أَمْ غَيْرَةً؟
تَظُنُّ بِي سَوْءًا؟ أَمَا وَثِقْتَ بِي؟

أرسطوفان:

أَصْغِي إِلَيَّ الْآنَ، يَا صَغِيرَتِي
وَامْضِي إِلَى مَخْدَعِكَ الْمَحَبِّ

أنتجونا:

كلا! سَأَبْقَى هَا هُنَا

أرسطفان:

بل اذهبي
ولا تثيري غضبي

أنتجونا:

بل اغضب!!

أرسطفان (يأخذ بيد زوجته مشيراً لها إلى باب خلفي):

هذا طريقك، فاذهبي بأمان
سارَ الهتافُ على طريق الحانٍ
إنِّي أخافُ عليكِ وسوسةَ الطَّلَا
في كأسِ عريبيد الصُّبا، نشوانٍ
وهبَ المخاطرَ عُمره، فشبابه
أحلامُ كأسٍ أو خيالُ غواني
وأخافُ نظرةَ جارحٍ متربِّصٍ
تُخفي حُلَاهُ حَبَائِلَ القُرْصَانِ
غَزَلًا، إذا ساقَ الحديثَ حَسْبِيتهِ
ربَّ الخيالِ وشاعِرِ الوجدانِ
يُغوي إناثَ الجنِّ لا يعيا بها
جِيلًا، ويقنصها بطرفِ بنانٍ
أرسي سفينته هُناك كأنَّها
مقصورةُ العشَّاقِ في بستانٍ
ملعونةُ الحُجراتِ، كُلُّ أثاثِها
قيدُ الضحية أو سياطُ الجاني
إنَّ يدُعُ زائرةً لها فسبيلُها
سوقُ الرقيقِ وعالمُ النسيانِ

ديوان علي محمود طه

عن قنصٍ جاريةٍ وخطفٍ أميرةٍ
كم عند قُرصانِ البحارِ أغاني!

(تخرج أنتجوتا من الباب الخلفي كأنها متضايقة.)

أرسطفان:

وأنتِ، يا باتوزيس، هيّا
إملاً فضاءَ المساءِ شدوا
وأبعثُ أغانيكِ مفرحاتِ
آنّا، وأنا يسِلنَ شَجَوا
وإنْ علّتْ ضجّةُ السّكّارى
فألهُ معَ الشاربينَ لهوا
ولّا تَضُقْ بالسّبَابِ صدرا
وظُنّ ما ينطِقون لَغَوا

(يقترب موكب الملاحين وهم ينشدون نشيدهم حتى يدخلوا الحانة بأزيائهم
البهجة، وهم مستمرون في نشيدهم ويأخذون أماكنهم.)

الجميع:

نحنُ قادةُ السفينِ
نحنُ سادةُ البحارِ
لا يعزُّنا السّفارُ
أو يهزُّنا الخطارُ
عيّدنا من الجمالِ،
والجلالِ، والفخارِ
نحن سادةُ البحارِ
البحارِ

أحد البحارة:

أَلْبَحَارُ مَهْدُنَا

الجميع:

وَالسَّفِينُ مَجْدُنَا

أحد البحارة:

قَدْ عَشَقْنَاهَا شِرَاعًا خَافَقَا

بحار آخر:

أَيْنَا لَمْ يَكُ يَوْمًا عَاشِقًا؟

الجميع:

لَابِنَةُ الْمَاءِ عَرُوسِ الْجَارِيَاتِ
عِيدُهَا أَجْمَلُ أَعْيَادِ الْحَيَاةِ
أَيُّ عِيدٍ مِثْلُهُ فِي الْكَائِنَاتِ!

أحد البحارة:

غَادَةً عَشَّاقُهَا فِي كُلِّ ثَغْرِ
تَعشُّقُ الْمَجْهُولَ وَالْوَجْهَ الْغَرِيبَا

بحار آخر:

تَحْمِلُ الْأَشْوَاقَ مِنْ بَحْرِ لِبَحْرِ

الجميع:

وَهِيَ لَا تَوَثِّرُ بِالْقُرْبِ حَبِيْبًا

أحد البحارة:

عَنْ أَبِيهَا وَرِثْتُ حُبَّ الصَّرَاعِ
يَوْمَ لَاقَى الْأَرْضَ غَضْبَانَ عْتِيًّا

بحار آخر:

طِفْلَةٌ تَرْقُصُ فِي ظِلِّ الشَّرَاعِ

بحار آخر:

وَتَقْوُدُ الْمَوْجَ وَالنَّوَى الْعَصِيًّا

الجميع:

إِنَّهَا بِنْتُ الْبَحَارِ
الْبَحَارِ

(الجميع يصفقون ويهللون.)

سرنبال:

أَيُّهَا الْخَمَّارُ عَجِّلْ بِأَبَارِيْقِ الْمُدَامِ
هَاتِنَا مِنْ حَمْرَةِ الشَّرْقِ أَفَاوِيْقَ الْغَرَامِ

(أرسطوفان يسرع بالأقداح والأباريق.)

الفصل الأول

(الجميع يملئون أقداحهم ويرفعونها وهم ينشدون مع الإعادة وبالطرق على الموائد.)

(أحدهم يغني الشطر الأول والجميع يرددون الشطر الثاني.)

الجميع:

غَنُّوا الكَأْسَا يَا أَصْحَابِي
حَيُّوا الشمسَا فِي الْأَكْوَابِ

سرنبال (وهو يتأمل الحانة):

بِاللّهِ مَا أَجْمَلَ هَذِي الْحَانَّةُ
وَضِيئَةُ جِدْرَانِهَا مَزْدَانَةٌ
بِالصُّوَرِ الرَّائِعَةِ الْفَتَانَةِ
تُمَثِّلُ الصَّبُوحَةَ وَالْمَجَانَّةُ

حرشاف:

صَاحِبُهَا الْمَلَّاحُ فِي الْبَحْرِ شَرْدُ

داريوس:

وَرُبَّمَا يَعُودُ آخِرَ الْأَبَدِ

سرنبال:

لَا! بَلْ حَسَا شَرَابُهُ حَتَّى نَفَدَ

داریوس:

فهام في اللجة يعصرُ الرِّبْدُ

حرشاف:

بَلْ عَثْتُ جَنِيَّةً بِرَأْسِهِ

سرنبال:

فَظَنُّهَا إِحْدَى بَنَاتِ جَنْسِهِ

حرشاف:

يَا وَيْحَهُ مَا نَفَعُهُ بِنَفْسِهِ
وَهُوَ أَسِيرٌ حَبِيْهٍ وَكَأْسِيْهِ؟

سرنبال:

أَغَاصُ فِي الْبَحْرِ أَمْ قَدَحِ الْخَمْرِ

حرشاف:

أَمْ أَبْحُرُ الشُّعْرِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي؟

داریوس:

يَا أَيُّهَا الْخَمَّارُ، قُلْ وَدَلَّنَا
مَنْ صَاحِبُ الْحَاثَةِ؟ أَيْنَ؟ قُلْ لَنَا

أرسطفان (دهشًا):

من صاحب الحائنة؟ من هذا؟ أنا!

داريوس:

أنت؟ عجب أن نراك بيننا

حرشاف (ضاحكًا):

انظر إلى وجهك في المرأة
وصف لنا عجيبة الحياة

داريوس:

من أي غاب، يا وحيد القرن

سرنبال:

وما اسمك الصحيح؟ لا تُكني!

أرسطفان (مبتسمًا):

أرسطفان

حرشاف (ممسكًا بشعرات شارب أرسطفان):

عَلِمَ مَغْلُوطٌ
صَحَّتْهُ وَشَكَلُهُ الْمَضْبُوطُ
تُنْبِئُ عَنْهُ هَذِهِ الْخِيوطُ

سرنبال:

أَرْسُطَفَانُ أَنْتَ أَخْطُبُوطُ

داریوس:

حَرِشَافُ هَذِي شَعْرَاتُ مُضَحِكَةٍ

سرنبال:

يَلْفُفُهُنَّ بِيَدِ مَرْتَبِكَةٍ

داریوس:

فِي شَارِبٍ يَرْعُدُ مِثْلَ السَّمَكَةِ

حرشاف:

إِلَيَّ، يَا دَارِيُوسُ، هَاتِ الشَّبَكَةَ!

(ضحك متواصل.)

أَرْسُطَفَانُ (هامساً متضرعاً):

بَاتُوزِيْسُ هِيَا غَنِّي
زِدْهُمْ عَنِّي بِصَدَى لَحْنِ!

(يرتقي باتوزيس مائدة ويشير إلى أرسطوفان فيناوله قدحاً فيرفعه عالياً، وهو يمشي.)

باتوزيس:

جَدُّدُوا، يَا أَيُّهَا الصَّحْبُ، مَسَرَّاتِ الزَّمَانِ
إِنَّ هَذَا لَيْلَةٌ الْحُبِّ فَضْجُوا بِالْأَغَانِي
ارْفَعُوا الْأَقْدَاحَ مَلَأَى، وَاشْرَبُوا نَخْبَ الْحَسَانِ!

(الرجال يرفعون أقداحهم والنساء يصفقن رافعات الأقداح.)

حرشاف:

للسواحبِ الحسانِ

إمرا:

للشبابِ

نفراي:

للغزل!

سرنبال:

للقدودِ

داريوس:

للخدودِ

حرشاف:

للتغورِ

باتوزيس:

لِلْقُبْلِ!

داريوس:

لِلْعَيْنِ

حرشاف:

لِلْفَتُونِ

سرنبال:

لِلْجَنُونِ

باتوزيس:

لِلْأَمَلِ!

إمرا (واقفة رافعة قدحها):

نَحَبَ صَاحِبِي الْجَمِيلِ كُلُّ شَارِبٍ نَهْلٍ!

(يميل عليها حرشاف فيقبلها والجميع يهتفون):

الجميع:

تَحْيَا الْقُبْلُ يَحْيَا الْغَزْلُ

الفصل الأول

حرفاشاف (رافعا قدحه مشيرا إلى إمرا):

وَنَحْبَ عَيْنِكَ، يا جميلة

داریوس:

يا أظرفَ الغانياتِ طُرا

نفراي (وهي تجذبه):

تُعِظُنِي أَمْ تَريدُ حِيلَه؟

داریوس:

إِنِّي أَحَبُّي صَنِيعَ إمرا

نفراي:

قَوْلُ تَوَقَّعْتُ أَنْ تَقُولَه!

داریوس:

نَفْرَايَ لَا شَكَّ أَنْتِ غَيْرِي!

نفراي (ساحرة):

غَيْرِي؟ أَمِنْ هَذِهِ الْهَزِيلَةِ؟
داریوس أَنْتِ امْتَلَأَتْ حَمْرًا

داريوس:

بَلْ أَنْتِ نَفْرَاي! أَنْتِ سَكْرَى

نفراي:

داريوسُ مَا لَكَ عَيْنُ
تَطِيقُ وَهَجَ ضِيَائِي
أَنْظُرْ لَوَجْهِ قَلِيلًا
وَلَا تَذُبْ مِنْ حَيَاءِ
أَيُّ الْجَمِيلَاتِ مِنِّي
أَحَقُّ بِالْإِطْرَاءِ
«ببيلوس» تَعْرِفْ سَحْرِي
وَفِتْنَتِي وَرَوَائِي
إِذَا خَطَرْتُ الْهَوِينَا
وَالْعَاشِقُونَ وَرَائِي
مِنْ كُلِّ سَابِ جَمِيلٍ
جَمُّ الصُّبَا وَالْثُرَاءِ
لَوْ نَالَ تَقْبِيلَ نَغْرِي
أَتَى بِمُلْكِ السَّمَاءِ
لَكِنْ صَدَّقْتُكَ حُبِّي
وَأَنْتَ، فِي الْبَحْرِ، نَاءٍ
داريوسُ مَا لَكَ عَهْدُ
لَأَنْتَ زِيرُ نِسَاءٍ

(ثم تثب فجأة واقفة ملقية بمعطفها نازعة وشاحها، وتبدأ في رقصة خلابة
مثيرة تشربب إليها الأعناق، وتتردد صيحات الإعجاب. ثم تنتهي رقصتها
فتقف حانية رأسها، مضمومة اليدين على صدرها، بين التصفيق والهتاف،
وتلمع الفتنة في عيني داريوس فينحني مقبلًا قديمها مادًا ذراعيه لضمها،
وهو يصيح):

داریوس:

هيا اهتفوا، أيها الرجال
لرَبَّةِ الحسَنِ والدلالِ
نفرايَ معبودَةِ الجمالِ

(في أذنِ إمرا.)

داریوس یحنو علیها یَبْحَثُ عَنْ شَفَتَيْهَا

إمرا:

قد خَرَّ بَيْنَ يَدَيْهَا مُقْبِلًا قَدَمَيْهَا

(ويحتضنها داریوس وينزل بها وهي مغمضة العينين موسدة رأسها صدره،
وهو ينجيها):

داریوس:

ضَعِي هُنا رَأْسَكَ، يا حَبِيبَتِي
لشَدِّ ما أَهْوَكَ، يا جَمِيلَتِي
أُرْنِي إِلَيَّ، واغفري خَطِيئَتِي
أنا الغيورُ، فاصفحي عَنْ غَيْرَتِي

(ويقبلان بعضهما.)

حرشاف:

والآن، يا أيها النساءُ هيا إلى الرقص والغناء

(وفجأة يدخل أزمردا الحانة بزيه العجيب ومشيته المهيبة دون اكتراث بالجميع، فيسترعي منظره الأنظار، ويأخذ مكانه بانحراف في آخر الحانة بينما ينظر إليه باتوزيس من طرف خفي، وهو يقول لنفسه):

باتوزيس:

مَنْ ذَلِكَ الْوَجْهَ يَبِينُ نَصْفُهُ؟
هَذَا فَتَى مَا غَابَ عَنِّي وَصْفُهُ
جَبِينُهُ، وَعَيْنُهُ، وَأَنْفُهُ
أَذَاكَ أَزْمُرَدَا تُرَى! أَمْ طَيْفُهُ؟
يَا لِلْعَيْنِ لَمْ يُصَبِّهِ حَتْفُهُ
حَيًّا أَرَاهُ وَالصَّبَا يَحْفُهُ
وَالْخَمْرُ فِي الْأَقْدَاحِ تَسْتَحْفُهُ

داريوس:

أَيُّهَا الْخَمَّارُ هَيَّا أَتَرَعِ الْكَاسَ وَنَاوِلْ

حرشاف:

لَا تَدْعُ فِي الدَّنِّ شَيًّا وَاسْقِنَا مِنْ خَمْرٍ بَابِلْ

(ويسري المرح في جو الحانة من جديد ويسرع أرسطوفان بأباريق الخمر فيهتف سرنبال):

سرنبال:

أَيُّهَا الشَّادِي، أَمَا تُسْمَعُنَا لَحْنًا شَجِيًّا؟

نفراي:

غَنَّا، يَا شَاعَرَ الْحَبِّ، قَصِيدًا عِبْقَرِيًّا

داريوس:

قِصَّةٌ مِصْرِيَّةٌ الْأَلْحَانِ وَزَنًّا وَرَوِيًّا

إمرا:

أَوْ نَشِيدًا أُسِيوِيًّا

حرشاف:

أَيُّهَا الْمِصْرِيُّ هَيَّا

(يعتمد باتوزيس قيثاره ويأخذ في الإنشاد حينًا والغناء حينًا آخر ويشترك معه الجميع في بعض أبياتها):

باتوزيس:

يَرْوِي لَكُمْ، فِي الشَّعْرِ، بَاتُوزِيسُ
أَجْمَلُ مَا يُرَوَّى
مِنْ قَصَصِ أَوْحَتْ بِهِ إِيزِيسُ
يُغْجِبُ مَنْ يَهْوَى
وَيَسْتَثِيرُ الْوَجْدَ وَالشَّجْوَا
فِي مَا مَضَى، مِنْ غَابِرِ الْأَيَّامِ كَانَ فَتَى مَلَّاحٍ
نَهَارُهُ أَوْ لَيْلُهُ أَحْلَامُ بِالْغَيْدِ وَالْأَقْدَاحِ
مُسْتَغْرَقًا فِي اللَّهْوِ وَالْأَفْرَاحِ
جُنَّ بِأَشُورِيَّةٍ هَيْفَاءَ مَعْبُودَةِ الْحُسْنِ

كانت لها سفينة في الماء أميرة السفن
شراؤها أعجوبة الفن
وليلة مرر فغنأها أغاني الحب
فاستمهلت تُصغي، فحيأها تحية القلب
فأومأت تدعوه من قرب
وعلمته القنص والأسفار في الغرب والشرق
فطوفا في قاصيات البحار أو لجة العشق
عامين مررا كسنا البرق
وليلة في الشاطئ الفضي أسرى إلى القنص
بيننا دنت من شعب الأرض سفينة اللص
تدب في خوف وفي حرص
وحدعتها رنة الصوت من هاتف الباب
يصيح في حشجة الموت يا رحمة الأرباب
هذا غريق في ثنايا العباب
وأوقعتها نخوة الإحسان في قبضة القرصان
ولم يزل عاشقها الولهان من سالف الأزمان
يسأل عنها الريح والخلجان
وقال راو: حدثوا عنه في قصتي نوح
إن إلهًا زوجت منه في عالم الروح
فأنجبت آلهة الريح!
فإن سمعتم في صدى الأمواج أو لحن شاديكم
أغنية تهفو على الأتباع حيزي تغاديركم
فهي لها، وهي تناديكم!

حرفاشاف:

يا للفاجر يا للغادر

داریوس:

أَيْنَ نَرَاهُ! أَوْ نَلْقَاهُ؟

باتوزیس:

سَلِّ إِلَهَ الرِّيحِ عَنْهُ إِنْ أُرِدْتَ النَّارَ مِنْهُ!
هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ جَائِثٌ إِنْ تَفْتَقِدُهُ
وَهُوَ فِي كُلِّ زَمَانٍ إِنْ تَسَلِّ عَنْهُ تَجِدُهُ
وَتَرَاهُ بَيْنَنَا الْآنَ وَإِنْ لَمْ تَعْتَقِدْهُ
مَثَلٌ لِلشَّرِّ مَهْمَا يَطُوهِ الدَّهْرُ يَعِدُهُ

إمرا:

أَنْقُضِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ أَسْرَى هَذِهِ الْحَانَةِ؟
وَفِي بَيْبُلُوسَ أَلَوَانٌ مِنَ اللَّذَاتِ فَتَانَةٌ

حرشاف:

هَلُمُّوا، أَيُّهَا الْإِخْوَانُ، فَالْلَيْلَةُ حُسَانَةٌ

نفراي:

وَهَذِي الْغُرْفُ الْحَمْرَاءُ بِالْإِغْرَاءِ مَلَانَةٌ

داریوس:

وَمَعْشُوقَاتُنَا يَنْظُرْنَ مِنْ آنٍ إِلَى آنَةٍ

سرنبال:

هَلُمُّوا قَبْلَ أَنْ يَهْجَرَ طَيْرُ الْفَجْرِ أَوْ كَانَهُ

حرشاف:

وَيُجْرِي الشَّفَقُ الْأَوَّلُ فَوْقَ الْمَاءِ عُقْيَانَهُ

داريوس:

وَيَدْعُو صَاحِبُ الْفُلِكِ إِلَى الدَّفَةِ سَفَانَهُ

باتوزيس:

فَلَنَرْفَعَ الْأَكْوَابَ
وَلَنُدِيرَ الْأَنْخَابَ

سرنبال:

فِي صَحَةِ الْإِعْرَاءِ

نفراي وإمرا:

وَالْغُرَفِ الْحَمْرَاءِ

حرشاف:

بَلْ نَحْبَ بَاخُوسِ

داریوس:

وَحُورِ بِيْلُوسِ

الجميع (ينشدون في صوت واحد، وهم يغادرون الحانة):

فَلْيَحْيَ باخوسُ وَلْتَحْيَ بِيْلُوسُ

حرفاف (وهو يأخذ بذراع إمرا):

فَوَاتِنَ الدُّنْيَا هَيَّا بِنَا هَيَّا

(ويغادر الجميع، ما عدا أزمردا، وقد ألقوا بنقودهم، ثمن الشراب، على المواثد فيسرع أرسطفان إلى جمعها مبتهجا.)

باتوزيس (إلى أرسطفان متعمداً تجاهل أزمردا):

إِلَيَّ بِجَرَعَةٍ قَدْ جَفَّ حَلْقِي
وَأَوْهَى الْمِعْزَفُ الشَّادِي بِنَانِي

أرسطفان (يملاً قدحاً ويسرع به إلى باتوزيس ضاحكاً مرعاً):

إِلَيْكَ إِلَيْكَ، باتوزيس، فاشربْ
مَعْتَقَةً مَخْتَمَةَ الدَّانِ
لَقَدْ أَبْدَعْتَ فِي شَدْوٍ وَلَهُوَ
كَمَا أَبْدَعْتَ فِي نَظْمِ الْأَغَانِي!

أزمردا (للخمار مشيراً إلى باتوزيس):

وَهَاتِ لَهُ بَثَانِيَةً فَإِنِّي
طَرِبْتُ كَأَنَّ آلِهَةً تُغْنِي

لَقَدْ غَنَّكَ طَيْبِي نَبِيلُ
أَرَاهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَنَأْ عَنِّي
تَحَدَّرَ مِنْ ضِفَافِ النِّيلِ حَتَّى
أَتَى آشُورَ فِي ثَوْبِ الْمَغْنِيِّ

(مشيراً لباتوزيس.)

أَبَاتُوزِيسَ هَاتِ الْكَأْسَ هَيَّا
تَعَالَ، تَعَالَ، وَادْنِ الْآنَ مِنِّي
سَمِعْتُكَ فِي الطَّرِيقِ فَجِئْتُ أَصْغِي
إِلَيْكَ، وَأَنْتَ فِي سُبُحَاتِ فَنٍّ
وَأَزْمُرْدَا صَدِيقَكَ لَمْ تَخُنْهُ
فَرَأَسْتُهُ، وَصَوْتُكَ لَمْ يَخُنِّي!

(باتوزيس يتصنع الدهشة والفرح معاً، يحمل قدحه ويخف به إلى أزمردا وهو يقول):

باتوزيس:

يَا لَفَجَاءَاتِ الْفَرَحِ! وَيَا لَنَشْوَةِ الْقَدَحِ!
أَأَنْتَ أَزْمُرْدَا؟ أَحَقًّا أَنْتَ؟ أَمْ أَنْتَ سَبَحٌ؟

(مشيراً إلى ثياب أزمردا.)

هَذَا الْجَلَالُ! مَا أَرَى؟ أَرَى نَفَائِسَ الْحُلِّ
كَأَنَّهَا أُسْطُورَةٌ يَبْرُزُ لِي مِنْهَا بَطْلُ
أَقُولُ: مَنْ هَذَا الْأَمِيرُ فِي صِدَارَةِ الذَّهَبِ؟!
وَهَذِهِ الْجَوَاهِرُ الْمَضُوتَاتُ كَالشَّهْبِ!

أزمردا:

وَلَا تَقُول: بَلْ فَتَى عَرَفْتُهُ عَلَى الزَّمَنُ
كُنَّا مَعًا نَعْمَلُ فِي الْبَحْرِ وَنَقْتَادُ السُّفُنَ!

باتوزيس (رافعاً قدحه):

نَخَبَ الثَّرَاءِ الْعَظِيمِ
نَخَبَ الصَّدِيقِ الْقَدِيمِ

أزمردا (رافعاً قدحه):

نَخَبَ الْغِنَاءِ الرَّخِيمِ
وَنَخَبَ ضَيْفِي الْكَرِيمِ

باتوزيس:

ضَيْفُكَ! مَا تَعْنِي؟ وَمَاذَا تُرِيدُ
تَضِيفَنِي أَنْتَ الثَّرِيُّ الْعَتِيدُ
وَلَمْ أَكُنْ غَيْرَ مُغْنٍ شَرِيدُ
فِي أَيِّ قَصْرِ أَوْ بِنَاءٍ مَشِيدُ؟
تَقِيمُ فِي هَذَا الْمَكَانِ السَّعِيدُ؟!

أزمردا:

أَقِيمُ فِي قَصْرِ؟ وَفِيمَ الْقُصُورِ
وَطَوَّعَ سُلْطَانِي هَذِي الْبُحُورِ
أَوْمٌ فِيهَا حَالِيَاتِ الثُّغُورِ
مِبْتَهَجِ الْأَصَالِ نَضَرَ الْبُكُورِ
عَلَى شَرَاخِ قَرْمَزِيٍّ جَسُورِ

ديوان علي محمود طه

منطلقًا يَغْزُو سَمَاءَ النُّسُورِ
ولا يَنِي بَيْنَ الصَّبَا والدَّبُورِ
يثيرُ أهواءَ الحسانِ الحورِ
حتى تُرَى في ظِلِّهِ المَنْشُورِ
يحملها إلى الغَدِ المقدورِ!

باتوزيس:

سِرُّكَ، يا صاح، عرفتُ مكمَنَه
سفينتكِ الراسي وعيشُ القرصَنَه
يا للثراءِ، وَيَحَهُ، ما أَلَعَنَهُ!

أزمردا:

ألا تزالُ، يا فتى، مهذارا
مُحدِّثًا أو منشِدًا ثُرثُارًا
تُلَفِّقُ الألحانَ والأشعارًا
تَتَّهَمُ السفينَ والبحارًا
وَتَخْلُقُ القراصنَ ابتِكارًا
في صُورَةٍ تكسو الرجالَ عارًا؟

باتوزيس:

عارُكَ لن يُمَحَى ولن يُوارى!
أذاكرَ أنتَ أزمردا منعَمَةً
بيضاء كالشمسِ في أبهى مطالِعِها؟
إذا مَشِينَا على الميناءِ ترمُقُها
خُلُسا، وعيناك نَارٌ في مدالِعِها
خدعتني عن خُطاها وهي واثبةٌ

مِثْلَ الْغَزَالَةِ تَلْهُو فِي مِرَاتِعِهَا
 حَتَّى ظَفَرَتْ بِهَا غَدْرًا وَطَرَتْ بِهَا
 مِثْلَ الرِّيحِ أَضَلَّتْ خَطْوَ تَابِعِهَا
 قَنَصَتْهَا قَنَصَ جَبَّارٍ وَمَا شَفَعَتْ
 لَدَيْكَ حَتَّى الدَّوَامِي مِنْ مَدَامِعِهَا
 يَا بؤْسَهَا، وَهِيَ فِي الْأَسْوَاقِ عَارِيَّةٌ،
 وَيَا لَهَا بَيْنَ شَارِيهَا وَبَائِعِهَا!
 مَعْرُوضَةٌ الْجَسْمِ تَلْتَفُّ الْعَيُونُ بِهَا
 تَكَادُ تَنْفِذُ مِنْ أَخْفَى مِقَاطِعِهَا
 كَأَنَّهَا دُمِيَّةُ الْمِثَالِ يَفْحَصُهَا
 نُقَادُهُ لِيَرَوْا أخطاءَ صَانِعِهَا
 كَأَنَّهَا الشَّاةُ وَالْقَصَابُ يَنْقُذُهَا
 بِمِثْلِ مَا جَسَّ لَحْمًا فِي أَضَالِعِهَا
 رَوَايَةٌ كُلَّمَا مَرَّتْ يُجَدِّدُهَا
 قَرِصَانُ بَحْرٍ وَيُحْيِي مِنْ وَقَائِعِهَا
 فَاذْكُرْ مَصَائِبَ آبَاءٍ بِمَا اجْتَرَحَتْ
 يَدَاكَ، أَوْ أُمَمَاتٍ فِي فَوَاجِعِهَا
 وَاذْكُرْ فَتَاتَكَ إِنْ صَرْتَ الْغَدَاةَ أَبَا
 وَكَانَ مِثْلُكَ مَقْدُورًا لَطَالِعِهَا!

أزمردا:

أَرَاكَ كَمَا فَارَقْتُكَ الْأَمْسَ شَاعِرًا
 عَلَى الدَّهْرِ عَرَبِيدًا، مِنَ النَّاسِ سَاخِرًا
 تَرَامِي بِكَ الْحَانَاتُ تَشْدُو بِمَزْهَرٍ
 تُغْنِي السُّكَارَى وَالنِّسَاءَ الْعَوَاهِرَا
 حَوَانِيْتُ لَهْوٍ أَنْتَ فِيهَا فَرَاشَةٌ
 تَظَلُّ عَلَى أَضْوَائِهَا الْعَمَرَ حَائِرَا

وسادُكَ كرسِيَّ عتيقُ بحانَةٍ
إذا ضافَكَ الخَمَّارُ وامتنَّ آجَرًا
ومن عجب تُزري على الجاه والغنى
وتسألُ بي هذي الحُلَى والجواهرًا
وتهزأُ بي بين السُّكاري وما أرى
بهم غيرَ فتَّاكٍ يَلصُّ المواخرًا

باتوزيس:

وعَذْرُكَ أزمردا! تكلَّمْ فإنَّني
أرى منك وحش الغاب أنقى أظافرًا!

أزمردا:

رويدك، باتوزيس، ما كنتُ غادرًا
وما كنتُ إلَّا أسيويًا مُغامرًا
أبيعُ الصبايا الهائماتِ على الطوى
لأمنحنَّ العيشَ رِيَّانَ ناضِرًا
وأخدعُ فيهنَّ الرجالَ وربما
نسلنَ نجومًا أو ولدنَ عباقِرًا
وأغشى بهنَّ الدُّورَ عاليةَ الدُّرى
لأجعلَ منهنَّ الإماءَ حرائِرًا
والهةً فوقَ الشعوبِ يسمُنَّها
مقادةً ربَّاتِ يَقْدَنَ المقادِرًا
فحلَّ خيالَ الفنِّ للساعةِ التي
يدينُ لك المالُ النُّهى والخواطرًا
هو المالُ غفَّارُ الخطيئاتِ فالتمسْ
به خالقًا يَغْفُو ويبطشُ قادِرًا

باتوزيس:

أَيْهَا السَّاحِرُ دَعْنِي كُفَّ هَذَا السَّحَرَ عَنِّي
أَيُّ أَنْغَامٍ مِنَ السُّحْرِ مُرْنَاتٍ بِأُذُنِي
كَدْتُ أَنْ تَبْلُغَ مَا لَمْ تَبْلُغَ النِّشْوَةُ مِنِّي
كَدْتُ أَلْقِي فِي يَدِ الشَّرِّ بِسَيْفِي وَمِجْنِي
لَا عَلَيْنَا الْآنَ مِنْ هَذَا التَّحَدِّيِّ وَالتَّجْنِي
لَكَ سُلْطَانُكَ فِي الْبَحْرِ، وَلِي كَأْسِي وَلَحْنِي!

أزمردا:

وَلَكَ الْخِيَالُ الْعَبْقَرِيُّ يَصُوغُ آلِهَةَ الرِّيحِ
مِثْرَمَاتٍ بِالْعَشِيِّ مِغْنِيَاتٍ بِالصَّبَاحِ
تَحْتَالُ تَذَكُّرُهُنَّ فِي قِصَصٍ مِنَ الْكُذْبِ الصُّرَاخِ
قِصَصٍ تُنَمِّقُ لَا إِزِيْسُ بِهِنَّ تَعْلَمُ أَوْ بَتَاخُ!
وَتَرَوْحُ تَغْمِزْنِي، وَأَنْتِ تَجِدُ فِي قَوْلِ الْمَزَاخِ!

باتوزيس:

وَيْكَ أَزْمَرْدَا دَعِ الظَّنَّ وَلَا
تَحْسَبِ الْقِصَّةَ مِنْ هَزْلِ الْحَيَاةِ
كَنْتُ فِي «طَبِيبَةٍ» مِنْ عَامٍ مَضَى
وَتَسَمَّعْتُ لِأَخْبَارِ الرُّوَاةِ
فَتَيَاتٍ أَرْبَعُ يَظْهَرْنَ فِي
كُلِّ عَامٍ صُورًا مُخْتَلِفَاتٍ
رَائِعَاتٍ يَتَخَطَّرْنَ عَلَى
هَذِهِ الْأَمْوَاجِ مِثْلَ النَّسَمَاتِ

أُزمردا:

حبذا هُنَّ، أَلَا صِفْهِنَّ لِي
كَيْفَ يَطْلَعْنَ؟ وَفِي أَيِّ الْجِهَاتِ؟

باتوزيس:

فَوْقَ شَطْءٍ رَمْلُهُ مِنْ ذَهَبٍ
لِوَلَوِيِّ الْمَاءِ دُرِّيِّ الْحَصَاةِ
مَنْ يَحْزُهُنَّ يَحْزُ مُلْكُ الثَّرَى
وَمَقَالِيدَ الْبَحَارِ الطَّاغِيَاتِ

أُزمردا:

أَه، لَوْ يَسْنَحُنَّ لِي كُنْتُ إِذَنْ
سَيِّدَ الْبَحْرِ وَرَبَّ الْغَزَوَاتِ!
كُنْتُ، بَاتُوزِيسَ، أَحِبُّوكَ الْغِنَى
وَمَسَرَّاتِ الْعُصُورِ الْخَالِيَاتِ

باتوزيس:

يَا لِأَطْمَاعِكَ أُزْمَرْدَا، أَفِي
مَلَكُوتِ الرِّيحِ؟ قِفْ! بَعْضُ الْأَنَاءِ!

أُزمردا:

أَوَأَنْتَ بَاتُوزِيسُ تَتَوَمَّنُ بِالْقُوَى الْمُتَجَسِّدَاتِ؟
وَبِهَذِهِ الْأَرْوَاحِ فِي صُورِ الْإِنَاثِ مُصَوَّرَاتِ؟
أَوَأَنْتِ تَتَوَمَّنُ!

باتوزيس:

كيف لا! والروحُ كُبرى المعجزاتِ
نحيا كآلهةٍ بها ونعيشُ من بعدِ المماتِ

أزمردا:

هذي الروايةُ من نسيجِ الوهمِ أو صنْعِ الخيالِ
أوَأَنْتَ تَـؤْمَنُ؟

باتوزيس:

لستُ أؤمنُ بالخديعةِ والضَّلَالِ
أمنتُ بالروحِ القويِّ يهدُّ طاغيةَ الرجالِ
ويصبُّ صاعقةَ السماءِ على العتيِّ من الجبالِ

أزمردا:

لَمْ يَكُنْ عهدي بباتوزيسَ نشوانَ يُجادِلُ
وَلَقَدْ أَغْمَدْتُ سيفي، وَهُوَ لَا زَالَ يَنَاضِلُ
أَنْتَ ضِيفِي، فَقِمِ الْآنَ، وَدَعْ هَـذِي الْمَبَاذِلُ
وتَهَنُّ بِالكَرَى العَذِبِ وَصِلْ مَا أَنْتَ وَاصِلُ
مِنْ ذَوَاتِ الْقُرْطِ وَالشَّفِّ وَرَبَّاتِ الْخِلَاحِلُ
وَلِيَكُنْ حُلْمُكَ حَوْرِيَّاتِ آشُورَ وَبَابِلُ

باتوزيس (مغضباً):

لَكَ عُذْرِي، يَا أَخَا الْوَدِّ، فَمَا أَنْتَ بِقَائِلُ؟

أزمردا:

يا أيها الفتى الرقيقُ، لا تَكُنْ مُعاندي
أَنْتَ أَخِي، فلا تُرْبِكَ، يا أَخِي، مقاصدي
ذَكَرْتُ عَهْدَنَا الْقَدِيمَ وَالْوَفَاءَ شَاهِدِي
فَزَاعِنِي أَنِّي أَرَاكَ فِي هَوَانٍ شَارِدٍ
تَقْتَاتُ كَالْهَرَّةِ مِنْ سَوَاقِطِ الْمَوَائِدِ
تَعَالَ فِي سَفِينَتِي، وَكُنْ أَخِي وَسَاعِدِي
وَاسْتَقْبِلِ الدُّنْيَا وَغَنِّ لِلْغِنَى الْمَوَاعِدِ
وَذُقْ مَبَاهِجَ الْحَيَاةِ عَذْبَةَ الْمَوَارِدِ
دَعِ الْخَيَالَ وَاطْرَحِ تَوَافِهَ الْعَقَائِدِ
وَحُضْ مَلَا حِمَ الرِّجَالِ، وَافْتَحِمْ، وَجَالِدِ!

باتوزيس:

قُلْ لِي: مساء الخير، يا صديقي
وَلْنَفْتَرِقْ كُلُّ إِلَي طَرِيقٍ!

(وفجأة تعلق ضجة بباب الحانة حيث يبدو «أزيرو» متعلقة بذراعه «شिला»
ومن ورائه جماعة من الرجال والنساء بينهن «سمارا»، ويأخذ أزيرو مكانه
مواجهًا لأزمردا وهو يقبل شिला فيندفع رجل من الجماعة إليه):

أزيرو:

إِلَيْكَ عَنِّي الْآنَ؟ مَا تَرُومُ؟

الرجل:

أَطْلُبُ حَقِّي، أَيُّهَا الزَّعِيمُ!

أزيرو:

أها هُنا حَقُّك، يا لئيمُ؟

الرجل (بصوت جهوري):

أنا اللئيمُ؟ بلْ أنا المَلومُ!

أزيرو:

إلامَ تَهْذي أَيها المَحْمُومُ
غــــــداً أراك

الرجل (مهدداً بيده):

موعِدٌ محتومٌ!!

أزيرو (وهو يلعب بسفيهه علامة التهديد):

ألا تَعِيشُ، يا فتى، إلى الصبَاحِ؟

الرجل (وقد تقلص وجهه):

ألا أَعِيشُ؟

أزيرو (متوعداً ساخراً):

لا تَخَفْ ولا تُرَعْ!

ديوان علي محمود طه

الرجل (في استخفاف):

ممن أخافُ منك!

أزيرو (مشيرًا لسيفه):

بل من السلاح

الرجل (في شراسة):

عفوًا أزيرو نحن في الهوى شرع
هذا سلاح لم يُعدَّ للكفاح
غداً غناءً أو بكاءً وفزعاً!

أحد الجماعة:

يا للشقيِّ قد نجا بنفسه

شيلاً:

كيف أزيرو لم تطح برأسه

أزيرو:

لا لن أمدَّ إصبعًا للمسه
غداً أراه

أحد الجماعة:

راقداً في رُمسه!

شילה (مصفقة):

أرسطفان هيئ الشرابا

سمارا:

إملأ لنا الصحاف والأكوابا

أزيرو:

فاكهة وخمرة عجابا

(ويسرع أرسطفان بالأقداح بادئا بأزيرو وشילה واضعا أمامهما صحفتين من العنب والتين، ويمر بالجميع موزعا الأقداح فيرفعونها وهم يهتفون):

الجميع:

نخب الزعيم نشرب ونلعب ونطرب

شילה:

هيا اشربوا هيا اطربوا

أزيرو (يقبلها ثم يهمس في أذنها ويخرج من صدارته شيئا وهو يهتف):

شילה أغمضي ناظريك واقتربي
عندي كنز إليك أهديه

(تغمض عينيها وتقرب وجهها منه فيضع في عنقها عقدا مصاعا من دنانير ذهبية صغيرة، والجميع ينظرون بلهفة بينما تنهض سمارا من مكانها في غيظ وكمد):

سمارا (وهي تشير إلى أزيرو):

لو كَانَ لي رَجُلٌ لَكُنْتُ ... وَلَسْتُ أَعْلَمُ مَا أَكُونُ!
لكن سُرِقْتُ وهكذا يُسَبَّى الرجالُ ويُسْرَقُونَ

شيلا (صارخة في سمارا):

وَيْحَكَ، يَا سَارِقَةَ الْجِيُوبِ!

سمارا (وهي تشيح عنها):

أَشْرَفُ مِنْ سَارِقَةِ الْقُلُوبِ!

شيلا:

أَأَنْتِ، يَا عَدُوَّةَ الْجَمَالِ

سمارا (في حدة):

بَلْ أَنْتِ، يَا خَاطِفَةَ الرِّجَالِ
أَسْطَى مِنَ الْقِرْصَانِ فِي السَّفِينَةِ
كَيْدُكَ، يَا قِرْصَانَةَ الْمَدِينَةِ!!

(وينهض أزيرو حائقًا فيصفع سمارا ويدفع بها بقوة بين قدمي أزمردا وهي تتشج بكاء، فيرفعها أزمردا ويجلسها على كرسیه بينما يتقدم أزيرو منه صائحًا):

أزيرو:

تَنَحَّ عنها، أَيُّهَا الْقِرْصَانُ!

أُزمردا (بصوت رائع):

وَمَنْ تَكُونُ، أَيُّهَا السَّكَرَانُ؟

(فيستل أزيرو سيفه وفي لمحة خاطفة يجرد أُمردا سيفه، ويضرب به سيف أزيرو فيكسره ويقف أزيرو عاجزًا.)

أُزيرو (مدممًا):

قَدْ خُنْتُني!

أُزمردا (في عنف وهو ينزع قلنسوته):

بَلْ خَانَكَ الْجَنَانُ
أَنْظُرْ لَوْجَهِهِ أَيُّهَا الْجَبَانُ!

(وتتردد صيحة من جوانب الحانة.)

أُزيرو (وهو ممتقع الوجه.):

أُزَم ... ردا أُزَم ... ردا
أُزَم ... ردا

(ويتراجع الرجال والنساء متلاصقين خوفًا وهم يرددون هذا الاسم في رعب وفزع، بينما يغمد أُمردا سيفه ويتناول قلنسوته، ويشير إلى باتوزيس فيهرع إليه طائعًا، ويسير إلى جانبه كالمسحور، وهما يغادران الحانة تتبعهما سمارا بين هذه الصيحات والهمسات!)

الفصل الثاني

المنظر الأول

أزمردا، سفينته الصغيرة الأخاذة المنظر راسية في الصباح في مكان غربي ميناء «رافيا» على شاطئ غريب منبسط متألق الرمال. فيه زهرات برية مختلفة الألوان ونبت جميل وشجرات صغيرة من النخيل والزيتون، منتشرة بينها بعض الصخور وعلى الأفق تبدو أشباح سحب وجبال. أزمردا وماتوكا يتأملان في دهشة الشاطئ.

ماتوكا:

سَيِّدِي! ما أرى الغداةِ إِزَائِي؟

أزمردا:

شاطئٌ ضاحكُ الثرى والماء

ماتوكا:

فيه نبتٌ، وفيه زهرٌ جميلٌ،
وظلالٌ تموجُ في أضواءِ

أزمردا:

كَالَّذِي تَذْكُرُ الْقَوَافِلُ عَنْهُ
كُلَّ عَامٍ فِي مَسْتَهْلِ الشِّتَاءِ
مُلْتَقَى الْعَابِرِينَ مِنْ أَرْضِ كِنْعَانَ
إِلَى مَصْرَ أَوْ حَمَى سَيْنَاءِ

ماتوكا:

أَيُّ رُوحٍ خَفِيَّةٍ، أَيُّ رِيحٍ
حَمَلْتَنَا بِأَجْنَحٍ فِي الْخَفَاءِ؟
نَشَرْتَ ذَلِكَ الشَّرَاعَ وَأَمَّتْ
ذَلِكَ الشَّاطِئَ الْعَجِيبَ الرِّوَاءِ

أزمردا (وكأنه لم يسمع كلام ماتوكا):

نَحْنُ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ إِلَى مَصْرَ
وَهَذِي عَجِيبَةُ الْأَنْبَاءِ

ماتوكا (تاركًا أزمردا متوجِّهًا إلى البحر منحنياً يبحث بين الأصداَف):

يَا لِهَذِي الرِّمَالِ تَلْمَعُ وَالْأَصْدَافِ
فِيهَا كَثِيرَةُ اللَّأْلَاءِ
فَلَأَقْتَشَنَ فِيهِنَّ عَنْ دُرَّةِ عَصْمَاءِ
وَلَتُحَسِّنَ الْحِظَّ لِقَائِي!

أزمردا:

يَا مَاتوكَا الزِّمِ الْحِذْرَ نَحْنُ فِي مَوْقِفِ الْخَطَرِ
تَطْمَعُ الْآنَ فِي اللَّالِي، يَا هُزُوءَ الْقَدْرِ!

ماتوكا (وهو مستمر في بحثه):

منك، يا سيدي، عرفتُ متى أَلْزَمُ الحَذَرَ
وَتَعَلَّمْتُ سَيِّدِي كَيْفَ لَا يَقْنَعُ البَشْرُ!
أنا، في البحرِ، باحثٌ عَنْ يَتِيمٍ مِنَ الدُّرَرِ
مِثْلَمَا أَنْتَ باحثٌ عَنْ يَتِيمَاتِكَ الأُخْرَى!
الصبايا المُرْنَحَاتُ مِنَ الدَّلِّ والخَفْرِ!

أُزمردا:

أيها الغرُّ، لا تُغْرِكَ بَرَّاقَةُ الحَجَرِ
جَفَّ حَلَقًا مِنَ الظِّمَاءِ ذَاكَ بَرُّقٌ بَلَا مَطَرٍ

(ويستمر ماتوكا في عمله غير مصغٍ إلى كلام سيده فينصرف أُزمردا عنه
ويجلس على صخرة، وهو يقول):

عَشْتُ عمري بذلك البحرِ أَلْقَى
فِيهِ شَتَّى الرِّيحِ وَالْأَنْوَاءِ
غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَلْقَ مِثْلَ رِيحِ
الْأُمْسِ! يَا لِلْعَوَاصِفِ الْخُرْسَاءِ!
أَهِيَ تِلْكَ الَّتِي تَحَدَّثُ بَاتُوْزَيْسَ
عَنْهَا فِي مَجْلِسِ الصَّهْبَاءِ؟
فَتِيَّاتُ الرِّيحِ، آلِهَةُ المَوْجِ
المَغْنِيِّ، عِرَائِسُ الدَّامَاءِ؟
قِصَصٌ مِنْ خِرَافَةٍ أَوَّلَ النَّاسِ
بِهَا كُلُّ حَادِثٍ بِقَضَاءِ
وَأَسَاطِيرُ «طَيْبَةِ»، رَبَّةُ السُّحْرِ،
ومَهْدِ الخِيَالِ والإِغْرَاءِ

وَعَجِيبُ رُقَادُنَا لَا نُحِسُ الْفَلَكَ
تَجْرِي وَلَا هَدِيرَ الْمَاءِ
أُتْرَى بِاتُّوزِيسَ دَبَّرَ أَمْرًا
فَسْقَانِي وَاشْتَطَّ فِي إِسْقَائِي!
وَرَأْنِي أَعْطُ فِي النَّوْمِ فَانْسَابَ
خَفِيفًا كَالْحَيَّةِ الرِّقْطَاءِ
ثُمَّ حَلَّ الشَّرَاعَ، وَانْتَزَعَ الْمَرْسَاةَ،
مَسْتَلْهِمًا مَهَبَّ الْهَوَاءِ
لَا ... فَأَيْنَ الْعَبِيدُ أَمْ أَيْنَ مَاتُوكَا
الشَّدِيدُ الْحَرِصُ الْقَوِيُّ الدَّهَاءِ
لَا ... فَمَا زَالَ بِاتُّوزِيسَ صَرِيحَ الْكَأْسِ
نَهَبَ الْأَحْلَامِ وَالْأَهْوَاءِ
هُوَ فِي مُخْدَعِي كَمَا بَاتَ، يَهْذِي
بِالسُّكَارَى، وَبِالطَّلَا وَالْغَنَاءِ
فَلِيَكُنْ مُنْشَدَ السَّفِينَةِ أَحْتَالُ
بِهِ فِي مَوَاقِفِ الْإِغْوَاءِ
كَلِمَا أَطْبَقْتُ فِخَاخِي عَلَى صَيْدِ
غَرِيرٍ مِنْ نَافِرَاتِ الظُّبَاءِ
غَاشِيَاتِ الْأَسْوَاقِ فِي كُلِّ مِينَاءِ،
وَمِنْهُمْ صَاحِبَاتُ الْخُبَاءِ
كَانَ عِيدُ الْبَحَارِ مُوسَمَ صَيْدِي
فِي دِيَارِ بِالْمُغْرِيَّاتِ مِلَاءِ
عُدْتُ مِنْهَا صِفْرَ الْيَدَيْنِ بِيَوْمِ
لَمْ أَفُقْ فِيهِ مِنْ خُمَارِ الْمَسَاءِ
فَلْتَكُنْ وَجْهَتِي إِلَى الْغَرْبِ عَلَيَّ
ظَافِرٌ مِنْ غَنِيمَتِي بِلِقَاءِ!

(ثم يقف أزمردا متطلعًا إلى الأفق البعيد متأملًا صفاء السماء، وهو يقول):

الفصل الثاني

يا عَيْنُ ما أَجْمَلَ هذا الصَّبَاخُ
يُثِيرُ في نَفْسِي قَوِيَّ الطَّمَاخُ
للصِيدِ، والكَّاسِ، وَحُبِّ المَرَاخُ

(تبدو في هذه اللحظة أربع فتيات جميلات كأنهن قادمات إلى نزهة على الساحل، وهن يتمخطن صفاً واحداً متماسكات الأيدي فيما يشبه الرقص الموسيقي الموقع، فيشيع في نفسه الرجاء ويفرك كفيه مبتهجاً، وهو يقول):

يا عَيْنُ، ما هذي الوجوه الصُّبَاخُ
وَهَذِهِ القَامَاتُ مثْلُ الرَّمَاخُ
طوالِ الحُسْنِ، الصبَايا، المِلاخُ

(لنفسه)

حبائلي، لا يُخْطِئُكَ النِّجَاخُ
وهل يُتَاخُ الصَّيْدُ لي؟ هل يُتَاخُ؟

(الفتيات وقد اقتربن من مكان أزمردا وهن مبتهجات باليوم الجميل ومنظر الميناء، وينظرن إلى أزمردا وهو يحني رأسه قليلاً ويشير بيديه تحية لهن):

أزمردا:

عَمَنْ صَبَاخًا، أَيُّهَا الحَسَانُ

الفتيات:

وعَمِ صَبَاخًا، أَيُّهَا الرُّبَّانُ

أُزمردا:

أَمْبَحَرَاتُ؟ حَبِّذَا الْأَوَانُ
فَالْبَحْرُ صَفْوُ كُلُّهُ أَمَانُ
حَتَّى الرِّيحُ مَسَّهَا الْحَنَانُ
أَوْ عَطَفَتْهَا لِلْكَرَى الشَّطَّانُ
سَفِينَتِي، يَا حُسْنَ، لَوْ تُرَانُ
بَكْنٌ أَوْ يُسَعِدُهَا الزَّمَانُ

(أُزمردا يتوجه إليهن باسمًا بعد أن أتم كلامه، فيبتسمن له ويقفن كأنما
يتفرجن على سفينته الراسية بينا يختلسن النظرات منه ومن زيه الغريب
الجميل):

حروازا:

أَيُّهَا الرِّبَّانُ، لَسْنَا مُؤَذِّنَاتِ بِرَحِيلِ
نَحْنُ مَا جِئْنَا إِلَى الشَّاطِئِ نَسْعَى لِسَبِيلِ

مریتا:

إِنَّهَا تَسْلِيَةُ النَّفْسِ، وَإِرْضَاءُ الْمَيُولِ
بَيْنَ نَوْرِ الْأَفُقِّ الضَّاحِكِ وَالْبَحْرِ الْجَمِيلِ

أُزمردا:

حَبِّذَا أَنْتَنَ، فِي الشَّاطِئِ، تَخْطُرَنَ مَلِيًّا
يَا أَرْقَ الْحَوْرِ، يَا أَجْمَلَ مَنْ رَفَّ عَلَيَّا
حَبِّذَا هَذَا الْحَدِيثُ الْعَذْبُ مِنْكَنَ إِلَيَّا

(إلى حروازا):

الفصل الثاني

خَبَّرْنِي أَنْتِ، يَا حَسَنَاءُ، يَا أُخْتَ الثَّرِيَّ
صَوْتُكَ السَّاحِرُ يَسْرِي نَعْمًا فِي أُذُنِيَا
وَبَعِينِي فَتَوُّنُ مَنْ سَنَا هَذَا الْمُحَيَّا
أَتُرَى تَسْكُنُ هَذَا الْوَادِي الْخَصْبَ النَّدِيَا؟
حَيْذَا الدَّارُ الَّتِي تَمْنَحُنَهَا الْعَيْشَ الرُّضِيَّا
خَبَّرْنِي، أَيْنَ أَلْقَى ذَلِكَ الْمَغْنَى الْوَضِيَّا
لَأُحْيِيهِ إِذَا مَا جِئْتُ صُبْحًا وَعَشِيَّا

حروازا:

يَا أَخَا الرَّقَّةِ وَالزِّيِّ الْعَجِيبِ
أَنْتَ لَا شَكَّ غَرِيبٌ هَا هُنَا
إِنْ تَسَلْ عَنْ مَرْفَأِ النَّيْلِ الْقَرِيبِ
فَاتَّجِهْ غَرْبًا عَلَى هَذَا السَّنَا

مريتّا:

أَوْ تَسَلْ عَنْ ذَلِكَ الْوَادِي الْخَصِيبِ
فَهُوَ مَغْنَى الْأُنْسِ، أَوْ رَوْضُ الْمُنَى

ويشافا:

نَلْتَقِي فِيهِ عَلَى شَطْطٍ حَبِيبِ
كُلَّ عَامٍ مَا دَعَا الشُّوقُ بِنَا

أسميتّا:

مَا لَنَا مِنْ مَنْزِلٍ فِيهِ رَتِيبِ
مَضْرُ مِنْ أَطْرَافِهَا دَارُ لَنَا!

(ثم يعدن إلى خطرتهن الأولى متماسكات الأيدي فيما يشبه الرقص الموقع،
متجهات في طريقهن الأول مبتعدات عن أزمردا).

أزمردا (هاتفًا بعد تفكير خاطف كأنما كان يدبر في نفسه أمرا):

هذه اللحظة الجميلة حلم البحر،
حلم السفائن الراقصات
سرت وامرحن، أو تغنن ماشتتن،
وانعمن بالصبا والحياة
وليكن يومكن، يا فتياتي،
يوم عيد لهذه الكائنات

ويشافا (ناظرة خلفها):

رَجُلٌ مُعْجَبٌ وَأَعْجَبُ مِنْهُ
زِيَّةُ الْمُذْهَبِ الْجَمِيلِ الشَّيَاتِ!

(ويظهر ماتوكا في هذه اللحظة مقبلًا من الشاطئ فيرى الفتيات الأربع ولا
يصدق ما يراه، وينظر إلى أزمردا فيراه واقفًا في مكانه شاخصًا إلى الفتيات
وكأنه مأخوذ وحين يرى ماتوكا إزاءه يقول):

ماتوكا:

أَذْنَنِي بِوَجْهِكَ الظُّهُورُ
فَعَابَ عَنِّي الْأَنْسُ وَالْحَبُورُ
وَأَنْتَ، يَا أَسْوَدُ، يَا مَغْرُورُ

(مشيرًا إلى الفتيات وهن يبتعدن).

تَظْهَرُ مِنْ حَيْثُ يَغِيبُ النُّورُ!

ماتوكا (شاخصًا حيث يشير أزمردا):

أَبْصِرْ حُورَ الْبَحْرِ يَمْرَحْنَ، أَمْ تَرَى
هُوَ الشَّاطِئُ الْمَسْحُورُ، أَمْ أَنَا أَهْلُمْ؟

أزمردا:

بَلِ الْوَاقِعُ الْمَرْتُّي حُورُ فَوَاتِنُ
دَعَاهَنْ لَهَوُ أَوْ دَعَاهَنْ مَأْتَمُ
تَحَايَلْتُ أَدْعُوهُنَّ حَتَّى حَسِبْتَنِي
أَخَا صَبُوءَ أَوْ شَاعِرًا يَتَرَنَّمُ
وَسَدَدْتُ سَهْمِي فِي الصَّمِيمِ فَصَدَّهُ
خِيَالُ خَفِيٍّ، أَوْ جَلالُ مُلْتَمَّ
رَأَيْتُ قُوَى فِيهِنَّ لَمْ أَرْ مِثْلَهَا
كَالْهَةِ عُلُويَةٍ تَتَكَلَّمُ

ماتوكا:

أَمِنْكَ تَعَلَّمْتُ الْجَرَاءَةَ وَالسُّطَا
وَأَلْقَاكَ أَزْمَرْدَا تَهْمُ فَتُحْجَمُ؟

أزمردا:

رَوَيْدَكَ، مَا تَوَكَّا، فَمَا تِلْكَ خَطَّتِي
وَلَا أَنَا مِمَّنْ يُسْتَثَارُ فِيهِجْمُ
وَلِي قُدْرَةٌ لَيْسَتْ تَعْفُ، وَجَرَاءَةٌ
يَخَافُ سَطَاها الْقَسُورَ الْمُتَأَجِّمُ
وَأَشْتَفُ أَهْوَاءَ النَفُوسِ بِنَظَرَةٍ
تَذُوقِ الطَّلَا فِي الدَّنِّ، وَهُوَ مَخْتَمٌ

وَلَكِنِّي أَحْتَالُ بِالشَّعْرِ وَالْهَوَى
وَأَسْتَلْهُمُ الْحَسْنَ الْخِيَالَ وَالْهَمُ
وَيَا رَبَّ صَيِّدِ نَفَرْتَهُ ضِرَاوَةً
وَأَسْلِسْهُ فِي الْقَيْدِ لَفْظُ مُنْعَمُ

ماتوكا:

وَلَكِنْ قُوهَنَّ الْعَجِيَّاتُ!

أزمردا:

لا تَرْعُ
فَلَلْمَنْطِقُ الْخَلَابُ أَقْوَى وَأَعْظَمُ

(مشيرًا إلى لسانه.)

بِقِطْعَةٍ هَذَا اللَّحْمِ يَمْضَغُهَا الْفَمُ
أُزْلِزْ أَرْكَانَ الْجِبَالِ وَأُحْطِمْ

ماتوكا:

وَإِنْ هُنَّ حَاوِلْنَ الْفِرَارَ!

أزمردا:

حَبَائِلِي
تَسُدُّ عَلَى الرِّيحِ الْفَضَاءَ وَتَدْهَمُ
أَنْفَلْتُ مِنْ كَفِّي قَنَائِصُ أَرْبَعُ؟
لَهُنَّ جَمِيعًا لِي مَتَاعٌ وَمَغْنَمُ!

ماتوكا:

أثرتَ فضولي بالكلام فما تُرى
وقوفك ترنو نحوهنَّ وتبسمُ؟

أزمردا:

لأَمْضَى فِي آثَارِهِنَّ وَأَتَّقِي
خُطَاهُنَّ حَتَّى يَظْهَرَ الْمُتَكْتَمُ
أَرَاهُنَّ لَا أَبْدُو، وَأَسْمَعُ لَا أُرَى
كَأَنِّي خَيَالُ ضَائِعِ الظِّلِّ مُبْهِمُ!

ماتوكا:

وَمَا تَتَّقِي؟

أزمردا:

إِنَّ النِّسَاءَ غَرَائِزُ
تَحْسُ دَبِيبَ الْوَهْمِ إِذْ يُنَوِّهُمُ

ماتوكا:

وَمَا تَبْتَغِي؟

أزمردا:

أَسْرَارَهُنَّ وَإِنَّهَا
مِفَاتِيحُ بَابِ خَلْفَهُ الْحِظُّ يَجْتُمُ

ماتوكا (وهو يلف طيلساته على كتفه بقوة):

إِلَيْهِنَّ أَزْمَرْدَا! إِلَيْهِنَّ لَا تَقْفُ!
أَلَّاهَةُ الشَّرِّ انْظُرِي كَيْفَ أَقْدُمُ!

(وينطلق أزمردا في أثر الفتيات.)

المنظر الثاني

بقعة خضراء تشبه الواحة ذات شجر ونبات خلف صخرة بيضاء تحجبها عن البحر، وعن الأنظار، يهبط إليها الفتيات دون أن يشعرن بتعقب أزمردا لهن وقد اختفى وراء الصخرة مطلاً عليهن من فجوة صغيرة، فيراهن وقد أخذن يخلعن غلائلهن الشفافة ويلقينها على العشب بينما تنشد حروازا:

حروازا:

إِلَى صَخْرَتِنَا الْبِيضَاءِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْخَضِرَةِ
تَعَالِي، يَا مَرِيَّتَا، وَارْقُصِي رَقْصَتَكَ الْحُرَّةَ
عَلَى تَرْنِيمَةٍ اسْمِيَّتًا، وَشَدِ الْمَوْجَ لِلصَّخَرَةِ
وَعَنِّي أَنْتِ وَيشافا بصوتِ سَاحِرِ النَّبَرَةِ
أَغَانِي الرِّيَّاحِ عَلَى حَوَافِي الْأَعْيُنِ الثَّرَرَةِ
وَأَنْتِ، عِرَائِسَ الْأَمْوَاجِ، قَدْ أَفْشَى الْهَوَى سِرَّهُ
وَنَادَتْكِ شِفَاهُ مِنْ زُهورِ الْأَرْضِ مَفْتَرَّهُ
فَهَبِّي مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ، أَوْ فَاَنْطَلِقِي عَبْرَهُ
وَعَنِّي مَعَنَا لَحْنَ النَّدَى الرَّفَافِ بِالزَّهَرَةِ
وَتَلْعَابِ السَّحَابِ إِذَا أَثَارَ الْبَرْقِ أَوْ غَرَّهُ

(وفجأة تتردد من فضاء البحر ضحكات مطربات، وتتب عرائس الأمواج شاديات راقصات مرسلات الشعور شبه عاريات، يتحلين بصفائر الورد

الفصل الثاني

والأصداف البراقة ويملأن جوانب المكان، بينما يأخذن جميعهن في الرقص التوقيعي، وهن ينشدن):

عرائس الموج
نحنُ الحبيباتُ
لَنَا على المَرْجِ
لِلَّهِوِ مِيقَاتُ

إِنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ
تُفْتَحُ الْأَصْدَافُ
وَيَصْدَحُ الْبَحْرُ
فِي مَوْكِ زَفَافِ

لَبَّيْكَ قَدْ جِئْنَا
بِالْجِسْمِ وَالرُّوحِ
فَسَلْسَلِي اللَّحْنَ
أَلْهَةَ الرِّيحِ

عُشَّاقُنَا نَامُوا
عَنْ فَجْرِنَا الْوَهَّاجِ
وَالْأَفْقُ أَنْغَامُ
وَالشُّطُّ وَالْأَمْوَاجُ

مَا مَتَّعُوا النَفْسَا
بِطُلْعَةِ الْحَوْرِ

ديوان علي محمود طه

أَوْ مَلَأُوا الْكَأْسَا
مِنْ خَمْرَةِ النُّورِ

(وينتهين من إنشادهن بانتهاء مريتا من رقصتها فتتقدم ويشافا وتبدأ
أغنيتهما):

ويشافا:

أَنَا أُخْتُ الصَّبَا
أَنْ بِنْتُ الشَّمَالِ
أَنَا رُوحُ الصَّبَا
أَنَا حُلْمُ الْخَيَالِ

طَوَّقْتُ سَاعِدِي
بِحُرِّ «إِيجَا» الْجَمِيلِ
وَاحْتَوَتْ بِالْيَدِ
شَطْرَ مَصْرِ الظَّلِيلِ

أَتَشَهَّى الرِّقَادَ
وَأُحِبُّ الْمَرْخَ
مَنْ يَجِيءُ بِالْوَدَادِ
جِئْتُهُ بِالْفَرْخِ

لَيْسَ يَشْكُو الْمَلَأُ
مَنْ صَفَا لِي هَوَاهُ
إِنَّ رِيحَ الشَّمَالِ

هِيَ رِيحُ الْحَيَاةِ

الفتيات (ينشدن):

سَاءَلْتُ إِلَهَتِي، فَكَانَتْ لِي الرِّيحُ وَكَنْتُهَا
وَهِيَ الْحَيَاةُ، كَمَا سَأَلْتُ إِلَهَتِي أُعْطِيْتُهَا
أَحْيَا بِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ، وَفِي يَدَيَّ مَلَكُوتُهَا

حروازا (تتقدم وهي تغني):

أَنَا رِيحُ الشَّرْقِ أَوْ بِنْتُ الضِّيَاءِ
أَنَا مَنْ تَمَنَحُ أَنْفَاسَ الشَّرِيقِ
بِيَدَيَّ أَفْتَحُ طَاقَاتِ السَّمَاءِ
عَنْ ذَرَى وَلَآئِهِ يَرُوقُ
أَصْحَبُ الشَّمْسِ إِلَى ضَحْوَتِهَا
وَهِيَ تَسْعَى يَسْبِي وَيَدَاها فِي يَدَيَّ
هَيَّاتُ لِي الشَّمْسُ فِي سَاحَتِهَا
مَنْزِلَ الْحُبِّ وَعَيْشَ الرَّغْدِ
كَمْ تُرَى يُشْغِفَنِي حُبُّ الطَّعَامِ
مِثْلَ «أَبِيس» اشْتِهَاءً وَهِيَامًا
نَهْمٌ يُغْرِي بِمَضْغٍ وَالتَّهَامِ
مِثْلَ «سَيْت» حِينَ يَشْتَاقُ الطَّعَامَ
أَنَا بِنْتُ الشَّرْقِ، أَوْ رُوحُ سَنَاهُ
أَنَا رِيحُ الشَّرْقِ، أَوْ رِيحُ الْحَيَاةِ

الفتيات (ينشدن):

سَاءَلْتُ إِلَهَتِي، فَكَانَتْ لِي الرِّيحُ وَكَنْتُهَا
وَهِيَ الْحَيَاةُ، كَمَا سَأَلْتُ إِلَهَتِي أُعْطِيْتُهَا

أحيا بها أبدَ الزمانِ، وفي يدي ملكوتها

مریتا:

أنا ريحُ الغربِ
بننتُ الأبدِ
أنا همسُ القلبِ
أنا رجُعُ الشادي
أنا رمزُ الحبِّ
في هذا الوادي
أنا التي أغبرُ الصحراءَ فوق خطِّي
من زكرياتٍ وأحلامٍ وأشواقٍ
أنا التي اتَّخذتُ رُوحِي لها وطنًا
أجسادَ آلهةٍ عانينَ عُشاقٍ
لم أزنُ يومًا ورائي، غيرَ ناظرةٍ
إلا لِضوءٍ بأفقِ الغربِ خفاقٍ
يهتاجني موجُهُ والشمسُ سابحةٌ
في مثلِ بحرٍ من النيرانِ الألقِ
مضى حبيبي ولم أبرحْ لعودته
على الرُّبى بفؤادٍ جدِّ مُشتاقٍ
والليلُ يُرخي على شعري جدائله
فوق الرِّمالِ، وزادَ البردُ إرهابي
وقد سندتُ بكفي جبهتي، وهوتُ
قيثارتِي من يدي من طولِ إطراقي
من قبلِ ما كان في الوادي وُصفته
مُلُكانِ مُختلِفا عهدٍ وميثاقٍ

الفتيات (ينشدن):

سَاءَلْتُ إِلَهْتِي، فَكَانَتْ لِي الرِّيحُ وَكَنْتُهَا
وَهِيَ الْحَيَاةُ، كَمَا سَأَلْتُ إِلَهْتِي أُعْطِيَتْهَا
أَحْيَا بِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ، وَفِي يَدَيَّ مَلَكُوتُهَا

أُسْمِيْنَا (تتقدم وتغني):

أَنَا بِنْتُ الْجَنُوبِ، رِيحُ الْحَيَاةِ
أَنَا زَنْجِيَّةٌ تَسُوقُ الْمَاءَ
أَنَا حُبُّ الثَّرَى، وَحُلْمُ النَّبَاتِ
فِيهِ أَحْيَا وَأَبْعَثُ الْأَحْيَاءَ
أَنَا سِرُّ الْحَيَاةِ وَالْكَائِنَاتِ
إِنَّ رِيحَ الْجَنُوبِ رِيحُ الْحَيَاةِ

الفتيات (ينشدن):

سَاءَلْتُ إِلَهْتِي، فَكَانَتْ لِي الرِّيحُ وَكَنْتُهَا
وَهِيَ الْحَيَاةُ، كَمَا سَأَلْتُ إِلَهْتِي أُعْطِيَتْهَا
أَحْيَا بِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ، وَفِي يَدَيَّ مَلَكُوتُهَا

(وتسرع الفتيات وهن يتضحكن في ارتداء غلائلهن وقد سارت عرائس الموج
إلى البحر، فيغادر أزمردا مكانه ويدخل عليهن فجأة فتشرّب العيون إليه
وهو في زيه الفاتن الرائع فيشيع الصوت بينهن، وهو يقول):

أزمردا:

أَيُّهَا الْفَاتِنَاتُ، أَيُّتَهَا الْأَرْوَاحُ، أَنْتَنَّ يَا رِيَاخَ السَّمَاءِ
يَا جَمِيلَاتُ، هَلْ لَكُنَّ بَأْنَ تَقْبَلْنَ مِنِّي تَحِيَّتِي وَوَلَائِي؟
مَا تَرَاهَا أَسْمَاءُكُنَّ، وَمَنْ وَاهِبُ هَذِي الصِّفَاتِ الْأَسْمَاءِ

من تراه؟ ومن حباكَّ هذا البأس والملك واسع الأرجاء؟

حروازا:

قد وُلدنا من قبل أن يبعث الناس لعيشٍ مقدَّرٍ وهلاكٍ

مریتا:

ووجدنا من قبل أن يوجد الأرباب، من قبل دورة الأفلاكِ

ويشافا:

قبلما يغتدي إلى الصيد قنَّاصٌ ويهوي طيرٌ صريعٌ شباكٍ
قبلما تعلقُ الحبالُ بثورٍ أو ثقتُهُ، فما له من فكاكِ

أسميتا:

قبلما لامس الهوى جسم «ماتريت»، ومسته قبلة المشتاقِ

مریتا:

قبلما ضَمَّها ذراعٌ مُحبٍّ، واحتوتها أحضانه لعناقِ

حروازا:

قبلما أُشْبِعَتْ رِغَابُ إِلَهٍ، أزلِّي، مصوِّرٍ، خَلَّاقِ
منحتني إلهة الريح سلطاني هذا، فسُدت في الأفاق!!

أمردا (إلى حروازا):

يا رَبِّةَ الحَسَنِ تَعَالِيْ مَعِي
سَفِينَتِي فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ
أَلْقِي عَلَيْهَا نَظْرَةً وَارْجِعِي
هَلَّا نَزَلْتُ الْآنَ؟ هَيَّا مَعِي!

حروازا:

لا ... إِنَّ لِي سَفِينَتِي مَهِيَّاهُ
تَجْرِي إِلَى الثَّغْرِ تَوْمُ مَرْفَأُهَا
حَيْثُ أُعِدَّتْ لِي فِيهِ مُنْشَأُهَا
مَنْشُورَةٌ قَلْوَعُهَا مُضَوَّاهُ
مَأْمُونَةٌ عَلَى الْمَدَى سَبِيلُهَا
أَلْفُ ذِرَاعٍ لَوْ عَلِمْتَ طَوْلُهَا
أَرْقَى بِهَا مَعَارِجَ السَّمَاءِ
لِلشَّمْسِ فِي مَنْزِلِهَا الْوَضَاءِ

أزمردا (قائلاً لنفسه):

أَقُولُ: قَدْ ضَهَبَتْ مَحَاوِلَتِي سُدَى؟
هِيَ هَاتِ إِنِّ وَسَائِلِي لَنْ تَنْفَدَا!
أَيُّهَا الرِّبَّاتُ، إِنَّ تَجَهُّلُنِي فَمَعْذَرَةٌ
لِقَاؤِكُنَّ قِسْمَةُ الْإِلَهِةِ الْمُقَدَّرَةِ
عَرَفْتِكُنَّ بِالْوُجُوهِ وَالْخُطَى الْمَعْبَرَةِ

(مشيراً لحروازا).

أَلَسْتُ حَرَوَازَا ابْنَةَ الْمُطَالَعِ الْمُنَوَّرَةِ؟

حَبِيبَةُ الْمَشْرِقِ أَوْ أَنْفَاسُهُ الْمُعْطَرَّةُ

(إلى ويشافا.)

أَلَسْتُ وَيَشَافَا ابْنَةَ الشَّوَاطِئِ الْمُنْصَرَّةِ؟
طَيْفَ الشَّمَالِ، رُوحَهُ الْقَوِيَّةَ الْمُؤَثَّرَةَ

(إلى مريتا.)

أَلَسْتُ أَنْتِ، يَا مَرِيَّتَا، الْفَتْنَةَ الْمَصَوَّرَةَ؟
حُلْمَ الْمَسَاءِ، رَبَّةَ الْمَغَارِبِ الْمَعْصُفَرَةَ

(إلى اسميتا.)

وَأَنْتِ، يَا اسْمِيَّتَا، ابْنَةَ الْيَنَابِعِ الْمَفْجَرَةِ
إِلَهَةَ الْغَايَةِ، عِذَاءَ الْجِبَالِ الْمَقْمَرَةِ

حروازا:

عَقُولُنَا مِمَّا رَوَيْتَ، يَا فَنَى، مُنْبَهَرَةً

مريتا:

لَا شَكَّ أَنْتَ مِنْ وَرَاءِ الْكَوْنِ رُوحَ مُحْضَرَةٍ

أسميتا:

إِنْ لَمْ تَكُنْ مَشْعُودًا أُوتِي عِلْمَ السَّحَرَةِ!

أزمردا (إلى الفتيات):

يا جميلاتُ، يا فواتنُ، يا أظرف ما مثَّلْتُ صفاتُ السماءِ
يا أرقَّ المسمَّياتِ بأحلى
ما جرى في الشفاهِ من أسماءِ
فلْيَزِدْكُمْ مِنْ شَبَابٍ وَحَسَنِ
كُلِّ صُبْحٍ مُجَدِّدٍ وَمَسَاءٍ
ورعتُ خطوكنَّ آلهةُ الوادي
على الأفق، والثرى، والماء
يا حريَّاتُ بالذي ما تراءى
لعَيَّانٍ، وَلَا جَرَى بِسَمَاعِ
ما السفينُ المجنَّحاتُ تناهى
طَرْفَاهَا بِأَلْفِ أَلْفِ ذِرَاعِ
كالتِي صَفَّقَتْ لَكُنَّ مَجَادِيفَ
وَحَيَّتْ بِقَرْمَزِيٍّ شَرَاةِ
جَمَعَتْ مِنْ عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،
وَمِنْ كُلِّ لَذَّةٍ وَمَتَاعِ
كُلُّ مَا فِي سَفِينَتِي طَوْعُ أَيِّدِيكُنَّ،
مِنْ كُلِّ جَوْهَرٍ وَثِيَابِ
مِنْ شَفُوفٍ وَزَيَّيَّةٍ نَسَجْتَهُنَّ
الْعِذَارَى عَرَائِسُ الْأَرْبَابِ
مِنْ يَوَاقِيتَ، مِنْ يَتِيمِ لَالٍ
ما رَأَتْهَا فِي الْحُلُمِ عَيْنُ كَعَابِ
مِنْ طَيُوبٍ بِكَفِّهَا قَطَرَتْهَا
مَلِكَاتُ الْجَمَالِ مِنْ كُلِّ غَابِ

ويشافا:

كَمْ مَرَحْنَا بِشِرَاعٍ وَسَبَحْنَا بِسَفِينِ

أُسميتا:

وَسَمِعْنَا مِنْ خَيَالٍ وَعَرَفْنَا مِنْ يَقِينِ

مریتا:

أَيْنَا تَوَثَّرُ بِالْجَوْهَرِ وَالْدُرِّ الْمَصُونِ؟

حروازا:

أَيْنَا تَوَثَّرُ بِالطَّيِّبِ وَبِالثُّوبِ الثَّمِينِ؟

ويشافا:

أَيُّهَا يَصْلُحُ لِي عِنْدَكَ يَا رَبَّ الْفَتُونِ؟
أَيُّهَا الْفَاتِنُ بِالرَّقَّةِ وَاللَّفْظِ الْمَبِينِ

أُزمردا (إلى ويشافا):

أَيُّهَا الْقَادِمَةُ الْحَسَنَاءُ مِنْ خُضْرِ الْبَقَاعِ
أَنْتِ، يَا مَنْ طَوَّقَتْ «إِيْجَةً» مِنْهَا بِذِرَاعِ
وَاحْتَوَتْ أَطْرَافَ مِصْرٍ بَيْنَ رَفَافِ الشُّعَاعِ

* * *

أَنْتِ، يَا بَاعِثَةَ الْبَهْجَةِ فِي قَلْبِ الصَّدِيقِ
لَكَ عِنْدِي كُلُّ فَتَّانٍ مِنَ الثُّوبِ أَنْيَقِ

* * *

يُبْرِزُ الْفِتْنَةَ مِنْ سَاقِيكَ وَالْقَدَّ الرَّشِيقَ
لَكَ عِنْدِي مِزْهَرٌ صُنْعُ أُسَاطِيرِ الشَّمَالِ
وَحَيُّ مُوسِيقَاهُ بُوهِيمِيَّةٌ بِنْتُ خِيَالِ
وَهُوَ لَحْنٌ فَاضَ مِنْ بَيْنِ سَحَابٍ وَجِبَالِ

* * *

شَعْرَكَ الْمُرْسَلُ، يَا شَقْرَاءُ، مَا أَبْلَغَ سَحْرَهُ
إِنْ تَحَلَّى مِنْ أَوَانِيِ الْحَبِيبَاتِ بَرْهَرَهُ
وَزَهَتْ فِي مَفْرِقِيهِ مِنْ بَحَارِ الشَّرْقِ دُرَّهُ

* * *

لَكَ عِنْدِي تَحْتَ ضَوْءِ الْأَفُقِ الشَّرْقِيِّ حَجَرَهُ
وَوَسَادٌ عَبْقَرِيٌّ إِنْ غَفَّتْ عَيْنَاكَ فَتَرَهُ
حَشْوُهُ رِيَشُ نَعَامٍ لَمْ يَرِ الصَّائِدُ وَكَرَهُ

حروازا:

وَأَنَا، مَاذَا تُرَى أَعَدَدْتَ لِي
مِنْ طَيُوبٍ، وَشَفُوفٍ، وَحُلِيِّ
أَيُّهَا الشَّادِي الرَّقِيقُ الْغَزَلِ

أُزْمَرْدَا (إِلَى حروازا):

يَا أَسْيُوِيَّةُ أَنْتِ، يَا غِيدَاءُ، يَا بِنْتَ الضِّيَاءِ
يَا مَنْ وَهَبَتْ الشَّرْقَ أَنْفَاسًا مُسْلَسَلَةً النِّقَاءِ
يَا مَنْ تَفَتَّحَتْ عَنْ عَيُونِ الْمَاءِ طَاقَاتِ السَّمَاءِ

* * *

أَنْفَاسُكَ الذَّهَبِيَّةُ النِّشْوَى بِصَهْبَاءِ الشُّرُوقِ
لَمْ لَا يُنَاسِمُهُنَّ عِطْرٌ فِي إِنْاءٍ مِنْ عَقِيقٍ
مَرْجَتُهُ سَاحِرَةٌ بِسَرِّ الْحَبِّ فِي زَمَنِ سَحِيقٍ

* * *

أُخْرَى بِلَبَّتِكَ الْجَمِيلَةِ، يَا جَمِيلَةً، عَقْدُ مَا سِ
لِصَفَاءِ رُوحِكَ أَوْ لَذَاتِكَ فِي أَشْعَتِهِ انْعِكَاسُ
مَا فِي كُنُوزِ الْأَرْضِ مِنْهُ، وَمَا لَجَوْهَرِهِ جِنَاسُ

* * *

أُخْرَى بِإِصْبَعِكَ الرَّهِيْفَةِ خَاتَمٌ، بَلْ خَاتَمَانُ
تُؤَمِّي بِأَحْكَامِ الْمَقَادِيرِ فِيهِمَا يَاقُوتَتَانُ
مَا خُتِّمَتْ بِهِمَا مُتَوَجِّةٌ عَلَى عَرْشِ الزَّمَانِ

* * *

أُخْرَى بِقَامَتِكَ الرِّشِيقَةِ مُطَرَفٌ ضَافِي الذُّيُولِ
رَسَمْتُ عَلَيْهِ يَدُ الْهُوَى أَحْلَامَ فَاتِنَةٍ قَتُولِ
شَهْبٌ وَأَزْهَارٌ، وَلَيْسَ لَهَا أَفُولٌ أَوْ ذَبُولُ

* * *

فَإِذَا احْتَوَتْكَ سَفِينَتِي نَلْتِ الَّذِي أَبْدَعْتُهُ
وَطَعَمْتَ مِنْ ثَمَرٍ مِنَ الْكَرَمِ الْجَنِيِّ جَمْعَتُهُ
وَشَرِبْتَ مِنْ قَدَحٍ بِخَمْرِ إِلَهَتِي أَتْرَعْتُهُ

حروازا:

يَا أَخَوَاتِي، هَلْ رَأَيْتَنِّي فَتَى فِي حُسْنِهِ

الفصل الثاني

ما ضَرَرْنَا أَلَّا نَكُونَ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ

مریتا:

أُخْتَاهُ، مَا أَحْذَرُ غَيْرَ سَحْرِهِ وَفَنِّهِ

حروازا:

لَا تَحْذَرِي، إِنِّي أَرَى الطَّيِّبَةَ مِلْءَ عَيْنِهِ
يَكَادُ قَلْبُهُ يُضِيءُ فِي بَيَاضِ سِنِّهِ

ويشافا:

أَسْمَعَتِ الْطَفَّ مِنْ عِبَارَتِهِ

حروازا:

وَرَأَيْتُ أَجْمَلَ مِنْ إِشَارَتِهِ
وَيَدَاهُ تَعَبْتُ فِي صِدَارَتِهِ؟

مریتا:

أَغْرَاكِ، يَا حَوَّاءُ، سَبَطُ الْقَوَامِ
انْتَظِرِي حَتَّى يُتَمَّ الْكَلَامُ

أزمردا (إلى مریتا):

أُخْتُ «يَا هُو»، إِلَهَةُ الصَّحْرَاءِ
يَا جَمَالَ الطَّبِيعَةِ الْعِذْرَاءِ
أُيْهَذي الصَّبِيَّةُ الْحَيَّةُ الْأَشْوَاقِ، ذَاتَ الْغَلَالَةِ السُّودَاءِ

لك عندي قيثارة لحنها الذكرى، وأصداؤها حفيف المساء
يسمعُ الطيرُ صوتَهَا فيلبي وتُلبّي الحوشُ في البیداءِ

* * *

أنتِ، يا من ترفرفين على الوادي بأنفاسك العذابِ النديَّ
أنتِ، يا من تراقصين على التبعِ ظلال الأصائل العسجديَّ
حقُّ هذا الشَّهرِ المكملُ شفُّ نسجت وشيَّه يد الأبديةِ
خالداتُ سِماثُ حُسنكِ فيه رائعاتُ آياته السرمديَّه

* * *

حقُّ هذا الحصرِ النحيلِ إزارٌ من نُصارٍ مقدسٍ وجُمانٍ
حقُّ تَيْنِ الأذنينِ قرطانٍ من دُرٍّ بحارٍ مسحورةِ الخُجانِ
حقُّ هذا الفمِ الرقيقِ سلافٌ عُصرتُ من حدائقِ النسيانِ
قبلما قَبِلْتُ خُطاكِ رَبِّي الوادي وقامت عليه مملكتانِ

الفتيات (ويشافا ومريتا وحروازا):

ينسي فتاةَ الجنوبِ!	إنَّا نرى الفاتنا
تكاد شوقًا تذوبُ؟	أما يرى أختنا
واليومُ وشكُ الذهوبِ	الوقتُ قد فاتنا

أزمردا (إلى أسمىتا):

يا من تُطلِّين على المنحدرِ	حييت، يا بنتِ جبالِ القمرِ
ويتغنَّى بالحياةِ الشجرُ	فيضحك البرقُ ويبيكي المطرُ

* * *

يا ربَّةَ السَّخْرِ	حُيِّيتِ، يا فرعاءِ
من منبعِ النهرِ	يا من تسوقُ الماءَ

الفصل الثاني

يا نشوة المَلَّاحِ في الليلة القمراء
يا فتنة الفَلَّاحِ في الضِّفَّةِ الخضراء

عقيصة الشَّعْرِ حَقٌّ لها حَقٌّ
نوبٌ من العطرِ لَمْ يَخُوهِ حَقٌّ

مزاوِجُهُ النُّورُ في شَفَتَيْ زَهْرِهِ
كم ودَّتِ الحورُ مِنْ نوبِهِ قطره

عبيْرُهُ يُغْرِِي آلِهَةَ الغابِ
بالرقصِ للجمْرِ والجسدِ الصابي

جيدك ما أحلاه في لونه الفتانِ
يَسْحَرُ لو حلَّاهُ عقدُ من المرجانِ

حبَّاتُهُ الحُمُرُ تَذكو بها الأشواقُ
لَمْ يَنِمِها بحرُ بل مُهَجُّ العشاقِ

يا سِحَرَ ما يُبدي ذراعَكَ الوَهَّاجِ
تُزْهِى به عندي أسورةٌ من عاجِ
ما في الثرى منه جوهْرُهُ الفَرْدُ
إفريقيا عنه تسألُ والهنْدُ

حروازا:

يا أَخَوَاتِي، حَانَ وَقْتُ الْوَدَاعِ
انْتَصَفَ الْيَوْمُ وَمَالَ الشُّعَاعُ

(متلفتة إلى أزمردا.)

إِلَى غَدٍ ... أَلْقَاكَ، يَا صَاحِبِي
فِي مَوْكِبِ الشَّمْسِ وَظِلِّ الشَّرَاعِ

مريتّا:

فَلَنَبْقَ حُرُوزَا إِلَى أَنْ نَرَى
حَوَاشِيَ الظِّلِّ تَلْفُ الطَّرِيقُ
فَالْقَيْظُ يُلْقِي جَمْرَهُ وَالتَّرَى
مَفَاذَةً فِي هَبَوَاتِ الْحَرِيقِ

حروازا:

وَدِدْتُ لَكُنِّي أَخْشَى السُّرَى
وَحْدِي، وَالْمَشْرِقُ نَاءٍ سَحِيقُ!

أزمردا:

كَمَا شِئْتُ فَاتِنَةَ الْمَشْرِقِ
وَلَكِنْ عِدِينِي ...

حروازا:

غَدًا نلتقي!

(وبينما تنسق حروازا ثوبها إيدانًا بالرحيل تنتحي مريتا بويشافا وأسميتا جانبًا، وهي تقول):

مريتا:

يواعدُها وحَدها!

أسميتا:

وهي لَا تُفَكِّرُ في ذلِكَ المزلقِ

ويشافا:

لعلَّ بها صبوَّةٌ

أسميتا:

صبوَّةٌ؟

مريتا:

وما هي والآدميُّ الشَّقِي

ويشافا:

ولمْ لَا، وفي وجهه مَسْحَةٌ
من الجاذبيَّةِ والرَّونقِ؟!

أسميتا:

وَفِي صَوْتِهِ رَنَّةٌ حُلُوءٌ
مِنَ الْحَبِّ سَاحِرَةٌ الْمُنْطَقِ

مريتا:

أَتَلْقَاهُ لَا تَتَّقِي غَيَّهْ؟

أسميتا:

وَكَيْفَ؟ أَلَّهَةُ تَتَّقِي!؟

مريتا:

عَصْمَةٌ نَحْنُ فِي السَّمَاءِ وَفِي الْأَرْضِ كَالْبَشَرِ
يَتَسَاوَى ابْنُ آدَمَ — وَإِلَهُ — إِذَا شَعَرَ
إِنْ أَحَبًّا فَلَا خِلَافَ وَلَا فَرْقَ فِي الْأَثَرِ

ويشافا:

يَا مَرِيَّتَا، تَقْدَمِي وَخُذِي مَوْقِفَ الْحِذْرِ

أسميتا:

فَلْنَحُلْ دُونَ شَرِّهِ أُخْتُنَا مِنْهُ فِي خَطَر!

(ولا تكاد تتم هذه العبارة حتى تهمل حرواها بالانصراف وقد وضعت يدها في يد أزمردا، وهي تقول):

الفصل الثاني

أيها السيّد الرقيقُ، وداعاً ... إلى اللقاء!

ويشافا:

أُمهلي ...

مریتا:

بل تريّثي نحنُ في موقفٍ سواءٍ
ما علينا ولم تَحُلْ بعد إشراقة السماء
إن مَضَيْنَا إلى السفينة في موكب الضياء
وَرَأَيْنَا كنوزها وظفّرنا بما نشاء!

أُزمردا:

حبّذا هذه السماحةُ منكَّ والرضاءُ
حبّذا في سفيتتي ذلك الودُّ والصفاءُ!

حروازا (وقد سحبت يدها من أزمردا):

أو تذهبن؟

مریتا (بعد تردد):

لحظةً قبل أن يُقْبَلَ المساء!

حروازا:

أو تذهبن وحدكن؟

مریتا:

وما عنكِ من غَناء!

حروازا:

أَتَصَدَّقُ قَوْلَهُ؟

مریتا:

أَتَشْكِين؟

حروازا:

لا مِراءَ

أُزمردا (مندفعًا في خبث):

أَسَفًا رَبَّتِي فما قلت زورًا ولا ادِّعاءَ

حروازا:

هاتِ برهانَكَ المَبِينَ وَمِنَّا لَكَ الوفاءُ!

(يخرج أزمردا من صدارته ياقوتة كبيرة ذات بريق أخاذ ويقدمها إلى حروازا
بين نظرات الإعجاب.)

أُزمردا (بصوت مؤثر):

إِلَيْكَ، إِلَيْكَ، يا حَسَناءُ، سِحْرَ العَيْنِ وَاللُّبِّ
ورمَزَ المَجْدِ، والسُّلْطَانِ، والْفِتْنَةِ، والعُجْبِ

الفصل الثاني

خُذِي ياقوتةً حمراءَ تحوي صورةَ القلبِ
هديةً ربّةِ الرّبّاتِ من عاشقها الصّبِّ!

حروازا (وهي تتأملها مشدوّهة):

كلونِ الدّمِ

مريتا (وهي تحقّق فيها):

والغيرةِ

أسميتا (وهي تلمسها):

والشهوةِ

ويشافا (وهي تتنهد):

والحبِّ!

أزمردا (في حماسة):

خُذِيهَا وافْتِنِي الأربابَ، يا معبودتي، واسْئِبي
أَلَا وَلْتَمْلِكِي العالَمَ من شرقٍ إلى غَرْبٍ

مريتا:

وكيف أراكَ لم تُحرِّزْ بها العالَمَ إحرازًا؟

أُزمردا:

هو السرُّ الذي أُلهمُّهُ وحياً وإعجازاً
فهذا جوهرٌ ضنَّتُ به الرِّبَّاتُ إعزازاً
ولم يُخلَقْ لغيرِ إلهةٍ تُسمَى «بحروازاً»

مريتّا:

أعندك غيرهٌ؟

أُزمردا:

عندي وطوبى للذي فازاً

ويشافا:

يواقيتُ؟

أُسميتّا:

وبالأسماءِ؟

أُزمردا (وهو يشير بيديه إشارات رائعة):

إسـهـاباً وإيـجـازاً!
أُلهمتني السماءُ أين أراكنَ فطَوَّفتُ في البحارِ القصيَّةِ
ولبلوسَ باسمِ إيزيس أبَحَرْتُ بروحٍ من القضاءِ خفيَّةِ
ونقلتُ الكنينَ من كنزِ أوزيريس والتاجِ والعصا العسجديَّةِ
ويواقيتُهُ ولؤلؤهُ المنظومَ حتَّى القيثارةَ السحريَّةِ
ثم قادتُ سفينتي حيثُ أنتنَّ وقادتُ أقدامكنَّ إليَّ

الفصل الثاني

وبأسمائكُ آلهَ الرِّيحِ سرى صَوْتُها على شَفْتَيْه
إِنَّ أَلْفًا من الهدايا لحروازا وكلُّ خُصَّتْ بألفِ هديَّة

(وهو يمد يديه لهن).

يا مريتا، يا ويشافا، يا اسميتا، أَلَا ضَعْنَ أَيْدِيا في يَدَيْه
سرن بي الآنَ للسفينة، للكنز، وخذن الودائع القدسيَّة!!

(وتقبل الفتيات الأربع على أزمردا ويسرن به كالمسحورات متجهات إلى
السفينة).

الفصل الثالث

مخدع القرصان أزمردا في مقدم سفينته، حجرة أنيقة وثيرة الأثاث، معلق فوق السرير بها سيف لماع رائع، وبحوائطها حلقات من حبال، وسياط متنوعة، يجاورها بهو السفينة وهو رحب مزدان بقناديل زجاجية، وبه أثاث متواضع. باتوزيس مضطجع على السرير بمخدع الربان، والنوافذ الصغيرة حوله مسدلة الستائر غير نور منبعث من شعاع الضحى يتخللها من كوة صغيرة، يدخل ماتوكا حاملاً مائدة طعام بعد أن يطرق الباب.

باتوزيس (وهو يتقلب في وساده):

مَن ها هُنا عندي؟

ماتوكا:

عبدُك ماتوكا!

باتوزيس:

مَنْ أنت؟ من؟ عبي!

ديوان علي محمود طه

ماتوكا (وهو يتقدم بالمائدة في دهشة واضطراب):

عَبْدُكَ ماتوكا!
حُيِّتْ، يا سيدي وطابَ هذا النَّهارُ
لم آتِ في موعدي بوجِبَةِ الإفطار

باتوزيس:

ماذا جرى، يا تُرى أكادُ لا أفهمُ

ماتوكا:

إنَّ الذي قد جرى أعجبُ لو تعلمُ
قد حملتنا الرياحُ ونحنُ صرعى الكَرَى
وما رأينا الصُّباحَ إلَّا بهذا التُّرى!

باتوزيس:

أيُّ تُرى؟

ماتوكا:

شاطئُ تضحكُ فيه الرِّمالُ
نسيمُهُ دافئٌ ومأوهُ سلسالُ

* * *

يَعْرِفُهُ مِنْ سَناءَ ربابِ البحرِ
أَوَّلُ ما نلقاهُ من طَرْفِي مصر!

باتوزيس:

مصر؟

ماتوكا:

أَجَلْ: مصر! وَنَحْنُ فِيهَا الْآنَ
من دوننا نَغُرُّ من دونهُ يومانُ

باتوزيس (مشيرًا إلى المائدة):

ما زِلْتُ مربوكًا من هذه الأحلام
ما تَلَكَ ما توكا؟

ماتوكا:

مائدةٌ من طعامٍ
مائدةٌ حافلةٌ كثيرةُ الإغراءِ
جاءَتْ بها قافلةٌ تدلفُ من سِنَاءِ

من كلِّ رَوْضٍ بهيَجٍ فاكهةٌ ناضجة
وكلِّ لحمٍ نَضِيجٍ وَبَقْلَةٍ طازِجَةٍ

وَإِنْ تَشَأْ فالرحيقُ مُهِياً مُخَضَّرُ
من كلِّ لَوْنٍ عَتِيقُ شَمِيمُهُ يُسَكَّرُ

طَوَّفَ كالكوكبِ على توالي السنين

ديوان علي محمود طه

من شاطئِ المغربِ إلى بحارِ الصينِ

بين السَّنا والنَّدَى وفي الرياحِ الهُوجُ
والحرُّ يُذكي الصَّدى والقرُّ يذروُ الثلوجُ

تحيَّةُ الإخوانِ في بُكرِ الصَّيفِ
من سيِّدي الرُّبانِ لسيِّدي الضَّيفِ!

باتوزيس:

والسيِّدُ أزمدا هل قامَ من النَّومِ الآنا؟

ماتوكا:

هو عندَ الشاطئِ يستقصي
نَبأً وَيُسأِّلُ رُكبانا

إن شاء سيِّدي أَمُرُ
أرفعُ هاتيكِ السُّتُرُ

(ويمضي ماتوكا في رفع الستائر بإشارة من باتوزيس فيغمر نور الضحى
المخدع، باتوزيس يحملق فيما حوله فيروعه منظر السيف المتألق بشعاع
النهار.)

باتوزيس (مشيرًا إلى السيف):

ما ذلك الشيءُ أَرى؟

الفصل الثالث

يَكَادُ يَبْهَرُ النَّظْرُ
أَحْلِيَّةً نَادِرَةً
أَمْ ذَاكَ مِنْ مَاضٍ أَثَرُ

ماتوكا (متباهياً):

بَلْ ذَاكَ سَيْفُ سَيِّدِي
وَعَوْنُهُ عَلَى الْخَطَرِ
حَدِيثُهُ مِلْءُ الْبُحُورِ
وَالثُّغُورِ وَالْجُرُزِ
هُوَ الرَّدَى إِذَا مَشَى
فَكُلُّ كَائِنٍ خَبِرُ

باتوزيس:

وَمَا السَّيِّئُ هَذِهِ؟
أَلَسَنَةُ مِنَ الشَّرِّ

ماتوكا (في حماسة):

يُلِينُ لَدُّعُهَا الْحَدِيدَ
أَوْ يَفْتَتُّ الْحَجَرَ!
تُخْرِسُ أَوْ تُنْطِقُ مَنْ
تَشْكُو الْكَلَامَ وَالْحَصَرَ!

باتوزيس:

وهذه الحبال؟

ماتوكا (مترسلاً في حماسته):

هُنَّ مِنْ حَبَائِلِ الْقَدَرِ!
تَلْتَفُّ بِالسُّوقِ الرَّقَاقِ
وَالْمِعَاصِمِ النَّضْرِ
وَلَا تَرُقُّ لِلدُّمُوعِ ضَارِعًا بِهَا الْحَوَرُ!

باتوزيس (مشمئزًا):

كَفَاكَ ماتوكا كَفَاكَ
فَالْحَدِيثُ لَا يَسُرُّ!
قَرَّبَ إِلَيَّ الْكَأْسَ أَوْ
هَذَا النَّضِيجِ وَالثَّمَرِ!

(ماتوكا يسرع بالمائدة فيضعها أمام باتوزيس وقد جلس في السرير، وهو يقلب أنواع الشراب فيختار لوناً ويملاً به قدحه ويشربه ويأكل قطعة من النضيج.)

باتوزيس (شبه مسرور):

طَيِّبَةُ هَذِي السَّلَافُ وَالطَّعَامُ طَيِّبٌ
إِنِّي عَلَى مَوْثِقِ أَزْمَرْدَا وَعَهْدِي أَشْرَبُ
قُلْ لِي ماتوكا أَأَنْتَ لِلْجَنُوبِ تُنْسَبُ؟
إِنَّ بِلَادًا أَنْجَبَتْكَ لِلْكَرَامِ تُنْجَبُ

ماتوكا (شبه متألم):

أَيُّ الْبِلَادِ هَذِهِ أَذْكُرُهَا لِسَيِّدِي؟
جَهَلْتُ مَنْ أَيْنَ أَنَا وَأَيْنَ كَانَ مَوْلَدِي!
دَرَجْتُ فِي هَذَا الْوُجُودِ وَالْخَفَاءِ مُوجِدِي

كَأَنَّمَا أُمُوسِي يَأْتِي بَعْدَ يَوْمِي وَغَدِي
مَا لِلْعَبِيدِ فِي مَصَايِرِ الْحَيَاةِ مِنْ يَدٍ
وَلَيْسَ مَاتوكَا الرَّئِيسُ غَيْرَ عَبْدٍ أَسْوَدٍ
حَبَاهُ أَزْمَرْدَا الْحَيَاةَ جَمَّةَ التَّرْعُدِ

(وقد تغيرت لهجته إلى العنف.)

وَبَثَّ فِي رُوحِهِ رُوحَ قَضَاءٍ مُرْصِدٍ
يَصُولُ بِالسُّوْطِ إِذَا شَاءَ وَبِالْمُهَنْدِ
وَيَفْتَدِي سَيِّدَهُ، دَمِي فِدَاءُ سَيِّدِي!

باتوزيس:

حَبَاكَ أَزْمَرْدَا الْحَيَاةَ؟ عَبَثٌ مُضَلِّلُ!
أَنْتَ أَسِيرٌ بَطْشِهِ، بِسَحْرِهِ مُغَلَّلُ
سَبْتُكَ مِنْهُ قُوَّةٌ تَصْرَعُ أَوْ تُقَتِّلُ
أَنْتَ وَأَزْمَرْدَا سَوَاءٌ وَالْأَصُولُ تَعْدِلُ
أَلَسْتُ إِنْسَانًا تُحْسُ مِثْلَهُ وَتَعْقِلُ؟
تَفْعَلُ مَا يُوْجِي بِهِ الضَّمِيرُ أَوْ لَا تَفْعَلُ؟
كَيْفَ تَعِيشُ لَا رَجَاءَ فِي غَدٍ تُؤْمَلُ؟
يِرْعَاكَ أَزْمَرْدَا وَأَنْتَ فِي قُوَاكِ تَرْفَلُ
فَإِنْ مَرَضْتَ أَوْ هَرِمْتَ أَنْتَ مِنْهُ مَهْمَلُ
أُنْظِرْ إِلَى الْأَطْيَارِ فِي أَجَوَاهَا تَنْقَلُ
سَيِّدَةً تَصْعَدُ مَا شَاءَتْ هُنَا وَتَنْزِلُ
مُوطَأً لَهَا السَّحَابُ وَالثَّرَى مُذَلَّلُ
تَبْنِي الْحَيَاةَ فِي الْوَكُونِ حُرَّةً وَتَنْسَلُ
لَهَا الضِّيَاءُ وَالْفَضَاءُ وَالنَّمِيرُ السَّلْسَلُ
هِيَ الْحَيَاةُ حُرَّةً فِي طَائِرٍ تُمَثَّلُ

حَقَّكَ لَا مَنْ بِهِ عَلَيَّكَ أَوْ تَفَضَّلْ

ماتوكا:

يا سيدي، أنى لي الكون الذي تُخِيلُ؟
أنى لمثلي ذاك العالم؟ إنني أجهل!
سفينتي هي الحياة، والغد المؤمل
قد طاب لي في ظلها العيش وطاب المنزل
ومن كساء سيدي الربان هذا المخمل
ومن شرايه أعل هانئاً وأثمل
أني حياة لي من هذي الحياة أجمل!

(ثم ينحني ويغادر الحجرة بالمائدة ويظل باتويزيس مبهوئاً ثم يعاوده
الكسل، فيتمدد على الفراش بينما يدخل إلى البهو أزمردا ومعه الفتيات
الأربع وهو يحييهن باسمًا، وبينما هن يتأملن البهو ومنظره والصور وجلود
الحيوانات المعلقة على جوانبه، يعتذر إليهن أزمردا ليعد الكنز ويختفي من
باب صغير وهن منشغلات عنه يتهاوسن):

ويشافا (متعجبة):

أهذه السفينة الموعودة
حاملة العجائب المنشودة؟!

مريتا (حائرة):

ماذا أرى؟ طاقتها مسدودة!

أسميتا:

وراؤها كنوزها المرصودة!

حروازا:

تَمَهَّلِي! سوف نرى وُعوده
وَالْفِتْنِ الرائعة المشهودة!

مريتّا:

أُحْسُ بصوتكِ المهموسِ هزّاتٍ من العطفِ

حروازا:

لَقَدْ جاءَ ببرهانٍ

مريتّا:

وَهَلْ ياقوتةٌ تكفي!

حروازا:

أُغْرِينِي ترابيّ بهذا الوضعِ وَالوصفِ؟

مريتّا:

لَقَدْ أغراكِ حروازا بأمرٍ ظاهرٍ الزَّيْفِ

ويشافا:

وَكِدْتُ عَلَى ذِرَاعِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ أَنْ تُغْفِي

حروازا (مبتسمة):

حَزَرْتُ حَدِيثَكَ هُنَاكَ حِينَ غَضَضْتُ مِنْ طَرَفِي
مَرِيَّتَا ... لَا يَغْرُبُكَ مَا أَظْهَرْتُ مِنْ ضَعْفِ
فَهَذَا عَبَثٌ مَنِّي وَبَعْضُ اللَّهِو

مريتا:

وَالظَّرْفِ

حروازا:

أَرَدْتُ بِهِ لِأَعْرِفَ مَا يُسِرُّ لَنَا وَمَا يُخْفِي!

أسمتيا:

وَكَيْفَ إِذَا تَحَدَّأْنَا؟

ويشافا:

وَنَحْنُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ؟

حروازا (في قوة واعتداء):

أَلِلَّهُ تَخَافُ النَّاسَ؟ هَذَا مِنْتَهَى السُّخْفِ!

مریتا:

وإن لم ینفع اللین؟

حروازا:

أَخَذْتُ الْأَمْرَ بِالْعُنْفِ!
إِذَا وَاجِهْتُه فَاضْمُدَّنْ مِنْ حَوْلِي وَمِنْ خَلْفِي!

(ویرسمعن أصواتًا بالحجرة المجاورة فیخفضن من أصواتهن، ویستمعن حیئًا إلى مصدر الصوت وینظرن حیئًا آخر إلى محتویات المكان، ثم یمیل بعضهن على بعض وهن یتهامسن قلقات بینما یدخل أزمردا من باب خلفي على باتوزیس فی المخذع وهو شدید الاضطراب المزوج بالفرح هامسًا فی انفعال):

أزمردا:

هَنَ هَنا! هَنَ! باتوزیسُ أما
تسمعُ أصواتهنَّ بالباب؟
هَنَ هَنا هَنَ باتزیسُ أَفَقُّ
أُخرجُ علیهنَّ غیرَ هیَّاب!
أَعَدَّ قیثارك، استتثرُ نغمًا
یروِّضُ حتی الوحوشَ فی الغابِ
حتى تراهنَّ بینَ شادیةٍ
وَبَینَ رَقاصةٍ بأكواب!
یکادُ قلبی لما ظفرتُ بِهِ
یَطیرُ من فرحةٍ وإعجابِ

باتوزيس (وهو ينهض من الفراش مبهوتاً):

من هُنَّ أزمردا أثرت نفسي
ورُعّت أوهامي وهجت حسي؟

أزمردا (مشيراً بأصبعه على فمه):

لا ترفع الصوت وقلْ بهمسٍ
فهنَّ يسمعنَ خفيضَ الجرسِ
آلهةُ الرياحِ حُلُمُ الأُمسِ
لَقِيتهنَّ في شروقِ الشمسِ
بينَ الغياضِ والصخورِ المُلسِ
يرقصنَ في غلائلِ الدمقسِ
ما زلتُ أحتالُ بغيرِ يأسٍ
حتى تُسمعنَ لضعفِ الجنسِ
وجئنَ في ابتهاجةِ وأنسِ

باتوزيس:

بل هذه تخيُّلاتُ الكأسِ!
ما هنَّ إلا من بناتِ الإنسِ
وَقَعْنَ في تدبيرِك الأَخسِ
ويحكُ أزمردا وويحُ نفسي
أحسبُ أن اليومَ يومُ نحسٍ!

أزمردا (ملاطفاً):

تُنكرُ ما شِمتُ بعيني رأسي؟
مَسَّكَ باتوزيسُ أيُّ مسٍّ!

باتوزيس:

وهبْ أَنهْنَّ كما قُلْتَهُ فماذا بِالْهَيْهَ تصْنَعُ؟

أُزمردا:

أَسْخَرَهْنَّ قَوًى يَنْتَظِمْنَ شِراعيَ ما قَادِنِي المَطْمَعُ
أَسِيرَاتِ بِأَسْيٍ أَوْ صَاحِبَاتِي أَرْسُو كما شَتَّتْ أَوْ أَقْلَعُ
وَأَغْزُو بِهِنَ مَنِيعِ الثُّغُورِ وَأَجْنِي الثَّرَاءَ وَأَسْتَمْتَعُ

باتوزيس:

أَتَطْمَعُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ؟

أُزمردا:

هُوَ المَرْءُ ما عَاشَ لَا يَقْنَعُ

باتوزيس:

خُلِقْنَا غَرَائِزَ مِنْهُومَةِ
فَلَيْسَتْ تُرَوَّى وَلَا تَشْبَعُ!

أُزمردا:

تَعَالَ مَعِي وَاتَّبِعْ حَكْمَتِي
فَدُونَ سَعَادَتِنَا إِصْبَعُ!

باتوزيس:

أَلَمْ يَكْفِ مَا حَزَّتْهُ مِنْ غِنَى
وَمَا تَقَتَّنِي مِنْ غَرِيبِ النِّسَاءِ؟
أَضَاقَتْ بِمَنْسَرَكِ الْكَائِنَاتُ
فَحَاوَلَتْ تَخْطِفُ حَتَّى الْهَوَاءِ؟

أزمردا:

ليضحكني مِنْكَ هَذَا الْحَدِيثُ
خِيَالٌ بَدِيعٌ وَقَوْلٌ هُرَاءُ
دَلِيلُ الْحَيَاةِ اغْتَصَابُ الْمَتَاعِ
وَمَا الزَّهْدُ إِلَّا دَلِيلُ الْفَنَاءِ
تَمَتَّعْ بِأَوْفَرِ مَا تَسْتَطِيعُ
وَلَا تَقْتَصِدْ وَاغْتَصِبْ مَا تَشَاءُ

باتوزيس (صائحا):

يَا لِمَسَاءِ الْحَانَةِ اللَّعِينَةِ
قَدْ قَادَنِي لِهَذِهِ السَّفِينَةِ

أزمردا (ملاطفا في ثورة نفس ضارعا):

مَا هَذِهِ الْخَفَّةُ وَالرَّعَوْنَةُ
كَفَى صِيَاحًا وَالزِّمِ السَّكِينَةُ
أَوْ لَا فَدَعْ هَيْئَتَكَ الرِّزِينَةَ
وَأَكْثِرِ الضُّحْكَ وَزِدْ رَيْنَهُ
وَهَاتِ مِنْ وَادِي الْهَوَى لِحُونَهُ
مَسْحُورَةً، مَخْمُورَةً، مَجْنُونَهُ!

باتوزيس (ضارعًا):

سَأَلْتُكَ الْآلِهَةَ الْحَزِينَهَ
لَا تُؤْذِ هَٰذَا الْمُهَاجِرَ الْمَفْتُونَهَ
فَإِنَّهَا بَرِيئَةٌ مَسْكِينَهَ

أُزْمَرْدَا:

أَنْتَ فَتَى لَمْ يَطَّرَحْ مُجَوْنَهَ
يَسْأَلُنِي الرَّحْمَةَ وَالْمَعُونَهَ
وَلَوْ رَأَى الْخَمْرَةَ فِي قَنِينَهَ
لَبَاعَ دُنْيَاهُ بِهَا وَدِينَهَ!
دَعْ عَنْكَ هَٰذَا الْمُثَلَّ الْأَفِينَهَ!
وَلَا تُضِعْ فُرْصَتَكَ الثَّمِينَهَ!

باتوزيس (غاضبًا):

عَهْدِي، يَا قَرِصَانُ، لَنْ أَخُونَهَ
مَا كُنْتُ أُزْمَرْدَا، وَلَنْ أَكُونَهَ!!

أُزْمَرْدَا:

أَجْنَنْتَ بَاتُوزِيسَ وَيْحَكَ! لَا تُثْرِ هَٰذَا النَّزَاعُ
أَنْسِيَتْ حُلُوَّ حَدِيثِنَا، وَالْكَأْسَ ضَاكِكَةَ الشَّعَاعِ
وَرَوَاةَ طَيْبَةِ عَنْ بَنَاتِ الرِّيحِ آلِهَةِ الْبَقَاعِ
فَيْمَ التَّشَاوُمِ، وَالتَّنَكُّرِ، وَالتَّغْيِيرِ، وَالْخَدَاعِ؟
وَلِمَ الصِّيَاحُ إِذَا دَعَوْتُكَ لِلرَّوِيَّةِ وَالسَّمَاعِ؟
أَتَرِيدُ تَسْمَعَهُنَّ صَوْتَكَ؟ لَا رَجَاءَ وَلَا انْتِفَاعَ!
أَحْكَمْتُ أَمْرِي، وَالْعَبِيدُ هُنَا عَلَى أَهْبِ الصَّرَاعِ

ديوان علي محمود طه

بِإِشَارَةٍ تَهْوِي السَّيَاطُ وَسَيْفُ أَزْمَرْدَا الشَّجَاعُ
إِنِّي عَرَضْتُ عَلَيْكَ أَجْمَلَ مَا أَدَّخَرْتُ مِنَ الْمَتَاعِ
لَكُنْ أَيْبَتَ وَخَانَنِي فِيكَ الْغَرَائِزُ وَالطَّبَاعُ
فَاسْلَمْ بِنَفْسِكَ بِاتِّزَاسٍ! وَلَا سَلَامَ وَلَا وَدَاعٍ!
عَمَّا قَلِيلٍ يَهْتَفُّ الدَّاعِي وَيَنْطَلِقُ الشَّرَاعُ!!

(ويسرع باتوزيس بمغادرة الحجرة بينما يرتفع صوت من البهو المجاور،
هو صوت القلق المستحوذ على الفتيات وأزمردا داخل عليهن).

حروازا:

ما هذه الضَّجَّةُ والصِّيَاخُ
نَسْمَعُ وَالرَّوْيَةُ لَا تُتَّاحُ
كَأَنَّمَا تَقْتَتِلُ الْأَشْبَاحُ
مِنْ حَوْلِنَا أَوْ تَتَّبِ الْأَرْوَاحُ!

أزمردا:

مَعْذَرَةً، أَيْتَهَا الْمَلَاخُ
فَخَادِمِي قَدْ هَزَّهَ الْمِرَاخُ
فَانزَلَقْتُ مِنْ تَحْتِهِ الْأَلْوَاخُ
وَانْتَثَرْتُ مِنْ كَفِّهِ الْأَقْدَاخُ
فَضَجَّ وَاسْتَخَفَّه الصِّيَاخُ!

مريتا:

والكنز؟

أُزمردا:

بعد لحظة يُتأخَّرُ

ويشافا:

ياقوتُهُ ودرُّهُ اللِّمَّاحُ؟

أُزمردا:

والذَّهَبُ المَقْدَّسُ الصُّرَّاحُ!

أُسميتا:

عما قَلِيلٍ تُظْلِمُ البَطَّاحُ
ويصعبُ الغدُّ والرواحُ

أُزمردا:

هنيئةً حتى تجيء الرَّاحُ

(ويظهر ماتوكا في مخدع سيده حائراً وهو يشير إلى أزمردا دون أن تراه
الفتيات، فيسرع إليه أزمردا وحروازا تقول له):

حروازا:

أُسْرِعْ فقد راحَ بنا المِراحُ

ماتوكا (لأزمردا):

إِنَّ السَّجِينَةَ في غِيَابَةِ قَبْوَها

ديوان علي محمود طه

ليستْ تكفُّ تمرُّدًا وصياحا
قطعتْ عُصابتها فجئتْ أذودها
فهوتْ تُحطِّمُ في يدي المصباحا
لولا العناية طارَ بعضُ شراره
وطوى السفينة شعله واجتاحتها

أزمردا:

زدها عذابًا ...

ماتوكا:

سيدي عذبتُها
فأبْتُ وقد مُلئتُ دماً وجراحاً

أزمردا:

إنْ لم تكفَّ عن الصياح فألقها
في الـيـم ...

ماتوكا:

أخشى صَوْتها الفصّاحا
يعلو فيملاً زائراًتِكَ ريبه
أو يستخفُّ لنجدة ملاحا

أزمردا:

والحلّ ماتوكا؟

ماتوكا:

تعالَ معي لها
فلربما أبدت رضىً وسماحا

(ويسرع ماتوكا بأزمردا إلى قبو السفينة وحين يختفي خيالهما يظهر باتوزيس فجأة من مخبئه خلف باب المخدع، ويدخل على الفتيات الأربع متفرسًا فيهن متلفئًا وراءه من الخوف.)

حروازا (وقد بوغتت برؤية باتوزيس):

من أنتَ، أيها الفتى وكيف جئتَ ها هنا!

باتوزيس (هامسًا):

لا وَقْتَ للسؤال من أنتَ هنا، ومن أنا!
أنتنَّ في سفينةِ القُرصانِ ... لا وقت لنا ...!

حروازا:

ومن يكونُ!

باتوزيس:

قاتلٌ يملأُ شَرُّهُ الدُّنَا
بل هو أزمردا ...

حروازا:

وما تراهُ صانعًا بنا؟

باتوزيس:

أراه صانعاً بكن؟! ويحكّن إن دنا!

حروازا:

هوّن عليك، لا تخف أدّى، ولا تخش ضنى
ألّهة الرياح نحن فارتقب صنيعنا
ولا يرُعك إن رأيتَه يحوم حولنا

ويشافا:

ومن تكون، يا فتى إنّا نراك مُحسّنا!

باتوزيس:

من بني مصر باتزيس الشجّي المعذبُ
شاعرٌ، واسمه هناك مغنٌ ومطرِبُ

مریتا:

من بني مصر باتزيس؟

أسميتا:

إلى أين تذهب؟

باتوزيس:

أنا، في هذه الحياة، شريدٌ مغرِبُ
أين؟ لا أين أذهب! أنا في التّيه أضرب!!

الفصل الثالث

(وتسمع وقع أقدام أزمردا وهو قادم من أقصى السفينة متجهاً إلى مخدعه.)

باتوزيس:

هذه خطأ ...

مریتا:

قد أتى!

حروازا:

بل اسمعي

مریتا:

أهو قريبٌ من هنا؟

باتوزيس (مشيراً):

في المخدع!

حروازا (وقد رأت باتوزيس يتحرك من مكانه):

أخائفٌ؟

باتوزيس:

بل ثابتٌ في موضعي!

مریتا:

أَنْتَ شَجَاعٌ

باتوزيس (وهو يتأهب للقاء خصمه):

رَبَّتِي تَشَجَّعِي!

(وبينما أزمردا في مخدعه يسرع في تقلد سيفه، يدخل عليه ماتوكا ويقف خلفه مبهورًا فيلتفت إليه أزمردا ويدرك أن وراءه شيئًا.)

أزمردا:

ما لي أراك واجمًا مُرتاعًا

ماتوكا:

يا سيدي عفوك لن تُراعا
لكن ...

أزمردا:

تكلم، زدنتي صداعًا

ماتوكا:

إِنَّ سَمَارَا خَانَتِ الْآتِبَاعَا
كَمَا أَمَرْتُ، سَيِّدِي، مُطَاعَا
فَتَحْتُ دُونَ بَابِهَا الْمَصْرَاعَا
فَأَفْلَتْتُ وَانْسَرَقْتُ خَدَاعَا
كَأَنَّهَا الظِّلُّ امْحَى وَضَاعَا

أُزمردا (خائفًا):

وأين تمضي؟ أتشُقُّ القاعا؟
أم تستحيلُ بيننا شعاعًا؟
أسرعْ متوكًا، ولتكنْ شجاعا
اطبوا الحبالَ وانشروا الشراعا
وأتوا إليَّ ها هنا سرعا!

(ويدخل أُمردا من باب المخدع على الفتيات فيرى باتوزيس بينهن وهن متحفزات وفي عيونهن بريق الغضب، فيفهم الموقف ويقف صامتًا واضعًا يده على مقبض سيفه.)

باتوزيس (ساخرًا):

أقبلت أُمردا وليس تحيةً
للزائراتِ، ولا عليَّ سلام!

أُمردا:

صَهْ، يا أجيرَ العاهراتِ، فإنما
قربُ الحرائرِ من خطاك حرام!

باتوزيس:

أتسبُّ ضيفك أو صديقك جهرةً؟
عجبًا؟ فأين الودُّ والإكرامُ؟

أُمردا (صارخًا):

ضيفي؟

حروازا:

أَتُنْكِرُ؟

أُزمردا:

بل وَأَغْسِلْ إِثْمَهُ
بدمائه

باتوزيس (ساخرًا):

لو تُغْسِلْ الْآثَامُ
انْظُرْ عَيُونََ الزَّائِرَاتِ فَإِنَّهَا
رَصَدٌ عَلَيْكَ وَلَعْنَةٌ وَضِرَامٌ

أُزمردا (صارخًا):

دعهنَّ ...

باتوزيس:

بل دعهنَّ أَنْتَ ...

أُزمردا (مستخفًا):

أَجَلٌ وَمَا
تَبْغِيهِ؟

باتوزيس:

ما لي باسمهنّ كلام!

أزمردا (إلى الفتيات):

قسماً بكنّ فما أردتُ خيانةً
بل عطفَ آلهةٍ بكنّ يُشام!
ما رُمْتُ إلا أن تكنّ صواحيبي

باتوزيس:

ما كلُّ شيءٍ في الحياة يُرامُ

حروازا:

لِمَ لَمْ تضارحنّا، وكيف دَعَوْتِنَا
لـلـكـنـنـز؟

مریتا:

أوزوريسُ والإلهامُ

أزمردا:

هذي طباعُ الآدميِّ، وهذه
أطـمـاءُـه

ديوان علي محمود طه

باتوزيس (ساخرًا):

فرضُ عليه لزامُ!

مریتا:

بَلْ حِيلَةُ الْقِرْصَانِ أَنْتَ أَرَدْتَنَا
صَيِّدًا يُبَاعُ فِرَاؤُهُ وَيَسَامُ

حروازا:

وبكم تسوّمني إذا ما بعّنتني
والسُّوقُ حَوْلَكَ ضَجَّةٌ وَزِحَامُ

ويشافا (مدنية إليه بوجهها):

انظرُ جمالي ...

أسمتيا (تدور حول نفسها):

بل تأملِ فتنتي ...

باتوزيس (صائحًا طربًا):

يا للرشاقةِ كلكنَّ غرامُ!

مریتا:

أَوَكُنْتَ تَطْمَعُ أَنْ تُسَخِّرَنَا قُوَى
لِسْفِينَةٍ يَحْدُو بِهَا الْإِجْرَامُ؟

أُزمردا:

خَيْرٌ لَكِنَّ الصَّمْتُ

حروازا (وهي تواجهه):

قُلْ خَيْرٌ لَنَا
بِيَدِكَ تَسْلِيمٌ!

مریتا:

أَوْ اسْتِسْلَامٌ!

باتوزيس (ساخرًا):

أَوِثَّقْتَ أُمَرْدًا بِهِنَّ؟

أُزمردا:

كَمَا تَرَى
ثَقَّتِي بِمَوْتِكَ ...

باتوزيس (متصنِّعًا الملاطفة):

مَا يُفِيدُ الدَّامُ

أُزمردا (وهو يجرد سيفه ويهم بطعن باتوزيس):

قَادَتِكَ بَاتُوزِيسُ آخِرُ خُطْوَةٍ
لِلْمَوْتِ! خُذْهَا مَا عَلَيَّ مَلَامٌ!

حروازا (تحول بذراعها دونه):

قِفْ ...

أُزمردا (حانقًا):

لا ...

حروازا:

حذارِ ...

أُزمردا (محاولًا الاندفاع):

بلِ ابُعدي
رُدِّي ذراعَكَ ...

حروازا (بصوت رائع وهي تلوح بقبضتها في وجه أُمردا):

لا يُردُّ جِمامُ!
يا أيها النفسُ الأثيمةُ أقصري
وقفي مكانَكَ خانَكَ الإقدامُ!

(وتقف مريتا وويشافا وأسميتا وراء حروازا وهن ينفخن، فإذا بقوة هائلة كالعاصفة تدفع أُمردا وماتوكا وعبيده إلى الوراء، وتقع السياط من أيدي الرجال وهم يرجفون رعبًا وتتجمد ذراع أُمردا وتتقلص أصابعه حول مقبض سيفه وجسده يهتز بعنف كأنه يصارع جبارًا لا يرى، ويسقط السيف من يده فيحاول استرداده جاثيًا فلا يستطيع وهو يهدر):

أُزمردا:

ماذا أُحسُّ؟ ما أرى! ماذا أَصابَ مِسمعي
أَنفاسَكُنَّ تِلْكَ؟

باتوزيس:

بَلْ هَبَّةُ رِيحٍ زَعَزَعِ

حروازا:

خَدَعْتَنَا

أُزمردا:

لَمْ أَخْذَعْ

حروازا:

أَيَّ كَلَامٍ تَدَّعِي!
سوف ترى نهايةً بمثلها لم يُسمع!!

أُزمردا (وقد خفت صوته):

أهكذا أَنْتَنَّ، يا للهوُل! يا لمصرعي!
لم أدرَ قَبْلَ اليومِ ما سِرُّ الرِّيحِ الأَرْبَعِ
إِذَا تَأَلَّبَنَ عَلَى سَفِينَةٍ بِمَوْضِعِ
فِيَا لَكِنَّ مِنْ قُوَى تُخْضَعُ مِنْ لَمْ يَخْضَعِ!!
إِلَيَّ مَاتُوكَا إِلَيَّ

ديوان علي محمود طه

ماتوكا (وهو لا يستطيع حراكًا):

سيدي!

أزمردا:

أنتَ معي ...

أين الرجالُ؟ ...

ماتوكا (وقد حبس صوته):

هم ...

أزمردا:

أَمْ

تَرَى؟ إِلَيَّ أَسْرِع ...

أَسْرِع إِلَيَّ

ماتوكا (باكياً):

لا أطيعُ ...

أزمردا (وهو يركع متخاذلاً):

آه ما عُدْتُ أَعِي!

(وتترقق الدموع في عين أزمردا فيذهل بأتوزيس لما يراه فيحرق وكأنه لا يصدق):

باتوزيس:

ويحك أزمردا أفي عينيك بعض أدمع؟
أحقاً ذي دموعك أم خداع الخوف والألم
أتبكي، أيها التمساح

أزمردا (بصوت خافت):

لا تَشَمْتُ ولا تَلُمِ
صديقي أنتَ باتوزيس أنقذني من العدم
ألا صفحاً فهذي ساعة التكفير والندم!!

(وينظر إلى الفتيات ضارعاً، وهو يقول):

هذي الدموعُ وجدتها فَوَجَدْتُ إنسانيتي
أنتنَ أرجعتنَ لي ما عَزَّ من أُمْنِيَةٍ
هذا الشعورُ حُرْمَتُهُ عُمري، فيا لسعادتِي
أحسستُ أني الآنَ إنسانٌ لأولِ مرَّةٍ
وهي الحياةُ بها التقيتُ على لقاء منيَّتي!

مريتا (متأثرة):

وإذا عَفَوْنَا عَنْكَ!

أزمردا (إلى مريتا):

يا للنُّبْلِ، يا للرحمةِ
أحسنْتَ لي، وَمَحَوْتَ مني الآنَ كلَّ خطيئةٍ
فلأفنينَ العمرَ في الإحسانِ باسمِ إلهتي

حروازا:

بعض هذا الحنان ما تاب لكنْ خَرَّ عَجْزًا فراح ينطق كذُبا
إنَّه في مفازِ الموتِ يحتالُ ليلقى سلماً ويرتدُّ حرباً

أُزمردا (ضارعاً):

رحمةً ربَّتي فما أَسْتَطيع الآن قولاً ولست أملكُ عتْبا
يا ابنة الشرقِ! أنتِ أيتها الحسناء يا من ملأت قلبي حبًّا
لم يعدْ بعدُ ما أخاف فأخفي عنك حبي ما كان حبي ذنباً
إنْ يكن حانَ مصرعي فعديني بعد موتي وتلك آخر رُغْبِي
امحيني بعض العزاء ولا تلقِ بجسمي في اليمِّ أفقدك غصبا
وسُديه عشبَ المكان الذي فيه التقينا، ففيه أمسيْتُ صبا
عندما قَبَلْتُ محياكِ عيناكِ وضمتْ صبابتي منك قلباً
فإذا ما سريتِ فجرًا فمسيّ جسداً مقفراً من الرُّوح جذبا
عانقيه ظلًّا أحبَّكِ روحاً كشعاع الصباح، ريان، عذبا
واسحبي فوقه الظلال ومدي ورقاً ناضرَ الأفانين رطباً
وإذا أبَلَّتِ الليالي كياني، فاسكبي فوقه الغمام سكباً
أو فذريه في الفضاء كما شئتِ وأنى سريتِ شرقاً وغرباً
إنها ميتةٌ ألدُّ من العيش فلا تحرمي مُحَبَّكِ قرباً!!

(وتسمع ضجة وصيحات تتردد بها جوانب السفينة، وإذا بسمارا ممزقة
الثياب دامية اليدين شاحبة الوجه تظهر هاربة من الباب ووراءها عبدان
يتبعانها في أيديهما السياط، وهي تلوذ بالفتيات الأربع فيحطن بها منصرفات
عن أزمردا دون انتباه.)

حروازا:

من أنتِ، أيتها الفتاة؟

سمارا:

أنا المكبلة السجينه
وأنا ضحية ذلك الوحش الذي تتأملونه

باتوزيس:

هذي سمارا بنتُ ببلوس وحسناؤ المدينه
بالأمس أنقذها ولم أفطن لخدعته المشينه

سمارا:

باسم الوفاء تبعته طوعاً إلى هذي السفينه
وكرّ الخيانة والأذى، ومباعدة الشرّ اللعينه
وظننته رجلاً فكان النذل مُبتدعاً فنوته

(تشير إلى جراحها).

أنقذني بالله، وانظرن الجراحاتِ الثخينه

(حروازا وقد انشغلت بالفتاة دون أزمردا فينفك عنه سحرها الذي كان
مسلطاً عليه بتأثير ذراعها، ويشعر بالدماء تجري في عروقه فيمد ذراعه في
غفلة عنهن ويتناول سيفه، ويهم واقفاً ووراءه العبيد وقد تبدلت هيئته وبدا
الشر في عينيه، وهو يصيح):

أزمردا:

هيا رجالي أذن الكفاح

ديوان علي محمود طه

باتوزيس (صائحا وقد شرع العبيد يتقدمون):

إلى الراء، أيها الوقاح
دماؤكم أول ما تباح!

أزمردا:

لا تسمعوا فقولهُ مزاح
سكران قد هيح له جماح!

باتوزيس (وقد رأى أزمردا هاجما بسيفه):

ما أنت، يا قرصان، والسلاح
رأسك أزمردا به يطاح!

حروازا (وقد رفعت ذراعها في وجه أزمردا فيقف بغتة):

هذا هو القرصان، يا أرواح
قناعه عن وجهه يزاح

أزمردا (وهو يحاول الحركة فلا يستطيع):

خير لکن الصمت لا الصياح

حروازا:

ماذا تقول؟

أزمردا (في عنف):

أقلع الملاحُ ...!

حروازا:

طغيتَ واستشرى بك الطَّمَاحُ

مریتا، ويشافا، أسمىتا (في غضب وثورة ملوحات بأيديهن مهددات):

يا لِصُّ!

يا مفضوحُ!

يا فضَّاحُ!

(حروازا والفتيات مندفعات إلى جانب باتوزيس رافعات أيديهن وقد بدأت العاصفة من جديد):

الفتيات:

حَقُّ عَلَيْكَ الْمَوْتُ، يَا سَفَّاحُ

نحن الردى والقَدْرُ المتاحُ

لَنَا الفضاءُ الرحبُ والجناحُ

نطيرُ لا يَعِزُّنَا السَّرَّاحُ

حروازا:

إِنْ نُغْرِقِ الْفَلَكَ فَلَا جُنَاحُ

سفينةُ القرصان تُسْتَبَاحُ

هَيَّا بِنَا ... إِعْصِفْنَ، يَا رِيَّاحُ!

(وتعصف الرياح والأربع بالسفينة فتخطب الأبواب وتطير الستائر وتسقط الصور من جوانب البهو ويتكفأ العبيد، صارخين محاولين الهرب من الأبواب

ديوان علي محمود طه

ويقع أزمردا جاثيًا، بينما تثبت الرياح الأربع في خفة من جانب السفينة
الموشكة على الغرق ومعهن باتوزيس وسمارا.)

باتوزيس يرثي أزمردا

عثرنا على هذه القصيدة التي يرثي فيها باتوزيس أزمردا، وقد هبطت الفتيات الأربع به في مكان من ساحل البحر، مذهولاً مما مر به، وهو متجه بعينه إلى فضاء البحر وأمواجه مشيراً على مكان السفينة الغارقة والفتيات حوله ينظرن حيث يشير، وهو ينشد:

أَثَرُ لَيْسَ يُلْمَحُ	وخيالٌ مُجَنِّحُ
وَشَرَاغُ مُحَطَّمُ	حَوْلَهُ المَوْتُ يَسْبَحُ
مُغْرَقًا لَا تَهْزُهُ	نَسْمَةُ أَوْ تُرْنَحُ
يَحْتَوِيهِ مَزْمَجْرُ	مَظْلَمُ الغُورِ أَفِيحُ
غَرَقَتْ تَلْكُمُ السَّفِيحُ	نَهْ وَانْفَضَّ مَسْرَحُ
مَا لِرُبَّانِهَا الطَّمُوحُ!	أَمَّا عَادَ يَطْمَحُ؟
وِيحَهُ وَهُوَ ذَاهِلُ	أَغْبَرُ الْوَجْهِ أَكْلَحُ
يَتَكَفَّى رَجَالُهُ	حَوْلَهُ وَهُوَ يَضْبَحُ
بَعْدَ مَا كَانَ بَيْنَهُمُ	يَتَغَنَّى وَيَمْرَحُ
عَرَّهُ السِّيفُ مُضَلَّتَا	بِالْمَنَايَا يُلَوِّحُ
لَا يُبَالِي إِذَا رَمَى	كَيْفَ يَفْزِي وَيَذْبَحُ
خَالَئِي إِذْ دَعَوْتُهُ	دَعْوَةَ الْخَيْرِ أَمْرَحُ
عَاشَ لَوْ قَدَّرَ النِّصْبُ	حَةً أَوْ كَانَ يُنْصَحُ
يَحْسُنُ الشَّرُّ بِالْغَرِيبِ	زَةَ وَالْخَيْرُ يَقْبَحُ

صاحب الأُمس، لا رحيـ	قَ، ولا كأس تصدحُ
فاشربِ اليومَ من إنا	ثُكَّ بالموتِ يطفحُ
أمنَ البحرِ مخابيـ	ك، وشطُّ، وأبطحُ
وعذارى كأنهنَّ	الأقاحُ المُفتَّحُ!
محصناتُ تصيدهنَّ	وتُغوي وتفضحُ
أيها الصَّقَرُ، لا تُغـ	ر، فللريحِ أجنحُ!
يتلقَّاك بأُسها	صامداً لا يُرحزحُ
هُنَّ من رحمةِ السما	ءِ مَقاديرُ تسنحُ
فإذا الطائرُ السجـ	نُ طليقُ مُسرَّحُ
وإذا الصائدُ الغشو	مُ صريعُ مُطرَّحُ
من دَمِ الغدرِ قَلْبُه	سائلُ العرقِ ينضحُ
فامضِ لا فرحةً بـ	تك! ما الموتُ يُفرحُ
قد عفا عنك هالكا	قَدَرُ ليس يصفحُ!